سيرة
النبيين والمرسلين

صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

لفضيلة الشيخ العالم العلامة
العارف بالله تعالى المربي الكامل
محمد عيد عبد الله يعقوب الحسيني

دار الفارابي
للمعارف

سيرة
النبيين والمرسلين
صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

سيرة

النبيين والمرسلين

صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

الجزء الثاني

لفضيلة الشيخ العالم العلامة
العارف بالله تعالى المربي الكامل
محمد عيد عبد الله يعقوب الحسيني

دار الفارابي
للمعارف

العنوان : سيرة النبيين و المرسلين
صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

التأليف : الشيخ محمد عيد يعقوب الحسيني

عدد الصفحات : ٤٤٨

القياس : ١٧ × ٢٤

الطبعة الأولى
١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل الطرق
الطبع و التصوير و النقل و الترجمة و التسجيل
المرئي و المسموع و الحاسوب و غيرها من
الحقوق إلا بإذن خطي من الناشر.

دار الفارابي للمعارف
طباعة - نشر - توزيع

أسسست عام ١٩٦٧ م
سورية . دمشق . حلبوني . شارع مسلم البارودي .
ص.ب: ٢٣٨٢ هاتف: ٢٢٢٦٧٨٦ فاكس: ٢٤٥٤٩٧٨
www.daralfarabi.com

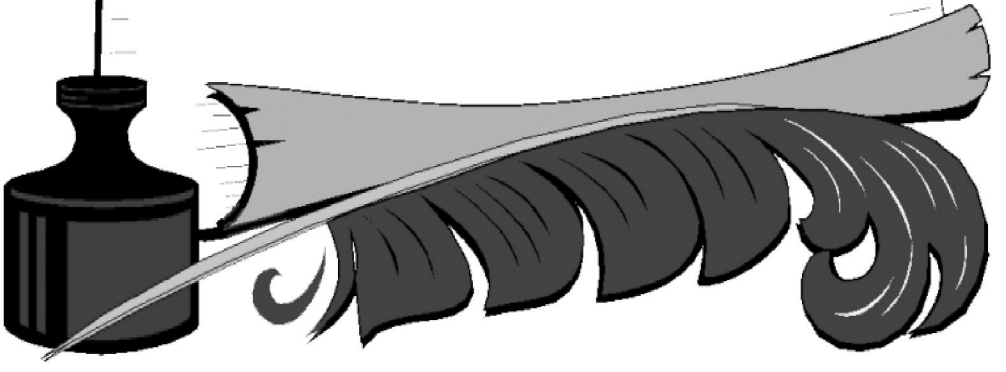
الوكيل المعتمد في
الإمارات العربية المتحدة
مكتبة دار الفارابي
الشارقة - دوار الساعة
هاتف ٠٠٩٧١ - ٦ - ٥٦٣١١٣٠
darfarab@emirates.net.ae

الوكيل المعتمد
في المملكة العربية السعودية

مركز الراية للتنمية الفكرية
جدة - شارع الستين
هاتف: ٦٦٨٦٨٢٠
فاكس: ٦٦٨٦٨١٠
ص.ب : ٤١٥٤٧
الرمز البريدي : ٢١٥٢٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۚ ﴾ [غافر: ٧٨]



سيدنا موسى بن عمران

عليه الصلاة والسلام

مولده ونشأته وفراره إلى مَدْيَن وخبر فرعون

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِي ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِيٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِيٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ [طه].

وقال تعالى: ﴿طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى

ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ ۖ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ ۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَىَّ ۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [القصص].

نسب موسى عليه السلام:

قال ابن الأثير: هو موسىٰ بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم الصلاة والسلام.

وقال صاحب البداية والنهاية: هو موسىٰ بن عمران بن قاهث بن عازر بن لاوى بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم الصلاة والسلام.

۞ نبذة تاريخية عن فرعون:

قال الله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴿٢٠﴾﴾ [البروج].

وقال تعالى: ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾﴾ [الفجر].

ففرعون هو الوليد بن مصعب بن نسيم، وكان كُلُّ مَن يملك مصر يُنعت بفرعون.

وقيل: إن اسم فرعون مُرَكَّبٌ من اسمين: فرَّ، وعَوْن.

قال الكسائي: وكان مصعب بن نسيم بمصر يرعى البقر لقومه، وله امرأة يقال لها: راعونة، وهما من العمالقة. فَأَتَتْ عليه مائة وسبعون سنة لم يُرزق ولداً، فبينما هو في بريّة مصر إذا ببقرة قد وَلَدَتْ عجلاً، فتأوّه وحَسَدَ البقرة، فنادته: يا مصعب لا تَعْجَلْ، فسيولد لك ولد مشؤوم يكون مِن أهل جهنم. فرجع وذكر ذلك لامرأته وواقعها، فحملتْ بفرعون.

ومات أبوه قبل ولادتها، ثم ولدته وسَمَّتْه الوليد، وأخذت في إرضاعه وتربيته حتى كبر، فَأَسْلَمَتْه إلى النجّارين، فأتقن صناعة النجارة.

ثم وَلِعَ بالقمار، فعاتبتْه أمه بذلك، فقال: كُفِّي عني فأنا عَوْن نفسي. فَلَزِمَه هذا اللقب، فكان يُعرف بعَوْن نفسه.

فقامر في بعض الأيام فقمروه في قميصه، وبقي في ثوب خَلِق لا يستره، فاستحيى من الناس أنْ يَرَوْهُ كذلك، فهرب حتى صار إلى قرية من قرى مصر، فعرض نفسه على بقّال فَخَدَمَه، وكان يتشاجر ويضرب المشترين ويؤذيهم، حتى نفروا مِنَ البقّال فطرده، فعاد إلى مصر وكانوا يقولون: فَرَّ عَوْن.

قال الكسائي: رجع إلى مصر وهو لا يملك إلاّ درهماً واحداً، فاشترى به بَقْلاً وبطيخاً وقعد يبيعه، فجاءه عريف الطريق وطالبه بحق الطريق، قال: وما هو؟ قال: درهم. فتلاحيا[1]، فترك

---

(١) أي فتشاجرا.

فرعون رَحْلَهُ ومضىٰ، وجعل يسرق ويهرب.

فاتّفق أنَّ رجلاً من العمالقة جَمَحَ به فرسه فعجز عن ضبطه، فوثب فرعون إلىٰ الفرس وضبطه بلجامه، فقال له صاحب الفرس: أراك جَلْداً قوياً، فاتّخذه سائساً.

فجعل يخدمه حتىٰ مات الرجل وليس له وارث، فاحتوى فرعون علىٰ جميع ماله وحَمَلَه إلىٰ أمه، وأكل من ذلك المال حتىٰ فني وضاق به الأمر، فوقع في قلبه أنْ يجلس علىٰ باب مقابر مصر ويطلب مِن أرباب الجنائز شيئاً، ويُظْهِرَ بأنه يفعل ذلك بِأَمْرِ الملك وبإذنه.

ففعل ذلك مدة حتىٰ اجتمع له مال عظيم، واتّخذ له أعواناً وخَدَماً يُعِينونه علىٰ ذلك.

وكان المُلْك بعد أن أَهْلَكَ الله الريّان بن الوليد تتوارثه الفراعنة، واستقرّ في سنجاب بن الوليد وكان مُكْرِماً لبني إسرائيل. وكان بنو إسرائيل[1] في عهده يعبدون الله علانية، ويتلون الصحف جهراً.

وصادف أنْ ماتت ابنةٌ للملك، فحُمِلَتْ إلىٰ المقبرة، فتعلّق بها أعوان فرعون علىٰ العادة لأخذ الضريبة التي يريدونها، فاتّصل الخبر بالملك، فأمر بإحضاره وأراد قتله، فقصّ عليه قصته، وفدى نفسه بما جمعه من المال، فَعَظُمَ عند الملك وأقرّه علىٰ عمله.

فقرّر فرعون عند ذلك علىٰ جنائز الملوك ألف درهم، وعلىٰ جنائز الوزراء سبعمائة، وعلىٰ جنائز القُوّاد خمسمائة. ثم علىٰ غيرهم قرّر مائة وخمسين، وعلىٰ الفقراء خمسين درهماً إلىٰ عشرة دراهم إلىٰ ثلاثة.

فاجتمع الناس إلىٰ الملك وأخبروه بهذا الموضوع، وطلبوا منه تغييره. فصرفه الملك عن عمله، غير أن فرعون حمل إليه أموالاً جَمّة، وقال له: أيها الملك، إنَّ جَدِّي كان علىٰ حرس أبيك، فاجعل ذلك إليّ.

فولاّه الحَرَسَ، وأمره أن يُشَدِّدَ فيه ويَقتل كُلَّ مَن لَقِيَه بالليل كائناً مَن كان، وجعل له الملك عِدّة من الرجال والأعوان.

فخرج فرعون واتّخذ لنفسه قُبّة في وسط البلد، وكان يُوجّه أعوانه، فَمَنْ أَتَوْه به في

---

(١) فبنو إسرائيل وُجدوا في مصر بعد سيدنا يوسف، فهم البقية من بعده، ثم تكاثروا حتىٰ أصبحوا بمئات الألوف.

الليل أَمَرَ بقتله.

فتقدّم فرعون عند الملك بذلك ؛ لأنه أخاف أعداء الملك ، وأَمِنَ الملكُ عندها جانبهم. فخافه الناس ، وجعل لنفسه حاجباً ، ونفذت كلمته.

قال الكسائي : ويُروى أنه مرض بعضُ وزراء الملك ، وكان الملك يَأْنَسُ إليه ويقتدي برأيه. فَأَحَبَّ أن يزوره بالليل ، فخرج منفرداً وليس معه أحد مِن خَدَمه ، فأخذه أعوان فرعون وأَتَوْه به وهو يقول : ويلكم أنا الملك سنجاب ، وهم يظنون أنه يخدعهم بذلك. حتىٰ أَتَوْا به إلىٰ فرعون فأمر بقتله ، فقُتِلَ.

وبادر فرعون بعد ذلك بِمَنْ معه ودخل القصر ، فاستولىٰ علىٰ سرير الملك ووضع التاج علىٰ رأسه ، وفتح الخزائن ، وأحضر الوزراء وفرّق فيهم الأموال ، فَرَضُوا به وصاروا أنصاراً له.

قال الكسائي : وأتاه إبليس وسجد بين يديه ، وسمّاه إلهاً ورَبّاً. ثم سجد له هامان وكان غلاماً لسنجاب ، وسجد الوزراء والملوك والأعوان وغيرهم ، وأصبح مَلِكَ مصر من ذلك اليوم.

ثم بعث إلىٰ أسباط بني إسرائيل فدعاهم إلىٰ الطاعة والسجود له ، فسجدوا وقصدوا بالسجود اللهَ ربَّ العالمين.

ثم أقبل فرعون بعد ذلك علىٰ إبليس وقال : أيها الشيخ ، إنك كنت مبروكاً ، وأنت أول مَن سجد لي ، ثم جرى القومُ بعدك علىٰ سُنَّتِكَ ، فَمَنْ أنت؟ قال : أنا رجل من أهل مصر أُشير علىٰ الملوك بمصالحهم. ثم قال لفرعون : اتَّخِذْ لقومك أصناماً واحْمِلْهُم علىٰ عبادتها ، واتَّخِذْ لك صنماً انْفَرِدْ به أنت ، واجْعَلْهُ إلهاً ورَبّاً.

فوافقه فرعون علىٰ ذلك ، واتّخذ له ثوراً من ذهب يعبده ، وأَمَرَ الناسَ بعبادة الأصنام فعبدوها.

فكان فرعون يعبد الثور ، والقبط يعبدون الأصنام ، وبنو إسرائيل يعبدون الله. فبلغه ذلك ، فأحضر عُبّادهم وقال : قد بلغني أنكم مطيعون لي في الظاهر ومخالفون لي في

الباطن، فاسجدوا لي. فَأَبَوْا ذلك، وكان فيهم جماعة من أولاد يوسف ويهوذا فقتلهم، ثم قتل خَلْقاً كثيراً، وتَبِعَهُ الباقون من بني إسرائيل وأَسَرُّوا الإيمان.

ثم إن فرعون اسْتَعْبَدَ الناس، ووضع عليهم الخَراج الكثير، وشقّ عليهم في الأعمال، وفعل وفعل.

وحكىٰ أبو إسحاق الثعلبي في كتابه (ياقوت البيان في قصص القرآن): إنَّ فرعون موسىٰ هو أبو العباس الوليد بن مصعب بن الريّان بن أراشة بن ثروان بن عمرو بن فاران بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام.

قال: وملك بعد أخيه قابوس بن مصعب، وذلك أنه لَمّا مات الريّان بن الوليد فرعونُ يوسف عليه السلام، وذُكِرَ أنه قد آمن بيوسف ومات قبل وفاته عليه السلام[1]، مَلَكَ بعده قابوس بن مصعب صاحب يوسف الثاني، فدعاه يوسف إلىٰ الإسلام فأبىٰ، وكان جبّاراً.

وقبض الله تعالىٰ يوسف في مُلْكه، ثم هلك وقام بالمُلْك بعده أخوه أبو العباس الوليد بن مصعب.

ولم يذكر الثعلبي خلاف ذلك.

وهناك روايات أخرى وَرَدَتْ في اسم فرعون، ونسبه، وسبب مُلْكِه، وابتداء أَمْره. مَن أراد تفصيلها فيستطيع أن ينظر في الكتب المطولة: كتاريخ الطبري، وابن الأثير، ونهاية الأرب للنويري، .... وغير ذلك.

قال الله تعالىٰ: ﴿طسٓمٓ ۝١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ نَتۡلُواْ عَلَيۡكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرۡعَوۡنَ بِٱلۡحَقِّ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ۝٣ إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ۝٤ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةٗ وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ۝٥ وَنُمَكِّنَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنُرِيَ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنۡهُم مَّا كَانُواْ يَحۡذَرُونَ ۝٦﴾ [القصص].

---

(١) وعلىٰ رواية الكسائي مات بعده كما ذكرنا ذلك في الجزء الأول من الكتاب ص ٣٦٦.

أجل هذه كانت البداية، فكان فرعون يستعبد رجال بني إسرائيل ويستخدمهم، وأما نساؤهم فكان الأقباط أو الفراعنة يستخدمونهن بالنهار، ثم يَسْتَحِلُّون فروجهنّ بالليل ويَفْتَرِشُونَهُنَّ. وهكذا وسوس لهم عدو الله فرعون، ولا قوة لبني إسرائيل.

وكان بعد ذلك فرعون يأخذ الأموال، ويأخذ الرجال ويذبحهم، ويفعل الكثير في الناس، ولا يستطيع أحد أن يقول له: لا، والكل يأتي ويسجد له.

فكان لا بد للسماء مِن أن تُظهر حقيقته، وأن توقفه عند حده، وأنْ تُبَيِّنَ بأنَّ كُلَّ جبار وكُلَّ طاغية نهايته الدمار، مهما تجبّر ومهما تكبّر، ومهما علا فإنه سينزل.

ما طار طير وارتفع إلا كما طار وقع

فالكبرياء فقط لحضرة الله سبحانه، أما الإنسان فليس له أن يتكبّر، وهذا إبليس المثال، عندما تكبّر طرده تعالىٰ من الجنة وقال له: ﴿ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ﴾ [الأعراف: ١٨].

ففرعون رأى الناس قد سجدوا له وسَمَّوْه رباً، فزاد طغيانه وضلاله، وإن الله ﷻ يُمْهِلُ مَن خرج عن الطريق الصحيح، فإذا أَصَرَّ علىٰ طغيانه وعُتُوِّه وتكبّره وتجبّره قَصَمَ ظهره.

وقد مر معنا في الجزء الأول من هذا الكتاب بأن نمروذ الجبّار الذي ملك الدنيا قد أهلكه الله بأضعف مخلوق، وفرعونُ أضعف من نمروذ مُلكاً وجسماً، فكانت نهايته وخيمة، ومات ذليلاً.

ولقد أحببتُ أن أضع هذه المقدمة حتىٰ نبنيَ عليها ما جرى بين فرعون وبين سيدنا موسىٰ وأخيه هارون بعد ذلك.

۞ زواج فرعون من آسية:

هي آسية بنت مزاحم عم موسىٰ عليه السلام، وهي امرأة صالحة وصِدّيقة كما قرأنا عنها في كتاب الله، وستكون زوجة لنبينا ﷺ في الجنة.

يروى عن سعد بن جنادة قال: قال رسول الله ﷺ: « إن الله تعالىٰ زوّجني في الجنة

مريم ابنة عمران، وآسية امرأة فرعون، وأخت موسىٰ»[1].

قال الكسائي: وكانت بارعة الجمال، فبلغ فرعونَ خبرُها وجمالها، فأرسل إلىٰ أبيها مزاحم: أن ابعث إليّ بآسية فإنها أَمَتي. فدخل مزاحم علىٰ فرعون وقال: إن ابنتي صغيرة لا تَصْلُح. فكذّبه فرعون وقال: قد عرفتُ وقتَ ولادتها، فقال مزاحم: أيها الملك، إذاً فاجعل لها مهراً. فغضب فرعون وقال: احملها إليّ، فإنْ رَضِيتُها أَكْرَمْتُها، وإلاّ رَدَدْتُها إليك. فقال له عمران: أيها الملك، لا تفضحني في ابنة أخي، ولكنْ أَكْرِمْها بخُلْعة ومهر. فأجابه إلىٰ ذلك.

فانصرف مزاحم وأخبر آسية بذلك، وقال: إن امتنعتِ يكون ذلك هلاكي وهلاكك، قالت: فكيف تكون مؤمنة تحت كافر؟ فلم يزل بها حتىٰ أجابت علىٰ كُرْهٍ منها.

وحَمَلَ إليها فرعون عشرة آلاف أوقية من الذهب، ومِثْل ذلك من الفضة، وجملة من الثياب والطّرَف.

وحُمِلَتْ إلىٰ فرعون، فحماها الله منه حتىٰ رَضِيَ منها بالنظر.

فلم يستطع فرعون أن يدنو منها طيلة حياته، إنما كان يتمتّع بجمالها فقط.

وكان فرعون قد رأى قبل ذلك من الآيات ما دلّ علىٰ أن زوال مُلْكه يكون علىٰ يد فتىً من بني إسرائيل، فقال: ائتوني بعمران؛ لأنه كبير فيهم؛ لأصنع إليه وإليهم معروفاً.

فأُتِيَ به، فَخَلَعَ عليه وتَوَّجَه، وجعله سيد وزرائه، حتىٰ كان هامان وغيره يحسدونه.

۞ خبر الرؤيا التي أزعجت فرعون قبل مولد موسىٰ عليه السلام:

قال الكسائي: يروى أنه هَتَفَ به هواتف تقول: ويلك يا فرعون، قد قَرُبَ زوال مُلْكك علىٰ يد فتىً من بني إسرائيل.

ثم رأى الرؤيا التي أزعجته وأفزعته، فكان منها أنْ رأى شاباً قد دخل عليه القصر

---

(١) رواه الطبراني في الكبير بسند ضعيف. ورواه كذلك الديلمي في الفردوس عن عائشة، والطبراني في الكبير وابن عدي في الكامل والذهبي وغيرهم عن أبي أمامة.

وبيده عصا، فضربه بها على رأسه وقال: ويلك يا فرعون، ما أقلّ حياءك من خالق السماوات، كلما رأيتَ آية ازددتَ كفراً، اللهُ يعطيك المُلْك والجاه لتعبده لا لتكفره. ثم نظر فرعون إلى آسية في المنام ولها جناحان تطير بهما بين السماء والأرض حتى دخلت السماء، ورأى في نفس الرؤيا كذلك الأرض قد انفرجتْ وأدخلته في جوفها.

فانتبه مزعوجاً، وقصّ رؤياه على أهل العبارة، فقالوا له: إنها تدل على مولود يولد من بني إسرائيل يَسْلِبُكَ مُلْكَكَ، ويزعم أنه رسول أهل السماوات والأرض، ويكون هلاكك وهلاك قومك على يد هذا الذي رأيتَه.

وكان فرعون قبل ذلك إذا عبّر عليهم رؤيا يقولون: هي أضغاث أحلام، ويكتمونه ما تدل عليه.

۞ خبر قَتْل الأطفال والحَمْل بموسى عليه السلام:

قال الكسائي: فاستشار فرعون وزراءه وأهل مملكته، فأشاروا عليه بقتل مَن يولد مِن الذكور، فقتل اثنتي عشرة ألف امرأة، وسبعين ألف طفل. وكان يُعَذِّبُ الحوامل حتى يُسْقِطْنَ.

حتى ضجّت الملائكة إلى ربها، فأوحى الله إليهم بأن له أَجَلاً، وبشّرهم بموسى.

ومن رواية غير رواية الكسائي: حتى قال الأقباط لفرعون بعد ذلك: نحن لم يَعُدْ عندنا مَن يخدمنا، الكبار من بني إسرائيل يموتون والصغار يُذْبَحون. فأمر فرعون بذبح الأطفال سنة بعد سنة.

ومضت الأمور على هذا الظلم والاستبداد فترات طويلة، وفرعون لا يرقب في الناس إلاًّ ولا ذِمّة، حتى أراد الله أن يُنفذ أمره.

قال الكسائي: وكان فرعون قد منع وزراءه وكبار أهل مملكته من الاجتماع بأهليهم والخلوة بهنّ؛ لأنه كان قد بلغه أنَّ المولود يكون من أقرب الناس إليه. وكان عمران مِمَّنْ مُنِعَ، وكان لا يفارق فرعون إذا نام حتى يستيقظ.

فبينما عمران ذات ليلة على كرسيه عند رأس فرعون، إذ هو بامرأته[1] وقد حُمِلَتْ إليه على جناح مَلَك من الملائكة، فلما نظر عمران إليها فزع وقال: ما حاجتكِ ها هنا؟ فَسَكَتَتْ، فقال له المَلَك: إن الله يأمرك يا عمران أن تأتي زوجتك على فراش فرعون؛ ليكون ذلك هَواناً له.

فواقعها، فحملتْ بموسى، ثم اغتسلا في الحوض الذي في دار فرعون، ثم حملها المَلَك وردّها إلى منزلها.

وكان على باب فرعون ألف حاجب، والأبوابُ مُغْلَقَةٌ، فلم يُغْنِ عنه ذلك.

ولَمّا أصبح فرعون دخل عليه المُنَجِّمون وقالوا: إن الذي تخافه قد حملتْ به أمه، وقد طلع نجمه.

فأمر فرعون القوابل والحواضن أن يَدُرْنَ على نساء بني إسرائيل، ففعلن ذلك، ولم يعبرن بيت عمران لِعِلْمِهنّ بملازمته لفرعون ليلاً ونهاراً.

۞ ولادة موسى عليه السلام وما كان من أمره وإلقائه في التابوت:

قال الكسائي: فلمّا تَمَّتْ أيامها، جاءها الطلق نصف الليل وليس عندها إلاّ ابنتها، فَوَضَعَتْهُ ووجهه يتلألأ نوراً.

وكانت قبل ذلك لا يُرى عليها أثر الحَبَل؛ لأنه معروف أن عمران موجود في القصر، فَمِنْ أين ستحمل؟

قال الكسائي: وأصبحت أم موسى وهي شديدة الفرح به والخوف عليه.

وسمع فرعون في تلك الليلة هاتفاً يقول: وُلِدَ موسى وهَلَكْتَ يا فرعون، وتنكّست الأصنام.

فشدّد فرعون في طلب المولود، فكانت أمه ترضعه وإذا خرجت في حاجة أَلْقَتْه في التنور بمهده وغطّته.

---

(١) قيل: اسمها أيارخا.

ففعلت ذلك في بعض الأيام، وكانت أخته قد عجنت وأرادت أن تخبز، فسجّرت التنور وهي لا تعلم أن موسىٰ فيه. وجاء هامان والدايات فدخلوا دار عمران، فلم يجدوا شيئاً، ونظروا في التنور والنار تعلو منه، فانصرفوا.

وجاءت أم موسىٰ فرأت الأعوان والحرس قد خرجوا من منزلها، فكاد روحها يَزْهَقُ مِنَ الغَمِّ، فدخلت المنزل بسرعة نحو التنور فرأت النار فيه، فلطمت وجهها وقالت: ما نفعني الحذر، أَحْرَقْتُمْ ولدي. وانطلقت إلىٰ التنور فرأت موسىٰ ولم تَمَسَّهُ النار، فأَخْرَجَتْهُ وسكن قلبها.

ولَمّا تمّ لموسىٰ أربعون يوماً فَزِعَتْ عليه أُمُّه، فاتّخذت له تابوتاً ووضعتْه فيه، وأَلْقَتْهُ في اليَمِّ.

وكان أبوه قد مات قبل ذلك ودُفِنَ؛ فلذلك اشتدّ خوف أم موسىٰ.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِيٓ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٧].

قال الكسائي: فلما أتت أمه به لِتُلقِيه في النيل، تَصَوَّرَ لها إبليس في صورة حية سوداء وقال: إنْ أَلْقَيْتِه في اليَمِّ ابتلعتُه، فعلمتْ أنه إبليس، فسمعت النداء: ﴿وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِيٓ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٧].

قال الكسائي: فطرحته في النيل، فقيل: إنه بقي في الماء أربعين ليلة.

وقيل: ثلاثاً.

وقيل: ليلة واحدة.

وهنا كذلك بدأ التحدي، حيث سيدنا موسىٰ سيعيش في قصر فرعون وتحت نظره، وسيُغذّى بأمره، وتُرضعه أمه كذلك داخل القصر بعد أن ذبح سبعين ألف طفل.

فالله ﷻ إذا أراد أمراً هَيّأ أسبابه، والله تعالىٰ يتحدّى فرعون، ويتحدّى كل جبار وكل متكبر، سبحانك سبحانك سبحانك إلهنا وخالقنا.

لا أحد يستطيع أن يعاند رب العالمين، فمعاندة الله خروج عن الصواب وظلم؛ لأن

الحق أنّنا عبيده وهو الإله، لأن الصواب أنّنا المخلوقون وهو الخالق، وغير ذلك ظلم، فإذا أعطيتَ نفسك فوق مستواها فأنت ظالم.

فمِن هنا أراد الله أن يُرِي فرعون، والقصة تُتْلىٰ في القرآن إلىٰ يوم القيامة حتىٰ نتّعظ.

وهؤلاء الذين يعاندون الله ويغيّرون القوانين الربانية، والذين يريدون ديناً غير دين الله، في النهاية تقع علىٰ رؤوسهم البلايا والفتن، وما لا حصر له من القلق والاضطرابات وعدم الانضباط في الأمور كلها، فما مِنْ جبّار إلاّ ونهايته الذل والهوان.

۞ دخول التابوت في دار فرعون ورجوع موسىٰ إلىٰ أمه:

قال الكسائي: وأصبح فرعونُ في اليوم الذي دخل فيه التابوت إلىٰ قصره فصعد أعلىٰ القصر وأَشْرَفَ، فرأى التابوتَ والموجُ يلعب به.

وكان لفرعون سبع بنات من غير آسية، بكل واحدة منهنّ نوعٌ من البلاء والمرض. وكان الأطباء قالوا له: إنَّ دواءهن أن يغتسلن في النيل، فصنع لهنّ نهراً من النيل وأجراه في وسط القصر، يصب في حوض عظيم، فَكُنَّ يغتسلن فيه.

فأمر الله الريح أن تلقي التابوت في ذلك النهر وبناتُ فرعون فيه، فبادرت الكبرى وفَتَحَتْهُ، فإذا فيه موسىٰ وله شعاعُ نورٍ، فلمّا لمسته أَذْهَبَ الله ما بها من البلاء والمرض. فَلَمَسَتْهُ بنات فرعون واحدة بعد أخرى، فذهب ما بهنّ من الأمراض.



عين موسىٰ في مصر، وهو المكان الذي يعتقد بأن بنات فرعون حملن منه سيدنا موسىٰ

قال الكسائي: وأقبلن بالتابوت إلىٰ آسية، فلما رَأَتْهُ قبّلته ولم تعلم أنه ابن عمها، ثم أعادته إلىٰ التابوت.

وحملته جارية معها ومضت به إلىٰ فرعون، فلما نظر إليه أُرْعِدَ منه وقال: يا آسية، إني أخاف أن يكون هذا عدوي، ولا بد لي من قَتْله. فقالت له: ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [القصص: ٩].

حكىٰ الثعلبي أنها لَمّا قالت: ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ﴾، قال فرعون: قُرّة عين لكِ، أما أنا فلا حاجة لي فيه.

قال أبو إسحاق: قال رسول الله ﷺ: «والذي يُحلف به لو أَقَرَّ فرعون أنْ يكون له قُرّة عين كما أقرّتْ به، لَهداه الله تعالىٰ كما هدى به امرأته، ولكنَّ الله تعالىٰ حَرَمَهُ ذلك»[1].

قال الكسائي: ولم تزل تَتَلَطَّفُ بفرعون حتىٰ تركه، وأحضرت له المراضع فلم يرضعهنّ.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ﴾ [القصص: ١٢].

قال الكسائي: وأرسلتْ أم موسىٰ بِنْتَها كلثم.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾﴾ [القصص].

قال الكسائي: فدخلت قصر فرعون فرأته في حِجْر آسية، وقد امتنع أن يرضع. فتقدّمتْ إليها فقالت: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ﴾ [القصص: ١٢]؟

قال الكسائي: ولم تعلم آسية أنها ابنة عمها؛ لِرَثاثة ثيابها؛ ولأنها دخلتْ في حلبة المراضع.

فالتفت إليها فرعون وقال: مَن هؤلاء القوم الذين يكفلونه؟ قالت: قوم من آل إبراهيم، قال: اذهبي وائتني بهم.

---

(١) رواه النسائي، وأبو يعلىٰ في مسنده.

فرجعت إلىٰ أمها وأَخْبَرَتْها، فدخلت علىٰ فرعون وموسىٰ بين يديه، فَعَرَفَتْها آسية وقالت: خذي هذا الصبي وأَرْضِعيه. فلما أخذته الْتَقَمَ ثديها ورضع منه، وفرعون لا يعلم أنها امرأة عمران، فقالت لها آسية: أُحِبُّ أن تكوني عندي إلىٰ أن يستغني هذا الغلام عن الرضاع.

فأقامت عند آسية سنتين حتىٰ فطمته، وفارقته مستبشرة فرحة.

وحكىٰ الثعلبي أنها لم تُقِم عند آسية، بل أخذته وصارت إلىٰ منزلها، فأرضعته إلىٰ أن تمّ رضاعه، وأعادته إلىٰ آسية، والله أعلم.

۞ نشأة موسىٰ عليه السلام وذِكْر شيء من معجزاته وآياته:

قال الكسائي: فلما صار موسىٰ من أبناء ثلاث سنين، استدعاه فرعون وأجلسه في حِجْره وجعل يلاعبه، فقبض علىٰ لحية فرعون، فتألّم فرعون لذلك وقال: لا شك أنَّ هذا عدوي، وهَمَّ بقتله. فقالت له آسية: إن الصبيان لهم جراءة ولعب من غير معرفة ولا عقل، وأنا أريك أنه لا يعقل. وأَمَرَتْ بإحضار طسْت وطرحت فيه دُرّة وجمرة، وقدّمته إلىٰ موسىٰ، فأراد أن يأخذ الدُّرّة، فصرف جبريل يده عنها إلىٰ الجمرة، فأخذها ورفعها إلىٰ فيه فاحترق لسانه، فقذفها مِن فيه وبكىٰ بكاء شديداً. فقالت آسية لفرعون: عَلِمْتَ أنه لا يُمَيِّز بين الدرة والجمرة؟ فسكن عند ذلك.

قيل: ومِنْ يومها كان موسىٰ عليه السلام أَلْسَغَ، حتىٰ نبّأه الله تعالىٰ فأذهب ما بلسانه من اللُّسغة.

قال الكسائي: فلما تمّ لموسىٰ سبع سنين، جلس في بعض الأيام مع فرعون علىٰ سريره، فقرصه فرعون، فغضب موسىٰ ونزل عن السرير، وضرب قوائمه برجله، فكَسَرَ قائمتَيْن منه، فسقط فرعون عنه وانهشم أنفه، وسال الدم علىٰ لحيته. فبادر موسىٰ ودخل علىٰ آسية وأَعْلَمَها بالخبر، وتَبِعَهُ فرعون إليها وأراد قتله، فقالت: ألا يَسُرُّك أن يكون ولدك بهذه القوة، يَدْفَعُ أعداءك عنك؟ ولاطفته حتىٰ سكن غضبه.

ثم ظهر لموسىٰ عليه السلام الكثير من الآيات وهو في سن مبكرة مِمّا لا يظهر إلاّ للأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

۞ حادثة القبطي وخروج موسىٰ من مصر:

قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ ۚ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾﴾ [القصص].

قال الكسائي: ولَمّا كبر موسىٰ صار يركب مِن مراكب فرعون، ويلبس من ملابسه، وكان يُدعىٰ موسىٰ بن فرعون. فامتنع الظلم عن بني إسرائيل، ولم يُعْلَم إلاّ أن ذلك مِن قِبَل الرضاعة.

واتّفق ركوب فرعون، فركب موسىٰ في أثره، والمدينة مغلقة الأسواق ليس بها أحد.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ [القصص: ١٥].

فكان الذي مِن شيعته فتىً من بني إسرائيل، والذي مِن عدوه رجل من القبط وهو طباخ لفرعون، وقد أخذ حطباً للطعام، وهو يريد الإسرائيليَ علىٰ حَمْله وقد امتنع.

فلما مرّ بهما موسىٰ استغاثه الإسرائيلي، فقال للطباخ: اتركه، فامتنع مِن تَرْكه، فوكزه موسىٰ في صدره فمات، فندم موسىٰ علىٰ قتله.

قال الله تعالىٰ: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ

﴿ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ فَلَنۡ أَكُونَ ظَهِيرٗا لِّلۡمُجۡرِمِينَ ﴿١٧﴾﴾ [القصص].

قال الكسائي: فأصبح في المدينة خائفاً يترقّب، وجاء القبط وشَكَوْا إلىٰ فرعون أن بني إسرائيل قتلوا رجلاً منهم، فأمرهم أن يطوفوا علىٰ قاتله.

وخرج موسىٰ في اليوم الثاني، فإذا الذي اسْتَنْصَرَه بالأمس يَسْتَصْرِخُهُ علىٰ قبطي آخر، والقبطي يقول: هذا الذي قتل ابن عمي بالأمس، فقال الإسرائيلي: أَعِنّي يا موسىٰ علىٰ هذا، فإنه يريد أن يحملني إلىٰ دار فرعون. قال له موسىٰ: ﴿إِنَّكَ لَغَوِيّٞ مُّبِينٞ﴾ [القصص: ١٨].

قال الكسائي: ثم لم يجد موسىٰ بُدّاً مِن نُصْرة الإسرائيلي، فحسر عن ذراعيه ودنا من القبطي، فظنّ الإسرائيلي أن موسىٰ يريد أن يبطش به، فقال ما أخبر الله تبارك وتعالىٰ به عنه: ﴿فَلَمَّآ أَنۡ أَرَادَ أَن يَبۡطِشَ بِٱلَّذِي هُوَ عَدُوّٞ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقۡتُلَنِي كَمَا قَتَلۡتَ نَفۡسَۢا بِٱلۡأَمۡسِۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ﴾ [القصص: ١٩].

فلما سمع القبطي كلام الإسرائيلي لموسىٰ، تحقّق أن موسىٰ قاتلُ ابن عمه، فدخل إلىٰ دار فرعون وأخبره أنَّ موسىٰ هو الذي قتل القبطي. قال: ومَن أَعْلَمَكَ؟ فقصّ عليه القصة، فأَذِنَ فرعون لأولياء المقتول بِقَتْلِ موسىٰ حيث وجدوه.

فجاء حزقيل[1] وكان رجلاً مؤمناً من آل فرعون يكتم إيمانه، وأَعْلَمَ موسىٰ بالخبر.

قال الله تبارك وتعالىٰ: ﴿وَجَآءَ رَجُلٞ مِّنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلۡمَلَأَ يَأۡتَمِرُونَ بِكَ لِيَقۡتُلُوكَ فَٱخۡرُجۡ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنۡهَا خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلۡقَآءَ مَدۡيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهۡدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾﴾ [القصص].

قال الكسائي: ومضىٰ بغير زاد ولا راحلة، فمرّ براعٍ في طريقه، فأعطاه موسىٰ ثيابه وأخذ جُبّة الراعي.

وسار فوصل إلىٰ مَدْيَن في اليوم السابع وقد أَجْهَدَهُ الجوع.

قال الكسائي: وكان موسىٰ يسير بالليل ودليله النجم، فإذا جاء الصبح جاءه أسدان

---

(١) وفي رواية لغير الكسائي أن اسمه خربيل.

يدلاّنه علىٰ الطريق. فكان هذا دَأْبه وهما كذلك حتىٰ ورد مَدْيَن، والله الهادي.

وفي رواية ذكرها ابن الأثير في تاريخه قال: قيل: كان خربيل مؤمن آل فرعون علىٰ بقية من دين إبراهيم عليه السلام، وكان أول مَن آمن بموسىٰ.

فلما أخبره، خرج من بينهم خائفاً كما وصفه ربنا في كتابه العزيز، وأخذ في ثنيات الطريق، فجاءه مَلَك علىٰ فرس وفي يده عَنَزة[1]، فلما رآه موسىٰ سجد له مِنَ الفَرَق، فقال له: لا تسجد لي ولكن اتبعني.

فهداه نحو مدين، وقال موسىٰ وهو مُتَّجِهٌ إليها: ﴿عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهۡدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [القصص: ٢٢].

فانطلق به المَلَك حتىٰ انتهىٰ به إلىٰ مدين، فكان قد سار وليس معه طعام، وكان يأكل ورق الشجر، ولم يكن له قوة علىٰ المشي. فما بلغ مدين حتىٰ سقط خُفُّ قَدَمِهِ.

۞ ورود موسىٰ مَدْيَن وما كان بينه وبين سيدنا شعيب عليه السلام:

قال الله تبارك وتعالىٰ: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ[2] وَجَدَ عَلَيۡهِ أُمَّةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسۡقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِۖ[3] قَالَ مَا خَطۡبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسۡقِي حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيۡخٞ كَبِيرٞ[4] ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ[5] فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ[6] ﴿٢٤﴾

---

(١) هي الحربة الصغيرة.

(٢) قال ابن الأثير: أي قَصَدَ الماء.

(٣) أي تُكَفْكِفان غنمهما أن تختلط بغنم الناس، وقال ابن الأثير: أي تحبسان غنمهما.

(٤) أي لا نقدر علىٰ ورود الماء إلاّ بعد صدور الرّعاء لضعفنا، وإن سبب مباشرتنا هذه الرِّعْية ضَعْفُ أبينا وكِبَر سنه. قال ابن الأثير: فَرَحِمَهُما موسىٰ فسقىٰ لهما غنمهما، وكانتا إنما تسقيان مِن فضول الحِياض.

(٥) قال ابن الأثير: وقصد موسىٰ شجرة هناك ليستظل بها. قيل: كانت شجرة سمرة، وقيل: عوسج.

(٦) قال ابن عباس رضي الله عنهما: لقد قال موسىٰ ذلك ولو شاء إنسان أن ينظر إلىٰ خضرة أمعائه من شدة الجوع لَفَعَلَ، وما سأل إلاّ أَكْلة. وفي رواية أخرى قال: سار موسىٰ من مصر إلىٰ مَدْيَن لم يأكل إلاّ البقل وورق الشجر، وكان حافياً، فسقط نَعْلا قَدَمَيْه مِن الحفاء، وجلس في الظل وهو صفوة الله مِن خَلْقه، وإنَّ بطنه للاصق بظهره من الجوع، وإن خضرة البقل لَتُرى من داخل جوفه، وإنه لَمحتاج إلىٰ شِقِّ تمرة.

﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا[١] تَمْشِي[٢] عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا[٣] فَلَمَّا جَآءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِي[٤] ثَمَٰنِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾﴾ [القصص].

قال الكسائي: وكانتا ابنتي شعيب عليه السلام.

قال الكسائي: وكان الرّعاء إذا سَقَوْا غَطّوا البئر بصخرة لا يرفعها إلاّ جماعة، فلما انصرفوا تقدّم موسىٰ إلىٰ الصخرة فوكزها برجله، فنحّاها أربعين ذراعاً علىٰ ضعفه من الجوع، وسقىٰ غنمهما.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «وكان لا يرفع الحجر الذي علىٰ فم البئر إلاّ عشرة، وإنما سقىٰ ذنوباً واحداً فكفاهما».



مكان المرعىٰ حيث كانت ابنتا سيدنا شعيب ترعيان أغنامهما قرب مدين

(١) أي جاءته واحدة؛ لأنه يكفي لإعلامه واحدة.

(٢) دليل علىٰ أنها أَتَتْهُ ماشيةً ولم تأتِ راكبة علىٰ دابة، وكان الوقت عشاء تقريباً.

(٣) أي هنا ما أرادت أن تُمَنِّنه أو تُبَيِّن له الفضل حتىٰ لا ينكسر قلبه، إنما أَتَتْ وقالت: أنت عملتَ لنا وسقيتَ أغنامنا، فيريد أبي أن يعطيك أجراً.

(٤) أي نَفْسَكَ.



ما يعرف ببئر سيدنا شعيب، وهو موجود في منطقة البدع شمال غرب السعودية بالقرب من مدين

قال الله تعالىٰ: ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤].

قال الكسائي: فتمنّىٰ موسىٰ في ذلك الوقت شبعة من خبز الشعير، وانصرفت المرأتان إلىٰ أبيهما وأخبرتاه بالخبر، فأرسل إحداهما إليه وقال: ائْتِني به.

وقال عطاء بن السائب: لَمّا جلس موسىٰ عليه السلام في الظل وقال: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤]، سَمِعَتْهُ المرأتان فيما قيل، فذهبتا إلىٰ أبيهما، فقال: إنه استنكر سرعة رجوعهما. فأخبرتاه ما كان مِن أَمْرِ موسىٰ عليه السلام، فأمر إحداهما أن تذهب إليه فتدعوه.

قال الله تعالىٰ: ﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ [القصص: ٢٥].

فقام موسىٰ، وكانت تَمُرُّ بين يديه، فكشف الريح عن ساقيها، فقال لها موسىٰ:

تأخّري ورائي ودلّيني علىٰ الطريق. فتأخّرتْ وكانت تقول له: عن يمينك، وعن شمالك... حتىٰ دخلا مَدْيَن.

وفي رواية ابن الأثير قال: فَمَشَتْ بين يديه، فضربت الريح ثوبها، فحكىٰ عجيزتها، فقال لها: امْشي خلفي ودلّيني علىٰ الطريق، فإنّا أهل بيت لا ننظر إلىٰ أعقاب النساء.

قال الكسائي: وجاء إلىٰ شعيب وهو شيخ كبير وقد كُفّ بصره، فسلّم عليه، فردّ عليه ورحّب به، وسأله عن خبره.

قال الله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [القصص: ٢٥].

ثم دعا شعيبٌ بالطعام، فأَكَلَ.

فقالت ابنته[1]: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦].

قال الكسائي: أرادتْ بالقوة رَفْعَ الحجر عن رأس البئر، واستقاءه بالدلو العظيمة. وأرادتْ بأمانته أنه أخّرها إلىٰ خلفه.

يروى عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: «أَفْرَسُ الناس ثلاثة: صاحب يوسف حين قال لامرأته: ﴿أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ﴾ [يوسف: ٢١]، وصاحبة موسىٰ حين قالت: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦]، وأبو بكر حين اسْتَخْلَفَ عمر بن الخطاب»[2].

قال الكسائي: فرغب فيه شعيب وقال: ﴿إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَىَّ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾﴾ [القصص].

---

(١) قال ابن الأثير: وهي التي أَحْضَرَتْهُ.

(٢) رواه الحاكم وصحّحه، والطبراني في الكبير، والبيهقي في الاعتقاد، وابن سعد في طبقاته، وسعيد بن منصور في سننه، وابن أبي شيبة في مصنفه، وغيرهم.

فتزوّج موسىٰ صفّورا[١] وهي الصغرى منهما، وطلب عصا فقالت له: ادخل بيت أبي الذي يأوي فيه فَخُذْ عصاك، وكان فيه عِصِيّ كثيرة.

فدخل موسىٰ البيت وأخذ من العصي عصا حمراء، فقال له شعيب: هذه من أشجار الجنة أهداها الله إلىٰ آدم، ثم صارت إلىٰ شيث، وإدريس، ونوح، وهود، وصالح، وإبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب. وكلهم تَوَكَّؤُوا عليها، فلا تُخْرِجَنّها من يدك.

ثم أوصاه وحذّره من أهل مَدْيَن وقال: إنهم قوم حسدة، وإذا رأوك قد كَفَيْتَني أَمْرَ غنمي حسدوني عليك، فدلّوك علىٰ وادي كذا وكذا، وهو كثير المرعىٰ، وإنما فيه حية عظيمة تبتلع الغنم، فإنْ دلّوك عليه فلا تمرّ به، فإني أخاف عليك وعلىٰ غنمي.

فخرج موسىٰ بالغنم، وكانت يومئذ أربعين رأساً، وقال في نفسه: إنَّ مِنْ أعظم الجهاد قَتْلَ هذه الحية. وتوجّه بالغنم إلىٰ ذلك الوادي، فلما قاربه أقبلت الحية إلىٰ الغنم، فقتلها موسىٰ ورعىٰ غنمه إلىٰ آخر النهار.

وعاد إلىٰ شعيب وأَعْلَمه الخبر، ففرح بقتلها، وفرح أهل مَدْيَن، وعظّموا موسىٰ وأَجَلُّوه.

وقام موسىٰ بغنم شعيب يرعاها ويسقيها حتىٰ انقضت المدة التي بينهما، وبلغت الغنم أربعمائة رأس[٢]، وعزم موسىٰ علىٰ المسير إلىٰ أهله.

وفي رواية ابن الأثير في تاريخه قال: فأقام موسىٰ عنده يومه، فلما أمسىٰ أحضر شعيب العشاء فامتنع موسىٰ من الأكل، فقال شعيب: ولِمَ ذلك؟ قال: إنّا من أهل بيت لا نأخذ علىٰ اليسير من عمل الآخرة الدنيا بأَسْرها، فقال شعيب: ليس لذلك أَطْعَمْتُكَ، إنما هذه عادتي وعادة آبائي.

فأكل وازدادتْ رغبة شعيب في موسىٰ، فزوّجه ابنته التي أحضرته واسمها صفّورا،

---

(١) كذا ورد هذا الاسم في تاريخ العيني، وفي التوراة.

(٢) قيل والله أعلم: إنَّ الأغنام الموجودة الآن في بادية الأردن وفلسطين هي الباقية من نسل تلك الأغنام، وهي أفضل الأغنام وأبركها وأطيبها لحماً.

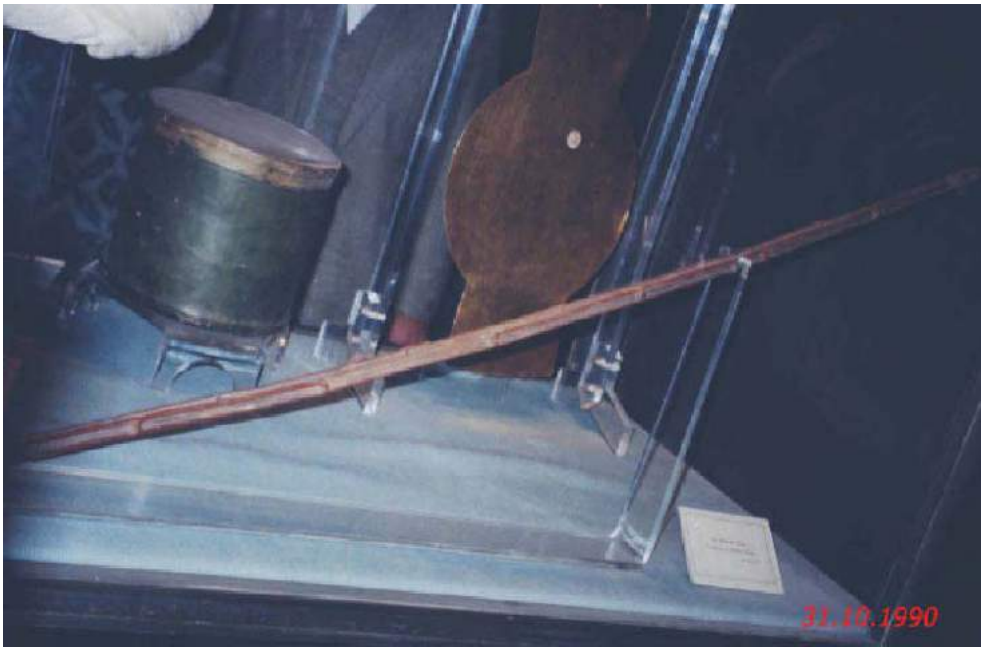
وأَمَرَها أن تأتيه بعصا، فَأَتَتْه بعصا، وكانت تلك العصا قد استودعها إياه مَلَك في صورة رجل. فدفعتْها إليه، فلما رآها أبوها أَمَرَها بردّها والإتيان بغيرها، فَأَلْقَتْها وأرادت أن تأخذ غيرها، فلم تقع بيدها سواها. وجعل أبوها يَرُدُّها، وكُلُّ ذلك لا يخرج في يدها غيرُها.

فأخذها موسىٰ ليرعىٰ بها، فندم أبوها حيث أخذها، وخرج إليه ليأخذها منه حيث هي وديعة. فلما رآه موسىٰ يريد أَخْذَها منه مانعه، فَحَكَّما أول رجل يلقاهما، فأتاهما مَلَك في صورة آدمي، فقضىٰ بينهما أن يضعها موسىٰ في الأرض، فمَنْ حملها فهي له. فألقاها موسىٰ، فلم يُطِق أبوها حَمْلها، وأخذها موسىٰ بيده، فتركها له.

وكانت من عوسج، لها شعبتان، وفي رأسها مِحْجَن.

وقيل: من آس الجنة، حملها آدم عليه السلام معه.

وقيل في أَخْذها غير ذلك.



عصا موسىٰ الموجودة في متحف توب كابي باستنبول كما يقال، والذي نعتقده بأن عصا موسىٰ مفقودة وغير موجودة، ولا يعرف مكانها إلا الله ثم مَنْ أطلعه الله تبارك وتعالىٰ علىٰ ذلك

قال ابن الأثير: وأقام موسىٰ عند شعيب يرعىٰ له غنمه عشر سنين.

يروى عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ﴾ [القصص: ٢٩] أن رسول الله ﷺ قال: «سألتُ جبريل: أيّ الأجلين قضىٰ موسىٰ؟ قال: أَتَمّهما وأَكْملهما»[١].

وسُئل كذلك ابن عباس رضي الله عنهما: أَتَمَّ موسىٰ الثماني أم العشر؟ فقال: بل أَتَمَّ عشراً كاملة.

وعن مجاهد أنه أكمل عشراً وعشراً بعدها.

ولم يُنْقَلْ ما كانت أُجرة موسىٰ عليه السلام، ولكن روى يحيىٰ بن سلاّم أنَّ صالحَ مَدْيَن جعل لموسىٰ كُلَّ سخلةٍ تُوضَعُ خِلافَ لَوْنِ أُمِّها، فأوحىٰ الله إلىٰ موسىٰ: أنْ أَلْقِ عصاك بينهنّ يَلِدْنَ خلاف شَبَهِهِنَّ كلهنّ.

وقال غير يحيىٰ: بل جعل له كل بَلْقاء تُولَدُ له، فَوَلَدْنَ له كلُّهن بُلْقاً.

وروى عيينة بن حصين أن رسول الله ﷺ قال: «أَجَّرَ موسىٰ نَفْسَه بِشِبَعِ بطنه وعِفّة فرجه، فقال له شعيب: لك منها[٢] ما جاءت به قالب لون، ليس فيها عَزُوزٌ، ولا فَشُوشٌ، ولا كَمُوشٌ، ولا ضَبُوبٌ، ولا ثَعُولٌ»[٣].



(١) رواه ابن جرير عن أحمد بن محمد الطوسي، وابن أبي حاتم عن أبيه، كلاهما عن الحميدي عن سفيان بن عيينة.

(٢) أي من نتاج غنمه.

(٣) ذكره القرطبي في تفسيره. قال ابن لهيعة: العَزوز ضَيِّقة السّخب، والفَشوش واسعة السّخب، والكَموش التي لا يحكم الكف علىٰ ضرعها لِصِغَرِه، والضَّبوب طويلة الضرع تَجُرُّه، والثَّعول هي الصغيرة الضرع كالحلمتين.

سيدنا موسى وأخوه هارون

عليهما الصلاة والسلام

مبعثهما إلى فرعون وما كان من خبره

قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ ۖ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾ ﴾ [,].

وقال تبارك وتعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ ۚ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾ ﴾ [4].

وقال عز وجل: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُم مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [6].

وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [8].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [:].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الصافات].

وقال تعالى أيضاً: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا يَا أَيُّهَ السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴿٥٠﴾ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الزخرف][1].

---

(١) انظر كذلك إن شئتَ إلى المواضع التالية من القرآن الكريم: البقرة ٤٩-٥٠ و١٣٦، آل عمران ٨٤، النساء ١٦٣-١٦٤، الأنعام ٨٤، الأعراف ١٠٣-١٣٧، الأنفال ٥٢-٥٤، يونس ٧٥-٩٣، الإسراء ١٠١-١٠٤، طه ٩-٧٩، الشعراء ١٠-٦٨، النمل ٧-١٤، القصص ٢٩-٤٢، العنكبوت ٣٩، غافر ٢٣-٤٦، الدخان ١٧-٣٣، الذاريات ٣٨-٤٠، القمر ٤١-٤٢، التحريم ١١، الحاقة ٩-١٠، المزمل ١٥-١٦، النازعات ١٥-٢٦.


خروج موسى إلى أرض مدين
وعودته إلى أرض مصر
البحر الكبير (المتوسط)
نهر الأردن
رية عمون
أور سالم
أرض مؤاب
الخليل
(حبرون)
البحر الميت
غزة
أرض كنعان
رشيد
دمياط
الإسكندرية
دمنهور
المحلة
المنصورة
العريش
الفرما
طنطا
الإسماعيلية
هيليوبوليس
ممفيس
(منف)
السويس
حلوان
بركة قارون
الفيوم
بني سويف
نهر النيل
جبل الجلالة
القبلية
مغاغة
مصر
المنيا
ملوى
أسيوط
سوهاج
جبل غارب
أبو زنيمة
صحراء سيناء
جبل موسى
خليج السويس
خليج العقبة
أيلة
مدين
الطور
ج . تيران
رأس محمد
ج . شدوان
الغردقة
سفاجة
البحر الأحمر (بحر القلزم)
شمال
شرق
غرب
جنوب
مقياس الرسم
صفر ٤٠ ٨٠ ١٢٠ ١٦٠ ٢٠٠ ٢٤٠ كم
١
ولد موسى عليه السلام على أرض مصر في ظل حاكم ظالم (رمسيس الثاني) وظّف جيشه في ذبح الأطفال واستحياء النساء ، لكن عين الله كانت راعية للرضيع الذي تربّى في بيت الفرعون ، وحينما بلغ أشده واستوى بعثه الله إلى فرعون وملئه . ثم توجه تلقاء مدين عسى أن يهديه ربه سواء السبيل .
٢
بعد وصول موسى إلى مدين التقى فيها برجل كبير وقص عليه قصته كما جاء في القرآن الكريم وتزوج من إحدى ابنتيه .. ثم عاد إلى مصر بعد عشر سنوات مكثها في مدين .
٣
في أثناء عودة موسى إلى مصر ظل في صحراء سيناء ، فناداه الله تعالى ببدء نبوته فبعثه مع أخيه هارون إلى فرعون (فقلنا اذهبا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا فدمرناهم تدميراً)

۞ خبر خروج موسىٰ عليه السلام من أرض مدين ومبعثه وأخيه هارون إلىٰ فرعون وما أعطىٰ الله موسىٰ من الآيات:

قال الكسائي: ولَمّا أراد موسىٰ الانصراف بكىٰ شعيب وقال: يا موسىٰ، إني قد كبرت وضعفت، فلا تضيعني مع كِبَر سني وكثرة حسادي وتترك غنمي شاردة لا راعي لها. قال موسىٰ: إنها لا تحتاج إلىٰ راع، وقد طالت غَيْبَتي عن أمي وخالتي وهارون أخي. فقال شعيب: إني أكره أن أمنعك، وأوصاه بابنته، وأوصاها ألاّ تُخالفه.

وسار موسىٰ عليه السلام بأهله يريد أرض مصر[1] حتىٰ بلغ جانب وادي طوى في عشية باردة، وجاء الليل وهبّت الرياح، وغيّمت السماء، فأنزل موسىٰ أهله، وضرب خيمة علىٰ شفير الوادي وأدخل أهله فيها، وهطلت السماء بالمطر.

وكانت امرأته حاملاً فجاءها الطلق، فجمع حطباً وقدح الزناد فلم يُورِ، فرماه وخرج من الخيمة، فرأى ناراً.

قال الله تعالىٰ: ﴿۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَـٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَـٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [القصص].

وقال تعالىٰ: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٨﴾ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾﴾ [النمل].

قال الكسائي: ولم يكن هناك نار بل نور مُمْتَدٌّ من السماء إلىٰ شجرة عظيمة.

قال الثعلبي: وقد اختلفوا في الشجرة ما كانت؟

---

(١) قيل: وَجَدَ موسىٰ قافلة تسير، فكان يسير معها في الليل وفي النهار حتىٰ تكون هادية له إلىٰ بلاد مصر، إنما يبتعد مع زوجته نهاراً حيث كان غيوراً شديد الغيرة.

فقيل: العوسج، وقيل: العناب.

قال ابن الأثير في تاريخه الكامل: فذهب موسىٰ إلىٰ طوى، فتحيّر وخاف حين رأى ناراً عظيمة بغير دخان، وهي تلتهب في شجرة خضراء وتزداد عِظَماً، ولا تزداد الشجرة إلاّ خضرة.

فلما دنا منها اسْتَأْخَرَتْ عنه، ففزع وأراد أن يرجع من حيث أتىٰ، فنودي منها، فلما سمع النداء استأنس فعاد.

قال تعالىٰ: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [القصص: ٣٠].



هذه الصورة لشجرة كثيفة الأغصان يعتقد اليهود أنها الشجرة التي خوطب منها سيدنا موسىٰ وآنس منها ناراً، وهي موجودة في دير بجانب جبل سيناء أو جبل موسىٰ كما يسمونه اليوم، والله أعلم بالصواب وحيث الشجرة.

قال ابن الأثير: فلما سمع النداءَ ورأى تلك الهيبة، عَلِمَ أنه ربه تعالىٰ، فخفق قلبه، وكَلَّ لسانه، وضعفت قوته، وصار حياً كميت، إلاّ أن الروح يتردد فيه. فأرسل الله إليه مَلَكاً يَشُدُّ قلبه.

وكما قال علماء التوحيد: ما كان موسىٰ يسمع كلام رب العالمين بأذنه فقط؛ لأن

كلام الله ليس بحرف، إنما كان يسمعه بجسمه كله.

قال: فلما ثاب إليه عقله نودي: ﴿ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ ﴾ [طه].

قال ابن الأثير: وإنما أُمِرَ بخلع نعليه لأنهما كانتا من جلد حمار ميت.

وقيل: من جلد كلب.

وقيل: لأن موسىٰ كان قد وطئ علىٰ نجاسة دون أن يعلم.

وقيل: لينال قَدَمُه الأرضَ المباركة.

وقيل غير ذلك[1].

قال ابن الأثير: ثم قال له تسكيناً لقلبه: ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴾ [طه: ١٧]؟

قال: ﴿ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ[2] ﴾ [طه: ١٨].

قال ابن الأثير: كان موسىٰ يحمل عليها المزود والسقاء، وإذا أَعْوَزه الماء أَدْلاها في البئر فينال الماء، ويصير في رأسها شبه الدلو. كما كانت تضيء له في الليلة المظلمة، وكان إذا اشتهىٰ فاكهة غرسها في الأرض، فنبتت لها أغصان تحمل الفاكهة التي يشتهيها بغير وقتها.

وقال الكسائي: إنه كان يركزها في الأرض، ويُعَلِّقُ عليها كساءه وإداوته ونَعْلَيْه، ويقاتل بها السباع، ويستظل بها من الشمس.

---

(١) وفي هذا المقام إشارة إلىٰ أنه لا بد للمرء المسلم أن يُقْبِلَ علىٰ الله بطهارة كاملة، سواء كانت حسية أو معنوية. فهنا رب العالمين لم يَقْبَلْ مِن موسىٰ أن يخاطبه بنعلين نَجِسَيْن أو مُتَنَجِّسَيْن، فكيف تكون بين يدي ربك وجسمُك أو ثوبك نجس، أو كنتَ لا تُحسن الاستنجاء؟ فإزالة النجاسة إذاً ضرورة قبل أن تناجي ربك، وكل مُصَلٍّ يناجي ربه في اليوم خمس مرات وبدون واسطة.

(٢) يُذْكَرُ أنه التقىٰ بعالم الروح سيدنا محمد وسيدنا موسىٰ عليهما الصلاة والسلام، فقال موسىٰ: أنت يا محمد تقول: علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل، أتجعل علماء أمتك بمصاف الأنبياء؟ فقال له: أجل يا موسىٰ، اختر واحداً من علماء هذه الأمة. وعُرِضَتْ عليه الأرواح، فمدّ يده وأخذ بروح الإمام الغزالي، فقال له موسىٰ: ما اسمك؟ وسيدنا محمد؟ يسمع، فقال: اسمي محمد بن محمد بن محمد بن أحمد أبو حامد الغزالي، فقال له: سألتك عن اسمك فتجيبني عن العائلة كلها؟ فقال بأدب: يا نبي الله، ما أجبتُك إلاّ كما أجبتَ ربك. فالتفت يومها موسىٰ إلىٰ سيدنا محمد وقال له: صدقتَ يا محمد، علماء أمتك بالعلم والمعرفة كأنبياء بني إسرائيل.

كذلك كان يستخدمها كوتد في خيمة، وإذا وجد نهراً يتكئ عليها ليتجاوزه، وكان يضرب بها ورق الشجر من أجل أن يأكل الغنم، حيث الغنم لا يقدر أن يرقىٰ الشجر كالمعز، وفيها أيضاً فوائد أخرى.

قال ابن الأثير: ثم قال له تعالىٰ: ﴿أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه ١٩]، فألقاها فإذا هي حية تسعىٰ عظيمة الجثة، في خِفّة وحركة الجانّ.

فلما رآها موسىٰ ولّىٰ مُدْبِراً ولم يُعَقِّبْ، فنودي: ﴿يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل: ١٠]، أَقْبِلْ ﴿وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ[1]﴾ [طه: ٢١].

قال ابن الأثير: وإنما أمره بإلقاء العصا حتىٰ إذا ألقاها عند فرعون لا يخاف منها.

فلما أقبل قال: خُذْها ولا تخف، وأَدْخِلْ يدك في فيها. وكان علىٰ موسىٰ جُبّة صوف، فلفّ يده بكمه وهو لها هائبٌ، فنودي: أَلْقِ كُمَّك عن يدك، فألقاه وأدخل يده بين لَحْيَيْها، فعادت عصا كما كانت لا يُنْكِرُ منها شيئاً.

وفي رواية الكسائي قال: قال الله تعالىٰ: ﴿قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾﴾ [طه]، علىٰ مثال الثعبان العظيم، ﴿فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ[2]﴾.

فلما أمعن في الهرب قال له جبريل: أتهرب مِن ربك وهو يُكَلِّمُكَ؟ قال: ما فررتُ إلاّ من الموت، ورجع وهي بحالها.

ثم قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ[3] ءَايَةً أُخْرَىٰ﴾ [طه: ٢٢].

وقال تعالىٰ: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ [النمل ١٢].

قال ابن الأثير: فأدخلها وأخرجها بيضاء من غير سوء مِثل الثلج، لها نور، ثم ردّها فعادت كما كانت، فقيل له ما أخبر الله تعالىٰ به: ﴿فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ

---

(١) أي عصا.

(٢) الآية ١٠ من النمل، والآية ٣١ من القصص كذلك.

(٣) أي بَرَصاً.

﴿وَمَلَإِيْهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾ [القصص: ٣٢].

ثم حصل ما أخبر الله تعالىٰ به في كتابه العزيز: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِى هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ[1] إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [القصص].

قال ابن الأثير: فأقبل موسىٰ إلىٰ أهله، فسار بهم نحو مصر حتىٰ أتاها ليلاً.

وفي رواية الكسائي قال: فذهب الخوف عن موسىٰ، ثم أمره الله تعالىٰ أن يذهب إلىٰ فرعون بقوله: ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ [النازعات: ١٧]. قال موسىٰ: ﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى[2] ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾﴾ [طه].

قال تعالىٰ: ﴿قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه: ٣٦].

ثم تذكّر موسىٰ ما كان منه فقال: ﴿رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ﴾ [القصص: ٣٣]، فنودي: ﴿يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل: ١٠].

ثم ذكّره الله منّته عليه فقال: ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾﴾ [طه].

---

(١) أي يُبيِّن لهم عني ما أُكلِّمُهُم به، فإنه يفهم عني ما لا يفهمون.

(٢) حيث كنا ذكرنا آنفاً أن موسىٰ أخذ الجمرة ووضعها علىٰ لسانه، فكان ألسغ بعد ذلك. فهنا دعا اللهَ أن يُذهب العقدة عن لسانه، فَأَذْهَبَها سبحانه إنه علىٰ كل شيء قدير.

ثم قال تعالى: ﴿ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَـٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ[1] ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَـٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَٱلسَّلَـٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾﴾ [طه].

قال الكسائي: وكان الخطاب لموسىٰ وحده، والرسالة له ولهارون.

قال الكسائي: وأما ابنة شعيب فاشتدّ بها الطلق، وسمع بعض سكان الوادي من الجن أنينها، فَأَتَوْها وأوقدوا النار عندها وقَبِلوها، وقيّض الله تعالىٰ لها مَنْ ردّها إلىٰ أبيها، والله المُعِين.

۞ مسير موسىٰ عليه السلام إلىٰ مصر واجتماعه بأخيه هارون وأمه:

قال الكسائي: فسار موسىٰ من الطور حتىٰ بلغ العمران، وكان هارون يومئذ وزيراً لفرعون علىٰ عادة أبيه، لا يفارقه ليلاً ولا نهاراً.

فبينما هو نائم إلىٰ جنب سرير فرعون، إذ أتاه آت في منامه ومعه شراب في كأس من الياقوت، وقال: يا هارون، اشرب هذه الشربة، فهي بشارة بقدوم أخيك من أرض مدين، وأنت شريكه في الرسالة إلىٰ فرعون.

فانتبه هارون فزعاً، وظنّ ذلك من الشيطان، وعاد إلىٰ نومه، فعاوده القائل ثلاث مرات، ثم قال له: قُمْ إلىٰ أخيك. وكانت الأبواب مغلقة، فاحتمله المَلَك إلىٰ قارعة الطريق وقال له: امض واستقبل أخاك.

ثم أتاه جبريل بوحي الله، وبشّره بالرسالة، وحمله إلىٰ شاطئ النيل وموسىٰ في الجانب الآخر، فكان يُكَلِّمه والريح تحمل كلامه إلىٰ هارون.

---

(١) ومِن هنا نأخذ أنه لا بد للداعية ولِمَنْ يُبَلِّغ الدعوة أن يبلغها بأسلوب لَيِّن ومَرِن. فربنا أمرهما أن يتكلّما مع فرعون ويُبَلِّغاه ما يجب تبليغه بليونة، وكذلك قال لسيدنا محمد ﷺ: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران ١٥٩].

ثم أَذِنَ الله لهما أن يلتقيا، فجاء موسىٰ إلىٰ الجانب الآخر فالتقيا، وبشّره بشركته في الرسالة.

ثم أقبلا إلىٰ أمهما وجبريل معهما، فطرق هارون الباب وأُمُّه في صلاتها، فقامت من محرابها وقالت: مَن بالباب؟ فقال موسىٰ: أنا ولدك موسىٰ وأخي هارون، ففتحت الباب ووقعتْ مغشياً عليها من الفرح، ثم أفاقت.

وذكر لها موسىٰ ما كان مِن أمره، فسجدت لله تعالىٰ.

ثم حمل جبريلُ هارونَ وأعاده عند رأس فرعون.

وأقام موسىٰ بقية ليلته عند أمه، وخرج من الغد مُتَنَكِّراً، فنظر إلىٰ ما أَحْدَثَه فرعون في أرض مصر، ورجع.

حتىٰ أقبلت الليلة الثانية، فخرج وجاء إلىٰ قصر فرعون وبه الحُجّاب والحرس والجنود، فقرع الباب بعصاه فانفتح، ودخل حتىٰ بلغ القبة الأُرجوانية فانفتحتْ، وعَبَرَها موسىٰ عليه السلام وفرعونُ نائمٌ بها، وهارون عند رأسه. فقام إليه هارون وقال: لقد عَجِلْتَ يا أخي، وأَخْرَجَه فانصرف، وغُلِّقَت الأبواب كما كانت.

فلما كان من الغد جاء إلىٰ فرعون، فَعَرَفَهُ بعضهم وأنكره البعض، وجاء بعض الوزراء إلىٰ فرعون وأخبره به، فَارْتَعَدَتْ فَرائِصُهُ، وأمر هامانَ أن يخرج إليه.

فخرج هامان وسأله عن اسمه، فأخبره أنه موسىٰ، فعاد إلىٰ فرعون وأَعْلَمه أنه هو، فنظر إلىٰ هارون وقال: أَيقدم أخوك ولم تُعْلِمْني به؟ فقال: أَرَدْتُ ذلك، وإنما خَشِيتُ غضبك.

۞ خبر دخول موسىٰ عليه السلام إلىٰ فرعون وما كان مِن أمره معه:

قال الكسائي: وأمر فرعون أن يُزَيَّن قصره، وجلس والتاج علىٰ رأسه، ووقف الوزراء عن يمينه وشماله، وأُحْضِرَ موسىٰ.

فلما رآه عرفه، ثم قال له: مَن أنت؟ قال: أنا عبد الله ورسوله وكليمه، قال: أنت عبد فرعون، قال: إن الله أعز مِنْ أن يكون له نِدّ. قال له فرعون: إلىٰ مَن أُرْسِلْتَ؟ قال:

إليك وإلىٰ جميع أهل مصر، قال: فبماذا؟ قال: أن يقولوا: لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأني موسىٰ عبده ورسوله. قال: فما حُجَّتك؟ فإنَّ لكل مُدَّعٍ بَيِّنة. قال: إنْ أتيتك ببيِّنة تؤمن؟ قال: نعم، قال موسىٰ: يا هارون، انزل عن الكرسي وبَلِّغ فرعونَ الرسالة.

فنزل وكان ما أخبر الله تعالىٰ به عنهم: ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾﴾ [طه].

فغضب فرعون علىٰ هارون، وأمر هامانَ بنزع ما عليه من اللباس، فنزعه حتىٰ بقي بالسراويل، فَأَلْبَسَهُ موسىٰ مُدَرَّعة الصوف، فاقْشَعَرَّ جِلْدُه، فنزل جبريل بقميص كَوَّنه الله تعالىٰ فكان، وألبسه إيّاه.

فقال فرعون لهامان: احمل موسىٰ وأخاه إلىٰ منزلك ودارِهما، فإنْ أطاعاني مَكَّنْتُهما مِن خزائني، ولا أَقْطَعُ أَمْراً دونهما.

ففعل ذلك، فقالا له: يا هامان، اشْتَرِ نفسك مِن ربك. فضحك مِن قَوْلهما.

ثم أحضرهما من الغد إلىٰ فرعون، فأقبل فرعون علىٰ موسىٰ وقال ما أخبر الله تعالىٰ به عنهما: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ[1] ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾﴾ [الشعراء]؟ ثم قال موسىٰ: تذبح أبناءهم وتَسْتَحْيِي نساءهم، فَشَكْوك إلىٰ رب العالمين. وكان فرعون مُتَّكِئاً،

---

(١) أي عن النبوة.

فاسْتَوى جالساً وقال: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ٢٣]؟ قال: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢٤]، فالتفت فرعون لِمَن حوله وقال: ﴿أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾﴾ [الشعراء]، قال موسى: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الشعراء: ٢٨]. قال فرعون: ﴿لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ﴾ [الشعراء: ٢٩]. قال: ﴿أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ٣٠]؟ قال: ﴿فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [الشعراء: ٣١].

۞ خبر العصا حين صارت ثعباناً واليد البيضاء:

قال الكسائي: وبينما هما في المخاطبة وإذا بالعصا اضطربت في كف موسى، فناداه جبريل: أَطْلِقْها يا نبي الله، فألقاها موسى، فإذا هي ثعبان مبين كَأَعْظَمِ ما يكون، ثم تَمَثَّلَ مثال الجمل البُخْتيّ، وقام على رجليه حتى أشرف برأسه على حيطان القصر، وتَنَفَّسَ ناراً ودخاناً، وعطف على قبة فرعون فضربها فَطَحْطَحَها، وجعل لا يمر بشيء إلاّ ابتلعه، وهاج كالجمل المُغْتَلِم وله صوت كالرعد. وأقبل إلى قبة فرعون وهو فيها، فوضع لحيه الأسفل تحت القبة، ولحيه الأعلى فوقها، ورفع القبة ثمانين ذراعاً في الهواء وقال: يا فرعون، وعزة ربي لو أُذِنَ لي لابتلعتُك بقصورك وأموالك.

فلما نظر فرعون إلى ذلك وثب عن سريره وهو أعرج، وجعل يعدو ويقول: يا موسى، بحق التربية والرضاع، وبحق آسية، كُفَّهُ عنا. فناداه فأقبل، فأدخل يده في فيه وقبض على لسانه، فإذا هو عصا كما كان.

فعاد فرعون إلى مكانه وقال: يا موسى، لقد تَعَلَّمْتَ بعدي سحراً عظيماً. قال: يا فرعون، ﴿أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ﴾ [يونس: ٧٧]؟

قال فرعون: هل عندك آية غير هذا؟ قال: نعم، فَأَدْخَلَ يده في جيبه ثم أخرجها وعليها نورٌ وشعاع.

قال الله تعالى: ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾

قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الشعراء].

ومن قائل يقول: لماذا بدأ موسىٰ بفرعون ولم يبدأ بالأسواق وبالناس؟ فأقول: لأن موسىٰ اعتقد كما أمره ربه أن يبدأ بفرعون، فإذا آمن فرعون آمن أهل مصر بأكملهم. ومع هذا ما ترك موسىٰ الأسواق بعد ذلك، فكان يمر عليهم ويُبَلِّغُهم رسالة ربه.

۞ خبر السحرة وما كان من أمرهم:

قال الكسائي: فأمر فرعون بجمع السحرة، فاجتمع إليه سبعون ألف ساحر، فاختار منهم سبعين ساحراً، وهم أَحْذق الخَلْق.

وعلىٰ رواية ابن الأثير في تاريخه الكامل: اختار منهم اثنين وسبعين.

وقيل: جمع ثمانين ألف ساحر، وقيل: ثلاثين ألفاً، وقيل: خمسة عشر ألفاً.

وحكىٰ الثعلبي عن عطاء قال: كان رئيسا السحرة بأقصىٰ مدائن الصعيد، وكانا أَخَوَيْن. فلما جاءهما رسولُ فرعون قالا لأمهما: دُلّينا علىٰ قبر أبينا، فدلّتْهما عليه، فَأَتَياه، فصاحا باسمه فأجابهما، فقالا له: إن الملك قد وجّه إلينا أنْ نَقْدم إليه؛ لأنه أتاه رجلان ليس معهما رجال ولا سلاح، ولهما عِزٌّ ومَنَعة، وقد ضاق المَلِكُ ذَرْعاً بهما، ومعهما عصا إذا ألقياها لا يقوم لها شيءٌ حتىٰ تبتلع الحديد والخشب والحجارة. فأجابهما أبوهما: انظرا إذا هما ناما، فإنْ قَدَرْتُما أن تَسُلاّ العصا فسُلاّها، فإن الساحر لا يعمل سحره وهو نائم، فإنْ عَمِلَتِ العصا وهما نائمان فذلك أمر رب العالمين، فلا طاقة لكما به ولا للملك ولا لجميع أهل الدنيا. فأتياهما خِفية وهما نائمان لِيأخذاها، فصدّتْهما[1].

---

(١) يرى المؤلف هذه الرواية ضعيفة جداً؛ وذلك لأن الساحر مهما برع في سحره وقَوِيَ به لا يستطيع أن يحيي الميت وأن يردّه إلى الحياة، حيث الميت انتقل إلى البرزخ الآخر، ومِثْل هذا يكون لرسولٍ معجزة له، كما حصل لعيسىٰ بن مريم وأمثاله من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. وإنما أردتُ أن أُورِدَ هذه القصة في هذا المجال استطراداً لِما قاله الثعلبي، ونقله عنه كذلك صاحب نهاية الأرب، فافهم تَغْنَمْ.

قال الكسائي: وبعث فرعون إلى موسىٰ فأحضره، وقال ما أخبر الله تعالىٰ به عنه: ﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾﴾ [طه]. قال: ﴿مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى﴾ [طه: ٥٩].

قال الكسائي: ويوم الزينة كان عندهم هو أول يوم من السنة.

فلما كان في ذلك اليوم، اجتمع الناس من أطراف أرض مصر في صعيد واحد، فأخذ فرعون يقول للسحرة: اجْتَهِدوا أن تَغْلِبوا موسىٰ، قالوا: ﴿أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾ [الشعراء: ٤١]؟ فقال فرعون: ﴿نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ [الشعراء: ٤٢].

وأقبل موسىٰ وهارون وقد أَحْدَقَتْ بهما الملائكة، فرأى موسىٰ الوادي وقد امتلأ مِنَ الحبال والعِصيّ، فقال موسىٰ: ﴿وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ﴾ [طه: ٦١].

قال الكسائي: وكان في السحرة ساحران عظيمان وهما رأس السحر، فقالا: ﴿يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ﴾ [طه: ٦٥]. فهَمَّ موسىٰ أن يلقي فمنعه جبريل، وأجرى الله علىٰ لسانه فقال: ﴿بَلْ أَلْقُوا﴾ [طه ٦٦].

قال تعالىٰ: ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ [طه: ٦٦]. فامتلأ الوادي من الحيات، وجعلتْ يركب بعضُها بعضاً، وقالوا: ﴿بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ﴾ [الشعراء: ٤٤].

قال الله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ١١٦].

وقال تعالىٰ: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾﴾ [طه].

فعندها زال خوفه وقال: ﴿مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٨١]، ثم ألقىٰ عصاه في وسط الوادي، فانكشف سحر السحرة وبطل ما أظهروه من التَّخَيُّل، فإذا هي حبال وعِصِيّ. وصارت عصا موسىٰ ثعباناً له سبعة

أَرْؤُس، وعلىٰ ظهره مِثْل الأَزِجّة[1]. فابتلعت الحبالَ والعِصِيّ وجميع ما كان في الوادي من الزينة، فقام فرعون ووزراؤه فوقفوا علىٰ تل ينظرون فِعْلَ الحية وهم خائفون، ثم حملت علىٰ السبعين رجلاً فَوَلَّوْا هاربين علىٰ وجوههم، ثم اجتمعوا بأجمعهم وقالوا: ما هذا بسحر، وخرّوا سُجّداً.

وفي رواية ابن الأثير قال: وكان رئيس السحرة أعمىٰ، فقال له أصحابه: إنَّ عصا موسىٰ صارت ثعباناً عظيماً، وتَلَقَّفُ حبالنا وعِصِيّنا. فقال لهم: ولم يَبْقَ لها أَثَرٌ ولا عادت إلىٰ حالها الأول؟ فقالوا: لا، فقال: هذا ليس بسحر، فخرّ ساجداً وتبعه السحرة أجمعون.

قال الله تبارك وتعالىٰ: ﴿فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [الشعراء].

قال الكسائي: فاغتمّ فرعون لذلك وقال للسحرة ما أخبر الله تعالىٰ به عنه: ﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الشعراء: ٤٩]. قالوا: ﴿لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾﴾ [الشعراء].

وقال تعالىٰ: ﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾﴾ [طه].

وقال تعالىٰ كذلك: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُواْ مِنْهَآ أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ

---

(١) أي الأسنّة.

أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ [الأعراف].

قال الكسائي: فأمر فرعون أن يُفعل بهم ذلك، فقالوا ما أخبر الله تعالىٰ به عنهم: ﴿قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٧٢﴾ إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿٧٣﴾﴾[طه].

ثم صُلِّبوا علىٰ سبعين جذعاً بعد أن قطع فرعون أيديهم وأرجلهم.

ثم قال تعالىٰ نقلاً عن فرعون: ﴿ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ [غافر: ٢٦].

۞ خبر حزقيل الرجل المؤمن من آل فرعون:

قال ابن الأثير في تاريخه الكامل: كان من بني إسرائيل.

وقيل: كان من القبط.

وقيل: هو النجار الذي صنع التابوت الذي جُعِلَ فيه موسىٰ وأُلقي في النيل.

وقال ابن كثير في البداية والنهاية: هو ابن عم فرعون؛ لأن الله تعالىٰ قال: ﴿مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ [غافر ٢٨]، أي من قومه.

قال ابن الأثير: فلما رأى غلبةَ موسىٰ السحرة أظهر إيمانه.

وقيل: أظهر إيمانه قَبْلُ، فقُتِلَ وصُلِبَ مع السحرة.

قال صاحب نهاية الأرب: فلما عزم فرعون علىٰ قتل موسىٰ، أقبل حزقيل علىٰ القوم، وكان خازنَ فرعون وزوجَ ماشطة بناته، فقال ما أخبر الله تعالىٰ به عنه: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِن بَأْسِ اللَّهِ إِن جَاءَنَا﴾ [غافر]؟ ففزع فرعون من قوله وقال: ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ

ٱلرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩]، فخوّفهم المؤمن وقال ما أخبر الله تعالىٰ به عنه: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾﴾ [غافر].

فلما سمع فرعون كلامه غضب وقال: كأنك مِمَّن اتّبع موسىٰ، فارجع عن ذلك وإلاّ عاقبتُك بأنواع العذاب. فقال له حزقيل: ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ [غافر: ٣٨]، ثم قال: ﴿۞ وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾﴾ [غافر].

ولحق بموسىٰ وهارون، وفارق فرعونَ وقومَه.

قال الله عز وجل: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٥].

وحكىٰ الثعلبي أن فرعون قتله مع السحرة صَلْباً.

وقيل: إنه كان مع موسىٰ عليه السلام لَمّا فَرَق الله له البحر، والله أعلم بالصواب.

۞ خبر بناء الصرح:

قال النويري في نهاية الأرب: ولما انقضىٰ أمر السحرة، أقبل فرعون علىٰ هامان وقال ما أخبر الله تعالىٰ به عنه: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾﴾ [غافر].

قال: فجمع هامان خمسين ألف صانع، وصنع القِرْميد[1].

---

(١) وهو الآجر الأحمر، وهامان أول مَن صنعه.

فكانوا يبنون فيه ليلاً ونهاراً لا يفترون، فلما تكامل الصرح وارتفع ارتفاعاً عظيماً، أمر الله ﷻ جبريل فهدمه وجعل عالِيَه سافله، ومات كل مَن كان فيه على دين فرعون.

وحكى أبو إسحاق الثعلبي رحمه الله تعالى أن الصرح اجتمع فيه لبنائه خمسون ألف بنّاء[1]، سوى الأتباع والأُجَراء مِمَّنْ يطبخ الآجر والجِصَّ، وينجر الخشب والأبواب، ويضرب المسامير. فلم يزل يَبْني ذلك الصرح، ويسّر الله تعالى له أمره استدراجاً منه، فأتى الأمر فيه على ما يريد إلى أنْ فرغ في سبع سنين، فارتفع ارتفاعاً لم يبلغه بنيان أحد من الخلق منذ خَلَقَ الله السماوات والأرض، فشقّ ذلك على موسى، فأوحى الله تعالى إليه: أنْ دَعْهُ ما يريد فإني مُسْتَدْرِجُه، ومُبْطِلٌ كُلَّ ما عَمِلَه في ساعة واحدة.

قال: فلما تمّ بنيانه، بعث الله ﷻ جبريل فضرب بجناحه الصرح، فقذف به على عسكر فرعون، فقتل منهم ألفي ألف رجل.

قالوا: ولم يبق أحد مِمَّنْ عمل فيه إلاّ أصابه موت أو حريق أو عاهة.

قال الثعلبي: وكان تدمير الله تعالى الصرح فيما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس.

قال: فلما رأى فرعون ذلك مِن أمر الله تعالى، وعَلِمَ أن حيلته لم تُغْنِ عنه شيئاً، عزم على قتال موسى ومَن معه، وأمر أصحابه فنصبوا له الحرب. فلما رأى الله تعالى ذلك مِن فِعْلِ فرعون وقومه، وأنه حَقَّتْ عليهم كلمة العذاب، ابتلاهم بالعذاب والآيات.

۞ الآيات التسع التي ابتلى الله بها بني إسرائيل:

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾﴾ [الإسراء].

قال عمر بن عبد العزيز في تفسيره: كان أول الآيات: العصا، واليد البيضاء،

---

(١) وقيل: كان البنّاءون ثمانين ألفاً.

والطوفان، والجراد، والقُمَّل[1]، والضفادع، والدم، والطَّمْس، والبحر حتىٰ صار يبساً.

وقال ابن عباس: أول الآيات العصا، وآخرها الطمس.

قال الكسائي: ثم أخذ الله تعالىٰ قوم فرعون بالآيات التسع، فكان أول ما جاءهم الطوفان، فدام عليهم ثمانية أيام لا يرون فيها شمساً، حتىٰ امتلأت الأسواق والدور وأخذت في الخراب. فالتجؤوا إلىٰ فرعون فقال لهم: سأكشف ذلك عنكم. ودعا موسىٰ وسأله أن يدعو برفع الطوفان ليؤمن به، فطمع موسىٰ في ذلك، فسأل اللهَ تعالىٰ، فرفع ذلك عنهم، فازدادوا كفراً.

فبعث الله عليهم الجراد، فأكل أشجارهم وزرعهم، ودام ثمانية أيام. ففزعوا إلىٰ فرعون، فوعدهم بصرفه عنهم، وضمن لموسىٰ إنْ صرفه عنهم آمن به. فدعا موسىٰ ربه، فأرسل الله علىٰ الجراد ريحاً باردة فَقَتَلَتْهُ، فلم يؤمنوا.

فبعث الله عليهم القُمَّل، فأكل جميع ما في بيوتهم، وقرض ثيابهم وأبدانهم وشعورهم. فضجّوا إلىٰ فرعون، فسأل موسىٰ ووعده بالإيمان، فسأل موسىٰ اللهَ تعالىٰ، فصرفه عنهم بعد ثمانية أيام وأماته، فازدادوا كفراً.

فأرسل الله تعالىٰ عليهم الضفادع، فكانت تدخل في طعامهم وشرابهم، وكانت لها رائحة منتنة، فدامت ثمانية أيام، فسأل فرعونُ موسىٰ، فلما كشفه الله عنهم لم يؤمنوا وازدادوا كفراً.

فأمر الله تعالىٰ موسىٰ: أن اضرب بعصاك النيل، فضربه فتحوّل دماً عبيطاً، فاشتد بهم العطش، فكان الإسرائيلي والفرعوني يأتيان إلىٰ موضع واحد، فإذا أخذه الإسرائيلي يكون ماء، وإذا أخذه الفرعوني كان دماً. فدام ذلك ثمانية أيام حتىٰ أجهدهم العطش

---

(١) وقد اختلفوا في القُمَّل ما هو؟ فروي عن أبي طلحة أنه الذباب لا أجنحة له. وروي عن معمر وقتادة قالا: القُمَّل أولاد الجراد. وعن عبد الرحمن بن أسلم قال: هو البراغيث. وقال عطاء: هو القَمْل، دليله قراءة الحسن: (والقَمْل) بفتح القاف وسكون الميم. وقال أبو عبيدة: هو الحَمْنان، وهو ضرب من القِرْدان. وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما: القُمَّل هو السوس الذي يخرج من الحنطة والحبوب، فكان الرجل يُخْرِجُ عشرة أَقْفِزة فلا يَرُدُّ منها إلاّ ثلاثة أقفزة.

وأشرفوا على الهلاك، فلما كشفه الله عنهم بدعوة موسىٰ ازدادوا كفراً.

قال الكسائي: ولَمّا لم يؤمنوا بهذه الآيات قال موسىٰ: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾﴾ [يونس]. وكان الدعاء من موسىٰ والتأمين لهارون، فأوحىٰ الله إليهما: ﴿قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [يونس].

قال الكسائي: فطمس الله تعالىٰ علىٰ كثير منهم، حتىٰ أصبح الرجال والنساء والصبيان والأموال كلها حجارة، فلم يؤمنوا.

وقال أبو إسحاق الثعلبي عن ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة ومحمد بن إسحاق وغيرهم من أصحاب الأخبار، دخل حديث بعضهم في بعض، قالوا: لَمّا آمنت السحرة وصلبهم فرعون، وانصرف موسىٰ وهارون إلىٰ عسكر بني إسرائيل، أمر فرعون أن يُكَلِّفوا بني إسرائيل ما لا يُطِيقونه. فكان الرجل من القبط يجيء إلىٰ الرجل من بني إسرائيل فيقول له: انطلق معي فَاكْنس حُشِّي[1]، واعْلف دوابي، واسْتَسْقِ لي. وتجيء القبطية إلىٰ الكريمة من بني إسرائيل فَتُكَلِّفُها ما لا تطيق، ولا يُطْعِمُونَهم في ذلك كلِّه خبزاً، وإذا انتصف النهار يقولون لهم: اذهبوا فاكْسبوا لأنفسكم.

فشكَوْا ذلك إلىٰ موسىٰ فقال لهم: ﴿ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾﴾ [الأعراف]، قالوا: يا موسىٰ، ﴿أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۚ﴾ [الأعراف ١٢٩]، كُنّا نُطْعَمُ إذا استعملونا مِن قَبْل أن تجيئنا، فلما جئتَنا استعملونا ولا يطعموننا. فقال لهم موسىٰ: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ[2] وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾﴾ [الأعراف].

قالوا: فلما أبىٰ فرعونُ وقومُه إلاّ الإقامة علىٰ الكفر والتمادي في الشر والظلم، دعا

---

(١) الحُشّ يُكنّىٰ به عن بيت الخلاء.

(٢) يعني فرعون والقبط.

موسىٰ ربه وقال: ربِّ، إن عبدك فرعون طغىٰ في الأرض وبَغَىٰ وعَتَا، وإن قومه نقضوا عهدك وأخلفوا وعدك، ربِّ فخذهم بعقوبة تجعلها عليهم نقمة، ولقومي عِظة، ولِمَنْ بعدهم من الأمم عبرة.

فتابع الله عليهم الآيات المفصلات بعضها في إثر بعض، فأخذهم بالسنين ونقص من الثمرات، ثم بعث عليهم الطوفان.

قال ابن عباس: وهو الماء، أرسل عليهم السماء حتىٰ كادوا يهلكون. وبيوت بني إسرائيل وبيوت القبط مشتبكة مختلطة بعضها في بعض، فامتلأت بيوت القبط حتىٰ قاموا في الماء إلىٰ تَراقِيِهِم، فمَن جلس منهم غرق، ولم يدخل بيوتَ بني إسرائيل من الماء قطرةٌ. وفاض الماء علىٰ وجه أراضيهم كذلك، فلم يقدروا علىٰ أن يحرثوا ولا يعملوا شيئاً. ودام ذلك عليهم سبعة أيام من السبت إلىٰ السبت، فقالوا لموسىٰ: ادْعُ لنا ربك يكشف عنا هذا البلاء ونؤمن بك، ونرسل معك بني إسرائيل. فدعا ربه، فرفع عنهم الطوفان، فلم يؤمنوا ولم يرسلوا معه بني إسرائيل، وعادوا أَشَرّ ما كانوا عليه.

وقال مقاتل: هو الماء طغىٰ فوق حروثهم فأهلكها.

وقال الضحاك: هو الغرق.

وقال مجاهد وعطاء: هو الموت الذريع.

وقال وهب بن منبه: هو الطاعون بلغة أهل اليمن، أرسل الله الطوفان علىٰ أبكار آل فرعون فقبضهنّ في ليلة واحدة، فلم يُبْقِ منهن واحدة ولا دابة.

وقال أبو قلابة: الطوفان هو الجدري، والله تعالىٰ أعلم.

وأنبت الله تعالىٰ لهم في تلك السنة مِنَ الكَلأَ والزرع ما لم ينبت قبل ذلك، فَأَعْشَبَتْ بلادهم وأخصبت، فقالوا: هذا ما كُنّا نتمناه، وما كان هذا الماء إلاّ نعمة لنا وخِصْباً.

فأقاموا شهراً في عافية، ثم بُعِثَ عليهم الجراد، فأكل زرعهم وثمارهم وأوراق أشجارهم والزهر، حتىٰ إنْ كان ليأكل الأبواب والثياب والأمتعة وسقوف البيوت والخشب والمسامير، حتىٰ سقطت دورهم، والجرادُ لا يدخل بيوت بني إسرائيل ولا يصيبهم من ذلك شيء. فعجّوا وضجّوا وقالوا: يا موسىٰ، ادْعُ لنا ربك بما عهد

عندك، لئن كشفتَ عنا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنّ لك ولَنُرْسِلَنّ معك بني إسرائيل. فأعطوه عهد الله وميثاقه، فدعا موسىٰ ربه، فكشف الله تعالىٰ عنهم الجراد بعد ما أقام عليهم سبعة أيام من السبت إلىٰ السبت.

ويقال: إن موسىٰ برز إلىٰ الفضاء فأشار إلىٰ المشرق بالعصا، فذهب الجراد من حيث جاء كأنْ لم يكن قط.

قال العلماء: فأقاموا شهراً في عافية، ثم بعث الله عليهم القُمَّل. وذلك أن موسىٰ أُمِرَ أن يمشي إلىٰ كثيب أَغْبَر بقرية من قرى مصر آنذاك تدعىٰ (عين شمس)، فمشىٰ موسىٰ إلىٰ ذلك الكثيب وكان عظيماً، فضرب به بعصاه، فانْسال عليهم القُمَّل، فَتَتَبَّعَ ما بقي من حروثهم وأشجارهم ونباتهم، فأكله ولحس الأرض كلها، وكان يدخل بين ثوب أحدهم وبين جلده فيَعضّه، وكان يأكل أحدهم الطعام فيمتلئ قُمَّلاً، حتىٰ إنَّ أحدهم ليبني الإسطوانة من الجِصِّ فَيُزَلِّقها حتىٰ لا يرتقي فوقها شيء، ثم يرفع فوقها طعامه، فإذا صعد إليه ليأكله وجده مَلآنَ قُمَّلاً. فما أُصيبوا ببلاء كان أشد عليهم من القُمَّل، وأخذ القُمَّلُ شعورَهم وأشفار عيونهم وحواجبهم، ولصق بجلودهم كالجدري، ومنعهم النوم والقرار، ولم يستطيعوا له حيلة.

فلما رأوا ذلك شَكَوْا إلىٰ موسىٰ وصاحوا وقالوا: يا أيها الساحر، إنّا نتوب إلىٰ الله ولا نعود، فادْعُ لنا ربك يكشف عنا هذا البلاء. فدعا موسىٰ ربه، فرفع الله تعالىٰ عنهم القُمَّل بعد ما أقام عليهم سبعة أيام من السبت إلىٰ السبت، ثم نكثوا العهد وعادوا إلىٰ خبث أعمالهم وقالوا: ما كنا قط أَحَقَّ أنْ نستيقن أنَّ موسىٰ ساحر إلاّ اليوم، فيجعل الرمل والرماد دواباً، فعلىٰ ماذا نؤمن به ونرسل معه بني إسرائيل؟ فقد أهلك زرعنا وحروثنا، وأَذْهَبَ أموالنا، فما عسىٰ أن يفعل أكثر مِمّا فعل؟ ثم قالوا: وعِزّة فرعون لا نُصَدِّقُه أبداً ولا نتّبعه.

فدعا عليهم موسىٰ بعد ما أقاموا شهراً في عافية، وقيل: أربعين يوماً. فأوحىٰ الله تعالىٰ إليه وأمره أن يقوم علىٰ ضفة النيل فيغرس عصاه فيه، ويشير بالعصا إلىٰ أدناه وأقصاه، وأعلاه وأسفله. ففعل موسىٰ ذلك، فَتَداعَتْ إليه الضفادع بالنَّقيق من كل جانب حتىٰ أَعْلَمَ بعضُها بعضاً، وأَسْمَعَ أدناها أقصاها، ثم خرجت من النيل مِثْل البحر تَدِبُّ

سراعاً نحو باب المدينة، فدخلت عليهم في بيوتهم بغتة، وامتلأت منها أفنيتهم وأبنيتهم وأطعمتهم، وكان أحدهم لا يكشف ثوباً ولا إناء ولا طعاماً ولا شراباً إلاّ وَجَدَ فيه ضفادع، وكان الرجل يجلس إلىٰ ذقنه في الضفادع، ويَهِمُّ أن يتكلّم فيثب الضفدع في فيه، وكان أحدهم ينام علىٰ فراشه وسريره فيستيقظ وقد ركبت الضفادع ذراعاً بعضُها فوق بعض، وصارت عليه حتىٰ لا يستطيع أن ينصرف إلىٰ شِقِّه الآخر. وكان أحدهم يفتح فاه لأَكْلَتِهِ فتسبق الضفادع إلىٰ فيه، وكانوا لا يعجنون إلاّ انْشَدَخَتْ فيه، ولا يطبخون إلاّ امتلأت القِدْر بالضفادع، وكانت تثِبُ في نيرانهم فتطفئها، وفي طعامهم فتُفسده، فَلَقُوا منها أذىً شديداً.

وروى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كانت الضفادع برية، فلما أرسلها الله علىٰ فرعون سمعتْ وأطاعت، فجعلت تقذف أنفسها بالقِدْر وهي تفور، وفي التنانير وهي مَسْجورة، فأثابها الله بِحُسْن طاعتها بَرْدَ الماء.

قال ابن عباس: فضجّوا إلىٰ فرعون من أمر الضفادع، وضاق عليهم أمرهم حتىٰ كادوا يهلكون، وصارت المدينة وطرقها مملوءة جِيَفاً من كثرة ما يطؤونها بأقدامهم. فلما رأوا ذلك بَكَوْا وشكَوْا ذلك إلىٰ موسىٰ وقالوا: اكشف عنا هذا البلاء، فإنّا نتوب هذه المرة ولا نعود. فأخذ بذلك عهودهم ومواثيقهم، ثم دعا الله تعالىٰ فكشف عنهم الضفادع، فما كان منها حياً لحق بالنيل، وأرسل الله تعالىٰ ريحاً علىٰ المَيِّت منها فَنَحَّتْهُ عن مدينتهم بعد ما قامت عليهم سبعة أيام من السبت إلىٰ السبت.

فأقاموا شهراً في عافية، وقيل: أربعين يوماً. ثم نقضوا العهد وعادوا إلىٰ كفرهم وتكذيبهم، فدعا عليهم موسىٰ، فأرسل الله تعالىٰ عليهم الدم. وذلك أن الله تعالىٰ أمر موسىٰ أن يذهب إلىٰ شاطئ النيل ويضربه بعصاه، ففعل ذلك، فسال النيل عليهم دماً، وصارت مياههم كلها دماً عبيطاً، فما يشربون من الأنهار والآبار إلاّ وجدوا دماً أحمر عبيطاً. فشكَوْا ذلك إلىٰ فرعون وقالوا: إنّا قد ابتُلينا بهذا الدم وليس لنا شراب، فقال: إنه قد سحركم. فكان يُجَمّع بين الرجلين القبطيِّ والإسرائيليِّ علىٰ الإناء فيُسْقيان من ماء واحد، فيخرج ماء القبطي دماً، وماء الإسرائيلي عذباً. وكانا يقومان إلىٰ الجرّة فيها الماء،

فتُخْرِجُ للإسرائيلي ماء وللقبطي دماً. حتىٰ إن المرأة من آل فرعون كانت تأتي المرأة من بني إسرائيل حين جهدهم العطش فتقول: اسقيني من مائكِ، فتغرف لها مِن جرّتها، وتصبّ لها من قِرْبَتها، فيعود في الإناء دماً. حتىٰ إنْ كانت المرأة تقول لها: اجعليه في فيكِ ثم مُجِّيه في فمي، فتأخذ في فيها ماء، فإذا مَجَّتْهُ في فيها صار دماً. والنيل علىٰ ذلك يسقي الزرع والشجر، فإذا ذهبوا لِيَسْتَقوا من بين الزرع عاد الماء دماً عبيطاً.

ويروى كما قال العلماء أن فرعون اعتراه العطش في تلك الأيام، حتىٰ إنه اضْطُرَّ إلىٰ مضغ الأشجار الرطبة، فكان إذا مضغها يصير ماؤها في فيه ملحاً أُجاجاً، ومُرّاً زُعاقاً.

فمكثوا في ذلك سبعة أيام لا يأكلون ولا يشربون إلاّ الدم، فقالوا لموسىٰ: ادْعُ لنا ربك يكشف عنا هذا الدم، فنؤمن لك ونرسل معك بني إسرائيل. فدعا موسىٰ ربه فكشف عنهم ذلك، وأُمِرَ أن يضرب بعصاه النيل ضربة أخرى، ففعل، فتحوّل صافياً كما كان، فلم يؤمنوا ولم يَفُوا بما عاهدوا عليه.

وذلك قوله تعالىٰ: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [الأعراف].

قال نَوْف البِكالِيّ - وهو ابن امرأة كعب الأحبار -: مكث موسىٰ في آل فرعون عشرين سنة بعد ما غلب علىٰ السحرة يريهم الآيات.

وقال الضحاك: لَمّا يئس موسىٰ من إيمان فرعون وقومه، ورأى أنهم لا يزدادون إلاّ الطغيان والكفر والتمادي، دعا عليهم موسىٰ وأمّن هارون: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾﴾ [يونس]، فأجاب الله دعاءه كما قال تعالىٰ: ﴿قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [يونس].

قال الضحاك: وكان لفرعون وأصحابه من زهرة الدنيا وزينتها من الذهب والفضة واليواقيت وأنواع الجواهر والحُلِيّ ما لا يُحصيه إلاّ الله تعالىٰ، وكان أصل ذلك المال مِمّا جَمَعَه يوسف عليه السلام في زمانه أيام القحط. فبقي ذلك في أيدي القبط، فأوحىٰ الله تعالىٰ إلىٰ موسىٰ: أَنّي مُوَرِّثٌ بني إسرائيل ما في أيدي آل فرعون من العُروض والحُلِيّ، وجاعله لهم

جَهازاً وعَتاداً إلىٰ الأرض المقدسة، فاجعل لذلك عيداً تعتكف عليه أنت وقومك تشكروننني وتذكروننني فيه، وتُعَظِّموننني ذلك اليوم وتعبدوننني فيه؛ لِما أُرِيكم من الظَّفَر ونجاة الأولياء وهلاك الأعداء، واسْتَعِيروا لعيدكم من آل فرعون الحُلِيّ وأنواع الزينة، فإنهم لا يمتنعون عليكم للبلاء الحال بهم في ذلك الوقت؛ ولِما قذفتُ لكم في قلوبهم من الرعب.

ففعل موسىٰ ذلك كما أمره الله تعالىٰ، فأمر فرعون بزينة أهله وولده، وما كان في خزائنه من أنواع الحُلِيّ، فأُعيرتْ بني إسرائيل لِما أراد الله تعالىٰ بذلك أنْ يَفِيء علىٰ موسىٰ وقومه أفضل أموال أعدائه بغير قتال، ولا إيجاف خيل ولا رَجْل.

فلما دعا موسىٰ عليهم مَسَخَ الله تعالىٰ الأموال التي بقيت في أيديهم حجارة، حتىٰ النخل والرقيق.

قال محمد بن كعب: سألني عمر بن عبد العزيز عن الآيات التي أَراهُنَّ اللهُ تعالىٰ فرعونَ وقومَه، فقلت: الطوفان، والجراد، والقُمَّل، والضفادع، والدم، والعصا، واليد البيضاء، والطمس، وفَلْق البحر. قال عمر: كيف يكون الفقه[1] إلا هكذا؟ ثم دعا بخريطة فيها أشياء مِمّا كان أُصيب لعبد العزيز بن مروان لَمّا كان علىٰ مصر من بقايا آل فرعون، فأخرج البيضة مقسومة نصفين كأنها الحجر، والجوزة مشقوقة نصفين كأنها الحجر، والحِمَّصة والعدسة.

وروى ابن إسحاق عن رجل من أهل الشام كان بمصر قال: رأيتُ نخلة مصروعة كأنها الحجر، ورأيتُ إنساناً وما شككتُ أنه إنسان وإنه لَحَجَرٌ.

وكان المسخ في أرقائهم دون أحرارهم، إذ العبيد من جملة أموالهم، فلم يَبْقَ لهم مال إلاّ مسخه الله تعالىٰ ما خلا الذي في أيدي بني إسرائيل من الحُلِيّ والجواهر وأنواع الزينة.

قال النويري: وبلغنا أن الدنانير والدراهم صارت حجارة منقوشة كهيئتها صِحاحاً وأنصافاً وأثلاثاً، وجُعِلَ سُكَّرهم حجارة.

---

(١) يعني الفهم.

قال: وبعض المسخ من الآدميين باقٍ ومشاهد إلى وقتنا هذا، وقد شاهدت أنا منه شخصاً شكل خادم وهو جالس على كرسي بقرب البيت الأخضر بباب الجيزية، وذلك في شهور سنة سبع عشرة وسبعمائة، ولعلّه من ذلك المسخ والله أعلم.

إنما بعد كل هذه الآيات التسع أصرّ فرعون على الكفر والضلال، وأصرّ على طغيانه.

فسيدنا موسى بعد أن بعثه الله جاهد جهاداً مريراً مع فرعون، جلس عشرين عاماً يأمره وينهاه، وفرعون يَتلوَّن أمام الناس ويقول: إنه هو رب العالمين. وكلما وقعت آية هَرْوَلَ فرعون وطلب من موسى أن يدعو ربه، فإذا دعا وصرف الله عنهم هذه الحالة، رجع فرعون وقال للناس: أنا فعلتُ ذلك، وزادت الأمور بعد ذلك كثيراً.

۞ قصة ماشطة بنات فرعون:

قال ابن الأثير في تاريخه الكامل: وكان لحزقيل امرأة مؤمنة تكتم إيمانها أيضاً، وكانت ماشطة ابنة فرعون.

فبينما هي تُمَشِّطُها إذ وقع المشط من يدها، فقالت: باسم الله، فقالت ابنة فرعون: أبي؟ قالت: لا، بل ربي ورب أبيك.

فأخبرتْ أباها بذلك، فدعا بها وبولدها، وقال لها: مَن ربك؟ قالت: ربي وربك الله. فأمر بتنور نحاس فَأُحْمِيَ لِيُعَذِّبها وأولادها، فقالت: لي إليك حاجة، قال: وما هي؟ قالت: تجمع عظامي وعظام ولدي فتدفنها، قال: ذلك لك.

فأمر بأولادها فأُلْقوا في التنور واحداً واحداً، وكان آخر أولادها صبياً صغيراً فقال: اصبري يا أماه فإنكِ على الحق، فأُلقيت في التنور مع ولدها.

وفي رواية غيرها لابن عباس رضي الله عنهما ذكرها النويري في نهاية الأرب مع تهذيب بسيط أنه لَمّا وقع المشط من يدها قالت: تَعِسَ مَن عَبَدَ غير الله، فقالت لها ابنة فرعون: تَعْنِينَ أبي؟ فقالت: لا يا هذه، ما أبوك سوى رجل من الناس، أعني رب موسى ورب هارون.

فقامت الفتاة وأخبرت أباها، فأحضر الماشطة وقال غاضباً: ماذا سمعتُ عنكِ؟ أَوَلكِ رب غيري؟ قالت: ربي وربك الله الذي خلق كل شيء، فقال: أجادة أنت يا هذه؟ قالت: نعم، لا إله إلاّ رب موسىٰ وهارون.

عند ذلك صلبها وأحضر أولادها الثلاثة، وقال لها: إما أن تسجدي لي، وإما أن نذبح أولادك. فقالت: لن أسجد بعد اليوم إلاّ لله، ولن أعترف إلاّ بالله، هو بيده كل شيء. فأُتِيَ بولدها وذُبِحَ أمامها، فقالت: لا إله إلاّ الله إله موسىٰ وهارون. فَذُبِحَ الثاني فقالت: لا إله إلاّ الله إله موسىٰ وهارون. فَذُبِحَ الثالث فقالت: لا إله إلاّ الله إله موسىٰ وهارون.

ثم أمر بفرن من نحاس تَتَأَجَّج فيه النار، فحُمِلَتْ وأُلْقِيَتْ داخل الفرن، فكانت تحترق وفرعونُ يقول لأعوانه: هذا جزاء مَن عصاني أُدْخِلُه النار.

ولكنها في الحقيقة أُحْرِقَتْ فأُدْخِلَت الجنة حالاً.

۞ خبر مقتل آسية بنت مزاحم امرأة فرعون:

لقد سمعت آسية بقصة الماشطة، فقالت: الموضوع زاد، وهرولت إلىٰ فرعون حاسرة. وقبل أن تتحرك كشف الله لها عن بصرها، وإذ رأت الملائكة ورأت بيتها في الجنة.

وتصوّر الموقف أمامك، قصر فرعون الكبير والحدائق بداخله، والنهر جارٍ من نصفه، وبِرَك الماء، والعصافير، والقباب، والقاعات، والحرير، والخدم، والديباج. وامرأة الملك داخل القصر، والعبيد والخدم حولها. وبهذه الحالة عندما جاءها الإيمان وجاءتها الأمور السماوية، أصبحت كاللبؤة تَزْأَرُ لله عزّ وجلّ بوجه فرعون.

هذا النعيم الذي أمامها، والجاه، والسلطان، والخدم، والمال، وَطِئَتْ عليه بقدمها؛ لأنها رَأَتْ نعيماً أكبر منه، رأت العزة فوق وقالت: أين أنت يا عدو الله؟ لقد ازداد شَرُّك وطغيانك، ازداد فسادك. كم أَمْهَلَكَ الله يا عدو الله؟ قحطت البلاد فردّها الله، ورأينا الدم والقُمَّل والضفادع...، كل هذه آيات ومعجزات أظهرها الله علىٰ يد موسىٰ، أما آن لك يا عدو الله؟

وبهذه الحالة هرولت حتىٰ وصلت إلىٰ قاعة العرش، وفرعون جالس علىٰ كرسي العرش وحوله الوزراء والأمراء والمنافقون، فقالت بوجهه: لا إله إلاّ الله رب موسىٰ وهارون. يا عدو الله، أما آن لك أن ترجع وأن تتّعظ بهذه الآيات والمعجزات التي رأيتَها؟ فعلتَ وسفكتَ الدماء، وهذا الصرح قد دُمِّرَ وتراه صباح مساء، ولا يستطيع أن يدمره إنسان، إنما دمّره الله سبحانه، وهذه البلاد والقحط الذي وقع بها. فقال فرعون: استطاع موسىٰ أن يفسد زوجتي آسية. ثم قال لها: يا آسية، أنا أحبك، ارجعي عن هذا الكلام. فقالت: بل أزداد مهاجمة لك لأنك عدو الله.

فَأَمَرَ بِخَلْع ثيابها الحرير والديباج، وأمر بصلبها، فقالت كما قال السحرة: ﴿فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ﴾ [طه٧٢]. فأمر بِتَسْمِيرِها، فضربوا وتداً بقلبها، وآخر ببطنها، وآخر برأسها. وكان يُضرَب الوتد فيها وتشاهد الجنة وتقول: ﴿رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾﴾ [التحريم]، ثم ذهبت روحها إلىٰ بارئها.

وقال ابن عباس في رواية له: لَمّا قتل فرعون الماشطة، سمعت آسية الملائكةَ تَعِدُها بالجنة، فقامت من مجلسها وهي تقول: يا إله موسىٰ، أَلْبِسْني الصبر وارزقني الشهادة، ﴿رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾﴾ [c]. وخرجت علىٰ فرعون وهي حاسرة عن وجهها، وقالت له: يا ملعون، إلىٰ كم تُقَتِّلُ أولياء الله، وتأكل مِنْ رِزْق الله، وتكفر نعمته ولا تشكره، وترى آياته ولا تعتبر بها؟ فقال لوزرائه: قد أفسد عليّ موسىٰ حتىٰ آسية، واستشارهم في أمرها، فأشاروا عليه بقتلها، فأمر بنزع ما عليها وشَدِّها إلىٰ أوتادٍ في الأرض، وضرب وَتَدَيْن في صدرها، فخرجت روحها إلىٰ بارئها مُوَحِّدة طاهرة نقيّة[1].

---

(١) وهذا ما يجب أن تعمله كل امرأة مؤمنة، وكل امرأة صاحبة عقيدة، أن تقف أمام الشر ولو كان الشر من نفسها فتحاربها، حيث أعدى أعداء الإنسان نفسه التي بين جنبيه، التي تقف عقبة بينه وبين الحق الذي يريد أن يفعله. فالمرأة إذا كانت مؤمنة تفعل شبه المعجزات، وتتحدّى الإنس والجن في سبيل عقيدتها. المرأة إنسانة لها شعور وإحساس، ولها عقل وعقيدة كذلك. وأقول: الإنسان بدون عقيدة منافق، الإنسان بدون هدف ليس إنساناً، لكن يجب أن يكون هدفه سامياً، أن يكون هدفه عالياً سماوياً، وأن يقصد اللهَ بهدفه. وهذه العقيدة =

۞ إمهال الله تعالىٰ لفرعون وقصة انقطاع ماء النيل:

قال الكسائي: ثم بعث الله تعالىٰ الظُّلْمة علىٰ أهل مصر ثلاثة أيام، فلم يعرفوا الليل من النهار، وانقطع عنهم النيل حتىٰ أضرّ بهم العطش. فشكَوْا ذلك إلىٰ فرعون، فأمر بجمع الجنود وخرج لِيُجْرِيَهُ، فلما قرب من مكانه انفرد عن القوم ونزل عن فرسه وقال: إلهي، إنك إله السماء والأرض، لا إله إلاّ أنت، وحِلْمُكَ الذي يَحْمِلُني أن أَسْأَلَكَ ما ليس لي بحق، والخَلْق خَلْقُكَ، وقد علمتَ ما هم فيه من العطش، وأنت المُتَكَفِّلُ بأرزاقهم، اللهم أَجْرِ لهم النيل.

فما فرغ من كلامه حتىٰ انصب النيل، وركب فرسَه والنيل يجري معه، إنْ سار سار، وإنْ وقف وقف، حتىٰ دخل مصر، فسجد القوم له وازدادوا كفراً.

وعَجِبَ موسىٰ وهارون لذلك، وكأنّ الله تعالىٰ قال لهما: لا تَعْجَبا، إنما يمهل الله للظالم ليزداد ظلمه.

۞ المعركة الأخيرة مع فرعون حتىٰ غَرَقِهِ في البحر:

بعد أن أصرّ فرعون علىٰ ما هو عليه، وقومُه يعبدونه من دون الله، أَذِنَ اللهﷻ لموسىٰ وهارون أن يَخْرُجا من مصر ببني إسرائيل، وهنا كان لا بد من إقامة حجة أخيرة.

قال الكسائي: ولَمّا رجع فرعون بجنوده وقد أَجْرى لهم النيلَ بِزَعْمِهم، دخل عليه

هي التي أخرجت أبناء الجزيرة العربية الحفاة العراة العالة علىٰ الناس فأصبحوا ملوك الأرض، فمن هو أبو بكر الصديق قبل الإسلام ؟ ومن هو عمر بن الخطاب، ومن هو أبوعبيدة، وطلحة بن عبيدالله، وسعد بن أبي وقاص.... والصحابة كلهم ؟ كانوا عبارة عن بدو، إنما الذي رفعهم وجعلهم بمصاف الملائكة هي العقيدة والإيمان الذي رَسَخَ في قلوبهم. وليت شعري لو أن المرأة التي تناهض الحق في زماننا، وتُطالب بمساواة الرجل، وتتحدّى ربَّها، وتلبس ثوباً غير ثوبها، تقف أمام قصة آسية مُتّعظة مُعْتَبِرة، بانية غير هادمة، مُصْلِحة غير مُفْسِدة، شعارها الإيمان بدلاً من التحلل والإلحاد، وتكون مع الروح بدلاً مِنْ أن تناقض لإبليس وطريقه، الذي نهايته الدمار لكل مَنْ سلكه واتّبعه. فالاعتبار الاعتبار، والادّكار والادّكار، قبل فوات الأوان والندم الذي لا ينفع، والله الموفق للصواب.

جبريل في صورة آدمي حَسَنِ الهيئة، فقال له: مَن أنت؟ قال: عبدٌ من عبيد الملك[1]، جئتُك مُسْتَعْدِياً على عبد من عبيدي، مَكَّنْتُه من نعمتي وأحسنتُ إليه كثيراً، فاستكبر وبغى، وجحدني حقي، وتسمّى باسمي، وادّعى في جميع أموره أنه هو صاحب النعمة، وأنه لا مُنْعِمَ عليه بهذه النعم التي بين يديه. فقال فرعون: بئس ذلك العبد، قال جبريل: فما جزاؤه عندك؟ قال: يُغْرَق في هذا البحر، فقال له جبريل: أسألك أن تكتب لي خطك بذلك.

فكتب له فرعون خطاً، وأخذه جبريل وجاء به إلى موسى، وأمره عن الله عزّ وجلّ أن يرتحل بقومه من مصر. فنادى موسى في بني إسرائيل وأمرهم بالرحيل، فارتحلوا وهم يومئذ ستمائة ألف.

قال الثعلبي: ستمائة ألف وعشرون ألفاً، لا يُعَدُّ منهم ابن سبعين سنة ولا ابن عشرين سنة، ولكن هؤلاء المقاتِلة سوى الذرية.

وإن أهل التوراة يقولون: إنه لا يُعَدُّ ابن خمسين سنة ولا ابن عشرين سنة، لا خلاف عندهم في هذا، ويزعمون أنه نص التوراة.

وكان قبل ذلك كما أسلفنا قد طلب موسى من بني إسرائيل أن يستعيروا جميع حلي الأقباط بحيلة أفراح وعيد عند بني إسرائيل، فخرج موسى ببني إسرائيل ليلاً ومعهم الذهب والحُلِيّ.

قال الكسائي: فلما سمع فرعون بارتحالهم أمر باجتماع جنوده، فاجتمعوا وهم لا يُحْصَوْن كثرة.

قال الله تعالى: ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [الشعراء].

قيل: إن هامان كان على مقدمة فرعون بألفِ ألفٍ وستمائة ألف.

وقال الثعلبي: ألف ألفٍ وسبعمائة ألف رجل، على ألفِ ألفٍ وسبعمائة ألف حصان.

---

(١) هنا ظن فرعون أنه يَعْنِيه، إنما عنى جبريلُ بأنه عبد من عبيد الله تعالى.

وقال ابن جريج: أرسل فرعون في أثر موسىٰ وقومه ألفَ ألفٍ وخمسمائة ألف مَلِك مُسَوَّرٍ، مع كل مَلِك ألفُ رجل.

ثم خرج فرعون خلفهم في الدُّهْم، وكان في عسكره مائة ألف حصان أَدْهَم سوى سائر الخيول، وذلك حين طلعت الشمس وأشرقت، قال الله تعالىٰ: ﴿فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [الشعراء].

قال الكسائي: وساروا حتىٰ قربوا من موسىٰ ومَن معه، فقال بنو إسرائيل: يا موسىٰ، قد لَحِقَنا فرعون بجنوده، والبحر أمامنا والسيف وراءنا. قال: ﴿كَلَّآ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾﴾ [الشعراء]. فأوحىٰ الله تعالىٰ إلىٰ موسىٰ: ﴿أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾﴾ [الشعراء]، وصار فيه اثنا عشر طريقاً للأسباط الإثني عشر.

قال تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾﴾ [الشعراء].

قال الكسائي: فجعلوا يسيرون وموسىٰ أمامهم، وهارون وراءهم، وجعل الله بينهم نوافذ ليرى بعضُهم بعضاً.

وجاء فرعون ومَن معه إلىٰ البحر ورأى تلك الطرق فيه، فقال لهامان: هذه تفرّقتْ من هيبتي. وقصد الاقتحام فلم يطاوعه فرسه - وكان حصاناً -، ونفر من العبور. فأتاه جبريل علىٰ رَمَكة[1] في صورة آدمي، فدنا من فرعون وقال: ما يمنعك من العبور؟ فتقدّم إلىٰ جنبه، فاشتمّ فرسُ فرعون رائحةَ الرَّمَكة فَتَبِعَها، ودخل فرعون وجنوده وجبريل أمامهم، وميكائيل يسوق الناس حتىٰ لم يَبْقَ من جنود فرعون أحدٌ علىٰ الساحل، فجاءه جبريل بِخَطِّه، فلما رآه فرعون عَلِمَ أنه هالك، وانضمت الطرق وأُغْرِقَ الناس، وفرعونُ ينظر إليهم.

---

(١) وفي رواية: علىٰ فرس أنثىٰ حائل.

قال الله تعالى: ﴿وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ وَجُنُودُهُۥ بَغۡيٗا وَعَدۡوًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٩٠﴾[يونس]، فقال له جبريل: ﴿ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٩١﴾[يونس]؟

فهنا خشي جبريل أن تُدْرِكَ رحمةُ الله فرعونَ، وأن يَقْبَل الله عز وجل توبته، فكان يأخذ رمل البحر ويَدُسُّه في فمه كما قال ذلك بعض المفسرين.

يروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «لَمّا أغرق الله فرعون قال: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ [يونس ٩٠]، فقال جبريل: يا محمد، فلو رأيتني وأنا آخذ مِن حال البحر فأدسّه في فيه؛ مخافة أن تدركه الرحمة»[1].

قال الكسائي: ثم غرق فرعون وجميعُ مَن معه، وبنو إسرائيل ينظرون إليهم، ثم قال بنو إسرائيل: إنَّ فرعون لم يغرق، فأمر الله تعالى البحر فألقاه على الساحل.

قال تعالى: ﴿فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗۚ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنۡ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ٩٢﴾[يونس].

ولقد ورد في بعض التفاسير أن الإغراق كان بشعبة البحر الأحمر، حيث بنو إسرائيل كانوا قد وصلوا إلى الجهة الثانية من صحراء سيناء، وكان هذا في ضحى يوم الأربعاء.



(١) رواه أحمد والترمذي وأبو داود بنحوه وابن جرير وابن أبي حاتم في تفاسيرهم، وقال الترمذي: حديث حسن. وروى ابن حبان والحاكم والنسائي وأحمد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رفعه أحدهما إلى النبي ﷺ قال: «إن جبريل كان يدس في فم فرعون الطين مخافة أن يقول: لا إله إلاّ الله»، وصحّحه الحاكم وزاد: «فيرحمه الله، أو قال: خشية أن يرحمه الله».









صور لجثة فرعون كما
هي موجودة ومحفوظة
في أحد متاحف مصر
ويقال إنه رمسيس
الثاني والله أعلم


خروج موسى وهارون عليهما السلام
ببني إسرائيل من أرض مصر
البحر الكبير (المتوسط)
نهر الأردن
يافا
أريحا
جبل نبو
أور سالم
بحيرة لوط
حبرون
(الخليل)
غزة
أرض كنعان
عراد
٢
بحيرة البردويل
بعل صفون
أرض جاسان
مجدول
إيتام
العمالقة
جبل هور
رعمسيس
سكوت
قادش
برنيع
٤
جبل هارون
(عليه السلام)
منطقة تجمع بني
إسرائيل
نقطة الانطلاق
بطانة
مجدول
١
عيون موسى
برية إيتام
مارة
إيليم
مصر
برية فاران
العقبة
أيلة
برية سيناء
دفقة
حصيروت
خليج السويس
خليج العقبة
رفيديم
جبل موسى
الطور
مدين
٣
شمال
شرق
غرب
جنوب
مقياس الرسم
صفر ٣٠ ٦٠كم
فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ٦١ قَالَ
كَلَّآ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ٦٢ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب
بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ٦٣
وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْـَٔاخَرِينَ ٦٤ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ٦٥
ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ٦٦
١ أحد الأراء لخروج موسى وبني إسرائيل من مصر صوب أرض سيناء .
٤ منطقة تجمع بني إسرائيل بعد التيه في صحراء سيناء .
٢ رأي ثاني لمسلك موسى وقومه من مصر عن طريق ساحل البحر المتوسط .
٣ أرجح الأراء لخروج موسى وقومه من مصر عن طريق الساحل الأوسط لخليج السويس

قال الكسائي: فلما عبر موسىٰ البحر ببني إسرائيل إلىٰ الطور، إذا هم في طريقهم بقوم يعبدون الأصنام.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾﴾ [الأعراف].

ثم قال لهم موسىٰ: ﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾﴾ [الأعراف]؟ وذكّرهم بنعم الله تعالىٰ عليهم، وأمرهم بالتوبة والاستغفار، ثم ساروا وفي قلوبهم حُبّ الأصنام حتىٰ قربوا من الطور.

فبغرق فرعون انتهت المعركة بنصر الحق علىٰ الباطل، بنصر موسىٰ علىٰ فرعون، ولكن معارك موسىٰ عليه السلام مع بني إسرائيل لم تَنْتَهِ كما سنذكر إن شاء الله تعالىٰ.



سيدنا موسى وأخوه هارون
عليهما الصلاة والسلام
نزول التوراة وما كان مِن أمرهما مع بني
إسرائيل حتى وفاتهما

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ

بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [البقرة].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِن بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَٰكِنَّا أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾[القصص][1].

انطلاق موسىٰ لمناجاة ربه:

ذكر أبو إسحاق الثعلبي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ ﴾ [الأعراف]، قال:

كان ذلك في شهر ذي القعدة وعشر من ذي الحجة.

وذلك أن موسىٰ عليه السلام كان قد وعد بني إسرائيل وهو بمصر: إذا خرجوا منها وهَلَكَ عدوهم أن يأتيهم بكتاب فيه ما يأْتون وما يَذَرون.

فلما أهلك الله تعالىٰ فرعون وقومه، واسْتَنْقَذَ بني إسرائيل من أيديهم وأمّنهم من

---

(١) انظر كذلك إن شئتَ إلىٰ المواضع التالية من القرآن الكريم: البقرة ٦٧-٧٤ و٨٧ و٩٢-٩٣، النساء ١٥٣-١٥٤، المائدة ٢٠-٢٦، الأنعام ٩١ و١٥٤، الأعراف ١٣٨-١٦٢، هود ١١٠، إبراهيم ٥-٨، الإسراء٢، الكهف ٦٠-٨٢، طه ٨٠-٩٨، القصص ٧٦-٨٣، العنكبوت ٣٩، السجدة ٢٣-٢٤، الأحزاب ٦٩، غافر ٥٣-٥٤، فصلت ٤٥، الشورى ١٣، الدخان ٣٠-٣٣، النجم٣٦، الصف٥، الأعلىٰ ١٨-١٩.

عدوهم، ولم يكن لهم كتاب ولا شريعة ينتهون إليها، قالوا: يا موسىٰ، ائتنا بالكتاب الذي وعدتنا به. فسأل موسىٰ ربه تعالىٰ ذلك، فأمره أن يصوم ثلاثين ليلة، ثم يَتَطَهَّر ويُطَهِّر ثيابه ويأتي طور سيناء؛ لِيُكَلِّمَه ويُعطيه الكتاب.

وكان موسىٰ خلف أخاه علىٰ بني إسرائيل وقال له: يا هارون، اجلس مع بني إسرائيل، مُرْهُم بالمعروف وانْهَهُم عن المنكر، ودُلَّهم علىٰ الله حتىٰ أعود إليكم.

قال الثعلبي: فصام ثلاثين يوماً، فلما صعد الجبل أنكر خُلوف[1] فمه، فاستاك بعود خرنوب.

قال أبو العالية: أخذ من لحاء الشجر فمصّه، فقالت له الملائكة: كنا نَشْتَمُّ من فمك رائحة المسك، فأفسدتَها بالسواك. فأوحىٰ الله تعالىٰ إليه أن صُمْ عشرة أيام أُخَر، وقال له: أما علمتَ يا موسىٰ أن خُلوف فم الصائم أطيب عندي من ريح المسك؟

قال تعالىٰ: ﴿وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ﴾ [الأعراف ١٤٢].

قال أبو العالية: وكانت فتنة بني إسرائيل في العشر ليالي التي زادها الله تعالىٰ.

فسيدنا موسىٰ كان قد وعد بني إسرائيل بثلاثين يوماً، فعندما أمره الله بالعشر الإضافية اسْتَأْخَرُوه، وقام يومها السامري وفَعَلَ فِعْلَتَهُ التي سنذكرها إن شاء الله تعالىٰ.

قال الثعلبي: فلمّا مضت أربعون ليلة، تَطَهَّرَ موسىٰ وطَهَّرَ ثيابه لميقات ربه. فلما أتىٰ طور سيناء كلّمه ربه وناجاه، وقرّبه وأدناه كما قال تعالىٰ: ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾﴾ [مريم].

قال وهب بن منبه: كان بين الله تعالىٰ[2] وبين موسىٰ سبعون حجاباً، فرَفَعَها كُلَّها إلاّ حجاباً واحداً، فسمع موسىٰ كلام الله تعالىٰ، واشتاق إلىٰ رؤيته وطمع فيها، فقال ما أخبر الله عزوجل في كتابه.

---

(١) الخُلوف بضم الخاء: تَغَيُّر رائحة الفم لِخُلُوِّ المعدة. قال النووي: هذا الصواب الذي عليه الجمهور، وكثير يَرْوِيه بفتحها.

(٢) أي بين نور الله؛ لأن ربنا خالق المكان والزمان، وليس بجسم.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۖ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٤٣﴾ [الأعراف].

وذلك أنَّ الجبال لَمّا علمتْ أنَّ الله تعالىٰ يريد أن يتجلّىٰ لجبل منها تعاظمتْ وارتفعتْ، كُلُّ جبل أراد أن يكون ذلك الجبل، ولكنَّ الزبير تواضع وانخفض، فخصّه الله عزّ وجلّ بالتَّجَلِّي، وسلّط عليه بعض نوره.

ولقد اخْتَلَفَ العلماء في معنىٰ التَّجَلِّي:

فقال ابن عباس رضي الله عنهما: ظهر نوره للجبل.

وقال الضحاك: أَظْهَرَ الله تعالىٰ من نور الحجب مِثْل منخر الثور.

وقال عبدالله بن سلام وكعب: ما تجلّىٰ من عظمة الله تعالىٰ للجبل إلاّ مِثْل سمّ الخِياط حتىٰ صار دَكّاً.

وقال السُّدّي: ما تَجَلَّىٰ منه إلاّ قَدْر الخنصر.

وقال الحسن: أوحىٰ الله تعالىٰ إلىٰ الجبل فقال: هل تُطيق رؤيتي؟ فغار الجبل وساخ في الأرض، وموسىٰ ينظر إليه حتىٰ ذهب أجمع.

قال أبو إسحاق: قال أبو بكر محمد بن عمر الورّاق: حُكِيَ لي عن سهل بن سعد الساعدي أن الله تعالىٰ أظهر من سبعين ألف حجاب نوراً قَدْر درهم، فجعل الجبل دَكّاً.

قال أبو بكر: فَعَذُبَ إذْ ذاك كلُّ ماء، وأفاق كل مجنون، وبَرَأَ كل مريض، وزال الشوك عن الأشجار، واخضرّت الأرض واهتزت، وخمدت نيران المجوس، وخرّت الأصنام لوجهها.

وأقول: ما تجلّىٰ للجبل، وما رُؤِيَ له من النور الإلهي إلاّ مقدار جناح بعوضة، فصار الجبل دَكّاً.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: تحوّل الجبل إلىٰ تراب.

وقال سفيان: ساخ الجبل حتىٰ وقع في البحر.

وقال عطية العَوْفيّ: صار رملاً هائلاً.

وقال الكلبي: كُسِّرَ جبالاً صغاراً.

يروى عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾، قال: صار بعظمة الله ستة أجبل، فَوَقَعَتْ ثلاثة بالمدينة: أُحُد، ووَرِقان، ورَضْوَى. ووَقَعَتْ ثلاثة بمكة: ثَوْر، وثَبِير، وحِراء[1].

ثم قال تعالىٰ: ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: أي مَغْشِيّاً عليه.

وقال قتادة: مَيِّتاً.

وقال الكلبي: خرَّ موسىٰ صَعِقاً يوم الخميس يوم عرفة، وأُعْطِيَ التوراة يوم الجمعة يوم النَّحْر.

وقال الواقدي: لَمّا خرّ موسىٰ صعقاً قالت الملائكة: ما لابن عمران وسؤال الرؤية؟!

وقال وهب بن منبه: لَمّا سأل موسىٰ الرؤيةَ، أرسل الله الضباب، والصواعق، والظلمة، والرعد والبرق، فأحاطت بالجبل الذي عليه موسىٰ. وأمر الله تعالىٰ ملائكة السماوات أن يُعْرَضوا علىٰ موسىٰ أربعة فراسخ مِن كل ناحية.

فمرّت ملائكة سماء الدنيا كثيران البقر، تُتابع أفواهُهم التقديسَ والتسبيح بصوت عظيم كصوت الرعد الشديد.

ثم أمر الله تعالىٰ ملائكة السماء الثانية: أن اهبطوا علىٰ موسىٰ، فهبطوا عليه مِثْل أُسُدٍ لهم نحيبٌ بالتسبيح والتقديس. ففزع موسىٰ مِمّا رأى وسمع، واقشعرّ جلده، ثم قال: ندمتُ علىٰ مسألتي، فهل يُنَجِّيني من مكاني الذي أنا فيه شيء؟ فقال له حَبْرُ الملائكة ورأسهم: يا موسىٰ، اصبر لِما رأيتَ، فقليل مِن كثير رأيتَ.

ثم هبطت ملائكة السماء الثالثة كأمثال النسور، لهم قَصْف ورَجْف بالتسبيح والتهليل والتقديس كجَلَب الجيش العظيم، وكَلَهَب النار.

---

(١) ذكره عبد الرؤوف المناوي في كتابه فيض القدير ج٤ ص٢٥٥ نقلاً عن القرطبي. ورواه الديلمي في الفردوس، وأبو نعيم في الحلية، وابن حبان في المجروحين، والذهبي في الميزان، والخطيب في تاريخه، وابن حجر في فتح الباري، وابن إسحاق في أخبار مكة، كلّهم بلفظ: (طارت لعظمته ستة أجبل... الحديث).

ثم هبطت عليه ملائكة السماء الرابعة لا يُشْبِهُهم شيءٌ من الذين مرّوا به قبلهم، ألوانهم كلهب النار، وسائر خَلْقهم كالثلج الأبيض، أصواتهم عالية بالتسبيح والتقديس، لا يقاربهم شيء من أصوات الذين مَرُّوا به قبلهم.

ثم هبطت عليه ملائكة السماء الخامسة في سبعة ألوان، فلم يستطع موسىٰ أن يُتْبِعَهم الطَّرْفَ، لم يَرَ مِثْلَهم، ولا سَمِعَ مِثْلَ أصواتهم. وامتلأ جوف موسىٰ فَزَعاً، واشتدّ حزنه وكثر بكاؤه، ثم قال له حَبْر الملائكة ورأسهم: يا ابن عمران، مكانك حتىٰ ترى ما لا تصبر عليه.

ثم أمر الله تعالىٰ ملائكة السماء السادسة: أن اهبطوا علىٰ عبدي الذي أراد أن يراني، فعُرِضوا عليه وفي يد كل منهم حَرْبة مِثْلُ النخلة الطويلة، نارها أشد ضوءاً من الشمس، لباسهم كلهب النيران، إذا سبّحوا وقدّسوا جاوَبَهم مَن كان قِبَلَهم من ملائكة السماوات، كلهم يقولون بشدة أصواتهم: سُبّوح قُدّوس، رب العزة أبداً لا يموت. وفي رأس كل مَلَك منهم أربعةُ أَوْجُهٍ، فلما رآهم رفع صوته يُسَبِّحُ معهم، ويبكي ويقول: ربّ، اذكرني ولا تنسَ عبدَك، لا أدري هل أَتَخَلَّصُ مِمّا أنا فيه أم لا؟ إنْ خَرَجْتُ احترقتُ، وإنْ مكثتُ مِتُّ. فقال له كبير الملائكة ورئيسهم: قد أوشكتَ يا ابن عمران أن يشتد خوفك وينخلع قلبك، فاصبر لِلّذي سألتَ.

ثم أمر الله تعالىٰ أن يُحْمَلَ عرشه في ملائكة السماء السابعة، فقال: أَرُوه إيّاه، فلما بدا نور العرش انفرج الجبل من عظمة رب العزة، ورَدَّدَتْ ملائكة السماوات أصواتهم جميعاً، فارتجّ الجبل وانْدَكَّتْ كُلُّ شجرة كانت فيه، وخرّ موسىٰ صَعِقاً ليس معه روحه، فَقَلَبَ الله تعالىٰ الحجر الذي كان موسىٰ عليه، وجعله كهيئة القُبّة لئلاّ يحترق موسىٰ، وأرسل الله عليه روح الحياة برحمته، فقام موسىٰ يُسَبِّح الله تعالىٰ ويقول: "آمنتُ أنك ربي، وصَدَّقْتُ أنه لا يراك أحد، فَنَجِّني، ومَن نظر إلىٰ ملائكتِك انخلع قلبه، فما أعظمك وأعظم ملائكتك! أنت رب الأرباب، وإله الآلهة، وملك الملوك، لا يَعْدِلُكَ شيء، ولا يقوم لك شيء، تُبْتُ إليك، الحمد لك، لا شريك لك رب العالمين»[1].

---

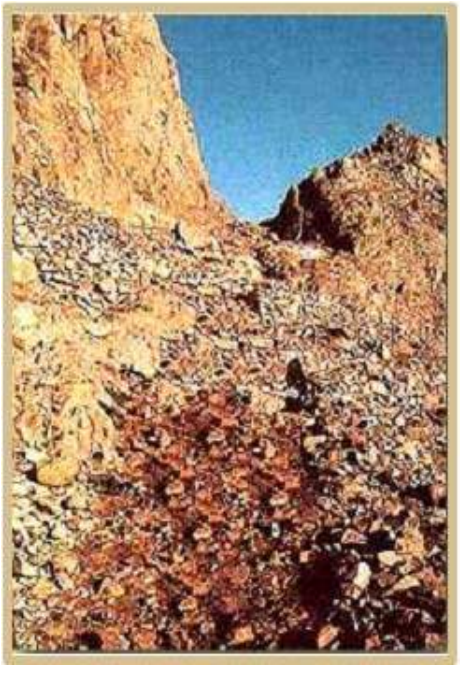
(١) ولو لاحظت هذا المقام، فسيدنا موسىٰ لم يُطِقِ النظر إلىٰ الجبل، وبعد المناجاة بَقِيَ علىٰ وجهه حجاب قرابة ثلاثين يوماً لا يستطيع أن ينظر إلىٰ أحد من الناس أو الخَلْق. وسيدنا محمدﷺ ليلة الإسراء رأى ربه، ورجع وبلّغ قومه. فهنا جعل الله تعالىٰ عند سيدنا محمد المَنَعة والاستعداد ليشاهد ويرى؛ لأن عقيدتنا وعقيدة بني هاشم كما قال ابن عباس رضي الله عنهما بأن نبينا محمداًﷺ رأى رَبَّه بِعَيْنَيْ رأسه ليلة الإسراء والمعراج، وأكثر من مرة.

جبل سيناء حيث ذهب سيدنا موسىٰ لمناجاة ربه ونزلت عليه الألواح والتوراة





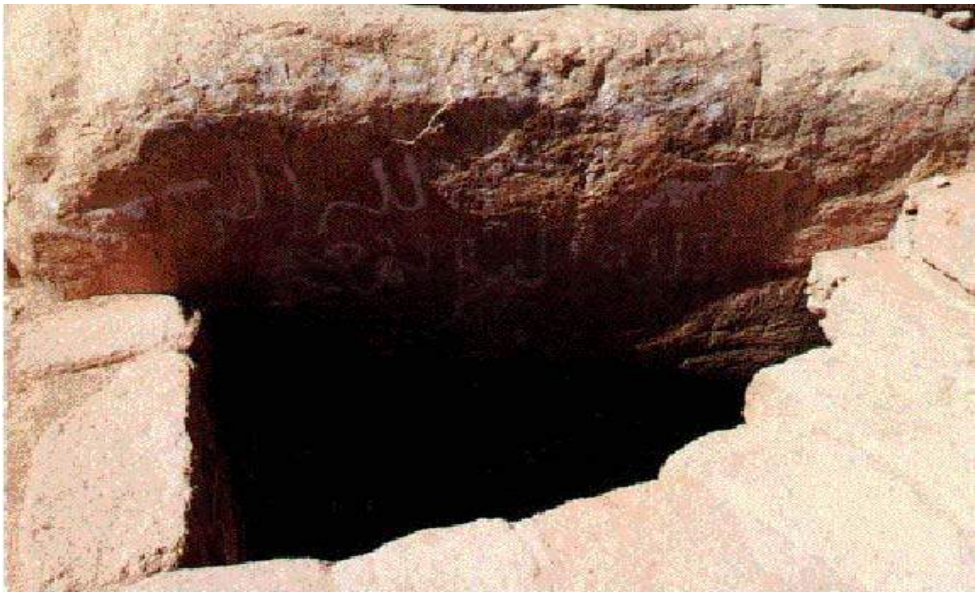
كسر صغيرة من الحجارة موجودة بالقرب من جبل سيناء، ويعتقد بأنها قد تكون لجبل الزبير حين جعله الله تعالىٰ دكاً







صورتان لوداي الراحة الموجود بالقرب من جبل سيناء، ويعتقد بأنه المكان الذي جلس فيه بنو إسرائيل ينتظرون نبي الله موسىٰ حين ذهب للمناجاة



الكهف الموجود في جبل سيناء، والذي يُعتقد بأنه المكان الذي جلس فيه
سيدنا موسىٰ العشر ليال الإضافية التي زادها الله تعالىٰ

۞ خبر الألواح ونزول التوراة:

قال الله تعالىٰ: ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِي ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ [الأعراف].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ ﴿٥٣﴾ هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٤﴾﴾[غافر].

قال الثعلبي: ثم بعث الله جبريل عليه السلام إلىٰ جنة عدن، فقطع منها شجرة، فاتّخذ منها تسعة ألواح، طول كل لوح عشرة أذرع بذراع موسىٰ، وكذلك عَرْضُهُ، وكانت الشجرة من زمرد أخضر. ثم أمر الله تعالىٰ جبريل أن يَأْتِيَه بسبعة أغصان من سدرة المنتهىٰ، فجاء بها، فصارت جميعاً نوراً، وصار النور قلماً طاف فيما بين السماء والأرض،

فكتب التوراة وموسىٰ يسمع صرير القلم، فكتب الله تعالىٰ له: ﴿فِي ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف ١٤٥]. وذلك يوم الجمعة، فأشرقت الأرض بالنور.

ثم أمر الله تعالىٰ موسىٰ أن يأخذها بقوة، وأن يقرأها علىٰ قومه.

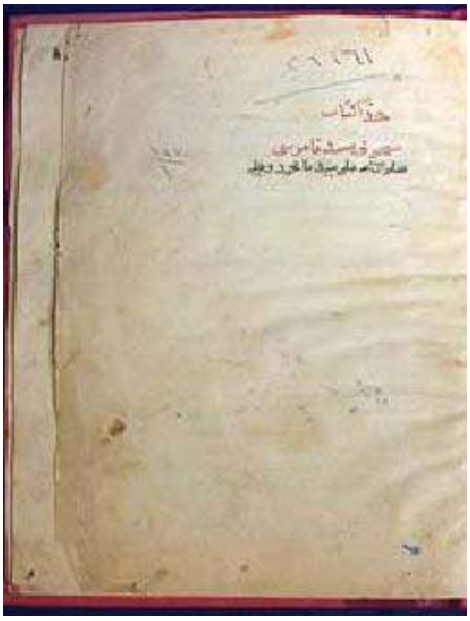
فَوُضِعَتِ الألواح علىٰ السماء فلم تُطِقْ حَمْلَها؛ لِثقل العهود والمواثيق، فقالت: يا ربّ، كيف أُطيق حَمْل كتابك الكريم الثقيل المبارك؟ وهل خَلَقْتَ خَلْقاً يُطيق حَمْلَ ذلك؟ فبعث الله تعالىٰ جبريل وأمره أن يحمل الألواح فَيُبَلِّغها موسىٰ، فلم يُطِقْ حَمْلها فقال: يا ربّ، مَن يُطيق حَمْل هذه الألواح بما فيها من النور والبيان والعهود؟ وهل خَلَقْتَ خَلْقاً يطيق حَمْلها؟

فأمدّه الله تعالىٰ بملائكة يحملونها بعدد كل حرف من التوراة، فحملوها حتىٰ بلّغوها موسىٰ، فعرضوا له الألواح علىٰ الجبل، فانصدع وخشع وقال: يا ربّ، مَن يُطيق حَمْل هذه الألواح بما فيها؟ فلما وضعتها الملائكة علىٰ الجبل بين يدي موسىٰ، وذلك عند صلاة العصر، قَبَضَ موسىٰ عليها فلم يُطِقْ حَمْلها، فلم يزل يدعو حتىٰ هَيَّأَ الله تعالىٰ له حَمْلَها، فَحَمَلَها.

فذلك قوله تعالىٰ: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [الأعراف].



الصفحة الأولىٰ من مخطوطة صحف موسىٰ المحفوظة حالياً بمكتبة المعهد الديني في الإسكندرية



الصفحة الأولىٰ من مخطوطة
صحف موسىٰ المحفوظة حالياً
بمكتبة جامعة القاهرة

۞ العشر كلمات التي كَلَّف الله بها بني إسرائيل:

قال الثعلبي: وأما العشر كلمات التي كتبها الله تعالىٰ لنبيه موسىٰ في الألواح، وهي معظم التوراة، وعليها مدار كلِّ شريعة، فهي:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب من الله المَلِك الجبّار العزيز القهّار لعبده موسىٰ بن عمران:

سَبِّحْني وقَدِّسْني، لا إله إلاّ أنا فاعبدني، ولا تُشْرِكْ بي شيئاً، واشْكُرْ لي ولوالديك إليّ المصير، أُحْيِكَ حياة طيبة.

ولا تَقْتُل النفس التي حرّم الله عليك، فَتَضِيق عليك السماء بأقطارها، والأرض بِرُحبها.

ولا تَحْلِفْ باسمي كاذباً، فإني لا أُطَهِّرُ ولا أُزَكِّي مَن لم يُعَظِّم اسمي.

ولا تَشْهَدْ بما لا يَعِي سمعك، ولا تَنْظُرُ عينك، ولَمْ يَقْفُ قلبك عليه، فإني أَقِفُ أهل الشهادات علىٰ شهاداتهم يوم القيامة وأسألهم عنها.

ولا تَحْسد الناس علىٰ ما آتيتُهم من فضلي ورزقي، فإن الحاسد عدوٌ لِنِعْمَتي، ساخطٌ لِقِسْمَتي.

ولا تَزْنِ.
ولا تَسْرِقْ فأحجب عنك وجهي، وأُغْلِق دون دعوتك أبواب السماوات.
ولا تَذْبَحْ لغيري، فإنه لا يصعد إليّ مِن قُرْبان الأرض إلاّ ما ذُكِرَ عليه اسمي.
ولا تَغْدِرَنّ بِحَلِيلة جارك، فإنه أكبر مَقْتاً عندي.
وأَحِبَّ للناس ما تُحِبّ لنفسك.

فهذه العشر كلمات، وقد أنزل الله ﷻ على نبينا محمد ﷺ مِثْلها في سبع عشرة آية، وهي قوله تعالى في سورة بني إسرائيل (الإسراء): ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً ۖ وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُواْ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾ ﴾.

ثم جمعها في آيَتَيْن من سورة الأنعام، وهي قوله تعالى: ﴿ ۞ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ

نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ ﴾.

۞ ذِكْرُ نبينا محمد ﷺ في التوراة وفضل أُمَّتِه على العالمين:

وأحب هنا أن أذكر شيئاً مِمّا في التوراة يتعرّض لِذِكْرِ سيدنا محمد ﷺ، لِنَعْلَمَ قَدْر نبينا عند الله، وكيف أن بني إسرائيل يعرفون سيدنا محمداً ﷺ جيداً كما يعرفون أبناءهم كما قال الله عز وجل في كتابه الكريم: ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ [البقرة]. إنما هم حرّفوا وغيّروا وبدّلوا، ومع التحريف لا زال اسم النبي ﷺ في توراتهم في عدة مواضع، ولكنهم ضَلُّوا.

روى أبو إسحاق الثعلبي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: لَمّا أعطى الله موسى الألواح، نظر فيها وقال: يا رب، لقد أَكْرَمْتَني بكرامة لم تُكْرِم بها أحداً قبلي. قال: ﴿ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ [الأعراف].

وبالمعنى: إيّاك أن تُخْرِجَ حُبَّ محمد من قلبك، فرأى ذلك مكتوباً في التوراة.

وأخرج الحافظ: تَمُوتُ على حب محمد عليه الصلاة والسلام.

وفي رواية: قال الله تعالى في التوراة: يا موسى، إن محمداً هو عبدي ورسولي، وهو أفضل خَلْقي، فلا يَخْرُجَنَّ حُبُّهُ من قلبك. فقال: يا رب، وما محمد؟ قال: أحمد الذي أَثْبَتُّ اسمَه على عرشي مِن قبل أن أخلق السماوات والأرض بألفي عام، وإنه لَنَبِيِّي وحبيبي، وخِيرتي من خَلْقي، هو أَحبّ إليّ من جميع خَلْقي، ومن جميع ملائكتي. قال: يا رب، إنْ كان محمد أَحبّ إليك من جميع خَلْقك، فهل خَلَقْتَ أُمّة أكرم عليك من أُمَّتي؟ قال الله تعالى: إن فضل أُمّة محمد ﷺ على سائر الأمم كفضله على سائر الخَلْق. قال: يا رب، ليتني رأيتُهم. قال: إنك لن تراهم، ولو أردتَ أن تسمع كلامهم لَسَمِعْتَهُ. قال:

ربّ، فإني أريد أن أسمع كلامهم. قال: يا أُمّة محمد، فَأَجَبْنا كُلُّنا من أصلاب آبائنا وأرحام أمهاتنا: لبيك اللهم لبيك لا شريك لك. قال الله تعالىٰ: يا أمة محمد، إن رحمتي سبقتْ غضبي، وعفوي عقابي، قد أعطيتُكم من قبل أن تسألوني، وقد أجبتُكم من قبل أن تَدْعوني، وقد غفرتُ لكم من قبل أن تعصوني، مَن جاء يوم القيامة يشهد " أن لا إله إلاّ الله وأنَّ محمداً عبدي ورسولي " دخل الجنة، ولو كانت ذنوبه أكثر من زَبَدِ البحر.

وهذا قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [القصص].

ثم إليك أيها القارئ هذه المحاورة التي جرت بين كعب الأحبار العالِم الكتابي الكبير بعد أن أسلم، وبين حَبْر من أحبار اليهود رآه يبكي.

فيروى أنَّ كعب الأحبار مَرَّ يوماً فرأى حَبْراً يبكي بكاء شديداً، فقال له: ما يُبْكِيكَ؟ قال: ذكرتُ بعض الأمر فبكيتُ، فقال: أنشدك الله، إنْ أخبرتُك بما أبكاك أَتُصَدِّقُني بكلامي؟ قال: نعم.

قال كعب: أنشدك الله، هل تجد في كتاب الله المُنْزَلِ أنَّ موسىٰ نظر في التوراة فقال: يا رب، إني أجد أُمّة هي خير أُمّة أُخْرِجَتْ للناس، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويؤمنون بالكتاب الأول، ويؤمنون بالكتاب الآخر، ويقاتلون أهل الضلال حتىٰ يقاتلوا الأعور الدجال؟ قال الحَبْر: نعم.

قال كعب الأحبار: أنشدك الله، هل تجد في كتاب الله المُنْزَل أن موسىٰ نظر في التوراة فقال: يا رب، إني أجد أمة هم الحامدون المحكمون، إذا أرادوا أمراً قالوا: نفعل إن شاء الله، فاجعلهم أمتي. قال: هي أُمّة أحمد يا موسىٰ؟ قال الحَبْر: نعم.

قال كعب الأحبار: أنشدك الله، هل تجد في كتاب الله المُنْزَل أن موسىٰ نظر في التوراة فقال: يا رب، إني أجد أُمّة يأكلون كفاراتهم وصدقاتهم[1]، فاجعلهم أمتي. قال: هي أُمّة

(١) فنحن نأخذ الكفارات والصدقات وندفعها للفقراء، ولكن الأمم السابقة والأوّلين كانوا يأخذون صدقاتهم ونذورهم فتنزل نار فترفعها حتىٰ عهد سيدنا موسىٰ، فكان يأخذ الصدقات ويشتري بها العبيد ويطلقهم، وما زاد يحفر له حفرة عميقة ويدفنه بالتراب.

أحمد يا موسىٰ؟ قال الحَبْر: نعم.

قال كعب الأحبار: أنشدك الله، هل تجد في كتاب الله المُنْزَل أن موسىٰ نظر في التوراة فقال: يا رب، إني أجد أُمّة إذا أشرف أحدهم علىٰ شَرَف كَبَّرَ الله تعالىٰ، وإذا هبط وادياً حمد الله تعالىٰ، الصعيد لهم طَهور، والأرض لهم مسجد، حيثما كانوا يتطهّرون من الجنابة، طهورهم بالصعيد كطهورهم بالماء حين لا يجدون الماء، غُرٌّ مُحَجَّلون من آثار الوضوء، فاجعلهم أمتي. قال: هي أُمّة أحمد يا موسىٰ؟ قال الحَبْر: نعم.

قال كعب الأحبار: أنشدك الله، هل تجد في كتاب الله المُنْزَل أن موسىٰ نظر في التوراة فقال: يا رب، إني أجد أُمّة إذا هَمَّ أحدهم بحسنة ولم يعملها تُكْتَب له، وإنْ عَمِلَها ضُوعِفَتْ عشرة أمثالها إلىٰ سبعمائة ضعف، وإذا هَمَّ بسيئة ولم يعملها لم تُكْتَب عليه، وإنْ عملها تُكْتَب عليه سيئة واحدة، فاجعلهم أمتي. قال: هي أُمّة أحمد يا موسىٰ؟ قال الحَبْر: نعم.

قال كعب الأحبار: أنشدك الله، هل تجد في كتاب الله المُنْزَل أن موسىٰ نظر في التوراة فقال: يا رب، إني أجد أُمّة مرحومة ضعفاء، يَرِثون الكتاب الذي اصطفينا، فمنهم ظالمٌ لنفسه، ومنهم مُقْتَصِد، ومنهم سابقٌ بالخيرات، فلا أَجِدُ واحداً منهم إلاّ مرحوماً، فاجعلهم أمتي. قال: هي أُمّة أحمد يا موسىٰ؟ قال الحَبْر: نعم.

قال كعب الأحبار: أنشدك الله، هل تجد في كتاب الله المُنْزَل أن موسىٰ نظر في التوراة فقال: يا رب، إني أَجِدُ أُمّة مرحومة مصاحفهم في صدورهم، يلبسون ألوان ثياب أهل الجنة، يصفّون في صلاتهم صفوفاً كصفوف الملائكة، أصواتهم في مساجدهم كدويّ النحل، لا يدخل النارَ منهم أحد إلاّ مِنَ الحساب مِثْل ما يُرمىٰ الحجر من وراء الشجر، فاجعلهم أمتي. قال: هي أُمّة أحمد يا موسىٰ؟ قال الحَبْر: نعم.

قال: فعجب موسىٰ من الخير الذي أعطاه الله محمداً وأُمَّته، وقال: يا ليتني من أصحاب محمد. فأوحىٰ الله تعالىٰ إليه ثلاث آيات يُرضيه بهن: ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِي ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا سَأُوْرِيكُمْ دَارَ

ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْـَٔاخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤٧﴾ ﴾ [الأعراف].

قال: فَرَضِيَ موسىٰ كل الرضا.

ثم رجع موسىٰ إلىٰ قومه يحمل الألواح، فوجدهم ومع الأسف قد عبدوا العجل من دون الله عزوجل.

۞ خبر فتنة السامري وعبادة العجل:

قال الله تعالىٰ: ﴿ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِمْ مِّنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا۟ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا۟ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ ﴾ [الأعراف].

وقال تعالىٰ: ﴿ ۞ وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أُو۟لَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٥﴾ ﴾ [طه].

قال الكسائي والثعلبي وغيرهما من أهل السير ما مختصره ومعناه: إنَّ موسىٰ عليه السلام لَمّا توجّه إلىٰ البقعة المباركة التي كلّمه الله تعالىٰ فيها لِميقات ربه، أَخْلَفَ أخاه هارون علىٰ بني إسرائيل، وكان السامري فيهم.

ولقد اخْتُلِفَ فيه، فقال قتادة والسدي: كان السامري من عظماء بني إسرائيل من قبيلة يقال لها: سامرة، ولكنه عدو لله منافق.

وقال سعيد: كان السامري من كرمان.

وقال غيرهم: كان رجلاً صائغاً من أهل باجَرْما، واسمه مِليخا.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: اسمه موسىٰ بن ظَفَر، وكان رجلاً منافقاً وقد أظهر الإسلام، وكان مِن قومٍ يعبدون البقر، فدخل قلبَه حُبُّ البقر. فلما ذهب موسىٰ عليه السلام

لميقات ربه، وكان قد واعد قومه ثلاثين ليلة، فأتمّها الله تعالىٰ بعشر كما أخبر الله ﷻ، فَعَدَّ بنو إسرائيل ثلاثين، فلمّا لم يرجع إليهم موسىٰ افْتَتَنوا وقالوا: إنَّ موسىٰ أَخْلَفَنا الوعد، فاغتنمها السامري فَفَعَلَ ما فَعَلَ.

وقال قوم: إنهم عَدُّوا الليلة يوماً، واليوم يوماً. وكان موسىٰ قد واعدهم أربعين، فلما مَضَتْ عشرين يوماً افْتَتَنوا، فأتاهم السامري وقال لهم: إنَّ موسىٰ قد احْتَبَسَ عنكم، فينبغي لكم أن تَتَّخِذوا إلهاً، فإن موسىٰ ليس يرجع إليكم، وقد تمّ الميقات.

وإنما طمع فيهم السامري لأنهم في اليوم الذي أَنْجاهم الله من فرعون وطلعوا من البحر، كان مِنْ أَمْرِهم ما أخبر الله تعالىٰ عنهم في قوله: ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ [الأعراف]، فطمع السامري فيهم واغتنمها.

فلما تأخر موسىٰ عن الميقات، وكان بنو إسرائيل قد استعاروا حُلِيّ بني إسرائيل كما قدّمنا، فلما فصل موسىٰ قال هارون لبني إسرائيل: إنَّ حُلِيَّ القبط الذي اسْتَعَرْتُموه غنيمة، وإنه لا يحل لكم فاجمعوه، واحفروا له حفيرة وادفنوه، حتىٰ يرجع موسىٰ فيرى فيه رَأْيَه. ففعلوا ذلك، وجاءهم السامري ومعه القبضة التي قبضها مِن أثر حافر فرس جبريل عليه السلام.

قالوا: وكان لجبريل عليه السلام فرس أنثىٰ بلقاء يقال لها: فرس الحياة، لا تصيب شيئاً إلاّ حَيي. فلما رأى السامري جبريل علىٰ تلك الفرس عَرَفَه[1] وقال: إنَّ لِهذا الفرس لَشَأْناً، وأَخَذَ قَبْضةً مِن ترابِ حافرها حين عَبَرَ جبريل البحر.

---

(١) وإنما عَرَفَ السامري خبر الفرس دون غيره من بني إسرائيل؛ لأن فرعون لَمّا أمر بذبح أولاد بني إسرائيل، جعلت المرأة إذا ولدت الغلامَ انطلقت به سِرّاً في جوف الليل إلىٰ صحراء أو وادٍ أو غار في جبل فَأَخْفَتْهُ، فقيّض الله تعالىٰ له مَلَكاً من الملائكة يُطْعِمُهُ ويَسْقِيه حتىٰ لا يختلط بالناس، وكان الذي يلي كفالة السامري جبريل عليه السلام، فجعل يَمصّ من إحدى إبهاميه سمناً، ومن الآخر عسلاً. فمِن ثَمَّ عَرَفَهُ، ومِن ثَمَّ الصبي إذا جاع يمصّ إبهامه فيُرْوَى مِنَ المَصِّ. هذا ما قاله عدد من العلماء: كابن جريج، والكسائي، والثعلبي.... وغيرهم.

فلما أمرهم هارون بِجَمْعِ الحُلِيّ وجَمَعُوه، جاء السامري بالقبضة فقال لهارون: يا نبي الله، أَأَقْذِفُها فيه؟ فظنّ هارون أنها من الحُلِيّ، وأنه يريد بها ما يريد أصحابه، فقال له: اقْذِفْ، فَقَذَفَها في الحفرة على الحُلِيّ، فصار عِجْلاً جسداً له خُوار.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: أَوْقَدَ هارون ناراً وأمرهم أن يقذفوا الحُلِيّ فيها، فقذف السامري تلك القبضة فيها وقال: كُنْ عِجْلاً جسداً له خُوار، فكان كذلك للبلاء والفتنة.

ويقال: إنه الذي قال لبني إسرائيل: إنَّ الغنيمة لا تَحِلّ لكم، فصدّقوه وجمعوها، فدفعوها إليه، فصاغ منها عِجْلاً في ثلاثة أيام، ثم قذف فيه القبضة، فجثا وخار خَوْرة ثم لم يَعُدْ.

وقال السُّدِّيّ: كان يخور ويمشي.

قالوا: فلما أخرج السامري العِجْلَ وكان من ذهب مرصع بالحجارة كأحسن ما يكون، قال: ﴿هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾﴾ [طه]. فشبّه السامريُّ على أوغاد بني إسرائيل وجُهّالهم حتى أَضَلَّهُمْ، وقال لهم: إنَّ موسى قد أخطأ رَبَّه فَأَتَاكُمْ رَبُّه، أراد أنْ يُريكم أنه قادر على أن يَدْعوكم إلى نفسه بنفسه، وأنه لم يبعث موسى لِحاجة منه إليه، وأنه قد أظهر لكم العِجْل لِيُكَلِّمَكُم مِنْ وسطه كما كَلَّمَ موسى من الشجرة.

فلما رأوا العجل وسمعوا قول السامري، افْتَتَنوا غير اثني عشر ألفاً، وكان مع هارون ستمائة ألف، فعكفوا يعبدونه من دون الله تعالى، وأَحَبُّوْه حُبّاً ما أَحَبُّوْا مِثْلَهُ شيئاً قط، فقال لهم هارون: ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴿٩٠﴾﴾ [طه]، قالوا: ﴿لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾﴾ [طه].

فأقام هارون بمَن معه مِن المسلمين، وأقام مَن يعبد العجل على عبادته، وخشي هارون إنْ سار بِمَنْ معه مِن المسلمين إلى المُفْتَتِنين الضالّين أنْ يقول له موسى: فرّقتَ بني إسرائيل.

قال راشد بن سعد: لَمّا واعد الله تعالى موسى أربعين ليلة، قال الله تعالى: يا موسى، إن قومك قد افْتَتَنوا مِن بعدك. قال: يا رب، كيف يَفْتَتِنون وقد نَجَّيْتَهم من فرعون ومن البحر، وأنعمتَ عليهم؟ قال: إنهم اتّخذوا العجل إلهاً من دوني، وهو عجل جسد له

خُوار. قال: يا رب، مَن نفخ فيه الروح؟ قال: أنا، قال: أنت وَعِزَّتك فَتَنْتهم، ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾ [الأعراف].

قال راشد: فلما رجع موسىٰ من الميقات إلىٰ قومه وقَرُبَ منهم، سمع اللَّغَط حول العجل وكانوا يرقصون حوله، ولم يُخْبِرْ موسىٰ أصحابه السبعين بما أخبره به ربه تعالىٰ من حديث العجل، فقالوا: هذا قتال في المَحَلّة، فقال موسىٰ لهم: لا، ولكنها أصوات الفتنة، افْتَتَنَ القوم بعدنا بعبادة غير الله تعالىٰ.

۞ رجوع موسىٰ عليه السلام إلىٰ قومه وما كان مِن أَمْرِهم:

قال الله عز وجل: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٥١﴾ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأعراف].

وقال تعالىٰ: ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي ﴿٨٦﴾ قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَٰذَا إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَٰنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴿٩٠﴾ قَالُوا لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩٤﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ

بَصُرتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴿٩٦﴾ قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُ وَانظُرْ إِلَىٰ إِلَٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَا إِلَٰهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾ ﴾[طه].

وذلك أنه لَمّا رآهم حول العجل وما يصنعون فيه، ألقىٰ الألواح من يده فتكسّرت، وصعد عامة الكلام الذي فيها، ولم يَبْقَ إلاّ سُدُسها، ثم أُعيدتْ له في لوحين.

يروى عن ابن عباس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «ليس المعاين كالمُخْبَر، قال الله تعالىٰ لموسىٰ: إن القوم قد افتتنوا، فلم يُلْقِ الألواح، فلما رآهم ألقىٰ الألواح فكسرها»[1].

قال الكسائي والثعلبي وغيرهما: فلما رأى موسىٰ ما صنع قومُه بعده مِنْ عبادة العجل، أخذ شَعْرَ رأس أخيه هارون بيمينه، ولِحْيَتَه بشماله، وقال له: ﴿ يَهَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿٩٣﴾ ﴾ [طه]، هلاّ قاتَلْتَهم إذْ عَلِمْتَ أني لو كنتُ فيما بينهم لَقاتَلْتُهم علىٰ كفرهم؟ فقال هارون: ﴿ يَبْنَؤُمَّ[2] لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي ﴾ [طه ٩٤]، إني خشيتُ إنْ قاتَلْتُهم أن يصيروا حِزْبَيْن يَقْتُلُ بعضُهم بعضاً، فتقول: ﴿ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩٤﴾ ﴾ [طه]، ولم تحفظ وصيتي. وقال: ﴿ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٥٠﴾ ﴾ [الأعراف]. فقال موسىٰ: ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ

---

(١) رواه أحمد وابن حبان والطبراني في الأوسط، وصحّحه الحاكم وابن حبان وغيرهما، ولفظهم: عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «يرحم الله موسىٰ، ليس المعاينُ كالمُخْبَر، أخبره ربه عزوجل أن قومه فُتِنوا بعده فلم يُلْقِ الألواح، فلمّا رآهم وعاينهم ألقىٰ الألواح، فتكسّر منها ما تكسّر».
وروى أحمد وابن حبان والحاكم والطبراني في الأوسط والعسكري والديلمي عن ابن عباس بلفظ: «ليس الخَبَرُ كالمُعايَنة، إن الله تعالىٰ أخبر موسىٰ بما صنع قومه في العجل فلم يُلْقِ الألواح، فلما عاين ما صنعوا ألقىٰ الألواح فانكسرت».
وفي التحفة لابن حجر: «ليس الخَبَرُ كالعِيان» بكسر العين.

(٢) قال المفسرون: كان هارون أخا موسىٰ لأبيه وأمه، ولكنه أراد بقوله: ﴿ يَبْنَؤُمَّ ﴾ تَقْرِيبَهُ واسْتِعْطافَهُ عليه.

ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾ ﴾ [الأعراف].

قال ابن عباس: ثم أقبل موسىٰ على السامري فقال له: ﴿فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ[1] ﴿٩٥﴾ ﴾ [طه]؟ فقال السامري: ﴿بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا[2] وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ[3] لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾ ﴾ [طه].

قال ابن عباس: فلما علم بنو إسرائيل أنهم قد أخطؤوا وضلوا في عبادتهم العجل، ندموا علىٰ ذلك واستغفروا، كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْاْ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّواْ قَالُواْ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ ﴾ [الأعراف]. فقال لهم موسىٰ: ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ[4] ذَٰلِكُمْ[5] خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ ﴾ [البقرة].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: أبىٰ الله تعالىٰ أن يقبل توبة بني إسرائيل إلاّ بالحال التي كَرِهوا أن يقاتلوهم حين عبدوا العجل.

وقال قتادة: جعل الله توبة عَبَدة العجل القَتْل؛ لأنهم ارْتَدّوا، والكفر مُبيحٌ للدم.

قال الكسائي: لَمّا قال موسىٰ لبني إسرائيل: ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ﴾ [# : ٥٤]، سألوه أن يتوب اللهُ عليهم، فسأل موسىٰ اللهَ تعالىٰ، فأوحىٰ اللهُ تعالىٰ إليه أنه لا توبة لهم؛ لأن في قلوبهم حُبَّ العجل، فاجْمَعْ رماد العجل وأَلْقِهِ في الماء، وأُمُرْهم أن يشربوا منه، فإنه يُظْهِرُ ما في قلوبهم علىٰ وجوههم.

ففعل ذلك، فلما شربوا لم يَبْقَ أحدٌ مِمّا في قلبه مرض إلاّ اصفرّ وجهه ولونه، وورم بطنه، ودام ذلك لهم. فقالوا: يا موسىٰ، هل شيءٌ غير التوبة الخالصة وقد أَخْلَصْنا في

---

(١) أي: ما أَمْرُكَ وشَأْنُكَ؟

(٢) أي: أَخَذْتُ تراباً مِنْ أَثَرِ جبريل فنبذتُها وطرحتُها في العجل.

(٣) أي زَيَّنَتْ.

(٤) أي يَقْتُلُ البريءُ المجرمَ.

(٥) أي القتل.

توبتنا؟ حتىٰ لو أَمَرْتَنا بِقَتْل أنفسنا فَعَلْنا. فأوحىٰ الله إليه: يا موسىٰ، قد رَضِيتُ بِحُكْمِهِم علىٰ أنفسهم، فَقُلْ لهم: يَقْتُلوا أنفسهم إنْ كانوا صادقين في توبتهم. فقال لهم موسىٰ ما أَمَرَهُم الله بـه: ﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾﴾ [البقرة]. فقالوا: كيف نقتل أنفسنا؟ قال: يقوم مَن لم يعبد العجل إلىٰ مَن عَبَدَه فيقتله. فقاموا بالسيوف والخناجر إلىٰ الذين عَبَدوه، وأرسل الله عليهم الظلمة فلم يُبصر بعضُهم بعضاً، حتىٰ كان الرجل يأتي إلىٰ أخيه وأبيه وابن عمه وقرابته فيقتله وهو لا يعرفه. ولم يعمل السلاح فيمن لم يعبد العجل حتىٰ خاضوا في الدماء، وصاح النساء والصبيان إلىٰ موسىٰ: العفوَ يا نبي الله، فدعا موسىٰ اللهَ بالعفو عنهم، فلم يعمل السلاح فيهم بعد ذلك، وقَبِلَ الله تعالىٰ توبتهم، وارتفعت الظلمة عنهم.

ثم همّ موسىٰ بقتل السامري، فأوحىٰ الله تعالىٰ إليه: لا تقتله فإنه سَخِيٌّ، ولكنْ أَخْرِجْهُ عن قومه. فلعنه موسىٰ وقال له ما أخبر الله تبارك وتعالىٰ به عنه: ﴿فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾﴾ [طه]. فَنُسِفَ العجل وحُرِّقَ، ثم أُذْرِيَ رمادُه في اليَمّ.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: وأَمَرَ موسىٰ بني إسرائيل ألاّ يخالطوا السامري ولا يُقارِبُوه، فصار السامري وحشياً لا يَأْلَفُ ولا يُؤْلَف، ولا يدنو من الناس، ولا يَمَسُّ أحداً منهم، فمَنْ مَسَّهُ قُرِضَ ذلك الموضع بالمقراض، فكان ذلك دَأْبُه حتىٰ هلك.

۞ امتناع بني إسرائيل من قبول أحكام التوراة ورَفْعُ الجبل عليهم:

قال الكسائي رحمه الله تعالىٰ: ثم أقبل موسىٰ علىٰ بني إسرائيل بالتوراة وقال: هذا كتاب ربكم، فيه الحلال والحرام، والأحكام والسنن والفرائض، ورَجْمُ الزاني والزانية المُحْصَنَيْن، وقَطْعُ يد السارق، والقصاص في كل ذنب يكون منكم. فضجّوا من ذلك وقالوا: لا حاجة لنا في هذه الأحكام، وما كُنّا فيه من عبادة العجل كان أرفق بنا مِن هذا.

قال الكسائي: فلما امْتَنَعوا من قبول أحكام الله ﷻ، قال موسىٰ: يا رب، قد عَلِمْتَ أنهم رَدُّوا كتابك، وكذّبوا بآياتك. فأمر الله تعالىٰ جبريل أن يرفع عليهم جبل طور سيناء في الهواء.

قال الله عز وجل: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾﴾ [الأعراف].

وقال تبارك اسمه: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾﴾ [البقرة].

فجعل الجبل يدنو منهم حتى ظنوا أنه يسقط عليهم، فآمنوا وخرّوا سُجّداً على أنصاف وجوههم وهم ينظرون إلى الجبل بالنصف الآخر[1]، ورُدَّ الجبل عنهم.

قصة الحجر الذي برّأ سيدنا موسى عليه السلام:

قال الله عز وجل في محكم كتابه العزيز: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾﴾ [الأحزاب].

قال الكسائي: وكانوا إذا اغتسلوا لا يَسْتُرون عوراتهم، وإذا اغتسل موسى يَسْتَتِر، فظنّوا أن في بدنه عيباً، فتكلّموا بذلك.

بعضهم قال: إنه آدر[2]، وبعضهم قال: إنه أبرص.

وكان موسى عليه السلام إذا اغتسل وضع ثوبه على حجر، وقرعه بعصاه فيتفجّر الماء منه، فيغتسل ثم يلبس ثوبه.

ففعل ذلك في بعض الأيام، فلما أراد أن يلبس ثوبه انْقَلَعَ الحجر مِن موضعه، ومرّ على وجه الأرض وعليه ثوب موسى. فعدا موسى خلفه وهو يقول: ثوبي حجر، ثوبي حجر. ولم يزل يعدو حتى وقف على بني إسرائيل، فنظروا إلى موسى ولا عيب فيه، فندموا على ما كان منهم، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾﴾ [الأحزاب].

---

(١) فَلِأَجْلِ ذلك سجود اليهود كذلك.

(٢) قال صاحب القاموس: الأُدْرَة وزان الغرفة هي انتفاخ الخُصْية، يقال: أدِرَ يَأْدَر من باب تعب فهو آدر، والجمع أُدُر مثل أحمر وحُمُر.

قال بعض المفسرين: ولَمّا وقف الحجر أخذ موسىٰ ثوبه ولبسه، ثم ضرب الحجر فعلّمتْ عصاه به.

وروى الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرةرضي الله عنه قال: قال رسول اللهﷺ: «كانت بنو إسرائيل يغتسلون عراة، ينظر بعضهم إلىٰ سَوْأَة بعض، وكان موسىٰعليه السلام يغتسل وحده، فقالوا: واللهِ ما يمنع موسىٰ أن يغتسل معنا إلاّ أنه آدَر». قال: فذهب مرة يغتسل، فوضع ثوبه علىٰ حجر، ففرّ الحجر بثوبه. قال: فَجَمَحَ موسىٰ بأَثَره يقول: «ثوبي حجر، ثوبي حجر»، حتىٰ نظرتْ بنو إسرائيل إلىٰ سَوْأَة موسىٰ، فقالوا: واللهِ ما بموسىٰ مِنْ بأس، فقام الحجرُ بَعْدُ حتىٰ نُظِرَ إليه. قال: فأخذ ثوبه، فطفق بالحجر ضَرْباً.

قال أبو هريرة: واللهِ إنه بالحجر نَدَبٌ ستةٌ أو سبعةٌ، ضَرْبُ موسىٰعليه السلام بالحجر.

وفي رواية أخرى له قال أبو هريرة: «كان موسىٰعليه السلام رجلاً حَيِيّاً. قال: فكان لا يُرى مُتَجَرِّداً. قال: فقال بنو إسرائيل: إنه آدَر. قال: فاغتسل عند مُوَيْهٍ، فوضع ثوبه علىٰ حجر، فانطلق الحجر يسعىٰ، واتَّبَعَهُ بعصاه يضربه: "ثوبي حجر، ثوبي حجر"، حتىٰ وقف علىٰ ملأ من بني إسرائيل، ونزلتْ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا ٦٩﴾ [الأحزاب]».

طَلَبُ بني إسرائيل رؤية الله تعالىٰ وكيف أُهْلِكوا بالصاعقة:

قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ فَأَخَذَتۡكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ٥٥ ثُمَّ بَعَثۡنَٰكُم مِّنۢ بَعۡدِ مَوۡتِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٥٦﴾ [البقرة].

قال الثعلبي في تفسيره: وذلك أن الله تعالىٰ أمر موسىٰعليه السلام أن يأتيه في أُناس من بني إسرائيل يعتذرون إليه من عبادة العجل، فاختار موسىٰعليه السلام سبعين رجلاً من قومه من خِيارهم.

وكان قد اختار مِنْ كل سبط ستة أنفر، فصاروا اثنين وسبعين، فقال: إنما أُمِرْتُ بسبعين، فليتخلّف منكم رجلان. فتشاحنوا علىٰ ذلك، فقال موسىٰ: إنَّ لِمَنْ قعد مِثْل أَجْر مَن خَرَجَ، فقعد يوشع بن نون وكالب بن يُوقْنا، فقال موسىٰ للسبعين: صوموا وتطهّروا وطَهِّروا ثيابكم، ففعلوا ذلك.

فخرج بهم موسىعليه السلام إلى طور سيناء لميقات ربه، فلما بلغوا ذلك الموضع قالوا لموسى: اطْلُبْ لنا نسمع كلام ربنا، فقال: أَفْعَلُ.

فلما دنا موسى من الجبل، وقع عمودُ الغمام عليه وتغشّى الجبلَ كلَّه، فدخل في الغمام وقال للقوم: ادْنوا. وكان موسىعليه السلام إذا كلّمه ربهعزوجل وقع على وجهه نور ساطع لا يستطيع أحد من بني آدم أن ينظر إليه، فضُرِبَ دونه الحجاب، ودنا القوم حتى دخلوا في الغمام وخرّوا سُجَّداً، وسمعوه وهو يُكَلِّم موسى يَأْمُرُه ويَنْهاه، فَأَسْمَعَهم الله تعالى: "إني أنا الله لا إله إلاّ أنا ذو المُلْك، أخرجتُكم من أرض مصر، فاعبدوني ولا تعبدوا غيري".

فلما فرغ موسى وانكشف الغمام، أقبل إليهم فقالوا: ﴿يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ[1] حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة ٥٥]، فأخذتهم الصاعقة، وهي نار جاءت من السماء فأحرقتهم جميعاً.

وقال وهب بن منبه: أرسل الله عليهم جنداً من السماء، فلما سمعوا حِسَّها ماتوا في يوم وليلة.

قال الله تعالى: ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾ [الأعراف].

فلما هلكوا جعل موسىعليه السلام يبكي ويتضرع ويقول: يا رب، ماذا أقول لبني إسرائيل إذا أَتَيْتُهم وقد أَهْلَكْتَ خِيارهم، ﴿رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾ [الأعراف]. فلم يزل يناشد ربَّه حتى أحياهم اللهعزوجل رجلاً بعد رجل، يَنْظُرُ بعضُهم إلى بعض كيف يُحْيَوْن.

وقال الكسائي في هذه القصة: أقبل بنو إسرائيل على موسى وقالوا: أَرِنا الله جهرة، فأوحى الله تعالى إليه: أَكُلُّهُم يريد ذلك؟ - وهو أعلم -، فقال الصالحون منهم: إنَّ الله

---

(١) أي لن نُصَدِّقَكَ.

أَجَلٌ مِن أن نراه في الدنيا، وقال الباقون: إنما امتنع هؤلاء لضعف قلوبهم. فأوحىٰ الله تعالىٰ إليه: أن اختر منهم سبعين رجلاً وسِرْ بهم إلىٰ جبل الطور.

فسار بهم ووقع الغمام علىٰ الجبل حتىٰ أَظَلَّ، وأتاه موسىٰ وهم معه، فَأَمَرَ اللهُ تعالىٰ الملائكةَ أن تهبط إلىٰ الجبل بِزِيِّها وصُوَرِها. فلما نظر بنو إسرائيل إليهم أَخَذَتْهُم الرِّعْدة والخوف، وندموا علىٰ ما كان منهم، ونُودوا مِنْ قِبَل السماء: يا بني إسرائيل، فصُعِقوا كلهم وماتوا.... وساق نحو ما تقدّم معنا.

قال الكسائي: ورجعوا إلىٰ قومهم وأخبروهم بما رَأَوْا.

۞ قصة موسىٰ عليه السلام مع قارون:

قال تبارك وتعالىٰ: ﴿۞ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [القصص].

قال علماء التفسير: كان قارون عم موسىٰ.

وقال أصحاب التواريخ: كان ابن عمه، وهو ما عليه الأكثر.

وكان قارون أعلم بني إسرائيل بعد موسىٰ وهارون، وأفضلهم وأجملهم.

وقال قتادة: كان يُسَمّىٰ المَنْشور؛ لِحُسْن صورته.

ولم يكن في بني إسرائيل أَقْرَأ للتوراة منه، ولكنه نافق بعد ذلك كما نافق السامريّ، فبغىٰ علىٰ قومه وعَتَا وظَلَمَ، وحَمَلَهُ المالُ وحُبُّ الدنيا علىٰ ما فعل.

قال تعالىٰ: ﴿۞ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ [القصص ٧٦].

قال الثعلبي: اختلف العلماء في معنىٰ هذا البَغْي، ما هو؟

فقال ابن عباس رضي الله عنهما: كان فرعون قد مَلَّكَ قارون علىٰ بني إسرائيل، وكان يَبْغِي عليهم ويظلمهم.

وقال عطاء الخراساني وشهر بن حوشب: زاد عليهم في الثياب شِبْراً.

وقال قتادة: بغىٰ عليهم بالكِبر والبذخ.

وقال سعيد بن جبير: لكثرة المال، وكان أغنىٰ أهل زمانه وأثراهم، كما قال تعالىٰ: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ﴾ [القصص ٧٦]، أي تثقل وتميل بهم إذا حملوها لِثقلها.

وهنا اختلف علماء التفسير كذلك في عدد العُصْبة.

فقال مجاهد: ما بين العشرة إلىٰ الخمسة.

وقال قتادة: ما بين العشرة إلىٰ الأربعين.

وقال عكرمة: منهم مَن يقول: سبعين، وقيل: هم ستون.

وقيل: غير ذلك.

لهذا روى جرير بن منصور عن خيثمة قال: وجدتُ في الإنجيل أنَّ مفاتيح خزائن قارون كان وِقْر ستين بغلاً غُرّاً مُحَجَّلة، ما يزيد منها مفتاح علىٰ إصبع، ولكل مفتاح منها كنز مستقل به.

وكان قارون أينما ذهب يحمل معه مفاتيح كنوزه، وكانت من حديد، فلما ثقلت عليه جعلها من الخشب، فثقلت عليه، فجعلها من جلود البقر علىٰ طول الأصابع، تُحْمَل معه علىٰ أربعين بغلاً.

لهذا قال رزين من علماء التاريخ: لو كان مفتاحٌ واحد لأهل الكوفة كان كافياً.

وقد اختلف العلماء والمؤرخون في سبب اجتماع تلك الأموال لقارون، فقيل: كان عنده علم الكيمياء.

وقال سعيد بن المسيب: كان موسىٰ عليه السلام يَعْلَمُ الكيمياء، فعلّم يوشع بن نون ثُلُثَ العِلْم، وكالبَ ثُلُثَهُ، وقارونَ ثُلُثَهُ. فخدعهما قارون حتىٰ أضاف عِلْمَهما إلىٰ عِلْمِه.

وقال الكسائي: كان قارون من فقراء بني إسرائيل، فأوحىٰ الله إلىٰ موسىٰ أن يُحَلِّيَ تابوت التوراة بالذهب، وعَلَّمَه صنعة الكيمياء. فجاء قارون إلىٰ أم كَلْثَم أخت موسىٰ، وقيل: زوجته. فسألها: مِن أين لموسىٰ هذا الذهب؟ فقالت: إن الله تعالىٰ قد علّمه صنعة الكيمياء. وكان موسىٰ قد علّمها الصنعة، فتعلّمها قارون منها.

قال علماء التاريخ: فكان ذلك سبب أمواله، فذلك قوله كما أخبر الله تبارك وتعالىٰ عنه: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِيٓ﴾ [القصص٧٨].

وقيل: معناه: علىٰ عِلْم عندي بالتصرف في التجارات والزراعات، وسائر أنواع المكاسب والمطالب.

وقال الثعلبي: سبب جَمْعِ قارون لتلك الأموال أنه قيل: تبدّى إبليس لقارون، وكان قارون قد أقام في جبلٍ أربعين سنة حتىٰ غلب علىٰ بني إسرائيل في العبادة، فبعث إبليسُ إليه شياطينه فلم يقدروا عليه، فأتاه وجعل يتعبّد معه، وجعل قارون يتعبّد وإبليس يَقْهَرُهُ في العبادة ويَفُوقُهُ، فخضع له قارون، فقال له إبليس: يا قارون، قد رضينا بهذا الذي نحن فيه، لا نَشهد لبني إسرائيل جماعة، ولا نَعود مريضاً، ولا نَشهد جنازة؟ فلا زال به حتىٰ أَحْدَرَهُ مِنَ الجبل إلىٰ البِيَعة، فكانا يُؤْتَيان بالطعام، فقال له إبليس: يا قارون، قد رضينا أن نكون هكذا كَلاًّ علىٰ بني إسرائيل؟ فقال له قارون: فأيّ رأي عندك؟ قال: نكسب يوم الجمعة ونتعبّد بقيّتها.

قال: فكسبوا يوم الجمعة وتعبّدوا بقيّتها، فقال إبليس: قد رضينا أنْ نكون هكذا؟ قال قارون: فأيّ رأي عندك؟ قال: نكسب يوماً ونتعبّد يوماً، فنتصدّق ونُعطي بدلاً مِن أن نأخذ.

قال الثعلبي نقلاً عن أبي سليمان الداراني: فلما كسبوا يوماً وتعبّدوا يوماً، خَنَسَ إبليس وتركه، فَفُتِحَتْ على قارون أبواب الدنيا، فبلغ مالُه على ما رواه الثعلبي بسنده إلى المسيب بن شريك قال: ﴿مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ﴾ [القصص ٧٦]، وكانت أربعمائة ألفِ ألفٍ في أربعين جِراباً.

قال الثعلبي: فَبَغَى وطَغَى حين اسْتَغْنَى، فكان أول طغيانه وعصيانه أنه تكبّر واستطال على الناس بكثرة الأموال، وكان يخرج في زينته.

وقال مجاهد: خرج على براذين بيض عليها سروج الأرجوان، وعليه المُعَصْفَرات.

وقال ابن أسلم: خرج في سبعين ألفاً عليهم المُعَصْفَرات، وذلك أول يوم ظهرتْ فيه المُعَصْفَرات في الأرض.

وقال مقاتل: خرج قارون على بغلة شهباء على سَرْجٍ من الذهب عليه الأرجوان، ومعه ألف فارس عليهم الديباج، وعلى دوابهم الأرجوان، ومعه ستمائة جارية بيض عليهنّ الحُلِيّ والثياب الحمر، وهنّ على البغال الشهب.

وقال الكسائي: إن قارون اتّخذ سريراً من الذهب يصعد إليه بِمَراقٍ، وعليه أنواع من فُرُشِ الديباج، وعلى رأسه تاج من الذهب مُرَصَّعٌ بالجوهر.

ولقد خرج في بعض الأيام في زينة عظيمة، تمنّى أهل الجهالة يومها والخسارة مِثْلَ الذي أُوتيه، وقالوا ما أخبر الله تعالى به عنهم: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾﴾ [القصص]. فأنكر عليهم أهلُ العلم بالله تعالى وقالوا لهم: اتّقوا الله واعْمَلوا ما أمركم به، وانتهوا عما نهاكم الله عنه، فإن ثواب الله خيرٌ لِمَنْ آمن وعمل صالحاً مِن لذّات الدنيا وشهواتها.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [القصص]، أي لا يُوَفَّق لهذه الكلمة إلاّ الصابرون على طاعة الله.

قال علماء التاريخ: ثم أوحى الله تعالى إلى نبيه موسى عليه السلام أن يأمر قومه أن يُعَلِّقوا في آذانهم خيوطاً أربعة، في كل طرفٍ خيطٌ أخضر كلون السماء. فقال موسى: يا رب، لِمَ

أمرتَ بني إسرائيل بتعليق هذه الخيوط الخضر في آذانهم؟ فقال تعالىٰ: إن بني إسرائيل في غفلة، وقد أردتُ أن أجعل لهم عَلَماً في ثيابهم لِيَذْكُروني به إذا نظروا إلىٰ السماء، ويعلموا أني مُنْزِلٌ منها كلامي. فقال موسىٰ: يا رب، أفلا تَأْمُرُهم أن يجعلوا أَرْدِيَتَهم كلها خضراء؟ فإنَّ بني إسرائيل تَحْقِرُ هذه الخيوط. فقال له: يا موسىٰ، إن الصغير مِنْ أَمْري ليس بصغير، وإنْ لم يطيعوني في الأمر الصغير لم يطيعوني في الأمر الكبير.

قال العلماء: فدعا موسىٰ بني إسرائيل وأَعْلَمَهم بأمر الله تعالىٰ، ففعلوا ذلك، واسْتَكْبَرَ قارون فلم يُطِعْهُ وقال: إنما يفعل هذا الأربابُ بعبيدهم؛ لِكَيْ يتميّزوا مِن غيرهم. فكان هذا أيضاً مِن بَغْيِهِ وعِصْيانه.

وقال علماء التاريخ: لَمّا قطع موسىٰ البحر ببني إسرائيل، جُعِلَت الحُبورة[1] (المذبح وبيت القربان) لهارون عليه السلام، وكان بنو إسرائيل يأتون بِهَدْيِهم فيدفعونه إلىٰ هارون، فيضعه علىٰ المذبح، فتنزل نار من السماء فتأكله. فوجد قارون في نفسه من ذلك، وأتىٰ موسىٰ وقال له: يا موسىٰ، لك الرسالة ولهارون الحُبورة، وليس لي من ذلك شيء وأنا أَقْرَأُ للتوراة منكما، لا صَبْرَ لي علىٰ هذا. فقال موسىٰ: واللهِ ما أنا جعلتُها في هارون، بل الله جعلها له. فقال قارون: واللهِ لا أُصَدِّقُك في ذلك حتىٰ تُرِيَني بَيِّنة.

فجمع موسىٰ رؤساء بني إسرائيل وقال: هاتوا عِصِيَّكم، فجاءوا بها، فحزمها وألقاها في قُبَّته التي كان يعبد الله تعالىٰ فيها، وجعلوا يحرسون عِصِيَّهم حتىٰ أصبحوا، فأصبحت عصا هارون قد اهتزّ لها ورق أخضر، وكانت من شجر اللوز. فقال موسىٰ: يا قارون، أترى هذا مِن فِعْلي؟ قال قارون: واللهِ ما هذا بأَعْجَبَ مِمّا تَصْنَعُ مِنَ السحر.

وذهب مُغاضِباً، واعتزل موسىٰ بأتباعه، وجعل موسىٰ يُداريه للقرابة التي بينهما، وهو يؤذيه في كل وقت، ولا يزداد كُلَّ يوم إلاّ عُتُوّاً وتَجَبُّراً ومخالفة.

ويقال: إن قارون بنىٰ داراً وجعل بابها من الذهب، وضرب علىٰ جدرانها صفائح

---

(١) أي الرئاسة.

الذهب. وكان الملأ من بني إسرائيل يَغْدُون عليه ويروحون فَيُطْعِمُهُم الطعام، فيُحَدِّثونه ويضاحكونه.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ثم أنزل الله تعالىٰ الزكاة علىٰ موسىٰ، فلما وجبت الزكاة علىٰ بني إسرائيل أتىٰ قارونُ موسىٰ، فصالحه عن كل ألف دينار علىٰ دينار، وعن كل ألف درهم علىٰ درهم، وعن كل ألف شاة علىٰ شاة، وعن كل ألف شيء شيئاً، ثم رجع إلىٰ بيته فَحَسَبَهُ فوجده كثيراً، فلم تسمح بذلك نفسه، فجمع بني إسرائيل وقال لهم: يا قوم، إن موسىٰ قد أمركم بكل شيء فأطَعْتُموه، وهو الآن يريد أن يأخذ أموالكم. فقالوا له: أنت كبيرنا وسيدنا، فَمُرْنا بما شئتَ. فقال: آمركم أن تجيئوا بفلانة البَغِيِّ، فنجعل لها جُعْلاً علىٰ أن تَقْذِفَ موسىٰ بنفسها، فإذا فعلتْ ذلك خرج عليه بنو إسرائيل ورفضوه، فاسترحنا منه.

فَأَتَوْه بها، فجعل لها قارون ألف درهم، وقيل: ألف دينار، وقيل: طَسْطاً من ذهب. وقال لها قارون: إني أُمَوِّلُكِ وأخلطك بنسائي علىٰ أن تقذفي موسىٰ غداً إذا كان بنو إسرائيل مُجْتَمِعين.

فلما كان الغد جمع قارون بني إسرائيل، ثم أتىٰ موسىٰ فقال: إن بني إسرائيل اجتمعوا ينظرون خروجك لتأمرهم وتنهاهم، وتُبَيِّن لهم أعلام دينهم وأحكام شرعهم.

فخرج إليهم وهم في بَراح من الأرض، فقام فيهم خطيباً ووعظهم، وقال فيما قال: يا بني إسرائيل، مَن سرق قُطِعَتْ يده، ومَن افترى جَلَدْناه ثمانين جلدة، ومَن زنىٰ وليس له امرأة جلدناه مائة جلدة، وإنْ كانت له امرأة رَجَمْناه حتىٰ يموت. فقال له قارون: وإنْ كنتَ أنت؟ قال: وإنْ كنتُ أنا، فقال: فإن بني إسرائيل يزعمون أنك فَجَرْتَ بفلانة، فقال موسىٰ: أنا؟ قال: نعم، قال: ادْعُها، فإنْ قالت فهو كما قالت.

فدُعِيَتْ، فلما جاءت قال لها موسىٰ: يا فلانة، أنا فعلتُ بكِ ما يقول هؤلاء؟ وعظّم عليها، وسألها بالذي فَلَقَ البحر لبني إسرائيل وأنزل التوراة علىٰ موسىٰ إلاّ صَدَقَتْ. فلما ناشدها موسىٰ، تداركها الله تعالىٰ بالتوفيق وقالت: لأَنْ أُحْدِثَ اليوم توبةً أفضل مِن أنْ أُوذي رسول الله. وقالت: لا واللهِ بل كَذَبوا، ولكنْ جَعَلَ لي قارون جُعْلاً علىٰ أن أَقْذِفَكَ بنفسي.

فلما تكلّمت بهذا الكلام سُقِطَ في يد قارون ونكّس رأسَه، وسكت الملأ، وعرف قارون أنه قد وقع في مَهْلَكَتِهِ، وخرّ موسىٰ ساجداً لله تعالىٰ، وجعل يبكي ويقول: يا رب، إنَّ عدوك هذا آذاني وأراد فضيحتي، اللهم إنْ كنتُ رسولك فاغضب لي وسَلِّطْني عليه. فأوحىٰ الله تعالىٰ إليه: ارفع رأسك، وأْمُرِ الأرضَ بما شئتَ تُطِعْكَ. فقال موسىٰ: يا بني إسرائيل، إن الله قد بعثني إلىٰ قارون كما بعثني إلىٰ فرعون، فمَن كان معه فليلبث مكانه، ومَن كان معي فليعتزل عنه. فاعتزل بنو إسرائيل قارون، ولم يَبْقَ منهم إلاّ رجلان.

ثم قال موسىٰ: يا أرضُ خُذِيهم، فَأَخَذَتْهُم إلىٰ كِعابهم. ثم قال: يا أرضُ خُذِيهم، فَأَخَذَتْهم إلىٰ رُكَبِهم. ثم قال: يا أرضُ خُذيهم، فأخذتهم إلىٰ حُقِيِّهِم. ثم قال: يا أرضُ خُذيهم، فأخذتهم إلىٰ أعناقهم. وقارون وصاحباه في كل ذلك يتضرّعون إلىٰ موسىٰ ويناشدونه، حتىٰ رُوِيَ في بعض الأخبار أنه ناشده سبعين مرة، وموسىٰ في جميع ذلك لا يلتفت إليه لشدة غضبه عليه. ثم قال: يا أرضُ خُذيهم، فَانْطَبَقَتْ عليهم الأرض.

فأوحىٰ الله تعالىٰ إلىٰ موسىٰ: استغاثوا بك سبعين مرة فلم تَرْحَمْهم، أَمَا وعزتي وجلالي لو إياي دَعوا لَوَجَدوني قريباً مجيباً.

قال قتادة: ذُكِرَ لنا أن الله تعالىٰ يخسف بهم في كل يوم قامة، وأنه يَتَجَلْجَل فيها لا يبلغ قُعرها إلىٰ يوم القيامة.

وقال المؤرخون: فلما خسف الله تعالىٰ بقارون وصاحِبَيْه، أصبحت بنو إسرائيل يتناجون فيما بينهم يقولون: إن موسىٰ دعا علىٰ قارون لِيَسْتَبِدّ بداره وكنوزه وأمواله. فدعا موسىٰ حتىٰ خسف اللهُ تعالىٰ بدار قارون وأمواله الأرضَ.

وأوحىٰ الله تعالىٰ إلىٰ موسىٰ: إني لا أُعَبِّد الأرضَ لأحد بعدك أبداً، فذلك قوله تعالىٰ: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾﴾ [القصص].

قال المفسرون: فلما حَلَّتْ نقمة الله تعالىٰ بقارون، حَمِدَ المؤمنون اللهَ تعالىٰ، ونَدِمَ الذين كانوا يَتَمَنَّوْن مالَه وحالَه، كما أخبر الله تعالىٰ عنهم بقوله: ﴿وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ

بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [القصص].

۞ قصة موسىٰ مع الخضر[1] عليهما الصلاة والسلام:

قال تبارك وتعالىٰ في محكم كتابه العزيز: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ

---

(١) لقد اختُلف في اسم الخضر، فذكر ابن منبه أن اسمه إيليا بن ملكان بن فالغ بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام.
وقال أبو إسحاق الثعلبي: اسمه بليا بن ملكان بن فالغ بن عابر بن شالح بن أرفخْشذ بن سام بن نوح عليهما السلام.
وقيل في اسمه غير ذلك.
وروى أحمد والبخاري والترمذي وابن حبان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما سُمِّيَ الخضر لأنه جلس علىٰ فروة بيضاء، فإذا هي تهتز تحته خضراء».
ورُوِيَ عن مجاهد قال: إنما سُمِّيَ الخضر لأنه حيثما صلّىٰ اخضر ما حوله.
قال الثعلبي: وكان الخضر في أيام أَفْرِيدون المَلِك علىٰ قول عامة أهل الكتب الأُوَل.
وقيل: إنه كان في مقدمة ذي القرنين الأكبر الذي كان في أيام إبراهيم عليه السلام، وذلك في أيام مسيره في البلاد، وأنه بلغ مع ذي القرنين نهر الحياة، وشرب من مائه وهو لا يعلم، ولا يعلم ذو القرنين، فَخُلِّدَ وهو حي إلىٰ الآن، والله أعلم.
وإنَّ أباه كان مَلِكاً، وإنَّ أمه كانت بنت فارس واسمها أَلْيَا، وإنها ولدته في مغارة، وإنه وُجِدَ هنالك وشاةٌ تُرْضِعُهُ في كل يوم من غنم رجل من القرية، فأخذه الرجل فربّاه.
فلما شبّ وطلب المَلِكُ أبوه كاتباً، وجمع أهل المعرفة والنبالة ليكتب الصحف التي أُنزلت علىٰ إبراهيم وشيث، كان مِمّنْ أُقدم عليه من الكُتّاب ابنه الخضر وهو لا يعرفه، فلما اسْتَحْسَنَ خَطَّه ومعرفته، وبحث عن جَلِيّة أَمْرِهِ، عرف أنه ابنه فضمّه لنفسه، وولاّه أَمْرَ الناس.
ثم إن الخضر فرّ من المُلْك لأسباب يطول ذِكْرُها إلىٰ أن وجد عين الحياة فشرب منها، فهو حيٌّ إلىٰ أن يخرج الدجال، وإنه الرجل الذي يقتله الدجال ويقطعه، ثم يُحْيِيه الله تعالىٰ. هذا ما ذكره السهيلي باسم الخضر ونسبه وتاريخه.
وقيل: إنه مات كما ورد في ذلك، والمعتمد حياته إلىٰ الآن، بل حتىٰ يلتقي بالدجال. وقد قال بعضهم بنبوة الخضر، وبعضهم قال: إنه عبد صالح. وهناك كلام كثير عن الخضر، مَن أراد فليرجع إلىٰ ما قاله القرطبي في تفسيره الكبير عند ذِكْرِ الخضر من آخر سورة الكهف، والله الموفق للصواب.

ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ
مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ
مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا
تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ
أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ
وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا
نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ ۞ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِى ۖ
قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا
جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ
بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ
وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا
وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ
يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا
كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ ۞ [الكهف].



يروى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: حَدَّثَنا أُبَيٌّ بن كعب عن النبيﷺ قال: «قام موسىٰ النبي خطيباً في بني إسرائيل، فَسُئِلَ: أيّ الناس أَعْلَم؟ فقال: أنا أَعْلَم. فعَتَبَ الله عليه إذْ لم يَرُدَّ العِلْمَ إليه، فأوحىٰ الله إليه: إنَّ عبداً من عبادي بِمَجْمَعِ البحرين هو أعلم منك. قال: يا رب، وكيف به؟ فقيل له: احمل حوتاً في مِكْتَل، فإذا فقدتَه فهو ثَمَّ.

فانطلق وانطلق بفتاه يوشع بن نون، وحمل حوتاً في مِكْتَل، حتىٰ كانا عند الصخرة وضعا رؤوسهما وناما، فانْسَلّ الحوت من المِكْتَل فاتخذ سبيله في البحر سرباً، وكان لموسىٰ وفتاه عَجَباً.

فانطلقا بقية ليلتهما ويومهما، فلما أصبح قال موسىٰ لفتاه: آتِنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً. ولم يجد موسىٰ مَسّاً من النَّصَب حتىٰ جاوز المكان الذي أُمِرَ به، فقال له فتاه: أرأيتَ إذ أوينا إلىٰ الصخرة فإني نسيتُ الحوت؟ قال موسىٰ: ذلك ما كنا نَبْغي، فارتدّا علىٰ آثارهما قَصَصاً.

فلما انتهيا إلىٰ الصخرة إذا رجل مسجىً بثوب - أو قال: تَسَجّىٰ بثوبه -، فسلّم موسىٰ، فقال الخضر: وأنّىٰ بأرضك السلام؟ فقال: أنا موسىٰ، فقال: موسىٰ بني إسرائيل؟ قال: نعم. قال: هل أَتَّبِعُك علىٰ أنْ تُعَلِّمَني مِمّا عُلِّمْتَ رشداً؟ قال: إنك لن تستطيع معي صبراً يا موسىٰ، إني علىٰ عِلْم مِن عِلْم الله عَلَّمَنِيهِ لا تَعْلَمُه أنت، وأنت علىٰ عِلْمٍ عَلَّمَكَه لا أَعْلَمُه. قال: ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمراً.

فانطلقا يمشيان علىٰ ساحل البحر ليس لهما سفينة، فمرّتْ بهما سفينة، فكلّموهم أن يحملوهما، فعُرِفَ الخضر، فحملوهما بغير نَوْل. فجاء عصفور فوقع علىٰ حرف السفينة، فنقر نقرة أو نقرتين في البحر، فقال الخضر: يا موسىٰ، ما نقص عِلْمي وعِلْمُك مِنْ عِلْمِ الله إلاّ كنقرة هذا العصفور في البحر. فعَمَدَ الخضر إلىٰ لوح من ألواح السفينة فنزعه، فقال موسىٰ: قومٌ حملونا بغير نَوْل، عَمَدْتَ إلىٰ سفينتهم فَخَرَقْتَها لِتُغْرِقَ أهلها؟ قال: ألم أَقُلْ إنك لن تستطيع معي صبراً؟ قال: لا تؤاخذني بما نسيتُ.

فكانت الأولىٰ من موسىٰ نسياناً.

فانطلقا، فإذا غلام يلعب مع الغلمان، فأخذ الخضر برأسه من أعلاه، فاقتلع رأسَه بيده، فقال موسىٰ: أقتلتَ نفساً زكيّة بغير نَفْسٍ؟ قال: ألم أَقُلْ لك إنك لن تستطيع معي صبراً؟

قال ابن عيينة: وهذا أَوْكَد.

فانطلقا، حتىٰ إذا أتيا أهل قرية اسْتَطْعَما أهلَها، فأَبَوْا أن يُضَيِّفوهما، فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقضّ فأقامه. قال الخضر بيده فأقامه، فقال له موسىٰ: لو شئتَ لاتّخذتَ عليه أجراً، قال: هذا فراق بيني وبينك.

قال النبي ﷺ: يرحم الله موسىٰ، لَوَدِدْنا لو صبر حتىٰ يقصّ علينا مِن أَمْرِهما»[1].

ومن هنا لِيعلم الإنسان دائماً بأن فوق كُلِّ ذي عِلْمٍ عليم، وبأنْ يتواضع الإنسان لربه إذا كان عالماً.

قال تعالىٰ: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾ [الكهف]، وانظر كم هنالك بحار في هذه الدنيا؟ فلو جُعِلَتْ كل هذه البحار والمحيطات حِبْراً لنفدت وهي تكتب كلمات الله، ثم لو جئنا بأمثالها وأمثالها وبدون حدود لنفدت البحور كلها قبل أن تنفد كلمات الله.

لهذا علىٰ الإنسان المسلم إذا ذُكِرَتْ له مسألة علمية وكان لا يعرف تفسيرها فليقل: الله أعلم.

والإنسان دائماً في كل يوم يتعلّم، فإن سيد المرسلين وخاتمهم وتاجهم ورئيسهم قيل له: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ [طه].

وهو القائل عليه الصلاة والسلام: «إذا أتىٰ عليّ يومٌ لا أزداد فيه عِلْماً يُقَرِّبني إلىٰ الله تعالىٰ، فلا بورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم»[2].

---

(١) رواه البخاري واللفظ له، ومسلم، والترمذي في سننه وحسّنه، وأحمد في مسنده، والنسائي في سننه، وابن حبان في صحيحه، وغيرهم.

(٢) رواه الطبراني في الأوسط، والديلمي في الفردوس، وابن عدي، وأبو نعيم في الحلية، وابن عبد البر في جامع العلم، والخطيب في تاريخه، وآخرون بسند ضعيف عن عائشة مرفوعاً، وأورده الترمذي في النوادر.

وقد عَلِمْنا من قصة موسىٰ والخضر عليهما السلام أنَّ مَلِكاً كان يغتصب كل سفينة تمر في البحر، فنزع الخضر لوحاً من السفينة التي ركباها بالقدّوم كما ورد؛ لِيُظْهِرَها بأنها لا تَصْلُحُ للمَلِك المُغْتَصِب، وهذا ما حصل.

ويروى عن كعب وغيره فيما ذكر الإمام القرطبي في تفسيره عند ذِكْرِ السفينة، بأن هذه السفينة كانت لعشرة إخوة من المساكين وَرِثوها مِن أبيهم: خمسة منهم زُمْنىٰ، وخمسة يعملون في البحر.

وقيل: كانوا سبعة، لكل واحد منهم زمانة ليست بالآخر.

وقد ذكر النقّاش أسماءهم، فأما العُمّال منهم: فأحدهم كان مجذوماً، والثاني أعور، والثالث أعرج، والرابع آدر، والخامس محموماً لا تنقطع عنه الحُمّة الدهرَ كُلَّه وهو أصغرهم. والخمسة الذين لا يُطيقون العمل: أعمىٰ، وأصم، وأخرس، ومُقْعَد، ومجنون.

قال الثعلبي: وكان البحر الذي يعملون فيه ما بين فارس والروم.

ولقد اختلف في اسم هذا المَلِك الآخِذِ لكل سفينة غَصْباً، فذكر البخاري أنه الهُدَد بن بُدَد، وقيل: الجَلَنْديّ.

وأما الغلام كما نص كتاب الله علىٰ ذلك، فقد كان أبواه مؤمِنَيْن، وقد أثبت الخضر عليه السلام لموسىٰ أنه لو كبر لأَرْغَمَ أَبَوَيْه علىٰ الكفر، حيث جاء في صحيح الحديث أنه طُبِعَ يوم طُبِعَ كافراً ولم يكن بالغاً.

قال الإمام مسلم في صحيحه في حديث يرويه عن رسول الله ﷺ في قصة موسىٰ والخضر عليهما السلام، وفي آخر الحديث يقول: وأما الغلام فَطُبِعَ يوم طُبِعَ كافراً[1]، وكان أبواه

---

(١) قال الإمام النووي في شرح هذه العبارة: قال القاضي: وفي هذا حُجّة بَيِّنة لأهل السنة لِصحة مذهبهم في الطَّبْع، والرَّيْن، والأَكِنّة، والأغشية، والحَجْب، والسد.... وأشباه هذه الألفاظ الواردة في الشرع في أفعال الله تعالىٰ بقلوب أهل الكفر والضلال. ومعنىٰ ذلك عندهم: خَلَقَ الله تعالىٰ فيها ضد الإيمان، وضد الهدى. وهذا علىٰ أصل أهل السنة أن العبد لا قدرة له إلاّ ما أراده الله تعالىٰ، ويسّره له، وخَلَقَه له، خلافاً للمعتزلة والقدريّة. والحق الذي لا شكّ فيه أن الله تعالىٰ يفعل ما يشاء من الخير والشر، لا يُسأل عَمّا يفعل وهم يُسْألون. وكما قال الله تعالىٰ في الذرّ: هؤلاء للجنة ولا أُبالي، وهؤلاء للنار ولا أُبالي. فالذين قضىٰ لهم بالنار =

قد عطفا عليه، فلو أنه أَدْرَكَ أَرْهَقَهُما طغياناً وكفراً.

أي حملهما عليه وألحقهما به، والمراد بالطغيان هنا الزيادة في الضلال.

وذكر البخاري أن الغلام المقتول اسمه جَيْسور، وفي رواية غير هذه: حيسور، وفي رواية ثالثة: حيسون.

وقد أبدل الله عزوجل أَبَوَيْه بغلام مؤمن يساعدهما على أمور دينهما.

قال ابن جريج: إن أم الغلام يوم قُتِلَ كانت حاملاً بغلام مسلم، وكان المقتول كافراً.

وعن ابن جبير وابن جريج أنَّ أبوي الغلام أُبْدِلا بجارية.

قال الكلبي: فتزوّجها نبي من الأنبياء، فولدتْ له نبياً، فهدى الله تعالىٰ على يديه أُمّة من الأمم.

وقال قتادة: ولدتْ اثني عشر نبياً.

وقال قتادة أيضاً: فرح به أبواه حين وُلِدَ، وحزنا عليه حين قُتِلَ، ولو بقي كان فيه هلاكهما.

إذاً فالواجب على كل امرئ الرضا بقضاء الله تعالىٰ، فإن قضاء الله للمؤمن فيما يَكْرَهُ خيرٌ له مِن قضائه له فيما يُحِبُّ.

والقصة تدل على أن الله عزوجل قد أباح للخضر الاجتهاد في قَتْلِ النفوس على هذه الحالة.

قال النووي رحمه الله تعالىٰ: وهذا الحديث من دلائل مذهب أهل الحق في أن الله تعالىٰ أعلم بما كان، وبما يكون، وبما لا يكون لو كان كيف كان يكون. ومنه قوله تعالىٰ: ﴿بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنعام]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾﴾ [الأنعام]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾﴾ [الأنعام]، وغير ذلك من الآيات.

طَبَعَ على قلوبهم وختم عليها، وغشّاها وأكنَّها، وجعل مِن بين يديها سداً، ومِن خلفها سداً وحجاباً مستوراً، وجعل في آذانهم وقراً، وفي قلوبهم مرضاً؛ لِتَتِمَّ سابقتُه فيهم، وتمضي كلمته، لا رادّ لِحُكْمه، ولا مُعَقِّب لأمره وقضائه، وبالله التوفيق.

وأما قصة الجدار كما نص كتاب الله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾ [3 : ٨٢]، فثبت هنا بنص القرآن أن هذين الغلامين كانا صغيرين بقرينةِ وَصْفِهما باليُتْم.

أمّا اسمهما، فأحدهما اسمه أصرم، والثاني صريم، ورُوِيَ غير ذلك.

وأما الكنز الذي تحت الجدار الذي ورد بنص الآية: ﴿وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا﴾ [3 : ٨٢]، فقد اختلف العلماء فيه.

قال عكرمة وقتادة: كان مالاً جسيماً، وهو الظاهر من اسم الكنز، إذ هو في اللغة المال المجموع.

وقال ابن عباس: كان عِلْماً من صحف مدفونة.

وهناك رواية أخرى عن ابن عباس أيضاً بأنه كان لوحاً من ذهب، مكتوباً فيه: (بسم الله الرحمن الرحيم، عَجِبْتُ لِمَنْ يؤمن بالقَدَر كيف يحزن، عَجِبْتُ لِمَن يؤمن بالرزق كيف يَتْعَب، عَجِبْتُ لِمَن يؤمن بالموت كيف يَفرح، عَجِبْتُ لِمَن يؤمن بالحساب كيف يَغْفل، عَجِبْتُ لِمَن يعرف الدنيا وتَقَلُّبَها بأهلها كيف يطمئن لها، لا إله إلاّ الله محمد رسول الله)[1].

وأما صلاح أبيهما، قال تعالى: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾ [3 : ٨٢]، فظاهر اللفظ والسياق أنه كان والدَهما المباشر، وهو الأب الأَقْرَب.

وقال جعفر بن محمد: هو الجد السابع، وقيل: العاشر، فحُفِظا فيه.

قال مقاتل: وكان يسمى كاشحاً، واسم الأم دُهنا وقيل: دنيا، ذكره النقّاش.

وفي هذا السياق ما يدل على أن الله تعالى يحفظ الصالح في نفسه وفي ولده وإنْ بَعُد.

وقد رُوِيَ أن الله تعالى يحفظ الصالح في سبعةٍ من ذريته، وعلى هذا يدل قوله تعالى: ﴿إِنَّ وَلِيِّىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾﴾ [الأعراف].

---

(١) وقد روى ذلك كذلك عثمان بن عفان رضي الله عنه عن النبي ﷺ.

فائدة:

قيل: إن الخضر لَمّا ذهب ليفارق موسىٰ، قال له موسىٰ: أَوْصِني، فقال الخضر: كُنْ بَسّاماً ولا تكن ضاحكاً، ودع اللّجاجة، ولا تَمْشِ في غير حاجة، ولا تَعِبْ علىٰ الخطّائين خطاياهم، وابْكِ علىٰ خطيئتك يا ابن عمران.

۞ قصة بقرة بني إسرائيل:

يروى عن ابن عباس رضي الله عنهما مع تهذيب بسيط في قوله أنَّ عبداً صالحاً من بني إسرائيل كان له زوجة وولد، وكان ولده باراً به. وقبل أن يموت أخذ عِجلة عنده، وجعلها في غَيْضة فيها ماء وعشب، وقال: اللهم إني استودعتُ عندك هذه العِجلة لتكون لولدي من بعدي، لا يدنو منها أحد سواه. ومات الإسرائيلي، وكانت العِجلة بعد ذلك متوحشة، لا يستطيع مخلوق من إنس أو جن أن يدنو منها.

وكان الغلام باراً بأمه كثير البرّ ومطيعاً لها، حتىٰ قالوا: إنه كان يقسم ليله ثلاثة أقسام: قسم يتهجد به، وقسم يجلس فيه فوق رأس أمه، والثُّلُث الثالث كان ينام فيه.

فعندما كبر ووصل حد الرجال، طلبت أمه منه أن يأتي بالعِجْلة.

وحكىٰ الكسائي عن وهب بن منبه قال: كان في بني إسرائيل عبد صالح، فمات وترك امرأته حاملاً، فولدتْ غلاماً فسمّته مِيشىٰ، فكَبُر وكان يحتطب من المواضع المباحة، ويُنفق علىٰ نفسه وأُمِّه، وكان كثير العبادة.

فلم يزل كذلك حتىٰ كبر وضعف وعجز عن الاحتطاب، فقالت له أمه: إنَّ أباك وَرَّثَكَ عِجْلة، وذهب بها إلىٰ غَيْضة كذا فاسْتَوْدَعَها اللهَ عزوجل، فانْطَلِقْ إليها وادْعُ إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب أن يَرُدَّها عليك، وإنَّ مِن علامتها أنك إذا نظرتَ إليها يُخَيَّلُ إليك أنَّ شعاع الشمس يَخْرُجُ مِن جِلْدها. وكانت تُسَمّىٰ المُذَهَّبة؛ لِحُسْنها وصُفْرتها وصفاء لونها.

فأتىٰ الفتىٰ إلىٰ الغَيْضة فرآها ترعىٰ، فصاح بها وقال: أَعْزِمُ عليكِ بإله إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب، فأقبلتْ تسعىٰ حتىٰ وقفتْ بين يديه، فقبض علىٰ عنقها

وقادها، فتكلّمتْ بإذن اللهﷻ وقالت: أيها الفتىٰ البارّ بوالدته، اركبني فإنَّ ذلك أَهْوَن عليكَ. فقال: إن أمي لم تأمرني بذلك، ولكنْ قالت: خُذْ بعنقها. فقالت البقرة: وإله بني إسرائيل لو ركبتَني ما كنتَ تَقْدِرُ عليّ أبداً، فانْطَلِقْ فإنك لو أمرتَ الجبل أن ينقطع من أصله وينطلق معك لَفَعَلَ؛ لِبِرِّكَ بوالدتك.

فسار الفتىٰ بها، فاستقبله عدو الله إبليس في صورة راعٍ فقال: أيها الفتىٰ، إني رجل من رعاة البقر اشتقتُ إلىٰ أهلي، فأخذتُ ثوراً من ثيراني فحملتُ عليه زادي ومتاعي، حتىٰ إذا بلغتُ شطر الطريق ذهبتُ لأَقْضِيَ حاجتي، فعدا الثور وسط الجبل وما قدرتُ عليه، وإني أخشىٰ علىٰ نفسي الهَلَكة، فإنْ رأيتَ أن تحملني علىٰ بقرتك. فلم يفعل الفتىٰ وقال له: اذهب فتوكّل علىٰ اللهﷻ، فلو عَلِمَ اللهُ منك الصدق لَبَلَّغَكَ بلا زاد ولا راحلة. فقال له إبليس: إن شئتَ فَبِعْنِيها بحُكْمك، وإنْ شئتَ فاحملني عليها وأُعْطِيك عشراً مِثْلَها. فقال الفتىٰ: إنَّ أمي لم تأمرني بذلك.

فبَيْنا الفتىٰ كذلك إذ طار طائر من بين يديه، فنفرت البقرة هاربة في الفلاة، وغاب الراعي، فدعا الفتىٰ باسم إله إبراهيم، فرجعت إليه وقالت: أيّها الفتىٰ البارّ بوالدته، أَلَمْ ترَ إلىٰ الطائر الذي طار؟ إنه إبليس عدو الله اخْتَلَسَني، أما إنه لو ركبني ما قدرتَ عليّ أبداً، فلمّا دعوتَ بإله إبراهيم جاء مَلَك وانتزعني من يد إبليس ورَدَّني إليك؛ لِبِرِّكَ بأمك وطاعتك لها.

فجاء بها الفتىٰ إلىٰ أمه، فقالت له أمه: إنك فقير لا مال لك، ويشق عليك الاحتطاب بالنهار والقيام بالليل، فانْطَلِقْ فَبِعْ هذه البقرة وخُذْ ثمنها. قال: بِكَمْ أبيعها؟ قالت: بثلاثة دنانير.

فانطلق بها الفتىٰ إلىٰ السوق، فبعث اللهﷻ مَلَكاً لِيَخْبُرَ الفتىٰ كيف بِرّه بوالدته، وكان الله تعالىٰ به خبيراً. فقال له المَلَك: بكم تبيع هذه البقرة؟ قال: بثلاثة دنانير، وأشترط عليك رضا والدتي. فقال له المَلَك: فأنا أُعطيك ستة دنانير ولا تَسْتَأْمِرْ أُمَّكَ، فقال الفتىٰ: لو أعطيتَني وزنها ذهباً لم آخذه إلاّ برضا أمي.

فردّها إلىٰ أمه وأخبرها الخبر، فقالت: ارجع فَبِعْها بستة دنانير علىٰ رضا مني. فانطلق بها إلىٰ السوق، وأتىٰ المَلَكُ فقال: اسْتَأْمَرْتَ والدتك؟ فقال الفتىٰ: إنها أَمَرَتَني ألاّ أَنْقُصها

عن ستة دنانير علىٰ أن أَسْتَأْمِرَها، فقال المَلَك: فإني أُعطيك اثني عشر ديناراً علىٰ ألاّ تَسْتَأْمِرها، فأبىٰ ورجع إلىٰ أمه فَأَخْبَرَها بذلك، فقالت: إن ذلك الرجل الذي يأتيك هو مَلَك من الملائكة يأتيك في صورة آدميّ ليختبرك، فإذا أتاك فقل له: أَتَأْمُرُنا أن نبيع هذه البقرة أم لا؟

ففعل الفتىٰ ذلك، فقال له المَلَك: اذهب إلىٰ أمك فَقُلْ لها: أمسكي هذه البقرة، فإن موسىٰ بن عمران يشتريها منكم لِقتيل يُقتل من بني إسرائيل، فلا تبيعوها إلاّ بملء مِسْكها دنانير.

فأمسكوا البقرة، وقدّر الله علىٰ بني إسرائيل ذَبْحَ تلك البقرة بِعَيْنها؛ مكافأةً له علىٰ بِرِّه بأمه.

وذلك أنه وُجِدَ قتيل في بني إسرائيل اسمه عاميل، ولم يُدْرَ قاتله.

واختلف العلماء في قاتله والسبب في قَتْلِهِ:

فقال عطاء والسدي: كان في بني إسرائيل رجلٌ كثير المال، وله ابن عَمٍّ مسكين لا وارث له غيره، فلما أبطأ عليه موته قتله لِيَرِثَه.

وقال بعضهم: كان تحت عاميل بنت عم له تُضْرَبُ مثلاً في بني إسرائيل بالحُسْن والجمال، فقتله ابن عمها لينكحها.

وقال الكلبي: قتله ابن أخيه لينكح ابنته.

فلما قتله حمله من قريته إلىٰ قرية أخرى وألقاه هناك.

وقيل: ألقاه بين قريتين.

وقال ابن سيرين: قتله القاتل ثم احتمله فوضعه علىٰ باب رجل منهم، ثم أصبح يطلب بثأره ودمه، ويدّعيه عليه.

قال علماء التاريخ: فجاء أولياء القتيل إلىٰ موسىٰ عليه السلام، وأَتَوْه بأُناس وادَّعَوْا عليهم القتل، وسألوه القصاص، فسألهم موسىٰ عن ذلك فجحدوا، واشتبه أمر القتيل علىٰ موسىٰ عليه السلام، ووقع خلاف كبير في هذا الأمر.

قال الكلبي: وذلك قبل نزول القَسامة في التوراة.

فسألوا موسىٰ عليه السلام أن يدعو الله لِيُبَيِّنَ لهم ذلك، فسأل موسىٰ ربَّه عز وجل، فأمرهم بذبح بقرة، فقال لهم موسىٰ ما أخبر الله تعالىٰ به: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [البقرة].

وإن الآية تدل علىٰ أن بني إسرائيل عندما طلب منهم موسىٰ عليه السلام أن يذبحوا بقرة، قالوا له: أتستهزئ بنا حين نسألك عن القتيل، وتأمرنا بذبح البقرة؟

وإنما قالوا ذلك لِتباعد ما بين الأَمْرَيْن في الظاهر، ولم يَبْدُ لهم ما الحكمة في ذلك؟

فردّ عليهم موسىٰ عليه السلام قائلاً: ﴿أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [#]، أي من المستهزئين بالمؤمنين.

فلما عَلِمَ القومُ أن ذبح البقرة عَزْم من الله عز وجل سألوه الوصف.

فذلك قوله تعالىٰ: ﴿قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ ۖ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا ۖ وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا۟ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾﴾

---

(١) قال الكلبي: أي سَلْ لنا ربك يُبَيِّن لنا ما هي؟ وما سِنُّها؟

(٢) يعني الله عز وجل.

(٣) أي لا كبيرة ولا صغيرة.

(٤) أي نصف بين اثنين.

(٥) أي مِنْ ذَبْح البقرة، ولا تُكَرِّروا القول.

(٦) قال ابن عباس رضي الله عنهما: أي شديدة الصفرة. وقال سعيد بن جبير: صفراء القرنَيْن والظِّلْفَيْن.

(٧) أي مُذَلَّلة للعمل.

(٨) أي تُقَلِّبُها للزراعة.

(٩) أي بريئة من العيوب.

(١٠) قال عطاء: لا عيب فيها. وقال قتادة: لا بياض فيها أصلاً. وقال مجاهد: لا بياض فيها ولا سواد.

(١١) أي بالوصف البَيِّن التام.

(١٢) أي من غلاء ثمنها. وقال الكسائي: أي بوفاء المال.

﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا(١) فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا(٢) وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا(٣) كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [البقرة].

قال رسول الله ﷺ: وايْمُ الله لو لم يَسْتَثْنوا لَما بُيِّنَتْ لهم آخِرَ الأَبَد.

قال الكلبي: ولو أنهم عمدوا إلىٰ أدنىٰ بقرة فذبحوها لأَجْزَأَتْ عنهم، ولكنهم شدّدوا علىٰ أنفسهم فشدّد الله تعالىٰ عليهم.

وإنما كان تشديدهم تقديراً من الله تعالىٰ، وكان حكمة لأَمْرٍ يُريده.

فطلبوها فلم يجدوها كما وَصَفَها إلاّ عند الفتىٰ البارّ بوالدته، فاشْتَرَوْها منه بملء مِسْكها ذهباً.

وقال السدي: اشْتَرَوْها بوزنها عشر مرات ذهباً.

وقيل: اشْتَرَوْها بوزنها مرة.

قال الكسائي: إنهم أَتَوْا إلىٰ مِيشىٰ في بيع البقرة، فقال: لا أبيعها إلاّ بحضرة موسىٰ، فرضوا بذلك، وأخرج البقرة إلىٰ موسىٰ، قال: بكم تبيعها؟ قال: المساومة بيني وبينك لا خير فيها، لا أبيعها إلاّ بملء جلدها ذهباً. فقال موسىٰ لبني إسرائيل: ذلك لِتشديدكم علىٰ أنفسكم فشدّد الله عليكم. فضمنوا له ذلك.

قال الله تعالىٰ: ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾.

ثم قال تعالىٰ: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا﴾، ففعلوا ذلك، فقام القتيل بإذن الله عزّ وجلّ وأَوْداجه تشخب دماً، وقال: قتلني فلان، بصوت يسمعه الجميع، ثم مات وسقط مكانه.

---

(١) يعني عاميل القتيل.

(٢) أي اختلفتم، قاله ابن عباس ومجاهد.
وقال الضحاك: اختصمتم.
وقال عبد العزيز بن يحيىٰ: شَكَكْتُم.

(٣) يعني اضربوا القتيل ببعض البقرة، وقد اختلفوا في هذا البعض ما هو؟ فقال ابن عباس: ضربوه بالعظم الذي يلي الغضروف. وقال الضحاك والحسين بن الفضل: بلسانها. وقال سعيد بن جبير: بِعَجْب ذنبها. وقال مجاهد: بذنبها. وقال عكرمة والكلبي: بفخذها الأيمن. وقال السدي: بالبضعة التي بين كتفيها. وقيل: بأُذنها.

قال الله تعالىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾﴾.

قال الكلبي: ثم قالوا بعد ذلك: لم نقتله نحن وأنكروا، فلم يكونوا قط أقسىٰ قلباً ولا أشد تكذيباً منهم لنبيهم عند ذلك.

ولذلك يقول الله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ قَسَتْ(١) قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ(٢) فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً(٣)﴾ [البقرة ٧٤].

ثم عدّد الله تعالىٰ الحجارة وفضّلها علىٰ القلب القاسي وقال: ﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ(٤) وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [البقرة].

هذه هي قصة البقرة التي وقعت في عهد موسىٰ عليه السلام، وهناك روايات كثيرة في هذا المجال، وإنها تدل علىٰ فضل بر الوالدين كما هو معلوم من سياقها، فَلْيُتَنَبَّه لذلك.

۞ ذكر نِعَم الله تعالىٰ علىٰ بني إسرائيل:

لقد أكرم الله تعالىٰ بني إسرائيل علىٰ عالَمِين أهل زمانهم، فعدّد عليهم النِّعَم وأكثرها، وأعطاهم أشياء ما أعطاها لأحد من العالمين.

قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾﴾ [المائدة].

---

(١) قال الكلبي: أي يبست واشتدّت. وقال أبو عبيدة: جفّت من الشدّة فلم تَلِنْ. وقيل: غلظت. وقال الزَّجّاج: تأويل القسوة ذهاب اللِّين والرحمة، والخشوع والخضوع.

(٢) أي من بعد ظهور الدّلالات.

(٣) أي فهي في غِلَظِها وشِدَّتِها كالحجارة بل أشد قسوة.

(٤) أي ينزل من أعلىٰ الجبل إلىٰ أسفله.

وبالمناسبة أقول: يجب على كل واحد من المسلمين أن يذكر نِعَم الله عليه؛ لأن الإنسان إذا جحد بِنعَم الله فإن الله يسلبها منه ولا يعيدها سبحانه. أين كان وكيف كان؟ أي بيوم من الأيام كان فقيراً لا شيء عنده، فأكرمه الله وهداه للدين، وأعطاه المال والزوجة والولد، وأعطاه الحياة الطيبة.

كذلك لا بد لنا من أن نحافظ على النِّعَم، فأنا أعرف أناساً لم يحافظوا وبطروا عندما آتاهم الله النعم، فسلبها منهم.

لهذا قال تعالى في حديث قدسي: «وإن مِن عبادي المؤمنين مَن لا يصلحه إلاّ الفقر، ولو أغنيتُه لأفسده ذلك»[1].

وعندما دخل النبيﷺ على عائشة ورأى كِسْرة ملقاة، فأخذها فمسحها وأكلها، ثم قال: «أَحْسِنوا جِوار نِعَمِ الله لا تنفروها، فقلّما زالت عن قوم فعادت إليهم»[2].

وقال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [إبراهيم ٣٤]، وما أكثر نِعَم الله علينا!

فإذا أردنا أن نُكْثِرَ مِن ذِكْرِ النِّعَمِ كانت عبادة، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾ [الضحى].

فسيدنا موسى من هذا الباب أراد أن يُذَكِّرَ قومه بنِعَمِ الله عليهم، كما كان سيدنا محمدﷺ يُذَكِّر أصحابه بها.

وإليك أذكر بعضها:

قال تعالى: ﴿وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾.

---

(١) رواه الترمذي في النوادر من حديث أنس واللفظ له، وأبو نعيم في الحلية، وابن أبي الدنيا، وخرّجه الطبراني والبزار. وروى بنحوه الخطيب في تاريخه من حديث عمر.

(٢) أخرجه ورواه أصحاب السنن الأربعة والحاكم والبيهقي وأبو يعلى وابن أبي الدنيا والخطيب وغيرهم من حديث أنس وعائشة، وإسناده ضعيف. قال شيخ مشايخنا في كشف الالتباس: وهو حديث وارد على سبب وإن كان ضعيفاً فهو أيضاً ذو نسب، فلا يليق الحكم بعد هذا عليه بالوَضْع. وفيه رَدٌّ على ابن الجوزي حيث عدّه في الموضوعات، وفي رواية لفظه: [أَحْسِني يا عائشة].

قال أبو إسحاق الثعلبي: اختلفوا في معنىٰ الملوك، فروي عن أبي سعيد الخدريﷺ عن رسول اللهﷺ قال: «كانت بنو إسرائيل إذا كان لأحدهم خادم وامرأة ودابة كُتِبَ مَلِكاً»[1].

وقال أبو عبد الرحمن الحُبَلي: «سمعتُ عبدالله بن عمرو بن العاص وسأله رجل فقال: ألسنا من فقراء المهاجرين؟ فقال له عبدالله: ألك امرأة تأوي إليها؟ قال: نعم، قال: ألك مسكن تسكنه؟ قال: نعم، قال: فأنت من الأغنياء. قال: فإن لي خادماً؟ قال: فأنت من الملوك»[2].

وقال ابن عباس في تفسير: ﴿وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾: كان الرجل من بني إسرائيل إذا كانت له الزوجة والخادم والدار يُسَمّىٰ مَلِكاً.

وقال أيضاً: إن الرجل إذا لم يدخل أحدٌ بيتَه إلاّ بإذنه فهو مَلِك.

وقال الضحاك: كانت منازلهم واسعة فيها مياه جارية، فمَن كان مسكنه واسعاً وفيه ماء جارٍ فهو مَلِك.

وقال القرطبي: ﴿وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾، أي تملكون أمركم لا يغلبكم عليه غالب، بعد أن كنتم مملوكين لفرعون مقهورين، فأنقذكم منه بالغرق، فبنو إسرائيل ملوك بهذا الوجه.

وبنحوه فسّر السُّدِّي والحسن البصري وغيرهما.

وقال السدي: مَلَكَ كلُّ واحد منهم نفسَه وأهله وماله.

وقال قتادة: إنما قال: ﴿وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾، لأنّا كنا نتحدّث أنهم أول مَن خُدِمَ من بني آدم.

قال ابن عطية: وهذا ضعيف؛ لأن القبط كانوا يستخدمون بني إسرائيل، وظاهر أَمْر بني آدم أن بعضهم كان يُسَخِّر بعضاً مُذْ تناسلوا وكثروا.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، أي أعطاكم ذلك.

قال القرطبي: والخطاب من موسىٰ لقومه في قول جمهور المفسرين.

---

(١) رواه الديلمي في الفردوس، وذكره ابن كثير في تفسيره عن ابن أبي حاتم عن ابن لهيعة وقال: هذا حديث غريب من هذا الوجه.

(٢) رواه الإمام مسلم في صحيحه.

وقيل: كثرة الأنبياء فيهم، والآيات التي جاءتهم.

وقيل: قلوباً سليمة من الغلّ والغش.

ومعنىٰ: ﴿ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾، أي عالمي زمانكم كما قال القرطبي ذلك عن الحسن البصري.

ثم قال تعالىٰ إخباراً عن موسىٰ عليه السلام: ﴿ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ[1] ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ ﴾ [المائدة].

قال الكسائي: فلما أخبرهم موسىٰ بذلك قالوا: يا موسىٰ، إنك قلتَ لنا حين أَخْرَجْتَنا من مصر: إن الله تعالىٰ بعثك لِتُنْقِذَنا من عذاب فرعون، والآن فإنك تحملنا علىٰ ما هو أشقّ منه، وبيننا وبين الأرض المقدسة المفاوز والقِفار، وكيف ندخلها ولا زاد معنا ولا ماء؟ فأوحىٰ الله تعالىٰ إليه: يا موسىٰ قُلْ لهم: إني مُنَزِّلٌ عليهم المَنَّ[2] والسلوى[3]، وقد أَمَرْتُ الحجر أن يتفجّر لهم بالماء العذب، وأمرتُ الغمام أن يُظِلَّهم ويسير معهم حيث ساروا، وألاّ تنقب خِفافهم ونِعالهم، وأمرتُ ثيابهم أن يلبسها صغيرهم وكبيرهم.

فلما سمعوا بذلك طابت نفوسهم وساروا نحو الأرض المقدسة، والغمام يُظِلّهم في مسيرهم، والسماء تُمطر عليهم بالمَنِّ، والريح بالسلوى، ويجدون كل ما يحتاجون إليه، ويُضيء لهم بالليل عمود من النور، وتهبّ الريح علىٰ السلوى فَتَمْعَط ريشها، فيطبخونها بغير تعب، ويقرع موسىٰ عليه السلام الحجر فَتَتَفَجَّر لهم اثنتا عشرة عيناً، تجري كل عين إلىٰ سِبْط من الأسباط، وثيابهم جُدُدٌ بيض لا تَخْلق، وهم في خفض ودَعَة.

---

(١) قال الثعلبي: واختلفوا في الأرض المقدسة ما هي؟ فقال مجاهد: هي الطور وما حوله. وقال الضحاك: هي إيلياء وبيت المقدس. وقال عكرمة والسُّدِّيّ وابن زيد: هي أريحا. وقال الكلبي: هي دمشق وفلسطين وبعض الأردن. وقال قتادة: الشام كله.

(٢) ولقد اختلفوا في المَنِّ، فقال مجاهد: هو شيء كالصمغ يقع علىٰ الأشجار، وطعمه كالشُّهْد. وقال وهب بن منبه: هو الخبز الرقاق. وقال السدي: هو عسل كان يقع في السَّحَر من الليل فيأكلون منه. وقال عكرمة: أنزل الله عز وجل عليهم مثل الزيت الغليظ. وقال الزَّجّاج: جملة المَنِّ ما يَمُنُّ الله عز وجل به مِمّا لا تعب فيه ولا نصب.

(٣) ولقد اختلف العلماء في السلوى، فقال ابن عباس وأكثر المفسرين: هو طائر يشبه السُّمانَىٰ. وقال أبو عالية ومقاتل: بعث الله عز وجل السحابة فمطرت السُّمانَىٰ.

وقال أبو إسحاق الثعلبي: كان ما أنعم الله تعالىٰ به عليهم أنهم قالوا لموسىٰ في التيه: أَهْلَكْتَنا وأَخْرَجْتَنا من العمران إلىٰ مفاوزَ لا ظل فيها. فأنزل الله تعالىٰ عليهم غمامة بيضاء رقيقة ليست بغمام المطر، أرقّ وأطيب وأبرد، فأظلّتهم، وكانت تسير معهم إذا ساروا، وتدور عليهم مِن فوقهم إذا داروا.

وجعل لهم عموداً من نور يُضيء لهم بالليل إذا لم يكن ضوء القمر.

فقالوا: هذا الظل والنور قد حَصَلا، فأين الطعام؟ فأنزل الله عليهم المَنَّ. فكان ينزل عليهم كل ليلة ويقع علىٰ أشجارهم.

فقالوا: يا موسىٰ قَتَلْتَنا، هذا المَنّ بحلاوته، فادع لنا ربك أن يُطْعِمَنا اللحم. فدعا موسىٰ، فأنزل الله عليهم السّلوى.

فذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [البقرة].

فكان كل واحد منهم يأخذ ما يكفيه يوماً وليلة من المَنّ والسّلوى، فإذا كان يوم الجمعة أخذوا ما يكفيهم عن يومين؛ لأنه لم يكن ينزل عليهم يوم السبت.

فهم مُنِعوا مِن أن يَدَّخِروا، ولكنهم ادَّخروا، فأظهر الله فيهم الفساد في الطعام، حيث ما زاد أَنْتَنَ وخرجت رائحته، وقبل ذلك كان لا يظهر ريح مُتَغَيِّرٌ للطعام أبداً.

يروى عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لولا بنو إسرائيل لم يخبث الطعام ولم يخنز اللحم، ولولا حواء لم تخن أنثىٰ زوجها الدهر»[1].

ثم قالوا: يا موسىٰ، من أين لنا الشراب؟ فاستسقىٰ لهم، فأمره الله أن يضرب الحجر، فكان يضرب أيَّ حجر يراه فَتَتَفَجَّر منه اثنتا عشرة عيناً، يشرب منها ستمائة ألف سوى الخيول والدواب.

وقيل: يضرب الحجر الذي فرّ بثوبه، حيث كان يحمله معه. فيضربه صباحاً، فتسيل الأنهار إلىٰ المساء، وفي المساء يأخذه ويضعه في خرجه فيتوقف.

---

(١) رواه أحمد والشيخان والحاكم وصحّحه وابن حبان وغيرهم، واللفظ لمسلم.

قال تعالىٰ: ﴿ ۞ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [البقرة].

فقالت بنو إسرائيل: لو فُقِدَت العصا هذه من أين سنأتي بالماء؟ فقال رب العزة: يا موسىٰ، لا تضربنّ الحجر بعصاك، بل قُلْ له بلسانك. فقال له بلسانه، فجَرَت العيون منه.



صورة لما يُعرف بعين موسىٰ في وادي موسىٰ بالأردن، ويقال إنها نبعت من ضرب الحجر والله أعلم.

ثم قالوا: ولُبْسنا من أين سنأتي به؟ قال لهم: ثيابكم تبقىٰ عليكم لا تبلىٰ أبداً، حتىٰ إنها تزيد علىٰ الأيام ومرورها جُدّة وطراوة، وتنمو علىٰ الصبيان إذا كبروا.

قالوا: ونعالنا؟ قال: ونعالكم لا تُنْقَر ولا تبلو أبداً، في كل يوم تَتَجَدَّد، والصغير يكبر ويكبر نَعْلُه معه.

ففي كل يوم كانوا يُظهرون أمراً من الأمور، وموسىٰ عليه السلام لا يجعل لهم عقبة، فيتوجه إلىٰ الله حالاً ويحلها لهم.

ثم قال تعالىٰ في محكم كتابه العزيز: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا[1] وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا[2] فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [البقرة].

۞ موسىٰ عليه السلام يختار من قومه نُقَباءَ عند مسير بني إسرائيل إلىٰ أريحا، وقصة عُوج بن عُوق[3] والتيه في صحراء سيناء:

قال الله تعالى: ﴿ ۞ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٢﴾ ﴾ [المائدة].

قال الثعلبي: وذلك أن الله تعالىٰ وعد موسىٰ عليه السلام أن يُوَرِّثه الأرض المقدسة والشام، وكان يسكنها الكنعانيون الجبّارون. ووعدهم أن يُهْلِكَهم، ويجعل أرض الشام مسكن بني إسرائيل. فلما اسْتَقَرّتْ ببني إسرائيل الدار بمصر، أمرهم الله تعالىٰ بالمسير إلىٰ أريحا.

---

(١) قال النويري في تاريخه: واختُلف في الفُوم ما هو؟ فقال ابن عباس: هو الخبز، تقول العرب: فُوموا لنا أي اختبزوا. وقال عطاء وأبو مالك: هو الحنطة، وهي لغة قديمة. وقال العُتْبي: هو الحبوب كلها. وقال الكلبي والنضر بن شُمَيْل والكسائي: هو الثوم المعروف.

(٢) قال العلماء: من الأمصار؛ ولذلك نَوَّنه. ولو أراد مصر بِعَيْنها لقال: مصرَ ولم يصرفه. وقال الضحاك: هي مصر فرعون، وإن اليهود يزعمون أن موسىٰ عليه السلام وبني إسرائيل حُرِّمَ عليهم بنص التوراة الدخولُ إلىٰ مصر حين خرجوا منها، والله أعلم.

(٣) وقيل في اسمه: عَوْج بن عَنْق، وقيل: عُوَيْج.

وقيل: إن الله تعالىٰ لَمّا أغرق فرعون وقومه، ونجا موسىٰ وبنو إسرائيل من الغرق، أمرهم الله تعالىٰ بالمسير إلىٰ أريحا وأرض الشام، وقال تعالىٰ: يا موسىٰ، إني كتبتُها لكم داراً وقراراً، فاخرج إليها وجاهد مَن فيها مِن العدو، فإني ناصركم عليهم. وخُذْ من قومك اثني عشر نقيباً، أي مِن كل سبط نقيباً يكون كفيلاً علىٰ قومه بالوفاء منهم علىٰ ما أُمِرُوا به.

قال الثعلبي: وهذه أسماؤهم:

١- من سِبْط روبيل: شامل بن زكور.

٢- من سبط شمعون: سافاط بن حرى.

٣- من سبط يهوذا: كالب بن يوقنا.

٤- من سبط آبين: حامل بن بكر بن سورا.

٥- من سبط يوسف وهو سبط إفرايم بن يوسف: يوشع بن نون.

٦- من سبط بنيامين: قلطم بن رقوق.

٧- من سبط زبولون: خدى بن سورى.

٨- من سبط يوسف وهو سبط منشىٰ بن يوسف: جديّ بن سوشىٰ.

٩- من سبط أشير: شيانون بن ملكيل.

١٠- من سبط نفتالي: حنّا بن وقشىٰ.

١١- من سبط دان: جملائيل بن حمل.

١٢- من سبط لاوى: حولىٰ بن مليكا.

قال الثعلبي: فسار موسىٰ ببني إسرائيل، حتىٰ إذا دَنَوْا من أرض كنعان وهي أريحا، بعث هؤلاء النقباء إليها يتجسّسون له الأخبار، ويعلمون عِلْمها. فلقيهم رجل من الجبّارين يقال له: عُوج بن عُوق، وكان طوله ثلاثة آلاف وعشرين ألف ذراع وثلاثمائة ذراع وثلاثاً وثلاثين ذراعاً.

قال ابن عمر رضي الله عنهما: وكان عُوج يحتجز بالسحاب ويشرب منه، ويتناول الحوت من قرار البحر فيشويه بعين الشمس، يرفعه إليها ثم يأكله.

ويروى أنه أتىٰ نوحاً عليه السلام يوم الطوفان فقال له: احملني معك في السفينة، فقال له: اذهب يا عدو الله فإني لم أُومَرْ بك. وطَبَّق الماءُ ما علىٰ وجه الأرض من سهل وجبل، فما جاوز ركبتي عُوج.

ورأيتُ بعض المؤرخين يقولون بأن أمه كانت من بنات آدم مباشرة، وهي أول من بغىٰ علىٰ ظهر الأرض.

وقد عاش عُوج ثلاثة آلاف سنة حتىٰ أهلكه الله علىٰ يد موسىٰ عليه السلام.

فموضوع عُوج بن عُوق ذكره المؤرخون: الطبري، وابن كثير، والنويري، والقرطبي في تفسيره.... وعدد كبير من علمائنا. هكذا قالوا عنه، وهل هناك مبالغة بالقصة؟! فالله أعلم.

وفي رواية ذكرها النويري في نهاية الأرب يقول: فلما لقي عُوج النقباءَ وعلىٰ رأسه حزمة حطب، أخذهم وجعلهم في حزمته، وانطلق بهم إلىٰ امرأته وقال: انظري إلىٰ هؤلاء الذين يريدون قتالنا، فطرحهم بين يديها وقال: ألا أطحنهم برجلي؟ قالت امرأته: لا، بل خَلِّ عنهم حتىٰ يُخْبِروا قومَهم بما رَأَوْا. ففعل، وجعلوا يتعرّفون أحوالهم.

فلما خرج النقباء، قال بعضهم لبعض: يا قوم، إنكم إنْ أخبرتم بني إسرائيل خَبَرَ القوم ارتدّوا علىٰ نبي الله، ولكن اكتموا وأَخْبِروا موسىٰ وهارون فيَرَيان رأيَهما. فأخذ بعضهم علىٰ بعض الميثاق بذلك، ثم انصرفوا إلىٰ موسىٰ عليه السلام، وجاءوا بحبة من عنبهم وِقْر رجل.

قال النويري نقلاً عن بعض العلماء: وكان لا يحمل عنقود عنبهم إلاّ خمسة أنفس بينهم في خَيْشة، ويدخل في قشر شطر الرمانة إذا نُزِعَ حبها خمسة أنفس[1].

ثم إنهم نكثوا العهد، وجعل كل واحد منهم ينهىٰ سِبْطَه عن قتالهم، ويخبرهم بما رأى، إلاّ يوشع وكالب فحافظا علىٰ العهد. فلما سمع القوم ذلك من النقباء، رفعوا أصواتهم بالبكاء وقالوا: يا ليتنا مِتْنا في أرض مصر، وليتنا نموت في هذه البَرِّية ولا يُدْخِلُنا اللهُ أرضَهم، فتكون نساؤنا وأولادنا وأموالنا غنيمة لهم. وجعل الرجل يقول لأصحابه: تعالوا نجعل علينا رأساً وننصرف إلىٰ مصر.

---

(١) هنا الكلام يدل علىٰ أن الله عز وجل قد أعطاهم نِعَماً كثيرة وثماراً أكثر من أن تُوصف.

فذلك قوله تعالىٰ إخباراً عنهم: ﴿ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [المائدة].

فلما قالوا ذلك وهمّوا بالانصراف إلىٰ مصر، خرّ موسىٰ وهارون عليهما السلام سُجَّداً، وخرّق يوشع وكالب ثيابهما، وهما اللذان أخبر الله تعالىٰ عنهما بقوله: ﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [المائدة]؛ أي لأن الله تعالىٰ مُنْجِزٌ وعده الذي وعده لموسىٰ بالنصر والغلبة، وإنّا أتيناهم فكانت أجسامهم عظيمة قوية، ورأينا قلوبَهم ضعيفة فلا تَخْشَوْهم، وعلىٰ الله فتوكّلوا إنْ كنتم مؤمنين. فأراد بنو إسرائيل أن يرجموهما بالحجارة وقالوا: ﴿ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [المائدة]. فلما قالوا ذلك غضب موسىٰ وقال: ﴿ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى ۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [المائدة].

وذكّرهم موسىٰ بالنِّعَمِ التي أَنْعَمَ الله بها عليهم، والتي مرّ ذِكْرُ بعضها.

قال المفسرون: وكانت عجلة عَجِلها موسىٰ عليه السلام، فظهر الغمام علىٰ قبة الزمان، وأوحىٰ الله تعالىٰ إلىٰ موسىٰ: إلىٰ متىٰ يعصيني هذا الشعب؟ وإلىٰ متىٰ لا يُصَدِّقون بالآيات؟ لأَقْتُلَنَّهُمْ جميعاً، ولأجْعَلَنَّ بدلهم شعباً أشد وأكثر منهم. قال موسىٰ: إلهي لو أنك قتلتَ هذا الشعب كله كرجل واحد قالت الأمم الذين سمعوا: إنما قَتَلَ هذا الشعبَ مِن أَجْل أنه لم يستطع أنْ يُدْخِلَهم الأرض المقدسة، فَقَتَلَهم في البَرِّية. وإنك طويلٌ صبرك، كثيرةٌ نِعَمُكَ، وأنت تغفر الذنوب، وتحفظ الآباء علىٰ الأبناء وأبناءِ الأبناء، فاغفر لهم ولا تُوبِقْهُم. فقال الله تعالىٰ: قد غفرتُ لهم بكلمتك، ولكنْ بعد ما سَمَّيْتَهم فاسقين ودَعَوْتَ عليهم، لأُحَرِّمَنَّ عليهم دخول الأرض المقدسة غيرَ عَبْدَيَّ يوشع وكالب، ولأُتِيهَنَّهم في هذه البَرِّية أربعين سنة، ولَتُلْقَيَنَّ جِيَفُهم في هذه القِفار، وأما بَنُوهم الذين لم يعلموا الخير والشر فإنهم يدخلون الأرض المقدسة.

فذلك قوله تعالىٰ: ﴿ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۗ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [المائدة].

وكانت البقعة التي هم عليها لا تتجاوز الستة فراسخ، يسيرون كل يوم جادّين، حتىٰ إذا سئموا وأَمْسَوْا فإذا هم في الموضع الذي ارتحلوا منه، وكانوا ستمائة ألف مقاتل.

ثم مات في التيه النقباء العشرة الذين أَفْشوا الخبر بغتة، وكُلُّ مَن دخل التيه مِمَّنْ جاوز عشرين سنة، غير يوشع وكالب. ولم يدخل أريحا أحد مِمَّنْ قال: ﴿إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا﴾ [المائدة ٢٤].

فلما هلكوا وانقضت أربعون سنة وهم في التيه، ونشأت النَّواشئ من ذَرارِيِّهم، ساروا إلىٰ حرب الجبّارين، فذلك قوله تعالىٰ: ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾ [&].

وأما عُوج بن عُوق فقد قتله الله ﷻ علىٰ يد موسىٰ عليه السلام.

قال الثعلبي: وكان لموسىٰ عسكر مساحته فرسخ في فرسخ، فجاء عُوج حتىٰ نظر إليهم، ثم جاء إلىٰ الجبل وقَوَّرَ منه صخرة علىٰ قدر العسكر، ثم حملها لِيُطْبِقَها علىٰ العسكر، فبعث الله عليه الهدهد ومعه الطيور، وجعلت تنقر بمناقيرها حتىٰ قَوَّرَتِ الصخرة، وانثقبتْ حتىٰ وقعت في عنق عُوج، فطَوَّقَتْه وصرعته. فأقبل موسىٰ عليه السلام وطوله عشرة أذرع، وطول عصاه عشرة أذرع، ونَزَا في السماء عشرة أذرع، فما أصاب إلىٰ كعبه وهو مصروع بالأرض، فقتله.

۞ مسير موسىٰ عليه السلام مع الخلف الجديد من بني إسرائيل لحرب الجبّارين وقصة بلعم بن باعورا:

قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ[1] فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا[2] وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ[3]

---

(١) لقد اختلف المفسرون في هذه القرية. قال ابن عباس: هي أريحا، وهي قرية الجبّارين، وقد كان فيها بقية من عاد يقال لهم: العمالقة. وقيل: هي البلقاء التي هي الأردن. وقال ابن كيسان: هي الشام. وقال الضحاك: هي الرملة والأردن وفلسطين وتدمر. وقال مجاهد: هي بيت المقدس. وقال مقاتل: هي إيلياء.

(٢) أي مُوَسَّعاً عليكم.

(٣) هو باب من أبواب القرية، وكان لها سبعة أبواب. وقال مجاهد: هو باب بيت المقدس، ويُعرف إلىٰ اليوم بباب حِطّة. وقال أيضاً: إنه باب في الجبل الذي كلّم الله تعالىٰ عليه موسىٰ. وقيل: هو باب القُبّة التي كان موسىٰ يصلي إليها.

سُجَّدًا[١] وَقُولُوا حِطَّةٌ[٢] نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَيَـٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ[٣] فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ[٤] ﴿٥٩﴾ ﴾ [البقرة].

قال الكسائي: وغلب موسىٰ علىٰ مدينة أريحا، وهرب مَن كان بها من الجبّارين.

وقيل: إنما دخل موسىٰ أرض كنعان، وإن مدينة أريحا فتحها يوشع بن نون بعد وفاة موسىٰ عليه السلام علىٰ ما سنذكر إن شاء الله تعالىٰ.

وفي رواية النويري في تاريخه: قال بعض المؤرخين: ولَمّا دخل موسىٰ ببني إسرائيل أرض كنعان، سار منها يريد مدينة بلقاء[٥] (الأردن).

وكان بها بلعم بن باعورا، وهو الذي أنزل الله تعالىٰ فيه قوله: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَـٰهُ ءَايَـٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَـٰهُ بِهَا وَلَـٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَث أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ ﴾ [الأعراف][٦].

---

(١) أي مُنْحَنِين متواضعين لله. قال وهب بن منبه: قيل لهم: ادخلوا الباب، فإذا دخلتموه فاسجدوا شكراً لله عز وجل. وذلك أن موسىٰ عليه السلام لَمّا انقضت مدة التِّيه سار بالأبناء إلىٰ القرية ودخلها، ودخل المؤمنون سُجَّداً كما أمرهم الله تعالىٰ.

(٢) قال قتادة: أي حُطَّتْ عنا خطايانا، أُمروا بالاستغفار والندم لِما مضىٰ من أعمالهم. وقال ابن عباس: يعني لا إله إلا الله؛ لأنها تحط الذنوب.

(٣) قال مجاهد: طُؤْطِئَ لهم الباب ليخفضوا رؤوسهم، فلم يخفضوا ولم يركعوا ولم يسجدوا، ودخلوا يزحفون علىٰ أَسْتاهِهِم، وقالوا قولاً غير الذي قيل لهم. وذلك أنهم أُمروا أن يقولوا: حِطّة، فقالوا هَطا سَمْعاثا - يعنون بذلك الحنطة السمراء؛ استخفافاً بأمر الله تبارك وتعالىٰ.

(٤) وذلك أن الله تعالىٰ أرسل عليهم ظُلْمة وطاعوناً، فهلك منهم في ساعة واحدة سبعون ألفاً.

(٥) قال مقاتل: سُمِّيَت بلقاء لأن مَلِكها كان يقال له: بالق.

(٦) وقيل: نزلت الآيات هذه في غيره، والله أعلم.

- قال عبدالله بن عمرو بن العاص وسعيد بن المسيب: نزلت هذه الآية في أمية بن أبي الصلت، وكانت قصته أنه كان في ابتداء أمره قد قرأ الكتب، وعَلِمَ أن الله عز وجل مُرْسِلٌ رسولاً في ذلك الوقت، ورجا أن يكون هو ذاك الرسول. فلما أرسل الله تعالىٰ محمداً ﷺ حسده. وكان قد قصد بعضَ الملوك، فلما رجع مرّ بقَتْلىٰ بدر، فسأل عنهم فقيل: قَتَلَهم محمد، فقال: لو كان نبياً ما قتل أقرباءه. فلما مات، أَتَتْ أختُه فارعة رسولَ الله ﷺ، فسألها رسولُ الله ﷺ عن وفاة أخيها فقالت: بَيْنا هو راقدٌ، أتاه اثنان فكشفا سقف البيت ونزلا، فقعد =

أحدهما عند رجليه، والآخر عند رأسه. فقال الذي عند رجليه لِلَّذي عند رأسه: أَوَعَىٰ؟ قال: وَعَىٰ، قال: أَزَكَا؟ قال: أَبَىٰ. فسألتُه عن ذلك فقال: خيرٌ أُرِيد بي فَصُرِفَ عني، ثم غُشِيَ عليه. فلما أفاق قال:

كُلُّ عيشٍ وإنْ تَطاوَلَ دهرا ... صائرٌ أَمْرُهُ إلىٰ أن يزولا

ليتني كنتُ قَبْل ما قد بَدا لي ... في قلال الجبال أَرْعىٰ الوُعولا

إنَّ يومَ الحساب يومٌ عظيمٌ ... شابَ فيه الصغير يوماً ثقيلا

ثم قال لها رسول الله ﷺ: أَنْشِدِيني مِن شعر أخيكِ، فَأَنْشَدَتْهُ:

لكَ الحمدُ والنَّعْماء والفضل رَبَّنا ... ولا شيء أعلىٰ منكَ جَدّاً وأَمْجَدُ

مليكٌ علىٰ عرش السماء مُهَيْمِنٌ ... لِعِزَّتِه تَعْلو الوجوه وتسجدُ

وهي قصيدة طويلة حتىٰ أَتَتْ آخرها، وأَنْشَدَتْه قصيدته التي يقول فيها:

يوقَفُ الناس للحساب جميعاً ... فشَقِيٌّ مُعَذَّبٌ وسعيدُ

ثم أنشدته قصيدته التي يقول فيها:

عند ذي العرش تُعْرَضون عليه ... يَعْلَمُ الجَهْرَ والسِّرارَ الخَفِيّا

يومَ نأتي الرحمنَ وهو رحيمٌ ... إنه كان وعدُه مَأْتِيّا

يومَ آتيهِ مِثْلَ ما قال فَرْداً ... ثم لا أَدْرِ راشداً أم غَوِيّا

أَسَعِيداً إِسْعادَهُ أنا أرجو ... أو مُهاناً بما اكْتَسَبْتُ شَقِيّا

إنْ أُؤاخَذْ بما اجْتَرَمْتُ فإني ... سوف أَلْقىٰ مِن العذاب فَرِيّا

رَبِّ إنْ تَعْفُ فالمعافاة ظنّي ... أو تُعاقبْ فلم تُعاقب بَرِيّا

فقال رسول الله ﷺ: آمَنَ شِعْرُهُ وكفر قلبُه، وأنزل الله تعالىٰ فيه الآيات.

- ومنهم مَن قال: إن الآيات نزلتْ في البَسوس، وكان رجلاً أُعْطِيَ ثلاث دعوات مستجابة، وكانت له امرأة، وكان له منها ولد، فقالت: اجعل لي منها دعوة واحدة، فقال: لكِ فيها دعوة، فما تُرِيدين؟ قالت: ادْعُ اللهَ أن يجعلني أجمل امرأة في بني إسرائيل. فدعا لها، فصارت أجمل امرأة في بني إسرائيل. فلما عَلِمَتْ أنه ليس فيهم مِثْلُها رَغِبَتْ عنه، فغضب ودعا عليها، فصارت كلبة نبّاحة. فجاء بنوها وقالوا: ليس لنا علىٰ هذا قرار، قد صارت أُمُّنا كلبة نبّاحة، والناس يُعَيِّرونا بها، فادْعُ اللهَ أن يَرُدَّها إلىٰ الحال التي كانت عليها. فدعا اللهَ تعالىٰ، فعادتْ كما كانت، فذهبتْ فيها الدعوات الثلاث.

وقال أبو سعيد: نزلتْ في أبي عامر بن نعمان بن صيفيّ الراهب، الذي سمّاه رسول الله ﷺ الفاسق، وكان قد ترهّب في الجاهلية ولبس المُسوح، وقَدِمَ المدينة فقال للنبي ﷺ: ما هذا الذي جئتَ به؟ فقال: جئتُ بالحنيفيّة دين إبراهيم، قال: فأنا عليها، فقال له النبي ﷺ: لستَ عليها، ولكنّك أَدْخَلْتَ فيها ما ليس منها. =

قال الثعلبي: قال أكثر المفسرين: هو بلعام بن باعورا بن أَيْدن بن مأرب بن لوط، وكان من الكنعانيين.

وقال ابن عباس: هو من بني إسرائيل.

وقال مقاتل: هو من مدينة بلقاء.

قال الكسائي: فلما أقبل موسىٰ ببني إسرائيل إلىٰ مدينة بلقاء، كان أهلها يعبدون الأصنام. فلما بَلَغَ المَلِكَ مسيرُ موسىٰ عليه السلام إليه، استشار أكابر دولته فقالوا له: إن فرعون لم يُطِقْه مع كثرة جنوده، فأنت أَوْلىٰ ألاّ تُطِيقَه، غير أنَّ ها هنا رجلاً يُعرف ببلعام مجابَ الدعوة، الْتَمِسْ منه أن يَدْعُوَ عليهم؛ لِيَكْفِيَك ربُّك أَمْرَ موسىٰ.

فبعث المَلِكُ إليه وأحضره، وتحدّث معه في أَمْر موسىٰ، فقال: حتىٰ أستأذن ربي. ودخل بلعام مُصَلاّه واستأذن في الخروج، فأوحىٰ الله إليه: إنَّ هذا العسكر هم بنو إسرائيل وعليهم موسىٰ رسولي، فلا تخرج إليهم. فقال بلعام لرسل الملك: إن ربي قد منعني من ذلك.

فانصرفوا وعرّفوا الملك، وكان لبلعام امرأة، فأهدى لها الملك هدية نفيسة، وسألها أن تُكَلِّمَ زوجها في التَّوَجُّه مع المَلِك، فسألته فقال: قد استأذنتُ ربي فنهاني، فلم تزل به حتىٰ استأذن الله ثانياً، فأوحىٰ إليه: إني نَهَيْتُك عن ذلك، والآن قد جَعَلْتُ الأمرَ إليك. فطابتْ نفسه بالخروج مع المَلِك.

وقال الثعلبي في تفسيره، وعزاه إلىٰ ابن عباس وابن إسحاق والسُّدِّيّ وغيرهم: إنّ موسىٰ عليه السلام لَمّا قصد حرب الجبّارين، ونزل أرض كنعان من أرض الشام، أتىٰ القومُ بلعام وكان عنده اسم الله الأعظم، فقالوا: إن موسىٰ رجلٌ حَديدٌ ومعه جنود كثيرة، وإنه قد جاء يُخْرِجُنا من بلادنا ويقتلنا، ويُحِلُّها بني إسرائيل، وإنّا قومك وبنو عمك، وليس لنا مَنْزِلٌ، وأنت رجل مُجاب الدعوة، فاخرج وادْعُ الله أن يَرُدَّ عنا موسىٰ وقومَه. فقال: ويلكم هو نبي الله ومعه الملائكة والمؤمنون، كيف أدعو عليهم وأنا أَعْلَمُ مِنَ الله ما أَعْلَم، وإني إنْ فعلتُ ذلك ذهبتْ دنياي وآخرتي؟ فراجعوه في ذلك فقال: حتىٰ أُؤامِرَ ربي،

ثم خرج إلىٰ كفار قريش، وسيرته معروفة حتىٰ أمر النبيُّ ﷺ بإحراق المسجد الذي بناه؛ لأنه وصفه بمسجد الضِّرار، وسيأتي معنا إن شاء الله تعالىٰ خبره في سيرة سيدنا محمد ﷺ (في الجزء الخامس من الكتاب).

وكان لا يدعو حتىٰ ينظر ما يؤمر به في المنام.

فَأَمَرَ في الدعاء عليهم، فقيل له في المنام: لا تدعو عليهم، فقال لقومه: إني قد نُـهِيتُ عن الدعاء عليهم. فـأَهْدَوْا إليه هدية فقَبِلَها، ثم راجعوه في الدعاء عليهم فقال: حتىٰ أُؤامِرَ، فآمَرَ فلم يَرَ شيئاً، فقال: قد آمرتُ فلم أجد شيئاً، فقالوا: لو كَرِهَ رَبُّك أن تدعو عليهم لَنَهاك كما نَهاك في المرة الأولىٰ.

وفي بعض الروايات أنهم أرسلوا له عدداً من أجمل بناتهم وأَغْروه.

قال الثعلبي: فلم يزالوا به يُرَقِّقونه ويتضرّعون إليه حتىٰ فتنوه فافتتن، فركب أتاناً له مُتَوَجِّهاً إلىٰ جبل يُطْلِعُه علىٰ عسكر بني إسرائيل يقال له: حَبّان.

فلما سار عليها غير كثير رَبَضَتْ، فنزل عنها فضربها، حتىٰ إذا آلمها قامت فركبها، فلم تَسِرْ به كثيراً حتىٰ رَبَضَتْ، فنزل عنها وضربها، حتىٰ إذا آلمها أُذِنَ لها بالكلام، فَتَكَلَّمَتْ حُجّة عليه فقالت: ويحك يا بلعام، أين تذهب؟ ألا ترى الملائكة أمامي يَرُدُّونني عن وجهي هذا؟ تذهب إلىٰ نبي الله والمؤمنين تدعو عليهم؟ فلم ينزع عنها، فخلّىٰ الله سبيلها.

فانطلقتْ حتىٰ إذا أشرفتْ به علىٰ جبل حَبّان جعل يدعو عليهم، فلا يدعو بِشَرٍّ إلاّ صُرِفَ به لسانه إلىٰ قومه، ولا يدعو لقومه بخير إلاّ صُرِفَ به لسانه إلىٰ بني إسرائيل، فقال قومه: يا بلعام، أتدري ما تصنع؟ إنما تدعو لهم وتدعو علينا. قال: فهذا ما لا أملك، وانْدَلَعَ لسانه فوقع علىٰ صدره، فقال لهم: قد ذَهَبَتْ مني الآن الدنيا والآخرة، ولم يَبْقَ إلاّ المكر والحيلة، فَسَأَمْكُرُ لكم وأَحْتال، جَمِّلوا النساء وزَيِّنوهُنَّ وأعطوهنّ السِّلَعَ، ثم أَرْسِلوهنَّ إلىٰ العسكر يَبِعْنَها فيه، ومُروهُنَّ فلا تمنع امرأةٌ نَفْسَها مِن رجل أرادها، فإنهم إنْ زنىٰ منهم رجل واحد كُفِيتُمُوهم.

ففعلوا، فلما دخل النساءُ العسكر، مرّت امرأة من الكنعانيين اسمها كُسْتا[1] بنت صَعور برجل من عظماء بني إسرائيل يقال له: زمزى بن شالوم، هو رأس سِبْط شمعون بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم الصلاة والسلام. فقام إليها فأخذ بيدها

---

(١) ضبطنا هذا الاسم من تاريخ العَيْني.

حين أعجبه جمالها، ثم أقبل حتىٰ وقف علىٰ موسىٰ فقال له: إني أظنك ستقول: هذا حرام عليك؟ قال موسىٰ: أجل، هي حرام عليك لا تَقْرَبْها. قال: فوالله لا نطيعك في هذا، ثم دخل بها قبته فوقع عليها، فأرسل الله تعالىٰ الطاعون علىٰ بني إسرائيل في الوقت.

وكان فنحاصُ بن العَيْزار بن هارون صاحبَ أَمْرِ موسىٰ، وكان رجلاً قد أُعْطِيَ بَسْطةً في الخَلْق وقوةً في البطش، وكان غائباً حين صنع زمزى بن شالوم ما صنع. فجاء والطاعون يجوس في بني إسرائيل، فأُخْبِرَ الخَبَرَ، فَأَخَذَ حَرْبته وكانت كلها من حديد، ثم دخل عليهما القُبّة وهما مُضْطَجِعان، فَنَظَمَهما بحَربته، ثم خرج بهما رافعاً حَربته إلىٰ السماء، قد أخذها بذراعه، واعتمد بِمِرْفَقِه علىٰ خاصرته، وأَسْنَدَ الحَربة إلىٰ لحيته، وكان بِكْر العَيْزار[1]، وجعل يقول: اللهم هكذا نفعل بِمَنْ يعصيك.

ورُفِعَ الطاعون، فحُسِبَ مَن هَلَكَ مِن بني إسرائيل في الطاعون فيما بين أصاب المرأة إلىٰ أن قَتَلَهُ فنحاص، فوجدوه قد أهلك منهم سبعين ألفاً في ساعة واحدة من النهار.

قال الكسائي: ونادى موسىٰ في قومه بعد رَفْع الطاعون عنهم أنِ احملوا، فحملوا واقتتلوا، فقُتِلَ المَلِكُ وبلعام، وانهزم الباقون، وغَنِمَ بنو إسرائيل من النساء والولدان شيئاً كثيراً، والله تبارك وتعالىٰ أعلم بالصواب.


وادي موسىٰ بالأردن

(١) قال الثعلبي: فَمِنْ هنا يعطي بنو إسرائيل وَلَدَ فنحاص مِن كل ذبيحة ذبحوها الخاصرة والذراع واللحية؛ لاعتماده بالحَربة علىٰ خاصرته، وأَخْذِه إياها بذراعه، وإسناده إياها إلىٰ لحيته. وكذلك البِكْرَ مِن كل أموالهم وأنفسهم؛ لأنه كان بِكْرَ العَيْزار بن هارون.



وادي موسىٰ بالأردن، ويقال: إنه المكان الذي وصل إليه سيدنا موسىٰ مع بني إسرائيل وجلسوا فيه من البلقاء

۞ وفاة هارون عليه السلام:

قال الكسائي: لَمّا كان بعد قَتْلِ عاميل الذي مِنْ أَجْلِهِ ذُبِحَتِ البقرة، نظر هارون إلىٰ جبل في التيه بعيد من العسكر، فقال: يا موسىٰ، ألا نمضي إلىٰ ذلك الجبل فننظر إلىٰ خضرته ونضارته.

فمضيا من الغد ومعهما أولاد هارون، فَأَتَوْهُ، فإذا هو جبل كثير المياه والعشب والكهوف، وفيه كهف واسع يسطع نوراً، فدخلوه، وإذا هم بسرير من الذهب عليه أنواع من الفُرش، فصعد هارون إليه ونام فجاء طُولَهُ، فهَمَّ أن ينزل، فأتاه مَلَك الموت في صورة شاب حسن فقبض روحه، وغسّلته الملائكة، وصلّىٰ عليه موسىٰ، وسَدُّوا باب الكهف.

وعاد موسىٰ إلىٰ بني إسرائيل فسألوه عن هارون، فأخبرهم بوفاته، قالوا: بل قَتَلْتَه، فقال: ماذا لقيتُ منكم يا سفهاء بني إسرائيل، أَقْتُلُ أخي وشقيقي؟ ثم دعا ربَّه أنْ يُريهم إياه علىٰ صورته، فأمر الله تعالىٰ الملائكة أن يُخرجوا سريره من الكهف، فأخرجوه

وحملوه في الهواء حتىٰ نظرت إليه بنو إسرائيل، ثم نادت الملائكة: يا بني إسرائيل، هذا سرير هارون، قد قبضه الله تعالىٰ إليه.

وقال أبو إسحاق الثعلبي في تفسيره في وفاة هارون عليه السلام: قال السُّدِّيّ: أوحىٰ الله تعالىٰ إلىٰ موسىٰ عليه السلام: إني مُتَوَفِّي هارون، فائْتِ به جبل كذا وكذا.

فانطلق موسىٰ وهارون عليهما السلام نحو ذلك الجبل، فإذا هما بشجرة لم يَرَيا شجرة مِثْلها، وإذا بَيْتٌ مَبْنِيٌّ وفيه سرير عليه فراش، وإذا فيه ريح طيبة. فلما نظر هارون إلىٰ ذلك أعجبه وقال: يا موسىٰ، إني أحب أن أنام علىٰ هذا السرير، قال: نَمْ عليه، قال: فإني أخاف أن يأتي رَبُّ هذا البيت فيغضب عليّ، قال موسىٰ: لا ترهب، أنا أكفيك ربَّ هذا البيت، فَنَمْ. قال: يا موسىٰ، بل نَمْ معي، فإنْ جاء رَبُّ البيت غضب عليّ وعليك جميعاً.

فلما ناما أخذ هارونَ الموتُ، فلما وجد حِسَّه قال: يا موسىٰ، خَدَعتَني.

فلما قُبِضَ عليه السلام رُفِعَ ذلك البيت، وذهبتْ تلك الشجرة، ورُفِعَ السرير به إلىٰ السماء.

فلما رجع موسىٰ إلىٰ بني إسرائيل وليس معه هارون، قالوا: إنَّ موسىٰ قَتَلَ هارون وحَسَدَه؛ لِحُبِّ بني إسرائيل له. فلما أكثروا عليه قام فصلّىٰ ركعتين، ثم دعا اللهَ تعالىٰ، فنزل السرير حتىٰ نظروا إليه بين السماء والأرض، فصدّقوه.

وقال الثعلبي أيضاً: وقال عمرو بن ميمون: مات هارون عليه السلام في التِّيه، ومات قبل موسىٰ. وكانا خرجا في التيه إلىٰ بعض تلك الكهوف، فمات هارون، فدفنه موسىٰ وانصرف إلىٰ بني إسرائيل، فقالوا: ما فعل هارون؟ قال: مات، قالوا: كذبتَ، ولكنك قتلتَه لِحُبِّنا إيّاه. وكان مُحَبَّباً في بني إسرائيل، فتضرّع موسىٰ إلىٰ الله تعالىٰ وشكاه ما لقي من بني إسرائيل، فأوحىٰ الله إليه أن انطلق بهم إلىٰ قبره، فإني باعِثُهُ حتىٰ يخبرهم أنه مات مَوْتاً وأنك لم تقتله.

فانطلق بهم موسىٰ إلىٰ قبره، فنادى: يا هارون، فخرج مِن قبره يَنْفُضُ رأسه، فقال: أنا قاتلك؟ قال: لا، ولكنني مِتُّ، قال: فَعُدْ إلىٰ مضجعك، فعاد وانصرفوا، والله أعلم بالصواب.

وهكذا لا زال سيدنا موسىٰ عليه السلام يتحمل أموراً كثيرة يجدها أمامه من بني إسرائيل.



قبر نبي الله هارون، وقد سُمِّيَ الجبل نسبة إليه بجبل هارون

۞ وفاة موسىٰ بن عمران عليه السلام:

قال أبو إسحاق الثعلبي رحمه الله تعالىٰ: قال ابن إسحاق: كان موسىٰ عليه السلام قد كَرِهَ الموتَ وأَعْظَمَهُ، فأراد الله تعالىٰ أن يُحَبِّبَ إليه الموت ويُكَرِّهَ إليه الحياة، وكان يوشع بن نون يغدو عليه ويروح، فيقول له موسىٰ: يا نبي الله، ما أَحْدَثَ الله إليك؟ فيقول له يوشع: يا نبي الله، أَلَمْ أَصْحَبْكَ كذا وكذا سنة؟ فهل كنتُ أسألك عن شيء مِمّا أَحْدَثَ الله إليك حتىٰ تكون أنت تَبْتَدِئُ به وتَذْكُره؟ ولا يذكر له شيئاً، فلما رأى موسىٰ ذلك كَرِهَ الحياة وأحبّ الموتَ.

وعن وهب بن منبه: وذكر مِن كرامة موسىٰ عليه السلام أنه ضاق ببني إسرائيل ذرعاً لَمّا كثّروا عليه، فأوحىٰ الله تعالىٰ إلىٰ ألف نبي أن يكونوا أعواناً له. فلما مال الناس إليهم ووجد موسىٰ في نفسه، فأماتهم الله تعالىٰ لِكرامته في يوم واحد.

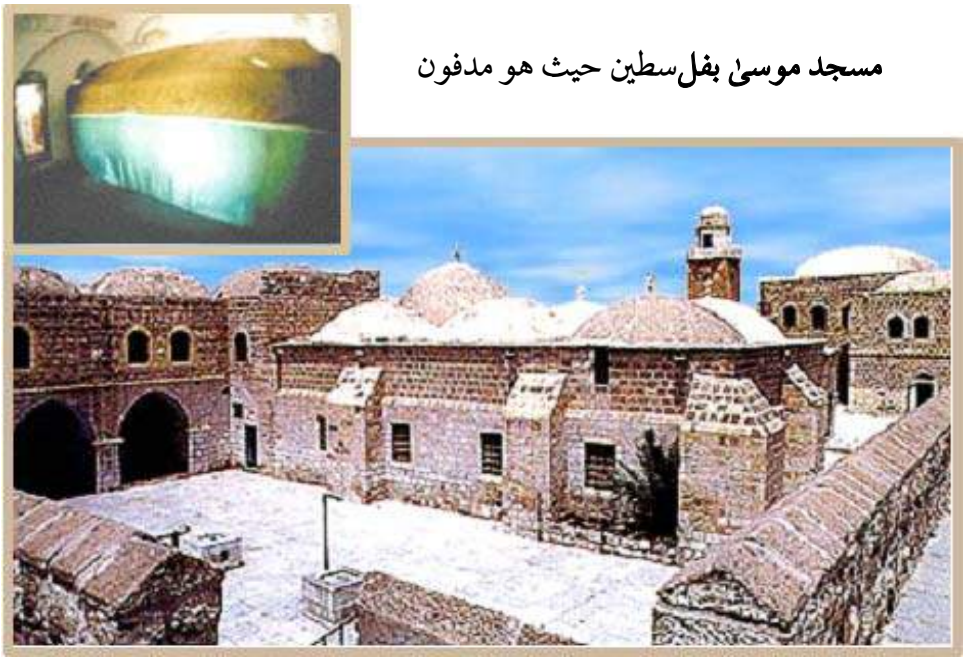
وقال النويري في تاريخه: والذي صحّ لنا من خبر وفاة موسىٰ عليه السلام ما ثبت في صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «أُرْسِلَ مَلَك الموت إلىٰ موسىٰ عليه السلام، فلما جاءه صكّ،

فرجع إلىٰ ربه فقال: أرسلتَني إلىٰ عبد لا يريد الموت، فردّ الله عليه عينه وقال: ارجع فقل له: يضع يده علىٰ متن ثور، فله بكل ما غطّتْ به يده بكل شعرة سنة. قال: أيْ رب، ثم ماذا؟ قال: ثم الموت، قال: فالآن، فسأل الله تعالىٰ أن يُدْنِيَه من الأرض المقدسة رمية بحجر. قال: قال رسول الله ﷺ: فلو كنتُ ثَمَّ لأَرَيْتُكم قبره إلىٰ جانب الطريق عند الكثيب الأحمر»[1].

قال الثعلبي: وكان عمر موسىٰ عليه السلام مائة وعشرين سنة.

فنقله الله تعالىٰ من ساعته إلىٰ ذلك المكان ودُفن فيه، حيث موسىٰ عليه السلام كما قدّمنا لم يدخل الأرض المقدسة.

وقد مررتُ عليه، وهناك بَنَوْا عليه بيتاً أو مسجداً صغيراً. وقد تهرّم المسجد كثيراً، ولا أدري لماذا لا يُجَدِّدُ بنو إسرائيل البناء وهم جماعته؟ وقد سألت أحد الإخوان فقال لي: هم يكرهونه ولا يُحِبّونه؛ فلهذا لا يُجَدِّدون البناء عليه.



مسجد موسىٰ بفلسطين حيث هو مدفون

(١) أخرجه البخاري ومسلم، والنسائي في سننه، وأحمد في مسنده. ورواه الحاكم في المستدرك وصحّحه، وابن حبان، والديلمي في الفردوس من وجه آخر.

۞ خبر يوشع بن نون وفتح أريحا:

قال أبو إسحاق الثعلبي رحمه الله تعالىٰ: اختلف العلماء فِيمَنْ تولّىٰ حرب الجبارين، وفيمَنْ كان علىٰ يده الفتح؟

فقال قوم: إنما فتح أريحا موسىٰ عليه السلام، وكان يوشع علىٰ مُقَدِّمَتِه. فسار إليها بِمَنْ بَقِيَ مِن بني إسرائيل ولم يَمُتْ في التِّيه، فدخلها يوشع بهم وقتل الجبّارين الذين كانوا فيها، ودخل موسىٰ ببني إسرائيل فأقام فيها ما شاء الله تعالىٰ أن يقيم، ثم قبضه الله تعالىٰ ولم يَعْلَمْ أحد من الناس أين قبره.

قال أبو إسحاق: وهذا أَوْلىٰ الأقاويل بالصدق.

وقال الآخرون: إنما قتل الجبّارين يوشع، ولم يَسِرْ إليهم إلاّ بعد موت موسىٰ عليه السلام.

وقالوا: إنما مات موسىٰ وهارون عليهما السلام في التِّيه.

وقالوا: فلما انقضت مدة التِّيه ومات موسىٰ عليه السلام، بعث الله تعالىٰ يوشع بن نون نبياً، فأخبرهم أنه نبي الله تعالىٰ، وأن الله عز وجل قد أمره بقتال الجبّارين. فصدّقوه وبايعوه، فتوجّه ببني إسرائيل إلىٰ أريحا ومعه تابوت الميثاق، فأحاط بمدينة أريحا ستة أشهر. فلما كان في الشهر السابع نفخوا في القرون، وضجّ الشعب ضجّة واحدة، فسقط سور المدينة فدخلوها، وقاتلوا الجبّارين فهزموهم، وهجموا عليهم يقتلونهم، فكانت العصابة من بني إسرائيل يجتمعون علىٰ عنق الرجل يضربونها لا يقطعونها.

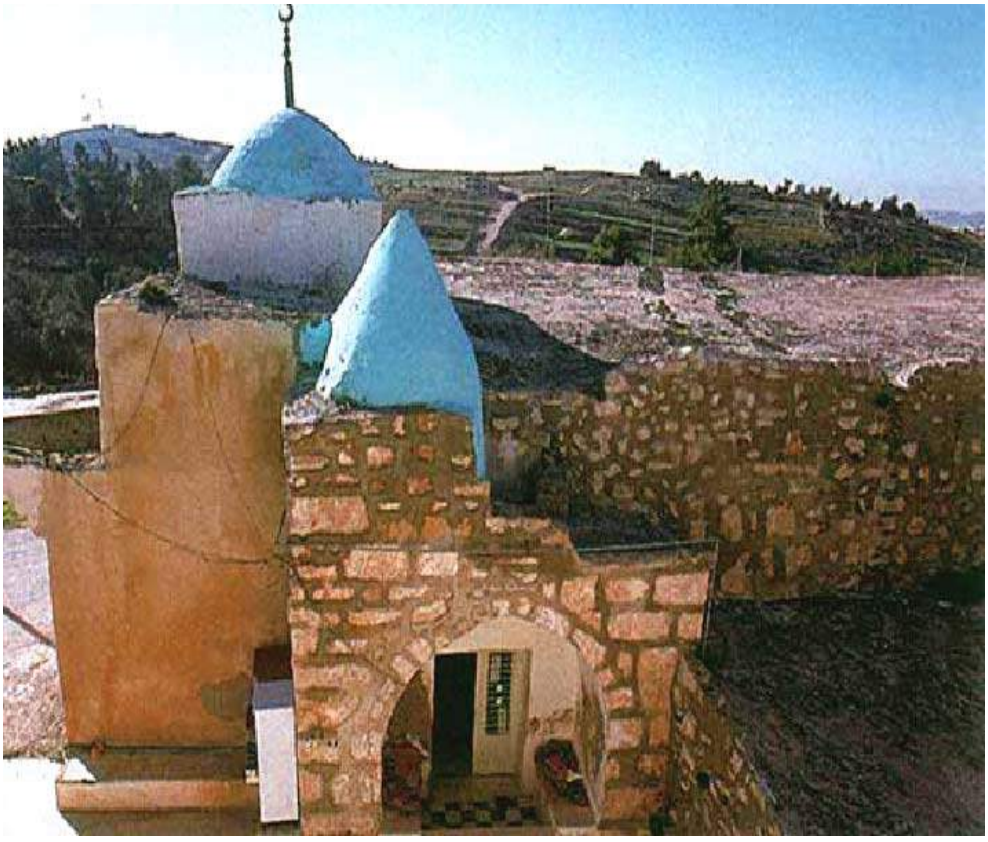
وكان القتال يوم الجمعة، فبقيت من الجبّارين بقيّة، وكادت الشمس تغرب وتدخل ليلة السبت، فخشي يوشع أن يُعْجِزوه فقال: اللهم ارْدُدِ الشمس عليّ، وقال للشمس: إنك في طاعة الله وأنا في طاعة الله، فسأل الشمسَ أن تَقِفَ والقمرَ أن يُقِيم؛ حتىٰ ينتقم من أعداء الله قبل غروب الشمس. فرُدَّتْ عليه الشمس، وزِيدَ له في النهار ساعة واحدة حتىٰ قتلهم أجمعين.

وحكىٰ الكسائي في كتاب المبتدأ أن يوشع أخذ في الجهاد بعد وفاة موسىٰ عليه السلام، حتىٰ فتح الله علىٰ يديه نَيِّفاً وثلاثين مدينة من مدن الكفار بأرض الشام.

قال: ثم سار ببني إسرائيل إلىٰ أريحا لقتال الجبّارين، وكانوا قد عادوا إليها بعد أن فَتَحَها موسىٰ، فقاتلهم يوم الجمعة، وساق نحو ما تقدّم مِن حَبْسِ الشمس.

قال الكسائي: وفسد علىٰ أهل عِلْم النجوم علومٌ كثيرة في ذلك اليوم.

قال الكسائي: ولما فرغ يوشع بن نون من قتال الجبّارين بأريحا، سار ببني إسرائيل إلىٰ أرض بني كنعان، وقاتلهم حتىٰ قتل أكثر من ثلاثين ملكاً، وفتح ثلاثين حصناً.



مقام نبي الله يوشع بن نون بالأردن بجانب مدينة الصلت، وقد قدِّر طوله بحوالي عشرة أمتار، وقد أقيم بالقرب منه مسجد



قبر نبي الله يوشع بن نون بالأردن بجانب مدينة الصلت

۞ خبر التابوت وتاريخه:

قال أبو إسحاق الثعلبي: قال أهل التفسير وأصحاب الأخبار: إن الله تعالىٰ أَهْبَطَ تابوتاً علىٰ آدم حين أُهْبِطَ آدم إلىٰ الأرض[1]، فيه صور الأنبياء من أولاده، وفيه بيوتٌ بعدد الرسل منهم، وآخر البيوت بيت محمدﷺ، وهو من ياقوتة حمراء، وإذا هو قائم يصلي، وعن يمينه الكهل المطيع مكتوبٌ علىٰ جبينه: (هذا أول مَن يتبعه من أمته، أبو بكر الصديق). وعن يساره الفاروق مكتوبٌ علىٰ جبينه: (قَرْن من حديد، لا تأخذه في الله لومة لائم)، ومن ورائه ذو النورين آخذٌ بِحُجْزَتِه مكتوبٌ علىٰ جبينه: (باب مِن البَرَرة)،

(١) وكنا ذكرنا ذلك في الجزء الأول من هذا الكتاب في سيرة أبينا آدمعليه السلام.

ومن بين يديه علي بن أبي طالب شاهرٌ سيفه علىٰ عاتقه مكتوبٌ علىٰ جبينه: (هذا أخوه وابن عمه المؤيَّد بالنصر من عند الله)، وحوله عمومته والخلفاء والنقباء، الكَبْكَبة[1] الخضراء، وهم أنصار الله وأنصار رسوله، ونورُ حوافر دوابهم يوم القيامة مِثْلُ نور الشمس في الدنيا.

وكان التابوت نحواً من ثلاثة أذرع في ذراعين، وكان من عود الشِّمْشار[2] الذي تُتَّخذ منه الأمشاط سابقاً، وكان مُمَوَّهاً بالذهب.

فكان عند آدم إلىٰ أن مات، ثم عند شيث، ثم توارثه أولاد آدم إلىٰ أنْ بلغ إبراهيمَ عليه السلام، فلما مات كان عند ولده إسماعيل، ثم كان عند قَيْذار بن إسماعيل، فتنازعه ولد إسحاق وقالوا: إن النبوة قد صُرِفَتْ عنكم، وليس لكم إلاّ هذا النور الواحد - يعني نور محمد ﷺ -، فَأَعْطِنا التابوت. فكان قَيْذار يَمْتَنِعُ عليهم ويقول: إنه وصيةٌ لأبي، ولا أعطيه أحداً من العالمين.

قال أبو إسحاق: فذهب ذات يوم يفتح التابوت، فتعسّر عليه فتحه، فناداه منادٍ من السماء: مهلاً يا قَيْذار، فليس لك إلىٰ فتح هذا التابوت سبيلٌ، إنه وصية نبيٍّ لا يَفتحه إلاّ نبي، فادْفَعْهُ لابن عمك يعقوب إسرائيل الله.

فحمل قَيْذار التابوت علىٰ عنقه وخرج يريد أرض كنعان، وكان بها يعقوب عليه السلام. فلما قرب منه صَرَّ التابوتُ صرّة سَمِعَها يعقوب، فقال لِبَنِيه: أُقْسِمُ بالله لقد جاءكم قَيْذار بالتابوت، فقوموا نحوه. فقام يعقوب وأولاده جميعاً إليه، فلما نظر يعقوب إلىٰ قَيْذار اسْتَعْبَرَ باكياً وقال: يا قَيْذار، ما لي أراك مُتَغَيِّراً وقُوَّتك ضعيفة؟ أَرَهِقَكَ عدو أم أَتَيْتَ معصيةً بعد أبيك إسماعيل؟ قال: ما رَهِقَني عدو ولا أتيتُ معصية، ولكن نُقِلَ من ظهري نور محمد ؛ فلذلك تَغَيَّرَ لوني وضعف ركني. قال: أفي بنات إسحاق؟ قال: لا، في العربية

---

(١) أي الجماعة.

(٢) وهو شجر البَقْس، يُشْبِهُ وَرَقُه وَرَقَ الآس، وعُوده أصفر صلب، وله حَبٌّ أسود، مَنابِتُهُ ببلاد الروم، تُتَّخذ منه المغالق والأبواب ؛ لِمتانته وصلابته. وذكر صاحب القاموس اسمه الشِّمْشاذ، فارجع إنْ أردتَ إلىٰ القاموس مادة بَقَسَ.

الجُرْهُمية، وهي العامريّة. فقال يعقوب: بَخٍ بَخٍ شرفاً لمحمد، لم يكن الله ﷻ لِيُجْرِيَه إلاّ في العربيات الطاهرات. يا قَيْذار، وأنا مُبَشِّرُكَ ببشارة. قال: وما هي؟ قال: اعْلَمْ أن العامريّة قد وَلَدَتْ لك البارحة غلاماً، قال قَيْذار: وما عَلَّمَكَ يا ابن عمي وأنت بأرض الشام وهي بأرض الحرم؟ قال يعقوب: عَلِمْتُ ذلك لأني رأيتُ أبواب السماء قد فُتِحَتْ، ورأيتُ نوراً كالقمر الممدود بين السماء والأرض، ورأيتُ الملائكة ينزلون من السماء بالبركات والرحمة، فَعَلِمْتُ أن ذلك مِن أَجْل محمد ﷺ. فسلّم قَيْذار التابوت إلىٰ يعقوب ورجع إلىٰ أهله، فوجدها قد ولدتْ غلاماً فسمّاه حَمَلا، وفيه نور محمد ﷺ.

قال الثعلبي وغيره: وكان التابوت في بني إسرائيل إلىٰ أن وصل إلىٰ موسىٰ عليه السلام، فكان موسىٰ عليه السلام يضع فيه التوراة ومتاعاً من متاعه، وكان عنده إلىٰ أن مات، ثم تداوله أبناء بني إسرائيل إلىٰ وقت أشمويل.

وكان فيه ما ذَكَرَ الله تعالىٰ بقوله: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾﴾ [البقرة].

قال الثعلبي: واختلفوا في السكينة ما هي؟

فقال علي بن أبي طالب: السكينة هي ريح خَجُوجٌ[1] هفّافة، لها رأسان كرأس الهرة، ووجه كوجه الإنسان.

وقال مجاهد: رأس كرأس الهرة، وذنب كذنب الهرة، وجناحان.

وقال ابن إسحاق عن وهب بن منبه عن بعض علماء بني إسرائيل: السكينة هرة ميتة، كانت إذا صرختْ في التابوت بصراخ هِرٍّ أيقنوا بالنصر وجاءهم الفتح.

وقال السُّدِّيّ عن أبي مالك عن ابن عباس: السكينة طَسْت مِنْ ذهب مِنَ الجنة كانت تُغْسَلُ فيه قلوب الأنبياء.

---

(١) يقال: ريح خجوج تَخُجُّ في هبوبها أي تلتوي.

وقال بكّار بن عبدالله عن وهب: هي روحٌ من الله تتكلّم، إذا اختلفوا في شيء تُخْبِرُهُمْ بَيان ما يريدون.

وقال عطاء بن أبي رباح: السكينة هي ما يَعرفون من الآيات فيسكنون إليها.

وقال قتادة والكلبي: سكينة بوزن فعيلة من السكون، أي طمأنينة من ربكم، وفي أيِّ مكان كان التابوت اطمأنوا.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ﴾، قالوا: كان في التابوت عصا موسىٰ، ورُضاض الألواح، وذلك أنَّ موسىٰ لَمّا ألقىٰ الألواح تكسّرت، فوقع بعضُها، وجمع ما بقي فجعله في التابوت. وكان فيه أيضاً لوحان من التوراة، وقَفِيز مِنَ المَنِّ الذي كان ينزل عليهم، ونَعْلا موسىٰ، وعمامة هارون وعصاه.

وكان التابوت عند بني إسرائيل، وكانوا إذا اختلفوا في شيء تكلّم وحكم بينهم، وإذا حضر القتالُ قدّموه بين أيديهم يَسْتَفْتِحُون به علىٰ عدوهم.

فلما عصوا وأفسدوا، سلّط الله ﷻ عليهم العمالقة فاسْتَلَبوا التابوت.

قال أبو إسحاق الثعلبي: لَمّا سلب العمالقةُ قومُ جالوت التابوتَ، كان جالوت صغيراً، فَأَتَوْا بالتابوت قريةً من قرى فلسطين يقال لها: أَشْدود[1]، وجعلوه في بيتِ صنمٍ لهم، ووضعوه تحت الصنم الأعظم، فأصبحوا من الغد والصنمُ تحته، فأخذوه ووضعوه فوقه، وسَمَّروا قَدَمَي الصنم علىٰ التابوت، فأصبحوا من الغد وقد قُطِعَتْ يد الصنم ورجلاه، وأصبح مُلْقًىٰ تحت التابوت، وأصبحت أصنامهم كلها مُنَكَّسة. فأخرجوه من بيت الصنم ووضعوه ناحية من مدينتهم، فَأَخَذَ أهلَ تلك الناحية وَجَعٌ في أعناقهم حتىٰ هلك أكثرُهم، فقال بعضهم لبعض: أليس قد عَلِمْتُم أنَّ إله بني إسرائيل لا يقوم له شيء؟ فأَخْرِجوه عن مدينتكم.

فأخرجوه إلىٰ قرية أخرى، فبعث الله ﷻ علىٰ تلك القرية فأراً، يبيت الرجل صحيحاً

---

(١) إن موقعها علىٰ ثلاثة أميال من البحر المتوسط بين غزة ويافا، وهي الآن قرية حقيرة تُسَمّىٰ أسدود، وفي جوارها خرائب كثيرة.

فيقرضه الفأر، فيصبح ميتاً قد أَكَلَتْ ما في جوفه.

فأخرجوه منها إلىٰ الصحراء، ودفنوه في مَخْرَأَةٍ لهم، فكان كل مَن تَبَرَّز هناك أخذه الباسور والقولنج[1]، فتحيّروا، فقالت لهم امرأة كانت عندهم مِنْ سَبْيِ بني إسرائيل من أولاد الأنبياء: لا تزالون ترون ما تَكرهون ما دام هذا التابوت فيكم، فَأَخْرِجوه عنكم.

فأَتَوْا بعَجَلة بإشارةِ تلك المرأة، فحملوا التابوت عليها ثم علّقوها علىٰ ثورين، ثم ضربوا جُنوبَهما، فأقبل الثوران يسيران، ووكّل الله تعالىٰ بهما أربعةً من الملائكة يَسوقونهما، فلم يَمُرَّ التابوت بشيء من الأرض إلاّ كان مُقَدَّساً. فأقبلا حتىٰ وقفا علىٰ أرض فيها حصادٌ لبني إسرائيل، فَكَسَرا بُرَتَهما وقَطَعا حبالهما، ووضعا التابوت فيها ورجعا إلىٰ أرضهما، فلم يَرُعْ بني إسرائيل إلاّ التابوت، فكبّروا وحمدوا الله تعالىٰ.

فقوله تعالىٰ: ﴿تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [# : ٢٤٨]، أي تَسُوقه، فعند ذلك أقرّوا بمُلْك طالوت.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: جاءت الملائكة بالتابوت تحمله بين السماء والأرض، وهم ينظرون إليه حتىٰ وضعوه في دار طالوت، فأقرّوا بمُلْكه.

قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾﴾ [#].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: إن التابوت وعصا موسىٰ في بحيرة طبرية، وإنهما يُخرجان يوم القيامة، والله تبارك وتعالىٰ أعلم.

وفي وسط هذه البحيرة حجر ناتئ، يزعمون أنه قبر سليمان بن داود عليهما السلام.

وبذلك ننهي ما تيسّر لنا من سيرة نبي الله موسىٰ وأخيه هارون عليهما الصلاة والسلام.

وكانت كما سبق وذكرنا مليئة بالمعجزات والآيات، حيث تصدّى موسىٰ عليه السلام لفرعون وقومه، وبني إسرائيل وافتراءاتهم، وللجبّارين وحربهم.

فسيدنا موسىٰ عليه السلام صبر كثيراً علىٰ قومه، وابتلي بهم بلاء كبيراً، حيث تاريخ بني إسرائيل يدل ويُثبت أنهم أُناس عجّزوا الأنبياء والمرسلين، وقتلوا أنبياءهم، وافتروا كثيراً علىٰ موسىٰ وأخيه هارون وصلحائهم.

---

(١) هو مرض معوي مؤلم.

وهكذا سيرة بني إسرائيل في زماننا هذا مُتَّصِلَة بما مضىٰ من تاريخهم الأسود في كل العصور والأزمنة، حيث أينما وُجِدوا أَفْسَدوا، وكانوا فتنة لكل زمان وُجِدوا فيه، فأيديهم ملطّخة بدماء أنبيائهم، حيث قتلوا في يوم واحد أكثر من سبعين نبياً، ولا زالوا ماضين بما اتُّصِفوا به، وبما عُرِفَ عنهم.

فيا أيها القارئ، ماذا تقول في قوم قالوا لربهم: ﴿ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ﴾ [البقرة ٩٣]؟ ماذا تقول بأناس حرّفوا كتاب ربهم التوراة وغيّروه وبدّلوه، وجعل الله منهم قردة وخنازير ولم يتّعظوا، ولُعنوا من قِبَل الله ﷻ وطُرِدوا من رحمته؟ ومع هذا إصرارهم باقٍ، وهم ماضون علىٰ ما كان عليه سلفهم.

فنرى في زماننا هذا هؤلاء اليهود جلسوا علىٰ صدر العالم كالأخطبوط لا يرحمون، ولا يتورّعون بسفك دماء الملايين من أبناء زماننا، ومع هذا كله يَصِفون أنفسهم بالحَمَل الوديع المظلوم! ذبحوا الكثير من أبناء فلسطين، وأخذوا بيوتهم وأرضهم، وشتّتوهم في أرجاء الأرض، ومع هذا يَصِفون صاحبَ الحق المُدافعَ عن بيته وأرضه وعِرضه بأنه إرهابي!

وليت شعري كيف يكون المُدافعُ عن مُقَدَّساته وتراثه ودينه ونفسه إرهابياً، والمغتصبُ صاحبَ حق؟! كيف يصفون اللصَّ بالمالك، والمالكَ باللص؟! كيف يُصَوِّرون المجرمَ بالمظلوم، والمظلومَ بالمجرم؟! كيف يُصَوِّرون القاتلَ بالمقتول، والمقتولَ بالقاتل؟! إنها لَمُتَناقِضاتٌ نسمعها في زماننا، لا يَهْضِمُها الإنسان الحُرُّ العاقل المُنْصِف.

والأعجب من ذلك أن نرى أعدى أعداء اليهود النصارى ودُوَلَهُمْ، الذين أثبت التاريخ عداوتهم العقائدية لهم، يكونون بأيدي اليهود المدفع والطائرة والصاروخ، واللسانَ المدافع عنهم وعن ظلمهم وإجرامهم! فإنَّ عداوة النصارى لليهود أَبَدِيّة، حيث يعتقدون أن اليهود صلبوا نبيهم، فَمِنْ ذلك التاريخ هم الأعداء الكارهون لليهود في جميع أقطار الأرض. فكيف تحوّلوا هذا التحوُّل الخطير مِن أعداء إلىٰ أنصار وأصدقاء، ومُتَبَنِّين أمورهم كتَبَنِّيهم لِقضاياهم وأكثر؟!

وأترك الجواب علىٰ استفهامي هذا للقارئ؛ ليُجيب عنه بما يجده مناسباً.

واللهَ أسأل أن يُخَلِّص عالمنا هذا من الظلم والاستبداد، ومن فَرْضِ لغة المدفع والذَّرّة والهيدروج على الأمم دون لغة العدل والإنصاف، وأن نفهم معنى وجود الإنسان على ظهر هذه اليابسة.

سيدنا داود

عليه الصلاة والسلام

قال الله تبارك وتعالىٰ: ﴿ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرۡنَا ٱلۡجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحۡنَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِشۡرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيۡرَ مَحۡشُورَةٗۖ كُلّٞ لَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴿١٩﴾ وَشَدَدۡنَا مُلۡكَهُۥ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحِكۡمَةَ وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ ﴿٢٠﴾ ۞وَهَلۡ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلۡخَصۡمِ إِذۡ تَسَوَّرُواْ ٱلۡمِحۡرَابَ ﴿٢١﴾ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنۡهُمۡۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ خَصۡمَانِ بَغَىٰ بَعۡضُنَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فَٱحۡكُم بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَلَا تُشۡطِطۡ وَٱهۡدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِي لَهُۥ تِسۡعٞ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةٗ وَلِيَ نَعۡجَةٞ وَٰحِدَةٞ فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدۡ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعۡجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦۖ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡخُلَطَآءِ لَيَبۡغِي بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٞ مَّا هُمۡۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعٗا وَأَنَابَ۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرۡنَا لَهُۥ ذَٰلِكَۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ﴿٢٥﴾ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ﴿٢٦﴾ وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا بَٰطِلٗاۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلۡمُفۡسِدِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلۡمُتَّقِينَ كَٱلۡفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٢٩﴾ وَوَهَبۡنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيۡمَٰنَۚ نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾﴾ [ص][1].

۞ نسب داود عليه السلام وذِكْر بعض صفته:

هو داود بن إيشَىٰ بن عَويل بن باعد بن سلومون بن يحسون بن عمىٰ بن مأرب بن أرم بن حصرون بن فارص بن يهوذا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم الصلاة والسلام.

---

(١) ارجع كذلك إن شئتَ إلى المواضع التالية من القرآن الكريم: البقرة ٢٤٦-٢٥٢ و٦٥-٦٦، النساء ٤٧ و١٦٣، المائدة ٧٨-٧٩، الأنعام ٨٤، الأعراف ١٦٣-١٦٧، الإسراء ٥٥، الأنبياء ٧٨-٨٠، النمل ١٥، سبأ ١٠-١١.

كان أبوه إيشىٰ عبداً صالحاً، عنده من الأولاد ثلاثة عشر وقيل: سبعة، أصغرهم سناً داودعليه السلام.

كان داود أشقر، بعيون زرق، وبطول كان ليس بالطويل.

كان قوياً بحيث إذا جاء أسد أو ذئب وخطف شاة، تبعه جرياً وحصّله، وأخذ الشاة من فمه وقسمه نصفين، وإنْ كان جسمه لا يوحي بذلك.

وكانعليه السلام مختصاً برعاية الغنم، وتَعْلَمُ كيف أنَّ مَن رعىٰ الغنم يكون مُولَعاً واختصاصياً بضرب المقلاع[1] إلىٰ حد يصيب هدفه تماماً أكثر من رامي البندقية، وأكثر من رامي السكين علىٰ الهدف، فَضَرْبة المقلاع من صاحبها لا تخطئ أبداً.

وكان داودعليه السلام في بداية عمره يرى أشياء كثيرة، فيقول له أبوه: إنَّ الله يبشرك بمستقبل حسن.

فأتاه ذات يوم فقال: يا أبتاه، ما أرمي بقَذّافَتي[2] شيئاً إلاّ صرعته. فقال: أَبْشِرْ يا بني، فإن اللهعزوجل جعل رزقك في قذّافتك.

ثم أتاه مرة أخرى فقال: يا أبتاه، لقد دخلتُ بين الجبال فوجدتُ أسداً رابضاً، فركبته وأخذت بأذنيه، فلم يُزعجني ولم يَنْفر مني. فقال: أَبْشِرْ يا بني، فإن هذا خير يريده الله بك.

ثم أتاه يوماً آخر فقال: يا أبتاه، إني لأمشي بين الجبال فَأُسَبِّحُ، فما يبقىٰ جبل إلاّ سبّح معي. فقال: أبشر يا بني، فإن هذا خير أعطاكه اللهعزوجل.

۞ مسير طالوت بالجنود وخبر النهر الذي ابتُلوا به:

قال الله تبارك وتعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟

---

(١) المقلاع عبارة عن خيط كبير من الصوف المجدول أبيض أو أحمر أو أسود، وبآخره قطعة من الصوف يوضع الحجر فيها، ويؤخذ الطرف الثاني من المقلاع ويُلاح ثم يرمىٰ به.

(٢) أي بمقلاعي.

قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ ۚ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ ﴾ [البقرة].

قال المفسرون بألفاظ مختلفة ومعان متفرقة: كان في زمن داود عليه السلام مَلِك يقال له: جالوت، كان جباراً ومشهوراً بالفروسية، وكان كذلك من أعداء الله عز وجل. وصفه بعض المؤرخين فقال: كان طوله سبعة عشر ذراعاً، وكان وزن الخوذة التي على رأسه أكثر من مائة مَنٍّ[1]، وقيل: ثمانين مَنّاً، وبعضهم قال: أربعين مَنّاً.

فأمر الله تعالى ملك بني إسرائيل طالوت على لسان نبي ذلك الزمان إشمائيل أن يقاتل جالوت.

وذلك أنهم لَمّا رأوا التابوت قالوا: قد أتانا التابوت وهو النصر لا شك فيه، فسارَعوا إلى الجهاد، فقال طالوت: لا حاجة لي في كل ما أرى، لا يخرج معي رجلٌ بنى بناءً لم يفرغ منه، ولا صاحب تجارة مُشْتَغِلٌ بها، ولا رجل عليه دَيْن، ولا رجل متزوج بامرأة ولم يَبْنِ بها، ولا يتبعني إلاّ الشاب النشيط الفارع.

فاجتمع له ثمانون ألفاً على شرطه، وكانوا في حر شديد، فشكَوْا قلة المياه فيما بينهم وبين عدوهم، وقالوا: إنَّ المياه لا تحملنا، فادْعُ الله تعالى أن يجري لنا نهراً. فقال لهم

(١) المَنُّ عبارة عن ٤ كيلو.

طـــالوت: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي[1] وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ﴾ [البقرة ٢٤٩]، ثم استثنى فقال: ﴿إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ﴾ [البقرة ٢٤٩].

قال الكسائي: لَمّا سألوه أن يُجْرِيَ لهم نهراً قال: أفعل إن شاء الله، وسار بهم حتى إذا كانوا في بريّة وفقدوا الماء، وأجهدهم العطش، أَتَوْهُ فدعا أن يجري الله تعالى لهم نهراً، فأوحى الله إليه ما أخبر به في كتابه، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ﴾ [البقرة ٢٤٩].

قال الكسائي: وهو نهر الأردن من بلاد فلسطين.

قال تعالى: ﴿فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ [البقرة ٢٤٩].

قال الكسائي: واختلفوا في القليل الذين لم يشربوا.

فقال السُّدّي: كانوا أربعة آلاف.

وقال غيره: كانوا ثلاثمائة وبضعة عشر وهو الصحيح؛ لقول رسول الله ﷺ لأهل بدر: أنتم اليوم على عدة أصحاب طالوت حين عبروا النهر، وكان أهل بدر ثلاثمائة وثلاثة عشر.

ولحديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال: «كنا نتحدث أن أصحابَ بدر ثلاثُمائة وبضعة عشر بعدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر، وما جاوز معه إلاّ مؤمن»[2].

قال المفسرون: فلم يزد هؤلاء على الغرفة، فكانت كافية لهم ولدوابهم. فمن اغترف غرفة كما أمر الله تعالى نوّر الله قلبه، وصحّ إيمانه، وعَبَرَ النهر سالماً. والذين شربوا وخالفوا أمر الله عز وجل اسودّت شفاههم، وغلبهم العطش فلم يَرْوَوْا، وبقوا على شط النهر وجَبُنوا

---

(١) أي ليس من أهل ديني وطاعتي.

(٢) رواه البخاري واللفظ له وأحمد وابن ماجة والترمذي وابن حبان والحاكم والضحاك والبزار وغيرهم، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح. وقد وقع عند مسلم أن عدتهم ثلاثمائة وتسعة عشر رجلاً. وعند الترمذي من حديث البراء، وعند أحمد والضحاك والبزار والطبراني من حديث ابن عباس، وعند الطبراني من حديث أبي أيوب الأنصاري ثلاثمائة وثلاثة عشر. وعند البزار من حديث أبي موسى ثلاثمائة وسبعة عشر. وعند الحاكم والبيهقي من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص، وعند سعيد بن منصور من حديث أبي اليمان ثلاثمائة وخمسة عشر.

عن لقاء العدو. فقال طالوت للذين عَصَوْا ربهم: ارجعوا فلا حاجة لي بكم، فرجعوا.

قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ قَالُوا۟[1] لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾﴾ [البقرة].



النهر الذي شرب منه بنو إسرائيل وهو نهر الشريعة في الأردن

۞ خبر داود عليه السلام حين قتل جالوت الملك:

قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ﴾ [البقرة].

قال أبو إسحاق الثعلبي: قال المفسرون بألفاظ مختلفة متفقة: عَبَر النهرَ مع طالوت إيشى أبو داود عليه السلام في ثلاثة عشر ابناً له، وكان داود أصغرهم.

قال المفسرون: فأرسل جالوت إلى طالوت: أن ابْرُزْ إليّ، أو أبْرِزْ إليّ مَن يقاتلني، فإنْ قتلني فلكم مُلْكي، وإنْ قتلتُه فلي مُلْككم. فشقّ ذلك على طالوت، فنادى في عسكره:

---

(١) وإنما قال ذلك الذين عَصَوا وشربوا.

مَنْ قَتَلَ جالوتَ زوّجتُه ابنتي، وناصفته مُلْكي. فهاب الناسُ جالوتَ، فلم يجبه أحد.

فسأل طالوتُ نبيَّهم أن يدعو، فدعا اللهَ عزّ وجلّ في ذلك، فأُتِيَ بقَرَن فيه دُهْن القدس، وتَنُّور من حديد، فقيل له: إن صاحبكم الذي يقتل جالوت هو الذي يوضع هذا القَرَن علىٰ رأسه فيغلي الدُّهْن، ثم يدهن به رأسه ولا يسيل علىٰ وجهه، يكون علىٰ رأسه كهيئة الإكليل، ويدخل في هذا التَّنُّور فيملؤه لا يتقلّل فيه.

فدعا طالوتُ بني إسرائيل فجرّبهم، فلم يوافقه منهم أحد، فأوحىٰ اللهُ عزّ وجلّ إلىٰ نبيهم: إنَّ في ولد إيشىٰ مَن يقتل الله به جالوت. فدعا طالوت إيشىٰ وقال له: اعرض عليّ بَنيك، فَأَخْرَجَ له اثني عشر رجلاً أمثال السواري، وفيهم رجل فارع عليهم، فجعل يعرضهم علىٰ القَرَن فلا يرى شيئاً، فيقول لذلك الجسم: ارجع، فَيُرَدِّدُه علىٰ التنور. فأوحىٰ اللهُ عزّ وجلّ إليه: إنّا لا نأخذ الرجال علىٰ صورهم ولكنّا نأخذهم علىٰ صلاح قلوبهم، فقال لإيشىٰ: هل بقي لك ولد غيرهم؟ فقال: لا، فقال النبي: رَبِّ، إنه زعم أنْ لا ولد له غيرهم. فقال: كَذَبَ، فقال النبي: إنَّ ربي كَذَّبَكَ، قال: صدق الله يا نبي الله، إن لي ابناً صغيراً يقال له: داود، استحييتُ أن يراه الناس لقصر قامته، فخلّفته في الغنم يرعاها، وهو في شِعْب كذا. وكان داود عليه السلام رجلاً قصيراً، سقيماً، مصفرّاً، أزرق، أشقر.

فدعاه طالوت، ويقال: بل خرج طالوت إليه، فوجد الوادي قد حال بينه وبين الزريبة التي كان يُريح إليها، فوجده يحمل شاتين شاتين، فيُجيزهما السيل ولا يخوض بهما الماء. فلما رآه أشمويل قال: هذا هو لا شك فيه، هذا يرحم البهائم فهو بالناس أرحم.

فدعاه ووضع القَرَن علىٰ رأسه ففاض، فقال له طالوت: هل لك أن تقتل جالوت وأُزَوِّجك ابنتي وأُجْري حُكْمك في مُلْكي؟ قال: نعم، قال: وهل أَنِسْتَ من نفسك شيئاً تتقوّى به علىٰ قَتْله؟ قال: نعم، أنا أرعىٰ فيجيء الأسد أو النمر أو الذئب فيأخذ شاة، فأقوم له فأفتح لَحْيَيْه عنها وأخرقهما إلىٰ قفاه. فردّه إلىٰ عسكره.

فمرّ داود عليه السلام في الطريق بحجر فناداه: يا داود احملني، فإني حجر هارون الذي قتل بي ملك كذا. فحمله في مخلاته، ثم مرّ بحجر آخر فناداه: يا داود احملني، فإني حجر موسىٰ الذي قتل به ملك كذا وكذا. فحمله في مخلاته، ثم مرّ بحجر آخر فقال: احملني،

فإني حجرك الذي تقتل به جالوت، وقد خبّأني الله لك. فوضعه في مخلاته.

فلما تصافّوا للقتال وبرز جالوت وسأل المبارزة، انتدب له داود، فأعطاه طالوت فرساً ودرعاً وسلاحاً، فلبس السلاح وركب الفرس، وسار قريباً، ثم انصرف فرجع إلىٰ المَلِك، فقال مَن حوله: جَبُن الغلام، فجاء فوقف علىٰ الملك، فقال: ما شأنك؟ قال: إن اللهﷻ إنْ لم ينصرني لم يُغْنِ عني هذا السلاحُ شيئاً، فدعني أُقاتل كما أريد. قال: نعم، فأخذ داود مخلاته فتقلّدها، وأخذ المقلاع ومضىٰ نحو جالوت.

وكان جالوت مِنْ أشد الناس وأقواهم، وكان يهزم الجيوش وحده، وكان له بيضة فيها ثلاثمائة مَنٍّ حديداً. فلما نظر إلىٰ داود أُلقي في قلبه الرعبُ، فقال له: أنت تَبْرُزُ لي؟ قال: نعم. وكان جالوت علىٰ فرس أَبْلَق عليه السلاح التام، فقال: تأتيني بالمقلاع والحجر كما يؤتىٰ الكلب؟ قال: نعم، لأنت شر من الكلب. قال: لا جَرَمَ لأُقَسِّمَنَّ لحمك بين سباع الأرض وطير السماء. فقال داود: باسم الله، ويُقَسِّمُ الله لحمك. وقال: باسم الله إله إبراهيم، وأخرج حجراً ووضعه في مقلاعه، ثم أخرج الآخر وقال: باسم الله إله إسحاق، ووضعه في مقلاعه، ثم أخرج الثالث وقال: باسم الله إله يعقوب، ووضعه في مقلاعه، فصارت كلها حجراً واحداً، ودوّر المقلاع ورماه به، فسخّر الله تعالىٰ له الريح حتىٰ أصاب الحجرُ أنفَ البيضة، وخالط دماغه فخرج من قفاه، وقتل مِن ورائه ثلاثين رجلاً، وهزم الله تعالىٰ الجيش، وخرّ جالوت قتيلاً. فأخذه داود فجرّه حتىٰ ألقاه بين يدي طالوت.

قال تعالىٰ: ﴿وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ﴾ [البقرة ٢٥١].

وذكر الكسائي في سرد هذه القصة أموراً أخرى تختلف عن هذه الرواية، واخترنا هذه الرواية لأنها الأنسب.

ومنها نعلم أن النصر ليس بالعَدد والعُدد، إنما في الحقيقة هو من عند الله سبحانه، والقوة بيد الله، فربناﷻ يعطي مُلكه وحُكمه وماله لِمَنْ يشاء.

والإيمان أقوى سلاح نقاتل به أعداءنا.

قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ۝٧﴾ [محمد].





وادي داود، وهو المكان الذي يعتقد أن فيه حصلت المعركة
بين سيدنا داود وجالوت



الوادي الذي يعتقد أن سيدنا داود أخذ الحجارة منه

المعارك التي حصلت بين داود عليه السلام وطالوت:

قال الثعلبي: قال المفسرون: ولَمّا قتل داود جالوت، ذكر الناسُ داودَ وعَظُمَ في أنفسهم، فجاء إلىٰ طالوت وقال له: أَنْجِزْ لي ما وعدتَني وأعطني امرأتي، فقال له طالوت: أتريد ابنة الملك بغير صَداق؟ عَجِّلْ صَداق ابنتي وشأنك بها. فقال له داود: ما شرطتَ عليّ صَداقاً وليس لي شيء، فتحكّم في الصداق ما شئتَ، وأقرضني مهرها وعليّ الأداء والوفاء لك. فقال طالوت: أَصْدِقْها نصيبك من المُلك، فقال بنو إسرائيل: لا تظلمه وأَنْجِزْ له ما وعدتَه به. فلما رأى طالوت مَيْلَ بني إسرائيل إلىٰ داود وحُسْنَ رأيهم فيه، قال: لا حاجة لابنتي في المال، ولا أُكَلِّفُك إلاّ ما تطيق، أنت رجل جريء وفي جبالنا أعداء من المشركين غُلْف، فانطلِق وجاهدهم، فإذا قتلتَ منهم مائتي رجل وجئتَني برؤوسهم زوّجتك ابنتي.

فأتاهم داود، وجعل كلما قتل منهم رجلاً احتزّ رأسه ونظمه في خيط،

حتىٰ نظم رؤوسهم، فجاء بها إلىٰ طالوت، فألقاها إليه وقال: ادفع إليّ امرأتي.

فزوّجه ابنته، وأجرى خاتمه في مُلْكه، فمال الناس إلىٰ داود وأحبّوه، وأكثروا مِنْ ذِكْره، فوجد طالوت من ذلك في نفسه وحَسَدَه، وأراد قتله.

قال وهب بن منبه: فلبث طالوت زمناً يريد قَتْل داود، فعزم علىٰ أن يأتيه ويغتاله في داره، فَأَخْبَرَ بذلك بنتَ طالوت رجلٌ يقال له: ذو العينين، فقالت لداود: إنك مقتول الليلة، قال داود: ومَن يقتلني؟ قالت: أبي، وأَخْبَرَتْهُ الخبر وقالت: لا عليك أن تغيب الليلة حتىٰ تنظر مصداق ذلك.

فأخذ داود زِقَّ خمر فوضعه في مضجَعه علىٰ السرير وسجّاه، ودخل تحت السرير، ودخل طالوت نصف الليل، فعمد إليه فضربه ضربة بالسيف، فسالت الخمر، فلما وجد ريحها قال: رحم الله داود، ما كان أكثر شربه للخمر! وخرج.

فلما أصبح عَلِمَ أنه لم يصنع شيئاً، فقال: إن رجلاً طَلَبْتُ منه ما طَلَبْتُ لَخَلِيقٌ أنْ لا يدعني حتىٰ يطلب مني ثأره. فاشتدّ حُجّابُه وحرّاسُه، وأغلق دونه الأبواب، فأتاه داود ليلة وقد هدأت العيون، وأعمىٰ الله الحُجّاب عنه، وفُتِحَتْ له الأبواب، فدخل عليه وهو نائم علىٰ فراشه، فوضع سهماً عند رأسه، وسهماً عند رجليه، وسهماً عن يمينه، وسهماً عن شماله، ثم خرج. فلما استيقظ طالوت بَصُر بالسهام فعرفها، فقال: رحم الله داود فهو خير مني، ظفرتُ به فقصدتُ قتله، وظفر بي فكفّ عني، لو شاء لَوَضَعَ هذا السهم في حلقي، وما أنا بالذي آمَنُهُ.

فلما كانت الليلة القابلة، أتاه ثانياً وأعمىٰ الله الحُجّاب، فدخل وهو نائم، فأخذ إبريق طالوت الذي كان يتوضأ به، وكُوزه الذي كان يشرب منه، وقطع شعرات من لحيته وشيئاً من هُدْب ثيابه، ثم خرج وهرب وتوارى. فلما أصبح طالوت ورأى ذلك، نصب علىٰ داود العيون، وطلبه أشد الطلب، فلم يقدر عليه.

ثم ركب طالوت يوماً، فوجد داود يمشي في البريّة، فقال: اليوم أقتل داود، وكان داود إذا فرّ لم يُدْرَك. فركض داود حتىٰ دخل غاراً، فأمر الله العنكبوت أن تنسج، فنسجت عليه بيتاً. وجاء طالوت إلىٰ الغار، فنظر إلىٰ بيت العنكبوت فقال: لو كان ها هنا

لَخرق بيتَ العنكبوت، فتركه ومضىٰ.

وانطلق داود إلىٰ الجبل ومعه المُتَعَبِّدون، فجعل يتعبّد فيه.

وطعن العلماء والعُبّاد علىٰ طالوت في شأن داود، فجعل طالوت لا ينهاه أحدٌ عن داود إلاّ قتله، ولم يكن طالوت يحارب جيشاً إلاّ هزمه. حتىٰ أُتِيَ بامرأة تعلم اسم الله الأعظم، فأمر جَبّارَه بقتلها، فرحمها الجبّار وقال: لَعلّنا نحتاج إلىٰ عالِم، فتركها.

ثم وقع في قلب طالوت التوبة، وندم علىٰ ما فعل، وأقبل علىٰ البكاء حتىٰ رحمه الناس، وكان كل ليلة يخرج إلىٰ القبور ويبكي وينادي: أنشد الله عبداً يعلم لي التوبة إلاّ أخبرني. فلما كثر عليهم بكاؤه، ناداه منادٍ من قبرٍ: يا طالوت، أما ترضىٰ أنك قتلتَنا حتىٰ تؤذينا أمواتاً؟ فازداد بكاء وحزناً.

فقال له الجَبّار: ما لك أيها الملك؟ قال: هل تعلم لي في الأرض عالِماً أسأله: هل لي من توبة؟ قال الجبّار: هل تدري ما مَثَلُكَ؟ إنما مَثَلُك مَثَل مَلِك نزل قرية عشاء، فصاح ديك فتطيّر به، فقال: لا تتركوا في هذه القرية ديكاً إلاّ ذبحتموه. فلما أراد أن ينام قال لأصحابه: إذا صاح الديك فأيقِظونا، فقالوا له: وهل تركتَ ديكاً يُسمع صوته؟ وأنت هل تركتَ في الأرض عالِماً؟ فازداد طالوت حزناً وبكاء. فلما رأى الجبّار ذلك قال له: أرأيتك إنْ دللتُك علىٰ عالِم لعلك أنْ تقتله؟ قال: لا. فتوثّق منه الجبّار وأخبره أن المرأة العالِمة عنده، قال: فانطلِق بي إليها حتىٰ أسألها: هل لي من توبة؟ وكان إنما يَعْلَم ذلك أهلُ بيت لهم عِلْمٌ بالاسم الأعظم[1].

فلما بلغ طالوتُ البابَ، قال له الجبّار: إنها إنْ رأتك فزعتْ، فخلّفه خَلْفَه ثم دخل عليها، فقال لها: ألستُ أعظم عليك حُرْمة؟ أنَجَّيْتُكِ من القتل وآويتك عندي؟ قالت: بلىٰ، قال: فإن لي إليك حاجة، قالت: وما هي؟ قال: هذا طالوت يسأل: هل له من توبة؟ قالت: لا والله، ما لطالوت من توبة، ولكن هل تعلمون مكان قبر أشمويل؟ قال: نعم، قالت: انطلقوا بي إلىٰ قبره.

---

(١) وفي رواية الثعلبي: وكانت تعلم الاسم الأعظم، وكان إنما يعلم بهذا الاسم أهلُ بيت لها فَنِيَت رجالهم، وعَلِمَتْ نساؤهم.

ففعلوا، فصلّتْ ثم نادت: يا صاحب القبر اخرج، فخرج أشمويل من قبره يَنْفُضُ رأسه من التراب، فلما نظر إليهم ثلاثتهم: المرأة والجبّار وطالوت، قال: ما لكم؟ أقامت القيامة؟ قالت: لا، ولكن طالوت يسألك: هل له من توبة؟ قال أشمويل: يا طالوت، ما فعلتَ بعدي؟ قال: لم أدَعْ مِنَ الشر شيئاً إلاّ فَعَلْتُه، وقد جئتُ أطلب التوبة. قال: كم لك من الولد؟ قال: عشرة رجال، قال: ما أعلم لك من توبة إلاّ أن تتخلّىٰ عن مالك وتخرج أنت وولدك في سبيل الله، ثم تُقَدِّم ولدك حتىٰ يُقتلوا بين يديك، ثم تقاتل أنت حتىٰ تُقْتَل آخرهم. ثم رجع أشمويل إلىٰ قبره وسقط ميتاً.

ورجع طالوت أحزن ما كان، وقد بكىٰ حتىٰ سقطت أشفار عينيه وانحنىٰ جسمه، فدخل عليه أولاده فقال لهم: أرأيتم لو دُفِعْتُ إلىٰ النار هل كنتم تُنْقذونني؟ قالوا: بلىٰ، ننقذك بما نقدر عليه. قال: فإنها النار إن لم تفعلوا ما أقول، قالوا: فاعرض علينا. فذكر لهم القصة، قالوا: فإنك لَمقتول؟ قال: نعم، قالوا: فلا خير لنا في الحياة بعدك، قد طابت أنفسُنا بالذي سألتَ.

فتجهّز للغزو بماله وولده، فتقدّم ولده فقاتلوا بين يديه حتىٰ قُتلوا، ثم تقدّم فقاتل بعدهم حتىٰ قُتِلَ. فجاء قاتله إلىٰ داود يُبَشِّرُه، وقال له: قد قتلتُ عدوك، فقال داود: ما أنت بالذي تَحْيَىٰ بعده، فضرب عنقه.

۞ خلافة داود عليه السلام ونبوته ومبعثه إلىٰ بني إسرائيل:

قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾ [ص].

قال أبو إسحاق الثعلبي: قالت العلماء بأخبار الأنبياء: لَمّا استُشهد طالوت، أتىٰ بنو إسرائيل إلىٰ داود فأعطوه خزانة طالوت، وملّكوه علىٰ أنفسهم. وذلك بعد قتل جالوت بسبع سنين، ولم يجتمع بنو إسرائيل بعد يوشع بن نون علىٰ مُلْك واحد إلاّ علىٰ داود عليه السلام.


بعثة داود عليه السلام
صدد
جاه
جبيل
الفينيقيون
الآراميون
دمشق
البحر الكبير
(البحر المتوسط)
صور
حوران
عكا
أرض
الأموريون
مجدو
جلعاد
نابلس السامرة
أريحا
مملكة
يافا
الأردن
ربة عمون
داود
(أور شليم)
العمونيون
اشدود
عليه السلام
بحيرة
غزة
حبرون (الخليل)
لوط
الشعب الفلستي
المؤابيون
كنعان
بئر السبع
العمالقة
البتراء
شمال
غرب
جنوب
مقياس الرسم
صفر
٣٠
٦٠كم

وقال الكسائي في روايته: لَمّا مات أشمويل، تفرّق بنو إسرائيل واشتغلوا باللهو، فبعث الله تعالىٰ داودعليه السلام، وأعطاه سبعين سطراً من الزبور، وأعطاه حُسْن الصوت، فكان إذا سَبَّحَ سبّحت الجبال معه والطير والوحش.

۞ خصوصيات سيدنا داودعليه السلام:

قال الله تعالىٰ: ﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾﴾ [ص].

قال الثعلبي: وخصّ الله تعالىٰ نبيه داود بخصائص منها:

١) إنزال الزبور بالعبرانية خمسين ومائة سورة:

في خمسين منها ما يكون من بُخْتَنَصر وأهل بابل، وفي خمسين ما يكون من أهل إبرون، وفي خمسين منها موعظة وحكمة.

ولم يكن فيها حلال ولا حرام، ولا حدود ولا أحكام.

وذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾[1].



صورة لنسخة نادرة من كتاب الزبور
محفوظة بمكتبة المعهد الديني
بسموحة - الإسكندرية

(١) الآية ١٦٣ من النساء، والآية ٥٥ من الإسراء كذلك.

فالزبور كان فقط يتعلق بما ذكرنا، وأما الحلال والحرام فكان يأخذه سيدنا داود من التوراة[١].

٢) ومنها الصوت الطيب، والنغمة اللذيذة، والترجيع في الألحان:

ولم يُعْطِ الله تعالىٰ أحداً مِنْ خَلْقِه مِثْل صوته، فكان يقرأ الزبور بسبعين لحناً، بحيث يعرق المحموم ويفيق المغشي عليه.

وكان إذا قرأ الزبور برز إلىٰ البرية، فيقوم ويقرأ، ويقوم معه علماء بني إسرائيل خلفه، ويقوم الناس خلف العلماء، وتقوم الجن خلف الناس، وتقوم الشياطين خلف الجن، وتدنو الوحوش والسباع حتىٰ تُؤخذ بأعناقها، وتُظِلُّه الطير مُصْخِية، ويركد الماء الجاري، ويسكن الريح.

ويروى أن أهل الجنة كذلك يسمعونه وهو يقرأ الزبور.

وقال الثعلبي: ما صُنِعَت المزامير، والبرابط[٢]، والصُّنُج، والأبواق، إلاّ علىٰ صوته. وذلك أن إبليس حسده واشتدّ عليه أمره، فقال لعفاريته: ترون ما دهاكم؟ فقالوا: مُرْنا بما شئتَ، قال: فإنه لا يصرف الناس عن داود إلاّ ما يُضاده ويحادّه[٣] في مِثْل حاله. فهيّأ المزامير، والأعواد، والأوتار، والملاهي علىٰ أجناس أصوات داود. فسمعها سفهاء الناس، فمالوا إليها واشتغلوا بها.

واليوم يستعمل الناس هذه الموسيقىٰ في كل مجالات حياتهم الرسمية والشعبية، وهذا إن دل علىٰ شيء فإنما يدل علىٰ أن إبليس قد سيطر عليهم بذلك، وأولئك الذين يعملون بها إنما هم من جملة تلاميذ إبليس.

٣) ومنها تسبيح الجبال والطير معه:

قال الله تعالىٰ: ﴿۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ﴾ [سبأ ١٠].

---

(١) فجميع أنبياء ورسل بني إسرائيل - وهم أكثر من مائتي ألف نبي - من عهد موسىٰ إلىٰ عهد عيسىٰ عليهم الصلاة والسلام جاءوا بحكم التوراة. إنما الزبور كان خاصاً بداود عليه السلام ومَن في عصره من بني إسرائيل.

(٢) أي العيدان.

(٣) أي يعاديه.

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾﴾ [ص].

يقال: إن داود عليه السلام كان إذا تخلّل الجبالَ يُسَبِّح اللهَ تعالىٰ، جعلت الجبالُ تجاوبه بالتسبيح نحو ما يسبح.

ثم قال في نفسه ليلة من الليالي: لأَعْبُدَنَّ الله عبادة لم يُعْبَد مثلها، فصعد الجبل، فلما كان في جوف الليل وهو علىٰ جبل داخلته وحشة، فأوحىٰ الله إلىٰ الجبال: أنْ آنِسِي داود. فاصطكت الجبال بالتسبيح والتهليل، فقال داود في نفسه: كيف يُسْمَع صوتي مع هذه الأصوات؟ فهبط عليه مَلَك وأخذ بعضده حتىٰ انتهىٰ به إلىٰ البحر، فوكزه برجله فانفرج له البحر، فانتهىٰ إلىٰ الأرض فوكزها برجله، فانفرجت له الأرض، حتىٰ انتهىٰ إلىٰ الحوت فوكزه برجله، فانتهىٰ إلىٰ الصخرة، فوكز الصخرة برجله فانفلقت، فخرجت منها دودة تَنِشُّ[1]، فقال: إن الله تعالىٰ يسمع نشيش هذه الدودة في هذا الموضع.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان داود يفهم تسبيح الحجر والشجر والمَدَر.

٤) ومنها أن الله تعالىٰ أكرمه بالحكمة وفصل الخطاب:

قال تعالىٰ: ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ ﴿٢٠﴾﴾[ص].

والحكمة هي الإصابة في الأمور.

واختلفوا في فصل الخطاب.

فقال ابن عباس رضي الله تعالىٰ عنهما: هو بيان الكلام.

وقال ابن مسعود والحسن: المعنىٰ عِلْم الحُكْم والنظر في القضاء، كان لا يَتَتَعْتَعُ[2] في القضاء بين الناس.

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: هو البَيِّنَة علىٰ المُدَّعي واليمين علىٰ المُدَّعَىٰ عليه.

وقال كعب الأحبار: الشهود والأيمان.

---

(١) أي تُصَوِّتُ.

(٢) أي لا يَتَرَدَّد.

وقال الشعبي: سمعتُ زياداً يقول: فصل الخطاب الذي أُعطي داود (أما بعد).

قال الأستاذ: وهو أول مَن قالها.

ولو جمعنا الأمور هذه كلها، فقد أُوتِيَها سيدنا داود بأكملها، وأكرمه الله ﷻ بها.

٥) ومنها السلسلة التي أعطاه الله إياها ليعرف المُحِقَّ من المُبْطل في المحاكمة إليه:

قال الثعلبي: روى الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن الله تعالىٰ أعطىٰ داود سلسلة موصولة بالمجرة والفُلك، ورأسها عند محراب داود حيث يُتَحاكَمُ إليه. وكانت قوتها قوة الحديد، ولونها لون النار، وحِلَقُها مستديرةً مفصّلة بالجوهر، مُدَثّرة بقضبان اللؤلؤ الرطب، فلا يحدث في الهواء حَدَثٌ إلاّ صَلْصَلَتِ السلسلة، فيعلم داود ذلك الحدث.

ولا يلمسها ذو عاهة إلاّ برئ.

وكان علامة دخول قومه في الدِّين أن يمسوها بأيديهم ويمسحوا بأكفهم علىٰ صدورهم.

وكانوا يتحاكمون إليه، فمَن تعدّى علىٰ صاحبه أو أنكره حقاً أتوا السلسلة، فمَن كان صادقاً مُحِقّاً مدّ يده إلىٰ السلسلة فنالها، ومَن كان كاذباً ظالماً لم يَنَلْها. فكانت كذلك إلىٰ أن ظهر فيهم المكر والخديعة.

قال الثعلبي: فبلغنا أن بعض ملوكهم أودع رجلاً جوهرة ثمينة، فلما أراد استردادها منه أنكره ذلك، فتحاكما إلىٰ السلسلة، فعَلِمَ الذي كانت عنده الجوهرة أن يده لا تنال السلسلة، فعمد إلىٰ عُكّازة فنقرها، ثم ضمّنها الجوهرة واعتمد عليها، حتىٰ حضر معه غريمه عند السلسلة، فقال لصاحبها: ما أعرف لك من وديعة، إن كنتَ صادقاً فتناول السلسلة. فتناولها بيده، وقال للمُنْكِر: قُمْ أنت أيضاً فتناوَلْها، فقال لصاحب الجوهرة: الزم عُكّازتي هذه حتىٰ أتناول السلسلة. فأخذها، وقام الرجل وقال: اللهم إنْ كنتَ تعلم أنَّ هذه الوديعة التي يدّعيها عليّ قد وصلتْ إليه فَقَرِّبْ مني السلسلة، فمدّ يده وتناولها، فشكّ القوم وتعجّبوا، فأصبحوا وقد رفع الله تلك السلسلة.

وقال الكسائي في خبر السلسلة: أوحىٰ الله تعالىٰ إلىٰ داود أن ينصب سلسلة من حديد ويُعَلِّقَ فيها جرساً، ففعل ذلك، وساق في خبرها نحو ما تقدّم في أمر المُحِق والمبطل.

قال: وجاء خصمان، فادّعىٰ أحدهما علىٰ الآخر أنه أوْدعه جوهراً، فاعترف به وقال: أعَدْتُه إليه، فقام المدّعي وتناول السلسلة، فدنت منه حتىٰ تناولها، ثم قال للمُدَّعىٰ عليه: تناوَلْها، وكان قد أخذ الوديعة فجعلها في قناة مُجَوّفة، فناولها للمدّعي وقال: الزم عصاي هذه، ومدّ يده إلىٰ السلسلة فدنت منه حتىٰ كاد يتناولها، ثم ارتفعتْ وتدلّتْ إليه مراراً، ثم تناولها. فقال داود للمدّعي: لعلّ هذا قد سلّم وديعتك لأهلك؟ فرجع وسأل أهله، فقالوا: ما دفع إلينا شيئاً، فعاد وأعْلَمَ داود، فأخذ داود القناة وشقّها، فطلعت الوديعة منها، وارتفعت السلسلة من ذلك اليوم.

قال الثعلبي: وكان عمر بن الخطابﷺ يقول إذا اشتبه عليه أمر الخصمين: ما أحوجنا إلىٰ سلسلة بني إسرائيل، كانت تأخذ بعنق الظالم فتجرّه إلىٰ الحق جرّاً.



كانت السلسلة في القدس الشريف وبقرب الصخرة، وهناك قبة تعرف حتىٰ الآن بقبة السلسلة، وهي القبة الصغيرة الواضحة في الصورة

٦) ومنها القوة في العبادة وشدة الاجتهاد:

قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ[١] إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ[٢] ﴿١٧﴾﴾ [ص].

وكان داود عليه السلام يقوم الليل، ويصوم النهار يوماً، ويفطر يوماً كما ورد في الحديث الصحيح عن عبدالله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ قال: «إنَّ أحب الصيام إلىٰ الله صيام داود، وأحب الصلاة إلىٰ الله صلاة داود. كان ينام نصف الليل، ويقوم ثلثه، وينام سدسه. وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً»[٣].

وما مرّت ساعة من الليل إلاّ وفيها مِنْ آل داود قائمٌ يصلي، ولا يوم من الأيام إلَّا وفيه منهم صائم.

٧) ومنها قوة المملكة:

قال الله تعالىٰ: ﴿وَشَدَدۡنَا مُلۡكَهُۥ[٤]﴾ [ص ٢٠].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان داود عليه السلام أشد ملوك الأرض سلطاناً، كان يحرس محرابه كل ليلة ثلاثة وثلاثون ألف رجل.

وقال السُّدّي: كان يحرسه في كل يوم وليلة أربعة آلاف.

ويقال: كان لداود إذا جلس للحُكْم عن يمينه ألف رجل من الأنبياء، وعن يساره ألف رجل من الأحبار.

---

(١) أي ذا المكانة والقوة.

(٢) أي توّاب مطيع ومُسَبِّح.

(٣) حديث متفق عليه رواه وأخرجه الإمام أحمد والأئمة الستة إلاّ الترمذي، فإنه إنما روى فضل الصوم فقط. كما رواه ابن حبان والدارمي والبزار والبيهقي وغيرهم. وسببه أن عبدالله بن عمرو بن العاص كان يداوم الصيام والقيام، فقال له رسول الله ﷺ: إن لجسدك عليك حقاً، ولربك عليك حقاً، ولزوجك عليك حقاً، فأَعْطِ كل ذي حق حقه... ثم ذكره.

(٤) وقرأ الحسن: [وَشَدَّدْنا مُلْكَهُ] بالتشديد، أي قوّيناه.

وفي هذا المجال قال ابن كثير في تفسيره: ذكر ابن جرير وابن أبي حاتم عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أن نفرين من بني إسرائيل استعدى أحدهما على الآخر إلى داود عليه السلام أنه اغتصبه بقراً، فأنكر الآخرُ، ولم يكن للمُدَّعي بَيِّنة، فأرجأ أمرهما. فلما كان الليل، أُمِرَ داود عليه السلام في المنام بقتل المدعي، فلما كان النهار طلبهما وأمَرَ بقتل المدعي، فقال: يا نبي الله، علام تقتلني وقد اغتصبني هذا بقري؟ فقال له: إن الله تعالى أمرني بقتلك، فأنا قاتلك لا محالة. فقال: واللهِ يا نبي الله، إن الله لم يأمرك بقتلي لأجل هذا الذي ادَّعَيْتُ عليه وإني لَصادق فيما ادَّعَيْتُ، ولكني كنتُ قد اغتلتُ أباه وقتلته، ولم يشعر بذلك أحد. فَأَمَرَ به داود عليه السلام فقُتِلَ.

قال ابن عباس: فاشتدّت هيبته في بني إسرائيل.

٨) ومنها شدة البطش:

فَرُوِيَ أنه ما فرّ ولا انحاز من عدو له قط.

٩) ومنها إلانة الحديد:

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ[1] وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ[2] وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾﴾ [سبأ].

فكان يفعل ذلك حتى جمع منه مالاً.

وسببها أن داود كان يتخفّى دائماً في كل فترة وفترة، وينزل إلى الرعية ويسألهم: ماذا تقولون بداود؟ حتى يُصْلِح من شأنه إذا كان مخطئاً، فيثنون عليه كثيراً.

وفي يوم أرسل الله إليه مَلَكاً بصفات رجل وتصوّر أمامه، فسأله: ماذا تقول في داود يا هذا؟ فقال: لا نقول به إلاّ خيراً، إنه عبد صالح صادق مع ربه، غير أنه يأكل من بيت المال، لو أنه أكل مِنْ كَسْبه.

---

(١) أي دروعاً كوامل واسعات.

(٢) أي لا تجعل المسامير دِقاقاً فتنفلق، ولا غِلاظاً فتكسر الحَلَق.

فرجع يومها داود ودعا ربه أن يكرمه بِكَسْب يده، فعلّمه الله صنعة الدروع، فكان هو أول من صنع الدروع على شكلها المثقب.

قال تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [الأنبياء].

رُوِيَ أن لقمان الحكيم رأى داود وهو يعمل الدروع، فعجب من ذلك ولم يَدْرِ ما هو؟ فأراد أن يسأله، فسكت حتى فرغ داود من نسج الدروع، فقام وصبّها على نفسه وقال: نِعْمَ القميص هذا للرجل المحارِب، فعَلِمَ لقمان ما يُراد به فقال: الصمت حكمة وقليلٌ فاعله.

فكان عليه السلام يأخذ الحديد فيكون بيده كالعجين بيد العجان، أو كالتراب إذا خُلِطَ بالماء، وبدون نار، فيصنعه كما يريد (سكيناً، أو درعاً، أو سيفاً، أو خوذة....)، فإذا خرج مِنْ بين يديه يبس.

فكان يبيع القطعة بأربعة آلاف، فيأكل وينفق على أهله، ويتصدّق بذلك.

فهذه النقاط كلها جعلتها أمامك أخي القارئ حتى يتبيّن لديك كيف يعطي الله عز وجل عبده الطائع أشياء كثيرة لا تخطر على بال الآخرين.

۞ قصة اختبار سيدنا داود عليه السلام:

قال تبارك وتعالى: ﴿۞ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾﴾ [ص].

ولقد تكلّم العلماء كثيراً حول سبب هذه الآيات.

فقال الثعلبي: إن داود عليه السلام تمنّىٰ يوماً من الأيام علىٰ ربه تعالىٰ منزلة آبائه إبراهيم وإسحاق ويعقوب، وسأله أن يمتحنه نحو الذي كان يمتحنهم، ويعطيه من الفضل نحو الذي أعطاهم.

وقال السُّدّي والكلبي ومقاتل عن أشياخهم، ودخل حديث بعضهم ببعض، قالوا: كان داود عليه السلام قسم الدهر ثلاثة أيام: يوماً يقضي فيه بين الناس، ويوماً لعبادة ربه، ويوماً يخلو فيه بنسائه وأولاده وأشغاله.

وكان يجد فيما يقرأ من الكتب فضل إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم الصلاة والسلام، فقال: يا رب، إن الخير كله ذهب به آبائي الذين كانوا من قبلي. فأوحىٰ الله تعالىٰ إليه: إنهم ابتُلوا ببلايا لم تُبْتَلَ بها فصبروا عليها، ابتُلي إبراهيم بالنمروذ وبذبح ابنه، وابتُلي إسحاق بالذبح[1] وبذهاب بصره، وابتُلي يعقوب بالحزن علىٰ يوسف، وإنك لم تُبْتَلَ بشيء من ذلك. فقال داود عليه السلام: ربّ، فابتليني بمثل ما ابتليتهم، وأعطني مِثْل ما أعطيتَهم. فأوحىٰ الله تعالىٰ إليه: إنك مُبْتَلىً في شهر كذا في يوم كذا، فاحترس.

فلما كان ذلك اليوم الذي وعده الله عز وجل، دخل داود محرابه وأغلق بابه، وجعل يصلي ويقرأ الزبور. فبينا هو كذلك إذ جاءه الشيطان، تَمَثَّلَ له في صورة حمامة من ذهب فيها مِن كل لون حسن، فوقعتْ بين رجليه، فمدّ يده ليأخذها[2]. فلما أهوى إليها طارت غير بعيد من غير أن تُؤيِّسه من نفسها، فامتدّ إليها ليأخذها فتنحّت، فتبعها، فطارت حتىٰ وقعت في كُوّة، فذهب ليأخذها فطارت من الكوة، فنظر داود عليه السلام أين تقع فيبعث إليها مَن يصيدها، فأبصر امرأة في بستان علىٰ شط بركة لها تغتسل. كما قال الكلبي.

وقال السُّدّي: تغتسل علىٰ سطح لها.

وقال الكسائي: سقط الطائر علىٰ شجرة إلىٰ جانب الحوض الذي تغتسل منه نساء بني إسرائيل.

قالوا: فرأى داود امرأة من أجمل النساء خَلْقاً، فعجب من حُسْنها وحانت منها

---

(١) هذا علىٰ القول المرجوح بأن إسحاق هو الذبيح.

(٢) وفي بعض الروايات: ليدفعها إلىٰ ابن له صغير.

التفاتة، فأبصرت ظِلَّه، فنَفَضَتْ شعرها فتغطّى بدنُها، فزاده ذلك إعجاباً بها، فسأل عنها فقيل: هي بَتْشابَع بنت سابغ[١] امرأة أُورِيّا بن حُنانا، وزوجها في غزاة بالبلقاء[٢] بُعِثَ مع يُوآب بن صَرُوية[٣] ابن أخت داود. فكتب داود إلى ابن أخته أن ابعث أوريّا إلى موضع كذا وكذا، وقَدِّمْه قبل التابوت. وكلُّ مَن قُدِّمَ على التابوت لا يحل له أن يرجع وراءه حتى يفتح الله على يديه أو يُستشهد.

فبعثه يوآب وقدّمه، ففُتِحَ له. فكتب إلى داود بذلك، فكتب إليه أيضاً أن ابعثه إلى عدو كذا وكذا.

فبعثه ففُتِحَ له، فكتب إلى داود بذلك، فكتب إليه أيضاً أن ابعثه إلى عدو كذا أشد منه بأساً.

فبعثه فقُتِلَ في المرة الثالثة، فلما انقضت عِدّة المرأة تزوّجها داود، وهي أم سليمان عليهما السلام.

هذا ما ذُكِرَ في قصة اختبار داود عليه السلام.

وقال آخرون: كان سبب امتحانه أن نفسه حدّثته أنه يُطيق قَطْعَ يومٍ بغير مقارفة سوء.

وقال بعضهم في سبب اختباره ما رواه أبو إسحاق بسنده عن قتادة عن الحسن قال: قال داود عليه السلام لبني إسرائيل حين ملك: واللهِ لأَعْدِلَنَّ بينكم، ولم يَسْتَثْنِ فابتُلي.

وقال أبو بكر الورّاق: كان سبب ذلك أن داود عليه السلام كان كثير العبادة، فأُعْجِبَ بعمله وقال: هل في الأرض أحد يعمل عملي؟ فأتاه جبريل عليه السلام فقال: إن الله عز وجل يقول: أُعْجِبْتَ بعبادتك، والعُجْبُ يأكل العبادة، فإنْ أُعجبتَ ثانياً وَكَلْتُكَ إلى نفسك. فقال: يا رب، كِلْني إلى نفسي سنة. قال: إنها لَكثير، قال: شهراً، قال: إنه لَكثير، قال: أسبوعاً، قال: إنه لَكثير، قال: فيوماً، قال: إنه لَكثير، قال: فساعة، قال: فشأنك بها.

---

(١) وقيل في اسمها أقوال ثانية.

(٢) لقد عرّف العلماء البلقاء بقولهم: هي كُورة من أعمال دمشق بين الشام ووادي القرى، قصبتها عمّان.

(٣) وقيل غير ذلك في اسمه.

فوكّل الأحراس، ولبس الصوف، ودخل المحراب، ووضع الزبور بين يديه. فبينما هو في نُسُكه وعبادته، إذ وقع الطائر بين يديه، وكان مِنْ أمْرِ المرأة ما ذكرنا.

قال المفسرون: فلما دخل داود عليه السلام بامرأة أوريّا، لم يلبث إلاّ يسيراً حتىٰ بعث الله عز وجل مَلَكَيْن في صورة إنْسِيَّيْن يطلبان أن يدخلا عليه، فوجداه في يوم عبادته، فمنعهما الحرس أن يدخلا عليه، فتسوّرا المحراب عليه، فما شَعَرَ وهو يصلي إلاّ وهما بين يديه جالسان.

فذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ(١) فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا(٢) وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ(٣) ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ(٤) لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ(٥) دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ(٦) فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾﴾[ص].

روى السُّدّي أن أحدهما لَمّا قال: ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى﴾... الآية، قال داود عليه السلام للآخر: ما تقول؟ قال: إن لي تسعاً وتسعين نعجة، ولأخي هذا نعجة واحدة، وأنا أريد أن آخذها منه فأُكَمِّلَ نعاجي مائة، وهو كاره. قال داود عليه السلام: وهو كاره؟ قال: نعم، قال: إذاً لا نَدَعُك وذلك، وإن رُمتَ ذلك ضربنا منك هذا وهذا - يعني طَرَف الأنف وأصل الجبهة-. فقال: يا داود، أنت أحق أن يُضْرَبَ منك هذا وهذا، حيث لك تسع وتسعون امرأة ولم يكن لأُوريّا إلاّ امرأة واحدة، فلم تزل به تُعَرِّضه للقتل حتىٰ قُتِلَ وتَزَوَّجْتَ امرأته.

---

(١) إن الآية كَنَّت النساء بالنعاج، والعرب تفعل ذلك.

(٢) قال ابن عباس: أي أعطِنيها. وقال سعيد بن جبير: أي تحوّل لي عنها. وقال أبو العالية: ضُمَّها إليّ حتىٰ أَكْفُلَها. وقال ابن كيسان: اجعلها كِفْلي، أي نصيبي.

(٣) أي غلبني.

(٤) أي الشركاء.

(٥) أي أيقن.

(٦) أي ابتليناه.

فنظر داود عليه السلام فلم يَرَ أحداً، فعرف ما قد وقع فيه.

فذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ﴾ [ص ٢٤].

قال سعيد بن جبير: إنما كانت فتنة داود النظر.

وقال الثعلبي: لم يتعمّد النظر إلىٰ المرأة، ولكنه أعاد النظر إليها فصارت عليه.

وذلك مصداق قول رسول الله ﷺ: «يا علي، لا تُتْبِع النظرة النظرة، فإن لك الأولىٰ، وليست لك الآخرة»[1].

وقيل: كانت فتنة داود بالخَطْر علىٰ قلبه.

قال الثعلبي: فهذه أقاويل السلف من أهل التفسير في قصة امتحان الله تعالىٰ داود عليه السلام.

وقد رُوِيَ عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: مَن حَدَّث بحديث داود علىٰ ما يرويه القُصّاص معتقداً صحته جَلَدْتُه حَدَّيْن، لِعَظيم ما ارتكب، وجليل ما احتقب[2] من الوزر والإثم، يرمي مَن قد رفع الله محلّه، وأنابه مِن خَلْقه رحمة للعالمين، وحُجّة للمجتهدين.

وهكذا كان يفعل بهم رضي الله تعالىٰ عنه.

وقال القائلون من أهل السنة والجماعة من السلف والخلف بتنزيه المرسلين من هذه القصة، وإن ذنب داود عليه السلام إنما كان أنه تمنّىٰ أن تكون له امرأة أُوريّا حلالاً له، وحدّث نفسه بذلك، فاتفق غزو أُوريّا وتَقَدُّمه في الحرب وهلاكه، فلما بلغه قَتْله لم يجزع عليه ولم يتوجّع له كما كان يجزع علىٰ غيره من جنده إذا هلك، ثم تزوّج امرأته، فعاتبه الله تعالىٰ علىٰ ذلك؛ لأن ما يخطر علىٰ قلوب الأنبياء وإنْ لم يكن ذنباً وإنْ صغرتْ فهي عظيمة عند الله تعالىٰ.

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه وأبو داود، ورواه أحمد والحاكم والبيهقي وغيرهم من حديث بريدة، وقال الترمذي: حسن غريب لا نعرفه إلاّ من حديث شريك. ورواه أحمد والترمذي في النوادر والحاكم وابن حبان والبزار والطبراني في الأوسط والدارمي في سننه وغيرهم بإسناد حسن من حديث علي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال له: «يا علي، إن لك كنزاً وإنك ذو قرنيها، فلا تُتْبِع النظرة النظرة، فإن لك الأولىٰ وليست لك الآخرة».

(٢) أي اكتسب.

وهذا الذي نعتقده في ساداتنا الأنبياء والمرسلين، حيث هم معصومون من الذنوب الصغائر والكبائر، قبل النبوة وبعدها. وهذا ما يجب أن يعتقده المسلم الصادق، وعليه نلقىٰ اللهﷻ.

وقال بعضهم: ذنب داودعليه السلام أنَّ أُوريّا كان قد خطب تلك المرأة ووطّن نفسه عليها، فلما غاب في غزاته خطبها داود، فتزوّجتْ منه لجلالته، فاغتمّ لذلك أوريّا غمّاً شديداً، فعاقبه الله تبارك وتعالىٰ علىٰ ذلك، حيث لم يترك هذه الواحدة لخاطبها الأول، وإنْ كان لا يدري بخِطبتها السابقة.

قال المفسرون: فلما عَلِمَ داود أنه ابتُلي سَجَدَ، فمكث أربعين ليلة ساجداً باكياً، حتىٰ نبت الزرع من دموعه، وأكلت الأرض من جبينه، وهو يقول في سجوده: ربَّ داود، زَلَّ داود زَلّةً أبعد مِمّا بين المشرق والمغرب، ربّ إنْ لم ترحم ضعف داود وتغفر ذنبه جعلتَ ذنبه حديثاً في الخُلوف من بعده.

فجاء جبريلعليه السلام بعد أربعين ليلة فقال: يا داود، إن الله تعالىٰ قد غفر لك الهَمَّ الذي هَمَمْتَ به. فقال داود: عرفتُ أن الرب قادر علىٰ أن يغفر لي، وقد عرفتُ أن الله عَدْل لا يميل، فكيف بفلان إذا جاء يوم القيامة فقال: يا رب، دمي الذي عند داود؟ فقال جبريل: ما سألتُ ربي عن ذلك، ولئن شئتَ لأفعلنّ. قال: نعم، فعرج جبريلعليه السلام.

وسجد داود فمكث ما شاء الله، ثم نزل جبريل فقال: قد سألتُ يا داود ربَّك عن الذي أرسلتَني فيه فقال: قل لداود: إن الله يجمعكما يوم القيامة فيقول له: هَبْ لي دمك الذي عند داود، فيقول: هو لك يا رب، فيقول: فإن لك في الجنة ما شئتَ وما اشتهيتَ عِوَضاً.

وروى الثعلبي بسند رفعه إلىٰ ابن عباس، وكعب الأحبار، ووهب بن منبه، قالوا جميعاً: إن داودعليه السلام لَمّا دخل عليه المَلَكان فقضىٰ علىٰ نفسه، تحوّلا عن صورتهما، فعرجا وهما يقولان: قضىٰ الرجل علىٰ نفسه، وعَلِمَ داود أنه عُنِيَ به، فخرّ ساجداً أربعين يوماً لا يأكل ولا يشرب، ولا يرفع رأسه إلاّ لحاجة أو لوقتِ صلاةٍ مكتوبة، ثم يعود ساجداً لا يرفع رأسه إلاّ لحاجة لا بد منها، ثم يعود. فسجد تمام أربعين يوماً لا يأكل ولا يشرب وهو يبكي، حتىٰ نبت العشب حول رأسه، وهو ينادي ربَّهﷻ ويسأله التوبة، ويدعو بدعاء طويل منه: (سبحان خالق النور، الويل لداود ثم الويل الطويل له حين

يُؤخذ بذقنه فيُدفع إلىٰ المظلوم. سبحان خالق النور، الويل لداود ثم الويل الطويل له حين يُسحب علىٰ وجهه مع الخاطئين إلىٰ النار. سبحان خالق النور، الويل لداود ثم الويل الطويل له حين تُقَرِّبه الزبانية مع الظالمين إلىٰ النار. سبحان خالق النور).

قال الثعلبي: فأتاه نداء من السماء: يا داود، قد غفرتُ لك ذنبك، ورَحِمْتُ بكاءك، واستجبتُ دعاءك، وأَقَلْتُ عثرتك. قال: يا رب، كيف لي أن تعفو عني وصاحبي لم يَعْفُ عني؟ قال: يا داود، أُعطيه يوم القيامة ما لم تَرَ عيناه ولم تسمع أذناه، فأقول له: رَضِيتَ عبدي؟ فيقول: يا رب، من أين لي هذا ولم يَبْلُغْه عملي؟ فأقول له: هذا عِوَض من عبدي داود، فَأَسْتَوْهِبُكَ منه فَيَهَبُكَ لي. قال: يا رب، الآن قد عرفتُ أنك قد غفرتَ لي.

فذلك قوله تعالىٰ: ﴿فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ[1] وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ[2] ﴿٢٥﴾﴾ [ص].

وقال وهب بن منبه: إن داود عليه السلام لَمّا تاب الله تعالىٰ عليه، بكىٰ علىٰ خطيئته ثلاثين سنة، لا تَرْقَأُ له دمعةٌ ليلاً ولا نهاراً.

وكان قد جرى له الاختبار وهو ابن سبعين سنة، فقسم الدهر بعد ذلك إلىٰ أربعة أيام: فجعل يوماً للقضاء بين بني إسرائيل، ويوماً لنسائه، ويوماً يسيح في الفيافي والجبال والساحل، ويوماً يخلو في دار له فيها أربعة آلاف محراب، فيجتمع إليه الرهبان، فينوح معهم علىٰ نفسه ويساعدونه علىٰ ذلك. فإذا كان يوم سياحته يخرج إلىٰ الفيافي فيرفع صوته بالمزامير، فيبكي وتبكي معه الشجر والرمال والطير والوحش، حتىٰ يسيل من دموعهم كما قيل: مِثْل الأنهار، ثم يجيء إلىٰ الساحل فيبكي وتبكي معه الحيتان ودواب البحر والسباع وطير الماء، فإذا أمسىٰ رجع. فإذا كان يوم نَوْحه، نادى منادٍ: إن اليوم نَوْح داود علىٰ نفسه، فليحضر مَن يساعده.

قال: فيدخل الدار التي فيها المحاريب، فتُبْسَط له فُرُش من مسوح حَشْوها ليف،

---

(١) أي ذلك الذنب.

(٢) أي وإن له بعد المغفرة عندنا يوم القيامة حُسْنَ مرجع.

فيجلس عليها. ويجيء الرهبان وهم أربعة آلاف عليهم البرانس، وفي أيديهم العصي، فيجلسون في تلك المحاريب، ثم يرفع داود صوته بالنَّوْح والبكاء، ويرفع الرهبان معه أصواتهم. فلا يزال يبكي حتىٰ تغرق الفرش من دموعه، ويقع داود مِثْل الفرخ يضطرب، فيجيء ابنه سليمان فيحمله، فيأخذ داود من تلك الدموع بِكَفَّيْه، ثم يمسح بها وجهه ويقول: يا رب، اغفر ما ترى.

قال وهب: فلو عُدِلَ بكاء داود ببكاء أهل الدنيا لَعَدَلَه.

وقال ثابت: ما شرب داود شراباً بعد المغفرة إلاّ ونِصْفه ممزوج بدموع عينيه.

وروي عن الأوزاعي قال: بلغنا أن رسول الله ﷺ قال: «خَدَّتِ الدموع في وجه داود عليه السلام خديد الماء في الأرض»[1].

فقل دائماً أيها القارئ الكريم: «اللهم لا تكلنا إلىٰ أنفسنا طرفة عين ولا أقل من ذلك، وأصْلِح لنا شأننا كله يا رب العالمين»؛ لأنّا لسنا بأهل للامتحان والاختبار.

۞ ذِكْر خبر الاعتداء في السبت:

قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [البقرة].

وقال تعالىٰ: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾﴾ [الأعراف].

---

(١) ذكره ابن المبارك في الزهد.


أصحاب السبت (أهل أيلة)
شمال
شرق
غرب
جنوب
الفينقيون
البحر الكبير
(المتوسط)
بادية الشام
قال تعالى:
(واسألهم عن القرية التي
كانت حاضرة البحر)
الأعراف ١٦٣
عجلون
يافا
بنو إسرائيل
الزرقاء
عمون
أور شليم
مادبا
العموريون (الأموريون)
الخليل
بحيرة
لوط
قبائل كنعانية
غزة
الكرك
مؤاب
صحراء النقب
البتراء
معان
أصحاب السبت
أيلة
أرض سيناء
خليج العقبة
مقياس الرسم
٦٠ كم

والقصة كما قال الكسائي أنه كان في زمن داود عليه السلام قومٌ من بني إسرائيل مِن أبناء الذين كانوا مع موسىٰ، وكانوا ينزلون علىٰ ساحل البحر في قرية يقال لها: أَيْلة[1]. وكان الله عز وجل قد حرّم علىٰ بني إسرائيل أن يعملوا يوم السبت، وأوْجَبَ عليهم فيه العبادة.

والسبب أن موسىٰ عليه السلام أمرهم بالعبادة يوم الجمعة، فأبوا وقالوا: لا ينبغي لنا أن نشتغل بعبادة الرب إلاّ في اليوم الذي فرغ فيه من الخليقة، وهو يوم السبت. فلما اختاروه وشدّدوا، شدّد الله عليهم فيه وقال: ﴿إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾﴾ [النحل ١٢٤]. وكان موسىٰ يأمر قومه بتعظيمه، فكانوا كذلك مدةً.

وكان علىٰ ساحل البحر إلىٰ جانب أَيْلة حجران أبيضان، فكانت الحيتان تخرج إلىٰ أصلهما ليلة السبت ويوم السبت؛ لأنها كانت لا تُصاد، فإذا أقبلت ليلة الأحد خرجت منهما إلىٰ البحر، فيتعذّر عليهم صيدها فيه إلاّ بمشقة.

فذلك قوله تعالىٰ: ﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ﴾ [الأعراف ١٦٣].

ومع الأيام الطويلة اختلف القوم فكانوا علىٰ قسمين، قسم يقول: حُرِّم علينا أن نعمل في يوم السبت، فصبروا. والقسم الثاني قال: إنما حَرَّم الله تعالىٰ الاصطياد علىٰ آبائنا وأجدادنا لا علينا، ونحن لا ذنب لنا، وهذه الحيتان تكثر يوم السبت وليلته، فمِن المُحال تركها. فاصطادوها وطبخوها وشَووا منها، فشمّ المؤمنون رائحتها في يوم السبت، فخرجوا إلىٰ الفسّاق ووعظوهم وحذّروهم، فلم يكترثوا لذلك ولم ينتهوا عنه.

فاجتمع المؤمنون علىٰ أبواب القرية بالسلاح ومنعوهم من دخولها، فاشتدّ ذلك علىٰ الفساق وشقّ عليهم أن يمتنعوا من الاصطياد في يوم السبت؛ لكثرة الحيتان فيه دون غيره من الأيام، فقالوا: إن هذه القرية مُشْتَرَكة بيننا وبينكم، ولا يحلّ لكم أن تمنعونا منها، فإما أن تصبروا علىٰ أفعالنا، أو تقاسمونا القرية فننفرد عنكم.

---

(١) هي بلد من بلاد البلقاء في الأردن قرب العقبة، اسمها الآن إيلات، وكانت ذا شأن في زمن سليمان عليه السلام.

فتراضوا على ذلك وقاسموهم القرية، وبنوا بينهم حيطاناً عالية، وباباً يدخلون منه غير بابهم، وانفردت كل طائفة.

واشتغل الفساق باللهو واللعب والاصطياد، وحفروا أنهاراً صغاراً في البحر إلى أبواب دورهم، فكانت الحيتان تأتيها في يوم السبت، فإذا غربت الشمس همّت الحيتان بالرجوع إلى البحر، فيسدون أفواه تلك الأنهار مِمّا يلي البحر، ويصيدون تلك الحيتان.

هذا والمؤمنون يُخَوِّفونهم عذاب الله فلا يرجعون.

فلما طال ذلك وتكرّر منهم، قال بعض المؤمنين لبعض: إلى كم ننصح هؤلاء ولا يريدون إلاّ تمادياً وعُتُواً؟

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ﴾ [الأعراف ١٦٤].

قال الكسائي رحمه الله تعالى: واستغنى الفساق وكثرت أموالهم، واشتروا الضياع وانهمكوا على الفسق، فبلغ ذلك داود عليه السلام، فلعنهم ودعا عليهم.

فبينما هم في منازلهم في شر ما هم فيه، إذ زُلزلت قريتهم زلزلة عظيمة، ففزع المؤمنون وخرجوا من بيوتهم.

قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾﴾ [الأعراف].

وقال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [المائدة].

فإن الذين لُعنوا على لسان داود هم الذين اعتدوا في السبت، والذين لُعنوا على لسان عيسى هم الذين سألوه نزول المائدة، فلما نزلت عليهم كفروا.

قال الكسائي: فمسخ الله هؤلاء الذين اعتدوا في السبت قردة، ومسخ أصحاب المائدة خنازير.

قال الكسائي: فكان أحدهما يأتي قريبه من المؤمنين وعيناه تذرفان دمعاً، فيقول له: أنت فلان؟ فيشير برأسه أي نعم. فيقول لهم المؤمنون: قد أنذرناكم عذاب ربكم وعقوبته فلم تتّعظوا، فنزل بكم ما نزل.

وقال الثعلبي نقلاً عن قتادة: لقد صارت الشبّان قردة، والشيوخ خنازير، فما نجا إلاّ الذين نَهَوْا، وهلك سائرهم.

قال الثعلبي: ثم برز الممسوخون من المدينة وهاموا على وجوههم مُتَحَيِّرين، فمكثوا ثلاثة أيام ثم هلكوا، وكذلك لم يلبث مَسْخٌ فوق ثلاثة أيام، ولم يتوالدوا، ولم يتناسلوا. ثم بعث الله تعالى عليهم ريحاً ومطراً فقذفتهم في البحر، فإذا كان يوم القيامة أعادهم الله إلى صورهم الأولى البشرية فيدخلهم النار، والله أعلم بالصواب.

۞ قصة اختبار داود لأولاده واستخلافه سليمان عليهما السلام:

قال الكسائي رحمه الله تعالى بتهذيب بسيط منا: لقد قام داود عليه السلام بحُكم وسيرة طيبة، وآتاه الله الملك، فَمَلَكَ الناس أربعين عاماً. وكان يحب قبل أن يغادر الدنيا أن يخلف واحداً من أولاده وكانوا تسعة عشر، وكان جبريل على صلة دائمة به، وأعْلَمه أن الخليفة هو ولده سليمان.

فلما أتى على سليمان بضع[1] وعشرون سنة، نزل جبريل على داود بصحيفة من السماء فيها امتحان، وأمره عن الله تبارك وتعالى أن يجمع أولاده وأن يقرأ عليهم ما بالصحيفة من المسائل، فمَن أجاب عمّا فيها فهو الخليفة من بعده.

فجمع داود عليه السلام أولاده، وجمع العلماء والأحبار والأنبياء من بني إسرائيل بعهده، واختبر أولاده، فقرأ عليهم ما في الصحيفة، فأقرّوا بالعجز عن معرفتها. ثم جاء دور ولده سليمان فقال له: هل تُحْسِنُ الإجابة على هذه الأسئلة والمسائل يا سليمان؟ فقال: أرجو أن يهديني الله إلى جوابها، أنا عاجز إلاّ بمعرفة الله.

فقال له وبنو إسرائيل يسمعون: يا سليمان، ما هو الشيء؟ قال: المؤمن.

قال: وما هو بعض الشيء؟ قال: الفاجر.

---

(١) البضع بين الثلاثة والتسعة.

قال: فما لا شيء؟ قال: الكافر.

قال: فما كل شيء؟ قال: الماء.

قال: فما أكبر شيء؟ قال: الشرك بالله.

قال: فما أقل شيء؟ قال: اليقين.

قال: فما أَمَرُّ شيء؟ قال: الفقر بعد الغنىٰ.

قال: فما أحلىٰ شيء؟ قال: المال والولد.

قال: فما أقبح شيء؟ قال: الكفر بعد الإيمان.

قال: فما أحسن شيء؟ قال: الروح في الجسد.

قال: فما أَوْحش شيء؟ قال: جسد بدون روح.

قال: فما أقرب شيء؟ قال: الآخرة من الدنيا.

قال: فما أبعد شيء؟ قال: الدنيا من الآخرة.

قال: فما أشرّ شيء؟ قال: المرأة السوء.

قال: فما خير شيء؟ قال: المرأة الصالحة.

فأُمِرَ يومها داود بأمر جبريل أن يفتح الكتاب، ففتحه وإذ الأجوبة بجانبها تماماً كما قال سليمان، وكان داود عليه السلام يُصَدِّقه عقب كل مسألة.

وقد ذكر الثعلبي في هذه القصة زيادة، وهو يرويها عن أبي هريرة رضي الله عنه يقول: نزل كتاب من السماء مختوم بخاتم من ذهب علىٰ داود، فيه ثلاث عشرة مسألة. فأوحىٰ الله تعالىٰ إليه: أنِ اسأل عنها ابنك سليمان، فإنْ هو أخرجها فهو الخليفة من بعدك.

قال: وإن داود عليه السلام دعا سبعين قِسّاً وسبعين حَبْراً - ولم يذكر أولاده -، وأجلس سليمان بين أيديهم وقال له: يا بني، إن الله أنزل من السماء كتاباً فيه مسائل، وأُمِرْتُ أن أسألك عنها، فإن أخرجتَها فأنت الخليفة من بعدي. قال سليمان: اسأل يا نبي الله عمّا بدا لك، وما توفيقي إلاّ بالله.

قال داود: أخبرني يا بنيّ: ما أقرب الأشياء؟ وما أبعد الأشياء؟ وما آنس الأشياء؟ وما أوْحش الأشياء؟ وما أحسن الأشياء؟ وما أقبح الأشياء؟ وما أقل الأشياء؟ وما أكثر

الأشياء؟ وما القائمان؟ وما المُخْتَلِفان؟ وما المتباغضان؟ وما الأمر الذي إنْ ركبه الرجل حُمِدَ آخره؟ وما الأمر الذي إنْ ركبه الرجل ذُمَّ آخره؟

قال سليمان: أقرب الأشياء فالآخرة، وأما أبعد الأشياء فما فاتك من الدنيا، وأما آنس الأشياء فجسد فيه روح، وأما أوحش الأشياء فالجسد بلا روح، وأما أحسن الأشياء فالإيمان من بعد الكفر، وأما أقبح الأشياء فالكفر من بعد الإيمان، وأما أقل الأشياء فاليقين، وأما أكثر الأشياء فالشكر، وأما القائمان فالسماء والأرض، وأما المختلِفان فالليل والنهار، وأما المتباغضان فالموت والحياة، وأما الأمر الذي إذا ركبه الرجل حُمِدَ آخره فالحِلْم، وأما الأمر الذي إذا ركبه الرجل ذُمَّ آخره فالحِدّة عند الغضب.

قال الثعلبي: ففكّوا الخاتم، فإذا جواب المسائل سواء على ما نزل من السماء، فقال القسّيسون والأحبار: لا نرضى حتى نسأله عن مسألة، فإنْ هو أخرجها فهو الخليفة. قال داود عليه السلام: سَلُوه، قال سليمان: سلوني وما توفيقي إلاّ بالله. فقالوا: ما الشيء الذي إذا صلح صلح كل شيء من الإنسان، وإذا فسد فسد كل شيء منه؟ قال: هو القلب.

فقام داود وصعد المنبر، وحمد الله تعالى وأثنى عليه، ثم قال: إن الله أمرني أن أستخلف عليكم سليمان. فضجّت بنو إسرائيل وقالوا: غلام حَدَث يُسْتَخْلَف علينا وفينا مَن هو أعلم وأفضل منه! فبلغ ذلك داود، فدعا رؤساء أسباط بني إسرائيل وقال: إنه بلغني مقالتكم فأروني عِصِيَّكم، فأيّ عصا أثمرتْ فإنّ صاحبها وَلِيُّ هذا الأمر بعدي. فقالوا: قد رضينا.

فجاءوا بعِصِيِّهم، فقال لهم داود: ليكتب كل رجل منكم اسمه على عصاه، فكتبوا. ثم جاء سليمان بعصاه فكتب عليها اسمه، ثم أُدخلتْ بيتاً وأُغلق عليها الباب، وسُكِّرَتْ بالأقفال، وحرسه رؤوس أسباط بني إسرائيل.

فلما أصبح صلّى بهم الغداة، ثم أقبل وفتح الباب، وأخرج عِصِيَّهم كما هي، وعصا سليمان قد أثمرت وأوْرَقَتْ.

قال: فسلّموا ذلك لداود، وأخذ ابنَه سليمانَ ثم سار به في بني إسرائيل، فقال: هذا خليفتي فيكم من بعدي.

۞ وصايا داود لولده سليمان عليهما السلام:

قال وهب بن منبه: لَمّا استخلف داود ابنه وعظه فقال له:

١- يا بني إياك والهَزْل[١]، فإنَّ نَفْعه قليل، ويُهَيِّج العداوة بين الإخوان.

٢- وإياك والغضب، فإن الغضب يَسْتَخِف صاحبَه[٢].

٣- وعليك بتقوى الله وطاعته فإنهما يغلبان كل شيء.

٤- وإياك وكثرة الغيرة على أهلك من غير شيء، فإن ذلك يورث سوء الظن بالناس[٣].

٥- واقطع طمعك عن الناس[٤].

٦- وإياك والطمع فهو الفقر الحاضر[٥].

٧- وإياك وما يُعْتَذر منه من القول والفعل[٦].

٨- وعَوِّد نفسك ولسانك الصدق، والزم الإحسان[٧].

٩- وصلِّ صلاة مُوَدِّع[٨].

١٠- ولا تجالس السفهاء[٩].

---

(١) هو المزاح باليد.

(٢) فبسبب الغضب قد يفعل الإنسان أموراً ويخرج عن الإسلام ثم يقول: ليتني لم أفعل.

(٣) فالغيرة تكون بمحلها، أما بدون سبب فإنها تورث ظن السوء بالناس وإن كانوا بُرَآء.

(٤) أي عَلِّق قلبك بالله وحده فإنه هو الغني.

(٥) فالطامع مهما غَنِي ومهما ملك هو فقير، وهكذا الطمع مجبول بالإنسان.

(٦) أي إياك أن تُسَبِّبَ نفسك للاعتذار، فكل شيء نهايته الأسف والاعتذار لا تفعله من قول أو فعل.

(٧) فدائماً أَحْسِنْ للآخرين، وإن استطعت أن يكون يومُك خيراً من أمْسِكَ فافعل، وكُلُّ يوم تتقدم فيه إلى الأمام في العبادة وأفعال الخير.

(٨) أي إذا دخلتَ الصلاة فلا تفكر بأنك تنتظر حياة بعدها.

(٩) لأن الذي يجالس الفاسقين ولو لم يفعل شيئاً فإنه يناله ما ينالهم. قال رسول الله ﷺ: «إنما مَثَلُ الجليس الصالح والجليس السَّوْء كحامل المسك ونافخ الكِير. فحامل المسك إمّا أنْ يُحْذِيَك، وإما أن تَبْتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة. ونافخ الكِير إمّا أنْ يُحْرِقَ ثيابَك، وإمّا أن تَجِدَ ريحاً خبيثة» [أخرجه مسلم والبخاري وابن حبان من حديث أبي موسى، وأبو داود والنسائي من حديث أنس بلفظ مختلف].

١١- ولا تَرُدَّ على عالِم، ولا تُمارِهِ في الدِّين[١].

١٢- وإذا غضبتَ فألْصِقْ نفسك بالأرض وتحوّل من مكانك[٢].

١٣- وارجُ رحمة الله فإنها واسعة وَسِعَت كل شيء.

هذه كانت نصائح داود لولده سليمان، وفي الحقيقة هي ليست فقط لسليمانعليه السلام، إنما لنا كذلك وللناس كافة.

۞ وفاة داودعليه السلام:

قال الكسائي: كان داودعليه السلام غيوراً كثير الغيرة على نسائه، فكان يغلق الأبواب عليهن إذا خرج، ويحمل المفاتيح معه.

ويروى أنه لما دنت وفاته، رجع يوماً ففتح باب قصره، فرأى رجلاً في داره ذا مهابة، فقال له غاضباً: مَن أنت ومَنْ أدْخَلَكَ داري؟ قال: أدخلني الدارَ مَن هو أوْلى بها منك يا داود، أنا الذي لا أهاب الملوك، ولا يمنعني دونهم الحِجاب ولا الحُجّاب، أنا مَلَك الموت. فارتعد يومها داود وقال: دعني لأدخل الدار لأُوَدِّعَ أهلي وأولادي، فقال له مَلَك الموت: لا سبيل إلى ذلك يا داود. قال داود: فمَن يخلفني؟ قال: ابنك سليمان، فقال: الآن طابت نفسي، امْضِ لِما أُمرتَ يا مَلَك الموت.

فقبض مَلَكُ الموت روحهعليه السلام، وغسّله سليمان وإخوته، وكفّنه بأكفان نزلت عليه من الجنة، وحمله ولده سليمان ودُفِنَ دون غار إبراهيمعليه السلام.

وقال الثعلبي في خبر وفاة داودعليه السلام: إن داودعليه السلام كانت له وصيفة تغلق الأبواب كل ليلة، وتأتيه بالمفاتيح ثم تنام، ويُقْبِلُ داود على وِرْده في العبادة. فأغلقت ذات ليلة الأبواب،

---

(١) فدائماً قل: نعم، سمعنا وأطعنا للعلم والمعرفة إذا كان حقاً، ولا تَبِعْ دينك من أجل الدنيا.

(٢) فالنبيﷺ أخبرنا أنه إذا غضب الواحد منا فليتوضأ؛ لأن الشيطان من النار، فإذا توضأ أطفأ النار وفرّ الشيطان. فإذا لم يذهب الغضب فليصلِّ ركعتين، فإذا صلى التصق بالتراب فيذكر أصله ويذهب غضبه. فإنْ لم يذهب فليذكر الله لا إله إلاّ هو.

وجاءته بالمفاتيح ثم ذهبت لتنام، فرأت رجلاً قائماً في وسط الدار فقالت: ما أدخلك هذه الدار؟ فإن صاحبها رجل غيور، فَخُذْ حذرك. فقال: أنا الذي أدخل علىٰ الملوك بغير إذن.

فسمعه داود وكان في المحراب يصلي، ففزع واضطرب وقال: عليّ به. فأتاه فقال له: ما أدخلك هذه الدار في هذا الوقت بغير إذن؟ فقال: أنا الذي أدخل علىٰ الملوك بغير إذن، قال: فأنت مَلَك الموت؟ قال: نعم، قال: أجئتَ داعياً أم ناعياً؟ قال: بل ناعياً، قال: فهلاّ أرسلتَ إليّ قبل ذلك وآذنتَني لأستعد للموت؟ قال: كم أرسلتُ إليك يا داود فلم تنتبه، قال: ومَن كانت رسلك؟ قال: يا داود، أين أبوك إيشىٰ؟ وأين أمك؟ وأين أخوك؟ وأين قهرمانك فلان؟ قال: ماتوا كلهم، قال: أما علمتَ أنهم رسلي وأنَّ النوبة تبلغك؟ ثم قبضه.

قال الكسائي: وعكفت الطير علىٰ قبره أربعين يوماً يُسَبِّحْنَ ويَذْكُرْنَ الله، وثواب ذلك يكون لداود عليه السلام.

وكان أولاده يجلسون علىٰ قبره صباح مساء، ويقدمون الطعام لِمَن يريد أن يأكل.

قال أهل التاريخ: كان عمر داود مائة سنة، ومدة مُلْكه أربعين سنة.

حيث كنا قد ذكرنا في الجزء الأول من هذا الكتاب أن سيدنا آدم أعطاه من عمره أربعين عاماً. فعاش سيدنا داود الستين وعاش بعدها الأربعين، فكمّل تمام المائة. ثم قضىٰ نحبه وذهبت روحه إلىٰ بارئها، وهو محمود السيرة عند الخالق وعند الخلق.



صورة لقبر سيدنا داود عليه السلام المعروف



قلعة النبي داود شرق القدس، وهي قائمة على بقايا آثار قصره الذي كان يعيش فيه، وقد جُدِّدَت وأعيد بناؤها أكثر من مرة على مدى التاريخ، وهي اليوم على البناء المملوكي مع بعض التجديدات والإصلاحات. أما المنارة أو ما يسمى ببرج داود فهي من بناء العثمانيين، والقلعة اليوم عبارة عن متحف يضم تاريخ القدس وآثاره القديمة



صورة لقلعة النبي داود من الداخل

سيدنا سليمان بن داود

عليهما الصلاة والسلام

قال الله تبارك وتعالى في كتابه العزيز: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنبياء].

وقال عز وجل: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ

بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيۡرٞ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُمۖ بَلۡ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمۡ تَفۡرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرۡجِعۡ إِلَيۡهِمۡ فَلَنَأۡتِيَنَّهُمۡ بِجُنُودٖ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخۡرِجَنَّهُم مِّنۡهَآ أَذِلَّةٗ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَيُّكُمۡ يَأۡتِينِي بِعَرۡشِهَا قَبۡلَ أَن يَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفۡرِيتٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَۖ وَإِنِّي عَلَيۡهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٞ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلۡمٞ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسۡتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٞ ﴿٤٠﴾ قَالَ نَكِّرُواْ لَهَا عَرۡشَهَا نَنظُرۡ أَتَهۡتَدِيٓ أَمۡ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهۡتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَآءَتۡ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرۡشُكِۖ قَالَتۡ كَأَنَّهُۥ هُوَۚ وَأُوتِينَا ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهَا وَكُنَّا مُسۡلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعۡبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ إِنَّهَا كَانَتۡ مِن قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ٱدۡخُلِي ٱلصَّرۡحَۖ فَلَمَّا رَأَتۡهُ حَسِبَتۡهُ لُجَّةٗ وَكَشَفَتۡ عَن سَاقَيۡهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرۡحٞ مُّمَرَّدٞ مِّن قَوَارِيرَۗ قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [النمل].

وقال تعالى: ﴿وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهۡرٞ وَرَوَاحُهَا شَهۡرٞۖ وَأَسَلۡنَا لَهُۥ عَيۡنَ ٱلۡقِطۡرِۖ وَمِنَ ٱلۡجِنِّ مَن يَعۡمَلُ بَيۡنَ يَدَيۡهِ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ وَمَن يَزِغۡ مِنۡهُمۡ عَنۡ أَمۡرِنَا نُذِقۡهُ مِنۡ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعۡمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٖ كَٱلۡجَوَابِ وَقُدُورٖ رَّاسِيَٰتٍۚ ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا قَضَيۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَوۡتَ مَا دَلَّهُمۡ عَلَىٰ مَوۡتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلۡأَرۡضِ تَأۡكُلُ مِنسَأَتَهُۥۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلۡجِنُّ أَن لَّوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٱلۡغَيۡبَ مَا لَبِثُواْ فِي ٱلۡعَذَابِ ٱلۡمُهِينِ ﴿١٤﴾ ﴾ [سبأ].

وقال عز وجل: ﴿وَوَهَبۡنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيۡمَٰنَۚ نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذۡ عُرِضَ عَلَيۡهِ بِٱلۡعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلۡجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَيَّۖ فَطَفِقَ مَسۡحَۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلۡأَعۡنَاقِ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدۡ فَتَنَّا سُلَيۡمَٰنَ وَأَلۡقَيۡنَا عَلَىٰ كُرۡسِيِّهِۦ جَسَدٗا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرۡنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦ رُخَآءً حَيۡثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٖ وَغَوَّاصٖ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ﴿٤٠﴾ ﴾ [ص][1].

---

(١) ارجع كذلك إن شئتَ إلى المواضع التالية من القرآن الكريم: البقرة ١٠٢، النساء ١٦٣، الأنعام ٨٤، الأنبياء ٧٨-٧٩.

۞ ذِكْر مولده ونشأته وبعض صفته:

قال الكسائي: هو أصغر أبناء داود سناً، فقد كان لداود عدة من الولد، فسأل اللهَ تعالىٰ أن يرزقه ولداً يَرِثُ ملكه، فرزقه الله تعالىٰ سليمان من تلك الفتاة التي رآها.

وعندما حملت به أمه نودي إبليس: يا ملعون، قد حُمِلَ في هذه الليلة برجل يكون طول حزنك علىٰ يديه، ويكون أولادك خدماً له. ففزع من ذلك وجمع الشياطين، وأخبرهم بأمر المولود وبما سمعه من أمر النداء من السماء، وقال: إنه لا يكون إلاّ من داود، فإنه خير أهل الأرض.

فلما وضعته أمه، أتت الملائكة إلىٰ داود وقالت له: أقرّ الله عينك به. فبادر داود إلىٰ منزله ورأى أعلام الملائكة منصوبة، فخرّ لربه ساجداً بهذه المِنّة حيث رزقه هذا الخليفة، وقرّب القرابين وذبح، وقدّم للناس ذلك.

ثم جاءه إبليس وقال: يا داود، قال: نعم، قال: أقرّ الله عينك بولدك غير أنه يقتلك، انتبه منه وأنصحك أن تقتله قبل أن يقتلك ويسلبك مُلْكك، فاقتله صغيراً وإلاّ قتلك كبيراً. فغضب داود منه ولعنه، فانصرف إبليس وقد خاب أمله.

قال الكسائي: ونما سليمان وكبر، وكان من السن المبكرة مداركاً بالفهم والحكمة، وبالعناية والرعاية.

قال ابن الأثير في تاريخه الكامل: وكان أبيضَ، جسيماً، كثير الشعر، يلبس البياض.

وكان يأكل من كسب يده.

وكان كثير الغزو، وكان إذا أراد الغزو أمر بعمل بساط من خشب يسع عسكره، فيركبون عليه هم ودوابهم وما يحتاجون إليه، ثم أمر الريح فحملته، فسارت في غدوته مسيرة شهر، وفي رَوْحته كذلك.

وقد أَعْلَمَه الله أنه لا يتكلّم أحد بشيء إلاّ حملته الريح إليه، فيعلم ما يقول.

وكان لسليمان عليه السلام ثلاثمائة زوجة، وسبعمائة سرية.

۞ داود وسليمان عليهما السلام يحكمان في الحرث:

كان سليمان كما قدّمنا مداركاً بالفهم والحكمة من السن المبكرة، فكان أبوه يستشيره في حياته ويرجع إلى قوله، ومن ذلك ما قصّه الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [الأنبياء].

قال ابن الأثير في تاريخه الكامل: يروى أنَّ غنماً دخلت كَرْماً فأكلتْ عناقيده وأفسدته، فجاء صاحب الكَرْم يحتكم إلى داود فقال: يا نبي الله، إن هؤلاء أدخلوا غنمهم وماشيتهم إلى مزرعتي، فأكلوا الزرع الذي قمتُ بتربيته سنة كاملة، وقد زرعته وتَعَهَّدْته ونما وكبر حتى وصل إلى الحصاد. فسأل داود صاحب الكَرْم: كم يساوي زرعك؟ قال: كذا وكذا. ثم التفت إلى صاحب الغنم وقال: كم يساوي غنمك؟ قال: كذا وكذا. فوجد السعرين متقابلين فقال: إذاً تعطون غنمكم لصاحب الكَرْم بزرعه الذي أُتْلِفَ. فقال سليمان: يا نبي الله، أَوَ غير ذلك؟ أن تُسلم الكَرْم إلى صاحب الغنم فيقوم عليه حتى يعود كما كان، وتدفع الغنم إلى صاحب الكَرْم فيصيب منها إلى أن يعود كَرْمه إلى حاله، ثم يأخذ كَرْمَه ويدفع الغنم إلى صاحبها. فأمضى داود قوله.

قال تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ﴾.

وكان يومها سليمان كما ورد ابن اثني عشر عاماً.

۞ إكرام سليمان عليه السلام بالمُلْك والنبوة:

لقد ورث سليمان أباه من دون إخوته وهو ابن بضع وعشرين سنة كما ذكرنا آنفاً، ثم تزوّج امرأة واستتر عن الخَلْق، وأقبل على العلم والعبادة.

وقال ابن الأثير في تاريخه الكامل: توفي داود وكان سليمان ابن ثلاث عشرة سنة.

قال الكسائي: لَمّا قام سليمان عليه السلام من عزاء أبيه داود، وتفرّق الطير عن قبره، ودخل محراب أبيه، هبط عليه جبريل عليه السلام وقال له: إن الله تعالى يخصّك السلام ويقول

لك: المُلْك أحبّ إليك أو العِلْم؟ فخرَّ سليمان ساجداً لله تعالىٰ وقال: العِلْم أحب إليّ من المُلك؛ لأنه أنفع الأشياء. فأوحىٰ الله تعالىٰ إليه: إنك تواضعتَ واخترتَ العِلْم علىٰ المُلْك، فقد وهبتُ لك العِلْم والمُلك، وأضفتُ إلىٰ ذلك كمال العقل وزينة الخلق، ونَزَعْتُ عنك العُجْب، وسأطوي لك الدنيا بأسرها حتىٰ تطأها بجيشك وتشاهد عجائبها.

فخرّ سليمان ساجداً لربه، ورفع رأسه وإذ الرياح الثمانية[1] قد وقفت بين يديه وقالت له: إن الله قد سخّرنا لك، فاركبنا إذا شئتَ إلىٰ أي موضع شئتَ.

وأقبلت الوحوش والسباع فوقفت بين يديه وقالت: إن الله أمرنا بالطاعة لك.

وأقبلت الطير وقالت: قد أُمرنا أن نُظِلَّك بأجنحتنا ولا نخالفك في أمر.

وفوّض الله ﷻ إلىٰ سليمان أَمْرَ الدنيا شرقِها وغربها.

فهؤلاء الذين ملكوا العالم والدنيا قلة[2]، إنما مُلْك سليمان كان يختلف، فالمُلْك الذي مَلَكَه سيدنا سليمان لم يملكه أحد من الخلق، فقد آتاه الله مُلْكاً عظيماً، وكان شاكراً لأنعمه ﷻ.

۞ لقد حشر الله الطير لسليمان بن داود عليه السلام وعلّمه منطقها:

قال الكسائي: ولَمّا آتاه الله النبوة والمُلْك، أَحَبَّ أن يستنطق الطير فحُشِرَت إليه، فكان جبريل يحشر طير المشرق والمغرب من البَرِّ، وميكائيل يحشر طير الهواء والجبال.

فنظر سليمان إلىٰ عجائب خَلْقها، وجعل يسأل كل واحد منها عن مسكنه ومعاشه فيخبره. وكان بين يديه سبعة ألوية من ألوية الأنبياء، يمسكها سبعة من الملائكة.

قال الكسائي: فلما حُشرت الطير له جاءته فوجاً فوجاً، فسلّمت عليه الخُطّافة بثلاث لغات، باللغات التي سلّمتْ بها علىٰ آدم ونوح وإبراهيم عليهم الصلاة والسلام، وقالت: يا نبي الله، أنا مِمّن اختارني نوح وحملني في السفينة، ومني تناسل كل خُطّافة في الدنيا، ودعا لي آدم وقال: إنكِ تدركين من أولادي مَن خلافته مِثْل خلافتي، تُحشر إليه الوحش

(١) هي: الشمال، والجنوب، والصبا، والدبور، والصرصر، والعقيم، والكرس، والراكي.

(٢) وكنا ذكرنا ذلك قبلُ في الجزء الأول من هذا الكتاب.

والطير والمَرَدة، فإذا رأيتِه فأقرئيه مني السلام. وقالت له: يا نبي الله، وإن معي سورة تعجب الملائكة من نورها، ما أُعْطِيَتْ لأحد من بني آدم غير أبيك إبراهيم، فإنها نزلت كرامة له يوم أُلقي في النار، فهل لك أن تسمعها مني؟ قال: نعم، فقرأت سورة الحمد حتىٰ بلغت: ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ [الفاتحة]، ومدّت صوتها بـ (آمين)، وسجدتْ وسجد معها سليمان عليه السلام.

ثم تقدّم النسر وهو يومئذ علىٰ صورة عظيمة، فقال: السلام عليك يا مَلِك الدنيا، ما رأيتُ مُلْكاً أعظم من مُلْكِك، وإني صَحِبْتُ آدم[1]، وساعدته علىٰ كثرة حُزْنه، وأنا أول مَن عَلِمَ بهبوطه إلىٰ الأرض، وكنتُ معه أسمع أنينه وبكاءه إلىٰ أن تاب الله عليه، وقال: إنه سيكون من ذريتي من يُحْشَر له الطير، فإذا رأيتَه فأقرئه مني السلام، وقد أَدَّيْتُ إليكَ وديعته، فَاصْطَنِعْنِي يا نبي الله، فإني عليم بمعادن الأرض وجبالها، ومعي آية عظيمة لا يفتر لساني عنها، وهي: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [النساء ٨٧]. ثم سجد وسجد معه سليمان، فلما رفع رأسه جعله سليمان مَلِكاً علىٰ سائر الطيور.

ثم تقدّمت العُقاب[2]، فوقفتْ بين يديه، وسلّمت عليه وقالت: يا نبي الله، إن الله حين خلقني كنتُ أعظم خَلْقاً من هذا، غير أن حزني علىٰ هابيل يوم قَتَلَه قابيل صَيَّرَني إلىٰ ما ترى، ولقد تَوَحَّشْتُ والأرضُ والجبالُ يوم قُتِلَ. ومعي آية أعطانيها ربي وهي: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ۝١٥﴾ [الأعلىٰ]. ثم قالت: سَلِّطْني علىٰ مَن شئتَ، فإني قوية سميعة.

ثم تقدّمت العنقاء، وهي يومئذ شديدة البياض، وصدرها كالذهب الأحمر، ووجهها كوجه الإنسان، ولها ذوائب كذوائب النساء، ورجلان صفراوان، ولها تحت أجنحتها يدان، في كل يد ثلاثون إصبعاً. فوقفت بين يديه وسلّمت وقالت: إن الله فضّلك علىٰ كثير

---

(١) هو من الطيور التي تُعَمِّر كثيراً.

(٢) قيل: هو طائر يقع علىٰ الذكر والأنثىٰ، إلاّ أن يقولوا: هذا عقاب ذكر.

من الملوك حين أبرزني إليك في صورتي هذه، فمُرْني بما شئتَ، فوالله ما نطقتُ لأحد إلاّ لصفوة الله آدم، فإني وقفتُ بين يديه وتعجّب من حُسْن صورتي وقال: ما أشبهك بطيور الجنان! فمنذ كم خلقك ربك؟ قلتُ: منذ ألفي عام، ثم تَبَخْتَرْتُ بين يديه فقال: أيها الطائر، إنك مُعْجَبٌ بخَلْقك، والعُجْبُ يُهلك صاحبه، لقد فاز المفلحون وخسر المبطلون.

وللعنقاء خبر عجيب سنذكره إن شاء الله تعالى، وكيف أثبت لها سليمان بأن الأقدار بيد الله، ولا يستطيع مخلوق أن يقف أمام قضائه ﷻ.

ثم تقدّم الغراب، فسلّم وقال: يا نبي الله، لقد فضّلك الله على كثير من ولد آدم، وعلّمك ما لم تكن تعلم، وكان فضل الله عليك عظيماً، وإني كنت أبيض قبل ذلك، فصرت كما ترى لَمّا سمعتهم يقولون: ﴿ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا﴾[1]، وما ينبغي للرحمن أن يتّخذ ولداً. وقد دعا لي أبوك آدم ونوح بطول العمر، وسمعتُ أباك إبراهيم يتلو آية يخضع لها كل شيء، وهي: ﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾﴾ [المدثر].

ثم تقدّمت الحمامة الوديعة، فسلّمت عليه وقالت: يا نبي الله، أنا الحمامة التي اختارني أبوك آدم لنفسه إلْفاً وأَنِيساً، وكنتُ آنس به وبتسبيحه، وكان إذا ذكر الجنة يصيح صيحة عظيمة ويقول: أتراني أرجع إليها؟ وإنْ لم أرجع إليها كنتُ من الخاسرين. واعلم يا نبي الله أنه قد علّمني كلمات حفظتها عنه، وهي: (الله لا إله إلاّ هو وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله سيد الأولين والآخرين). وقد أقبلتُ إليك طائعة لأمرك، فمُرْني بما شئتَ.

ثم تقدّم الهدهد، فسلّم عليه وسجد بين يديه وقال: ما أجبتُ أحداً كما أجبتك؛ لأني رأيتُ الدنيا ضاحكة لك، وقد أعطاك الله مُلْكاً عظيماً، فاتّخذني رسولاً آتِكَ بالأخبار، وأدلك على مواضع الماء. فقال له: أراك أَكْيَسَ الطيور، وأرى فخاخ بني إسرائيل تصطادك، ولا تُغني عنك كَياسَتُك شيئاً؟ قال الهدهد: يا نبي الله، الحيلة لا تنفع مع القضاء والقدر، وإن الله يضيف إلى عقل المخلوق سبعين ضعفاً ثم يُنْفِذُ فيه حُكْمه وقضاءه. قال: صدقتَ، ثم سجد بين يديه مراراً.

---

(١) الآية ٨٨ من سورة مريم، والآية ٢٦ من سورة الأنبياء كذلك.

ثم تقدّم إليه الديك، فوقف بين يديه وهو في نهاية الحُسْن، وضرب بجناحيه، وصاح صيحة أَسْمَعَ الملائكةَ والطيور وجميع مَن حضر، وقال في صياحه: يا غافلين، اذكروا الله. ثم قال: يا نبي الله، إني كنت مع أبيك آدم، وكنت أُوقظه أوقات الصلاة. ومع نوح في الفلك، ومع أبيك إبراهيم، وكنت أسمعه يقول: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾ [آل عمران]. واعلم يا نبي الله أني ما صِحْتُ صيحة إلاّ أَفْزَعْتُ بها الجن والشياطين. ففرح سليمان به، وأمره أن يكون معه حيثما كان.

ووقف كل طير بين يديه، وفرغ من حشر الطيور، وعَرَفَها بأسمائها ومنطقها، وكانوا يعبدون الله بالليل والنهار.

وكذلك الوحوش والسباع، حتىٰ عرف كلَّ واحد منهم باسمه وصفته ونَعْته.

فقد علّمه الله تعالىٰ لغات الطيور، والوحوش، والهوام بأنواعها، حيث لكل فئة لغة مستقلة[1].

يروى أن سليمان كان يسير مع بعض جنده، فرأى عصفوراً يدور خلف عصفورة ويحرك فمه بأصوات، فقال: أتدرون ماذا يقول لها؟ قالوا: لا ندري يا نبي الله، فقال: إنه يراودها عن نفسها، فيقول لها: سَلِّمي نفسك إليّ لأُسْكِنَك في قصور دمشق. ثم قال لهم: ليس كل عاشق بصادق، يوعدها وهي لا ترضىٰ معه.

وعصفور آخر يقول لها: أترضين أم أهدم عليك قصر سليمان؟ فناداه: أنت عصفور صغير وقصري هذا كبير! فقال له: يا سيدي أنا عاشق، وليس علىٰ العاشق ملامة. فضحك من قوله، وتركه وعفا عنه.

قال تعالىٰ: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾﴾ [النمل].

---

(١) وكل ما كان معجزة لنبي جاز أن يكون كرامة لولي، فهذه معجزة لسيدنا سليمان، وإن بعض الأولياء من أمة سيدنا محمدﷺ أُوتيت بعض هذا الشيء من مخاطبة الطيور ومفاهمة الحيوانات.

۞ قصة العنقاء مع سليمان عليه السلام:

والقصة كما أوردها أبو إسحاق الثعلبي رحمه الله تعالىٰ بسند رفعه إلىٰ جعفر بن محمد الصادق قال:

عاتب سليمانُ الطيرَ في بعض عتابه فقال لها: إنك تأتين كذا وتفعلين كذا، فقالت له: واللهِ ربِّ السماء والثَّرى إنّا لنحرص علىٰ الهدى، ولكنَّ قضاءَ الله يأتي إلىٰ منتهىٰ عِلْمه وقَدَره. قال سليمان: صدقتِ، لا حيلة في القضاء. فقالت العنقاء: لست أُومن بهذا، قال لها سليمان: أفلا أُخبرك بأعجب العجب؟ قالت: بلىٰ، قال: إنه يولد الليلة غلام في المغرب وجارية في المشرق، هذا ابن مَلِك وهذه بنت مَلِك، يجتمعان في أمنع المواضع وأَهْولها علىٰ سِفاح بقَدَر الله تعالىٰ فيهما. قالت العنقاء: يا نبي الله، قد وُلِدا؟ قال: نعم، الليلة. قالت: فهل أُخْبِرْتَ بهما؟ مَن هما، وما اسمهما واسم أبيهما؟ قال: بلىٰ، اسمهما كذا وكذا، واسم أبويهما كذا وكذا. قالت: يا نبي الله، فإني أُفَرِّقُ بينهما وأُبطل القَدَر. قال: فإنك لا تقدِرين علىٰ ذلك، قالت: بلىٰ. فأَشْهَدَ سليمانُ عليها الطير، وكفلتها البومة.

ومرّت العنقاء وكانت بحجم البعير عِظَماً، وكان وجهها وجه إنسان، ويداها وأصابعها كذلك. فحلّقت في الهواء حتىٰ أشرقت علىٰ الدنيا وأبصرت كل دار فيها، وأبصرت الجاريةَ في مهدها قد احْتَوَشَتْها الظئور والخَوَل، فاختلست المَهْد والجارية وطارت، ومرّت حتىٰ انتهت بها إلىٰ جبل شاهق في السماء أصله في جوف البحر، وعليه شجرة عالية في السماء لا ينالها طائر إلاّ بجهد، ولهذه الشجرة ألف غصن، كل غصن كأعظم شجرة في الأرض، وكانت هذه الشجرة كثيرة الورق، فاتخذت لها فيه وكراً عجيباً واسعاً وطيئاً، وأرضعتها واحتضنتها تحت جناحها، وصارت تأتيها بأنواع الأطعمة والأشربة، وتُكِنُّها من الحر والبرد، وتؤنسها بالليل، ولا تخبر أحداً بشأنها، وتغدو إلىٰ سليمان وتروح إلىٰ وكرها، وعَلِمَ سليمان بذلك ولم يُبْدِه لها.

وبلغ الغلام مبلغ الرجال وكان مَلِكاً من ملوك الدنيا، وكان يلهو بالصيد ويحبه ويطلبه حتىٰ نال منه عظيماً، فقال يوماً لأصحابه: كل صيد البر وفلواته ومفازاته قد

تَمَكَّنْتُ مِن صيده، فلو ركبتُ البحر لأَنال من صيده، فإنه كثير الصيد كثير العجائب. فقال وزير من وزرائه: نِعْمَ ما رأيتَ، وهو أكثر ما خَلَقَ الله صيداً.

فأمره بجهازه وهيّأ السفن، وجعل يختار مِن كل شيء يملكه، وأخذ من الوزراء والندماء والمشيرين والجواري والغلمان والطباخين والخبازين والبُزات والصقور، وغير ذلك مِمّا يريده ويشتهيه من الملاهي والشراب. وركب ومرّ في البحر يَتَصَيَّد ويتلذّذ، لا يعرف شيئاً غير ذلك حتىٰ سار مسيرة شهر، فأرسل الله تعالىٰ علىٰ سفينته ريحاً عاصفاً خفيفة، ساقتها حتىٰ وصلت بها إلىٰ جبل العنقاء الذي فيه الجارية، وذلك مسيرة خمسين سنة في خمسين ليلة، ثم ركدت سفينته بإذن الله تعالىٰ.

وأصبح الغلام فرأى سفينته راكدة، فأخرج رأسه من السفينة فرأى الجبل وهو في لون الزعفران صفرة، وطوله لا يُدرى أين منتهاه ولا عرضه، ورأى الشجرة فإذا هي كثيرة الأغصان والورق، ورقها عرض آذان الفيلة، ليس لها ثمر، بيضاء الساق. فقال: إني أرى عجباً، أرى جبلاً شاهقاً لم أَرَ مِثْله، وأرى شجرة حسنة قد أعجبني منظرها. فحرّك سفينته نحو الجبل، فسمعت الجارية التي في عش العنقاء صوت الماء وكلام الناس، ولم تكن سمعت قبل ذلك شيئاً من ذلك، فأخرجت رأسها من العش فتطلّعتْ، فرأى الملكُ صورتها في الماء، ورأى عَجَباً من جمالها وكثرة شعرها وذوائبها، فرفع رأسه إلىٰ الشجرة فرأى الجارية، فأبصر أَمْراً عظيماً، فأخذه القلق فناداها: مَن أنتِ؟ فأفهمها الله تعالىٰ لغته وقالت: لا أدري ما تقول، ولا مَن أنتَ، إلاّ أني أراك يشبه وجهك وجهي، وكلامك كلامي، وإني لا أعرف شيئاً غير العنقاء، وهي أمي التي ربّتْني وتُسَمِّيني بِنْتَها. فقال لها الغلام: وأين العنقاء أمك؟ قالت: في نَوْبتها، قال: وما نَوْبتها؟ قالت: تغدو كل يوم إلىٰ مَلِكها سليمان، فَتُسَلِّم عليه وتقيم عنده إلىٰ الليل، ثم تروح وتجيئني وتحدثني بما فعل سليمان وبما حكم وقضىٰ، وإنه لَمَلِكٌ عظيم علىٰ ما تصف أمي العنقاء، وإنها تخبرني أنه يشبهني، إلاّ أنها تخبر أنه أحسن وجهاً وأتمّ مني. فانذعر الغلام وفزع، ثم قال: قد عرفتُه، هو الذي قتل أبي وسبىٰ ذريته، فإني لَمِنْ طلقائه ومِمّنْ يؤدي إليه الخراج، ورُسُلُه الطير والرياح.

ثم بكىٰ الغلام، فقالت الجارية: وما يبكيكَ؟ قال: أبكي علىٰ وحدتك في مِثْل هذا الموضع الذي ليس به أنيس ولا أحد، وإنَّ مثلك في الدنيا عدد الشجر والمَدَر، وكلهم في مقاصير الذهب والفضة والعيش الهنيء واللذة الحسنة، مع الأزواج يتعانقون ويتنعّمون ويتوالدون أولاداً مِثْل خِلْقَتك وخِلْقَتي. ثم قال: أرأيتِ إنْ هاجت الريح وأزعجتك مِن وكرك، مَنْ يُمْسِكُكِ أن تقعي في البحر؟ فإنْ وقعتِ في البحر فمن ذا الذي يخرجك؟ ففزعت من قوله وقالت: وكيف لي أن يكون معي إنْسِيٌّ مِثْلك يحدثني مِثْل حديثكَ، ويحفظني مِن خوف ما ذكرتَ؟ فقال لها الغلام: أوَلا تعلمين أنَّ الله الذي اتّخذ سليمان نبياً وسخّر له الطير والرياح، هو الذي رحمكِ وساقني إليكِ إِلْفاً وصاحباً وأنيساً، وإني من أبناء الملوك؟ قالت الجارية: وكيف تصير إليّ وأصير إليك وهذه العنقاء تنام وتحضنني إلىٰ صدرها بين جناحيها؟ قال الغلام مُعَلِّماً لها: تُكْثِرين جَزَعَك ووحشتك وبكاءك علىٰ العنقاء ليلتك هذه إذا انصرفتْ إليكِ، فإذا قالت لكِ: ما تخشين وما شأنك؟ فأخبريها بحديثك ثم انظري إلىٰ ما يكون رَدُّها عليكِ فتخبريني به.

فراحت العنقاء فوجدتها حزينة كئيبة، فقالت لها: يا بُنَيّة، ما شأنك؟ قالت: الوحدة والوحشة، وإني لَجزعة علىٰ نفسي لذلك. فقالت لها: يا بنيّة، لا تخافي ولا تحزني، فإني أستأذن سليمان أنْ آتيه يوماً وأتخلّف عنه يوماً.

فلما أصبحت أخبرت الغلام بجوابها، فقال لها الغلام: لا تقبلي هذا ولا تريديه، ولكن سأنحر من دوابي هذه فرساً - وأشار إلىٰ سفينته -، وأَبْقر بطنه وأُخرج ما في جوفه، وأُقَيِّره وأُطَيِّنه وأدخل أنا في جوفه، وأُلقيه علىٰ قُرقور سفينتي هذه، فإذا جاءتك العنقاء فقولي لها: إني أرى عَجَباً خِلْقة ملقاةً علىٰ هذه السفينة، فلو اختطفتيها فحملتيها إلىٰ وكري هذا فأنظر وأستأنس بها، وكان أحب إليّ من كينونتك عندي نهاراً.

فرجعت العنقاء فوجدتها في مِثْل حالها، وشُغِلَ سليمان عنها فلم تصل إليه باستئذانها إياه بالمُقام يوماً في منزلها، فقالت لها: إن نبي الله شُغِلَ عني اليوم بالحُكْم بين الآدميين فلم أَصِلْ إليه، فقالت لها الفتاة: فإني لا أريد أن تتخلّفي عنه نهاراً لمكان أخبار سليمان عندي، وإني أرى في البحر عَجَباً، شيئاً مرتفعاً ما هو؟ قالت العنقاء: هذه سفينةُ قومٍ سيّارة ركبوا

البحر، قالت الفتاة: فما هذا الذي أرى مُلْقىً على رأس هذه السفينة؟ قالت: كأنه ميتة رَمَوْها، قالت: فاحمليها إليّ لأستأنس بها وأنظر إليها. فانقضّت العنقاء فاختطفت الفرس والمَلِكُ في بطنها، فحملتها إلى عُشِّها، فقالت الفتاة: يا أماه، ما أحسن هذا! وضحكت، ففرحت العنقاء بذلك وقالت: يا بنيّة، لو علمتُ لقد كنتُ آتيكِ بِمِثْل هذا منذ حين.

ثم طارت العنقاء إلى نَوْبتها إلى سليمان، وخرج الملك الغلام من جوف الفرس، فلاعبها ومسّها ولامسها، وافتضّها فأحبها، وفرح كل واحد منهما بصاحبه واستأنس به.

وأخبرت الريح سليمان باجتماع الشاب والفتاة في عش العنقاء، ووافت العنقاء وكان مجلس سليمان يومئذ مجلس الطير، فدعا بعُرَفاء الطير وأمرهم أن لا يَدَعُوا طائراً إلاّ حشروه، ففعلوا. ثم أمر عرفاء الجن فحشروا الجن مِن ساكني البحار والجزائر والهواء والفلوات والأمصار، ففعلوا وحشروهم. وأحضروا الإنس وكُلَّ دابة، فاشتدّ الخوف وقالوا: نشهد بالله أنَّ لنبي الله أمراً قد أهمّه.

فأول سهم خرج في تقديم الطير سهم الحِدَأَة، وكانت الطير لا تتقدم إلى سليمان إلاّ بسهام. فتقدّمت الحِدَأَة واسْتَعْدَت على زوجها وكان قد جحدها ولدها، فقالت: يا نبي الله، إنه سَفَدَني حتى إذا احتضنتُ بيضي وأخرجتُ ولدي جحدني. فأمر سليمان بولدها فأُتِيَ به، فوجد الشبه واحداً فألحقه بالذكر، وقال لها: لا تُمَكِّنيه من السِّفاد أبداً حتى تُشهدي على ذلك الطير؛ لكيلا يجحدك بعدها أبداً. فإذا سَفَدَها ذَكَرُها صاحت وقالت: يا طيور، سَفَدَني اشهدي. يا معشر الطيور، اشهدي.

ثم خرج سهم العنقاء فتقدّمت، فقال لها سليمان: ما قولك في القدر؟ قالت: يا نبي الله، إن لي من القوة والاستطاعة ما أدفع الشر وآتي الخير. قال لها: وأين شرطك الذي بيني وبينك أنك تُفَرِّقين بقوتك واستطاعتك بين الجارية والغلام؟ قالت: قد فعلتُ، قال سليمان: الله أكبر، فائتيني بها الساعةَ والخَلْق شهود؛ لأَعْلَمَ بصدق ذلك. وأمر عريفَ الطير ألاّ يفارقها حتى يوافي بها.

فمرّت العنقاء، وكانت الجارية إذا قَرُبَت منها العنقاء تسمع حفيف أجنحتها، فيبادر الغلام فيدخل جوف فرسه. فقالت الجارية كالفزعة: إن لكِ لشأناً إذ رجعتِ نهاراً! قالت:

لَعَمْري إن لي لَشأناً، إن سليمان قد أمرني بإحضارك الساعةَ لأمر جرى بيني وبينه في أَمْرِك، فأنا أرجو نُصْرتي اليوم فيك. فقالت الجارية: فكيف تحمليني؟ قالت: علىٰ ظهري، قالت الجارية: وهل أستقر علىٰ ظهرك وأنا أرى أهوال البحر؟ فلا آمن أنْ أَزِلَّ وأسقط فَأَهْلَك. قالت: ففي منقاري، قالت: وهل أصبر في منقارك؟ قالت: فكيف أصنع، لا بد من إحضارك إلىٰ سليمان، وهذا عريف الطير معي، وقد دعا بكفيلي البومة؟ قالت: أدخل جوف هذا الفرس، ثم تحملين الفرس علىٰ ظهرك أو في منقارك، فلا أرى شيئاً ولا أسقط ولا أفزع. قالت: أَصَبْتِ، فدخلتْ في جوف الفرس واجتمعت مع الغلام وعانقته.

وحملت العنقاء الفرس بما فيه في منقارها، وطارت حتىٰ وقعت بين يدي سليمان، فقالت: يا نبي الله، هي الآن في جوف الفرس، فأين الغلام؟ فتبسّم سليمانعليه السلام طويلاً وقال لها: أتؤمنين بقدر الله تعالىٰ وقضائه، وأنه لا حيلة لأحد في دفع قضاء الله تعالىٰ وقَدَره وعِلْمه السابق الكائن من خير وشر؟ قالت العنقاء: أُومن بالله وأقول: إن المشيئة للعباد والقوة، فمَن شاء فليعمل خيراً، ومَن شاء فليعمل شراً. قال سليمان: كذبتِ، ما جعل الله من المشيئة إلىٰ العباد شيئاً، ولكن مَن شاء اللهُ أن يكون سعيداً كان سعيداً، ومَن شاء أن يكون كافراً كان كافراً، فلا يقدر أحد أن يدفع قضاء الله وقَدَره بحيلة ولا بفِعْل ولا بعِلْم، وإن الغلامَ الذي قد وُلِدَ بالمغرب والجاريةَ التي وُلِدَتْ بالمشرق قد اجتمعا الآن في مكان واحد علىٰ سفاح، وقد حملت منه الجارية ولداً. قالت العنقاء: لا تَقُلْ يا نبي الله هذا، فإن الجارية معي في جوف فرسي هذا. قال سليمان: الله أكبر، أين البومة المتكفلة بالعنقاء؟ قالت: ها أنا، قال سليمان: علىٰ مِثْل قول العنقاء أنتِ؟ قالت: نعم، قال: يا قَدَرَ الله السابق قبل الخَلْق، أَخْرِجْهُما علىٰ قضاء الله وقدره.

قال: فانشقّت الفرس، فأخرجهما قضاء الله جميعاً من جوف الفرس مُتَعانِقَيْن، وشاهد جميع الحضور هذا المنظر الجلل.

فأما العنقاء فتاهت وفزعت، فطارت في السماء وأخذت نحو المغرب، واختفت في بحر من بحار المغرب، وآمنتْ بالقدر، وحلفت لا ينظر الطير في وجهها أبداً استحياء منها.

وأما البومة فلزمت الآجام والجبال وقالت: أمّا بالنهار فلا خروج ولا سبيل إلى المعاش. فهي إذا خرجت نهاراً بَخَّتَتْها الطيور واجتمعت عليها وقالت لها: يا قَدَرِيّة. فهي تخضع لهذا ولا تخرج إلاّ ليلاً، والله أعلم.

۞ تثبيت ملك سليمان عليه السلام بالخاتم:

لقد ثبّت الله عز وجل مُلْك سيدنا سليمان وقوّاه بالخاتم.

قال الثعلبي: ثم إن سليمان بعد أن استُخلف أخفى أمره، وتزوّج امرأة واستتر عن الناس، وأقبل على العلم والعبادة - كما قدّمنا -.

ثم إن امرأته قالت له ذات يوم: ما أكمل خصالك! وما أطيب ريحك! ولا أعلم لك خصلة أَكْرَهُها إلاّ أنك في مُؤْنة أبيك، فلو أنك دخلتَ السوق فتعرّضتَ لرزق الله لَرجوتُ ألاّ يُخَيِّبك الله. قال سليمان: إني واللهِ ما عملتُ عملاً ولا أُحْسِنه.

ثم دخل السوق صبيحة يومه ذلك فلم يقدر على شيء، فرجع فأخبرها، فقالت له: يكون غداً إن شاء الله.

فلما كان في اليوم الثاني، مضى حتى انتهى إلى ساحل البحر، وإذا هو بصياد فقال له: هل لك أنْ أُعينك وتعطيني شيئاً؟ قال: نعم. فأعانه، فلما فرغ أعطاه الصياد سمكتين، فأخذهما وحمد الله تعالى، ثم إنه شقّ بطن إحداهما فإذا هو بخاتم في بطنها، فأخذه وصرّه في ثوبه، وحمد الله تعالى.

وجاء بالسمكتين إلى منزله، ففرحت امرأته بذلك، فأخرج الخاتم ولبسه في إصبعه، فعكفت عليه الطير، ووقع عليه بهاء المُلْك، ولم يلبث أبوه أنْ مات.

فلما مَلَكَ حمل المرأة وأبويها إلى اصْطَخر[1].

---

(١) مدينة بفارس قرب مدينة برسبوليس، مدينة الفرس التي كانت عاصمة تلك البلاد قديماً، وهي واقعة في الشمال الشرقي من شيراز على خمس وثلاثين ميلاً منها، في الطريق إلى أصبهان، دخلها اسكندر المقدوني وحرّق قصر ملوك الفرس فيها سنة ثلاثمائة وإحدى وثلاثين قبل الميلاد، ثم تَغَيَّر اسمها وسُمِّيت بعد ذلك تشهيل منار، أي ذات الأربعين عموداً، كما قال ذلك أمين واصف في معجم الخريطة التاريخية للملوك الإسلامية.

وقد قيل: إنَّ أَمْرَ الخاتم غير ذلك على ما أورده الكسائي وهو المعتمد.

قال الكسائي: لَمّا أكرم رَبُّ العزة سليمانَ بالنبوة والمُلْك، طلب من جبريل أن يدخل الجنة، وأن يأخذ خاتم الخلافة ليضعه في إصبع سليمان. فقال رب العزة: يا جبريل، قد سبق في علمي أنْ أُمَلِّكَ سليمان الدنيا؛ ليعلم الجن والإنس أني لم أخلق خَلْقاً هو أفضل عليّ من ذرية آدم[1].

فجاء جبريل وأخذ الخاتم من الجنة، وأتى إلى سليمان والخاتم يضيء كالكوكب الدري، رائحته كالمسك، وعليه كتابة ربانية بغير قلم، وهي: (لا إله إلاّ الله محمد رسول الله)، وقوة الخاتم بها، وهي مكتوبة أصلاً على قوائم العرش. فأعطاه جبريل لسليمان وقال له: هنيئاً لك يا ابن داود بهذه الهدية.

وكان ذلك في يوم الجمعة لسبع وعشرين خلت من المحرم.

وفي رواية أخرى للكسائي: لثلاث بقين من شهر رمضان.

قال الكسائي: وقيل: إن الخاتم أُنزل من تحت العرش من نور برهان الله تعالى، وقيل لسليمان: لا تنزعه من كفك إلا بأمانة، وجعل الله عِزَّه فيه.

قال الكسائي: فلما صار الخاتم في كفه، لم يتمكن من النظر إليه لا هو ولا مَن حوله، حتى قال: أشهد أن لا إله إلاّ الله وأشهد أن محمداً رسول الله.

فَتَخَتَّمَ سليمان به وصعد على كرسيه - وسيأتي معنا ذِكْره وصفته -، واستقبل الناس بوجهه، ورفع إليهم الخاتم وهو يلمع، وقال: هذا الخاتم جُمِعَ فيه عِزِّي وسلطاني، وفضّلني به ربي على العالمين، وسلّطني على كل شيطان مَريد. ثم سجد شكراً لله تعالى، وسجد معه الناس.

فكان سليمان عليه السلام بعد ذلك إذا وجّه أو ختم الخاتم إلى أي مخلوق من إنس، أو جن، أو طير، أو حيوان، فيطيعه مباشرة ويتذلل له، وذلك كله ببركة سيدنا محمد ﷺ بعد اسم الله عز وجل.

---

(١) من هنا أخذ بعضهم أن الصالحين والأولياء أفضل من الملائكة على قول عند الأشاعرة.

قال الكسائي: ثم نزل عليه بعد نزول الخاتم قولُه ﷻ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾. فتلاها على بني إسرائيل، فلم يسمعها أحد إلاّ امتلأ فرحاً، وكان بعد ذلك لا يقرؤها على شيء إلاّ خضع وذلّ له، حتى اجتمع عليه الخَلْق.

فهذه رواية الكسائي بعد أن هذّبتُ منها أشياء، وأضفتُ إليها بعض روايات الآخرين.

۞ جهاد سليمان عليه السلام أعداء الله:

ثم أُمِرَ سليمان عليه السلام بعد ذلك باتخاذ البِيض[1]، والسيوف، وأن يحارب كُلَّ أعداء الله.

قيل: ورث من صنع أبيه داود اثني عشر ألف درع.

وقيل: الدروع التي صنعها داود بكاملها سبعة، والقول الأول هو الأرجح.

فقام بما طلب الله منه بالجهاد، فجاهد الجبابرة وقتل أعداء الله ﷻ.

وكان سليمان يعتني بالخيل كثيراً من أجل الجهاد في سبيل الله، وقد وقعت له حادثة مع الخيل نذكرها إن شاء الله تعالى.

۞ حشر الجن لسليمان عليه السلام:

قال الكسائي: وأمر الله ﷻ جبريل عليه السلام أن يحشر الجن لسليمان، فنشر جناحه الأيمن على المشرق، والأيسر على المغرب، ونادى: أيتها الجن، أيتها الشياطين، أجيبوا سليمان بن داود بإذن الله وبأمر الله. فخرجت من سائر الأماكن وهي تقول: لبيك لبيك يا حجة الله. فلا زال يحشرها حتى أوصلها إلى سليمان طائعة ذليلة تسوقها الملائكة.

ويومئذ هي أربعمائة وعشرون فرقة، كل فرقة تدين بدين غير دين الأخرى. فوقفت بأجمعها بين يدي سليمان، فنظر إلى عجائب صورها، وسجد لله تبارك وتعالى شكراً، ثم قام على قدميه والخاتم في إصبعه، فلما نظرتْ إليه الجن خرّت ساجدة لله ﷻ، ثم رفعت

---

(١) هي طاسات الحرب.

رؤوسها وقالت: يا ابن داود، قد حُشِرْنا إليك وأُمِرْنا بالطاعة لك. فختم على أكتافها، وكانت من ذلك الوقت من تحت أمره، ثم صَفَّدَ مردتهم بالحديد.

ولم يتخلّف منهم إلاّ صخر الجني، تَغَيَّبَ في جزيرة، وسنذكر خبره إن شاء الله تعالى.

ثم أَمَرَ بأن يؤتى بكل شيطان متمرد يخالف أمره، وحبسه في سجن عنده.

قال الكسائي: وبقي إبليس بغير أعوان، وفرّق سليمان الشياطين في الأعمال المختلفة من الحديد والنحاس، وقَطْع الصخور والأشجار، وعمارة القرى والمدن والحصون، وأمرهم بعمل القدور والجفان.

قال الله تعالى: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾ [سبأ].

قيل: كان يأكل من كل جفنة ألفُ إنسان.

وشَغَلَ طائفةً منهم بغوص البحار، واستخراج الأصفاد والجواهر منها. وأمر بعضَهم بحفر الآبار، وشق الأنهار والقنوات. وبعضَهم بإخراج الكنوز والمعادن، وغير ذلك من الأعمال.

۞ حشر الهوام والحشرات لسليمان عليه السلام:

قال الكسائي بتصرف قليل منا: ثم حُشِرَ له بعد ذلك الهوام من الحيّات والعقارب وغيرها من الحشرات، وسُخِّرَتْ له، فسأل كُلاًّ منها عن اسمها، وضَرِّها ونفعها، ومأكلها ومشربها، ومسكنها، ومقدار أعمارها، وعاداتها... وغير ذلك من أحوالها. فأخبرته، ثم صرفهم وأمرهم ونهاهم، والله أعلم.

۞ ذكر مطابخه عليه الصلاة والسلام:

قال الكسائي: وأمر سليمان أن تُصنع الأطعمة للخَلْق الذين معه، حتى كان طبّاخوه ينادون في عسكره: مَن أراد طعاماً فليأت حتى نصنعه له كما يريد، فإن سليمان نَصَبَنا لذلك.

وكانت موائده منصوبة، كل مائدة طول ميل بل أطول.

وكان عندهعليه السلام عِدّة من الطبّاخين، مع كل طباخ شيطان يُعِينه.

وأمر بصناعة الأفران والمخابز، ورتّب في كل مخبز ألف خبّاز، وفي كل مطبخ ألف طبّاخ.

قال الكسائي: ويقال: إنه كان يُذبح في مطبخه في كل يوم من الإبل والبقر والغنم زيادة على ثلاثين ألف رأس، ويُستعمل في مطابخه كل يوم كذا وكذا كُرّاً[1] من الملح، وكانت موائده منصوبة لعامة الناس، فقيرهم وغَنِيِّهم. وكان يُلقى للطير في كل يوم من الحبوب سبعون ألف كُرّة.

۞ سؤال سليمانعليه السلام اللهعز وجل أنْ يجعل أرزاق المخلوقات على يديه:

قال الكسائي: ولَمّا نظر سليمانعليه السلام إلى عِظَم ما آتاه اللهعز وجل من المُلْك، سأل الله تعالى أن يجعل أرزاق المخلوقات على يديه، فأوحى الله تعالى إليه: إنك لا تُطيق ذلك، قال: يا ربُّ، فيوماً واحداً. فأوحى الله إليه: إنك لا تُطيق ذلك، قال: يا رب، فساعة واحدة. فأوحى الله إليه: إني قد أعطيتك ذلك، فاستعِدَّ الآن لأرزاق خَلْقي واجمع لهم.

فأخذ في الاستعداد حتى جمع ما يُنيف على حِمْل مائة ألف بغل وبعير، وسار يريد ساحل البحر، حتى أتاه ووضع ما جمعه هناك، ونادى مناديه في سكان البحر: احضروا لِقَبْض أرزاقكم.

فاجتمع الحيتان والضفادع ودواب البحر على صور مختلفة، وإذا بحوت قد أخرج رأسه وقال: أَشْبِعْني يا ابن داود، وهو على مثال الجبل. فقال سليمان: دونك الطعام، فأكل جميع ذلك ثم قال: زِدْني يا نبي الله، واللهِ ما أصابني الجوع منذ خلقني ربي كما أصابني اليوم حين جُعِلَ رزقي على يديك. فعجب سليمان منه وقال: هل في البحر مِثْلك؟ فقال: إني لَفي زُمرة من الحيتان فيها سبعون ألف زمرة، كل زمرة مِثْل عدد الرمل، وفي البحر حيتان لو دخلتُ أنا في جوف أحدها ما كنتُ إلاّ كخردلة في أرض فلاة.

---

(١) الكُرّة عشرة أَجْرِبة، والجَريب ثلاثون قَفِيزاً، والقَفِيز مكيال ثمانية مكايل، والمَكول صاع ونصف، ويُقَدَّر الصاع بالكيل المصري بقدحين وثلث.

فبكىٰ سليمان عند ذلك وقال: ربِّ أَقِلْني عثرتي، فأقاله الله تعالىٰ ثم أوحىٰ إليه: أنْ قِفْ يا ابن داود حتىٰ ترى جنودي، فإنَّ ما رأيتَ قليل.

فوقف، فإذا بالبحر قد اضطرب اضطراباً عظيماً، وخرج منه شيء أعظم من الجبل، يشق البحر شقاً وهو يقول: سبحان مَن تكفّل بأرزاق العباد، ثم نادى: يا ابن داود، لولا اليد الباسطة عليك لكنتَ أضعف الخلائق، وإنك لم تقدر أن تُشْبِعَ حوتاً واحداً، ولا نال طُعْمَه، فكيف تقدر أن تتكفّل بأرزاق الخلائق؟

ثم مرّ ذلك الحوت، فنظر سليمان إلىٰ خَلْق عظيم وقال: إلهي، هل خلقتَ خَلْقاً أكبر من هذا؟ فأوحىٰ الله تعالىٰ إليه: إنَّ في البحر مَن يحتاج أن يأكل سبعين ألفاً مِثْلَ هذا ولا يُشْبِعه إلاّ نعمتي ولُطْفي.

فعَلِمَ سليمان أن الذي أُعْطِيَه ليس بشيء في قدرة الله ﷻ، والله الواسع المُتَفَضِّل.

۞ سبب بناء بيت المقدس وابتداء أمره:

قال أبو إسحاق الثعلبي رحمه الله تعالىٰ في سبب بناء بيت المقدس: إنَّ الله تبارك وتعالىٰ بارك في نسل إبراهيم عليه السلام، حتىٰ جعلهم في الكثرة غاية لا يُحْصَون.

فلما كان زمن داود عليه السلام، لبث فيهم مدة مديدة بأرض فلسطين وهم يزدادون كل يوم كثرة، فأُعجب داود بكثرتهم، فأراد أن يعلم عدد بني إسرائيل، فَأَمَرَ بِعَدِّهم، وبعث لذلك عرفاء ونقباء، وأمرهم أن يرفعوا إليه ما بلغ مِن عِدَّتهم. فكانوا يَعُدُّون زماناً من الدهر حتىٰ عجزوا وأَيِسوا أن يحيط عِلْمُهم بعدد بني إسرائيل، فأوحىٰ الله تعالىٰ إلىٰ داود: إني وعدتُ أباك إبراهيم يوم أمرتُه بذبح ابنه فصدَّقني وائتمر بأمري، أن أُبارك له في ذريته حتىٰ يصيروا أكثر من عدد نجوم السماء، حتىٰ لا يحصيهم العادُّون، وإني قد أقسمتُ أن أَبْتَلِيَهم بِبَلِيّة يَقِلُّ منها عددهم، ويذهب عنك إعجابك بكثرتهم. وخيّره بين أن يبتليهم بالجوع والقحط ثلاث سنين، وبين أن يُسَلِّطَ عليهم عدوَّهم ثلاثة أشهر، وبين أن يُسَلِّط عليهم الطاعون ثلاثة أيام؟

فجمع داود بني إسرائيل وأخبرهم بما أوحىٰ الله تعالىٰ إليه وخيَّره فيه، فقالوا: أنت

أعلم بما هو أيسر لنا، وأنت نبينا، فانظر لنا غير الجوع فلا صبر لنا عليه، وتَسْليطُ العدو أمر فاضح، فإنْ كان ولا بد فالموت؛ لأنه بيده لا بيد غيره.

فأمرهم داود أن يتجهّزوا للموت، فاغتسلوا وتحنّطوا، ولبسوا الأكفان، وبرزوا إلى صعيد بيت المقدس - قبل بناء المسجد - بالذراريّ والأهلين، وأمرهم داود عليه السلام أن يضجّوا إلى الله تعالى وأن يتضرّعوا إليه لعلّه أن يرحمهم.

فأرسل الله تعالى عليهم الطاعون، فأُهْلِكَ منهم في يوم وليلة ألوف كثيرة لا يُدرى عددهم، ولم يفرغوا من دفنهم إلاّ بعد مدة شهرين.

فلما أصبحوا في اليوم الثاني، خرّ داود ساجداً يبتهل إلى الله تعالى، فاستجاب الله تعالى منه وكشف عنهم الطاعون، ورفع عنهم الموت. ورأى داود الملائكة سالّين سيوفهم فأغمدوها، وهم يَرْقَوْن في سُلَّم من ذهب من الصخرة إلى السماء، فقال داود لبني إسرائيل: إن الله قد مَنَّ عليكم ورَحِمَكم، فجدِّدوا له شكراً. قالوا: وكيف تأمرنا؟ قال: آمركم أن تتخذوا من هذا الصعيد الذي رحمكم الله فيه مسجداً، لا يزال فيه منكم ومِمّنْ بعدكم ذِكْر الله تعالى.

فأخذ داود في بنائه، فلما أرادوا أن يبتدئوا البناء، جاء رجل صالح فقير يختبرهم؛ ليعلم كيف إخلاصهم في بنيانهم، فقال لبني إسرائيل: إنَّ لي فيه موضعاً وأنا محتاج إليه، فلا يحل لكم أن تحجبوني عن حقي. قالوا له: يا هذا، ما مِن أحد من بني إسرائيل إلاّ وله في هذا الصعيد حق مِثْل حقك، فلا تكن أبخل الناس ولا تضايقنا فيه. فقال: أنا أعرف حقي وأنتم تعرفون حقوقكم، قالوا له: إمّا أن ترضى وتطيب نفساً وإلاّ أخذناه كَرْهاً؟ قال لهم: أَوَ تجدون ذلك في حكم الله تعالى وحكم داود؟

قال الثعلبي: فرفعوا خبره إلى داود فقال: أَرْضُوه، فقالوا: نعم، نأخذه منه يا نبي الله بثمنه. قال: خذوه بمائة شاة، فقال الرجل: زِدْني يا نبي الله، فقال: بمائة بقرة، قال: زِدْني يا نبي الله، قال: فبمائة بعير، قال: زِدْني يا نبي الله، فإنما تشتريه لله تعالى. فقال داود: أمّا إذْ قلتَ هذا فَاحْتَكِمْ أُعْطِكَ، قال: تشتريه مني بحائط مثله زيتوناً ونخلاً وعنباً، قال: نعم، قال: أنت تشتريه لله تعالى فلا تبخل، قال: سَلْ ما شئتَ أُعْطِكَ، وإنْ شئتَ أُؤْجِرْكَ

نفسي. قال: أَوَ تفعل ذلك يا نبي الله؟ قال: نعم إذا شئتَ، قال: أنت أكرم على الله تعالى من ذلك، ولكن تبني حوله جداراً ثم تملؤه ذهباً، وإنْ شئتَ وَرِقاً. قال داود: هو هَيِّنٌ، فالتفت الرجل إلى بني إسرائيل وقال: هذا هو التائب والمخلِص، ثم قال لداود: لأن يغفر الله تعالى لي ذنباً واحداً أحبُّ إليّ مِن كل ما وهبتَ لي، ولكن كنتُ أختبركم.

فأخذوا في بناء بيت المقدس، وذلك فيما قيل: لإحدى عشرة سنة مضت من خلافة داود. وكان داود ينقل لهم الحجارة على عاتقه، وكذلك خِيار بني إسرائيل، حتى رفعوه قامة، فأوحى الله تعالى إليه: إن هذا بيت مُقَدَّس، وأنت سفّاك للدماء ولستَ بانيه، ولكن ابنٌ لك أُمَلِّكُهُ بعدك اسمه سليمان، أُسَلِّمُه من سفك الدماء وأَقْضي إتمامَه على يديه، ويكون له صِيته وذِكْره.

قال الثعلبي: فصلّوا فيه زماناً إلى أن توفّى الله نبيه داود، واستخلف سليمانَ وأمره بإتمام بناء بيت المقدس. فجمع سليمانُ الإنسَ والجن والشياطين، وقسّم عليهم الأعمال، فخصّ كل طائفة منهم بعمل، فأرسل الجن والشياطين في تحصيل الرخام والبلور الأبيض الصافي من معادنه، وأمر ببناء المدينة بالرخام والصُّفّاح، وجعلها اثني عشر رَبَضاً[1]، وأنزل كُلَّ رَبَض منها سبطاً من الأسباط.

فلما فرغ من المدينة ابتدأ في بناء المسجد، فوجّه الشياطينَ فِرَقاً، فريقاً منهم يستخرجون الذهب والفضة من معادنها، وفريقاً يغوصون في البحر ويستخرجون أنواع الدر، ويقلعون الجواهر والحجارة من أماكنها، وفريقاً يأتونه بالمسك والعنبر وسائر أنواع الطيب من أماكنها. فأُتِيَ من ذلك بشيء لا يُحصيه إلاّ الله تعالى، ثم أحضر الصُّنّاع وأمرهم بنحت تلك الحجارة وتنضيدها ألواحاً، وإصلاح تلك الجواهر وتثقيبها.

فكانوا يعالجونها فتُصَوِّتُ صوتاً شديداً لصلابتها، فكَرِهَ سليمان تلك الأصوات، فدعا الجن فقال لهم: هل لكم حيلة في نحت هذه الجواهر من غير تصويت؟ فقالوا: يا نبي الله، ليس في الجن أكثر تجارب ولا أكثر عِلْماً من صخر. فاستدعاه، وكان من أَمْرِه في حضوره إليه

---

(١) أي ناحية.

والتَّلَطُّف في تحصيل حجر السامور ما سنذكره إن شاء الله تعالىٰ في أخبار صخر.

قال الثعلبي: فبنىٰ سليمان المسجد بالرخام الأبيض والأصفر والأخضر، وعمّده بأساطين البلور الصافي، وفصّصه بألواح الجواهر الثمينة، وفصّص سقوفه وحيطانه باللآلئ واليواقيت وسائر الجواهر، وبسط أرضه بألواح الفَيْروزج. فلم يكن يومئذ بيت في الأرض أبهىٰ ولا أَنْوَر من ذلك المسجد، وكان يضيء في الظلمة كالقمر ليلة البدر.

قال الثعلبي: فلما فرغ من بنائه جمع أحبار بني إسرائيل، فأعلمهم أنه بناه لله تعالىٰ، وأن كل شيء فيه خالص لله تعالىٰ، واتخذ ذلك اليوم عيداً، فلم يُتّخذ في الأرض قط أعظم منه، ولا من الأطعمة التي عُمِلَتْ فيه.

قيل: إنه ذبح من الخراف خمسين ألفاً، ومن البقر خمسة وعشرين ألفاً معلوفة، ومن الغنم أربعمائة ألف شاة.

ومن أعجب ما اتخذ سليمان عليه السلام ببيت المقدس أنه بنىٰ بيتاً وطيّن حيطانه بالخضرة وصقله، فكان إذا دخله الورع البار استبان خياله في ذلك الحائط أبيض، وإذا دخله الفاجر استبان خياله في الحائط أسود، فارتعد عند ذلك كثير من الناس عن الفجور والخيانة.

ونصب في زاوية من زوايا المسجد عصا أَبِنوس، فكان مَن مسّها مِن أولاد الأنبياء لم تضره، ومَن مسّها مِن غيرهم احترقت يده.

قال النويري: ولما فرغ سليمان عليه السلام من بناء بيت المقدس، قرّب قُرْباناً علىٰ الصخرة ثم قال: اللهم أنت وهبتَ لي هذا المُلْك مَنّاً منك عليّ، وجعلتَني خليفتك في أرضك، وأكرمتَني به من قبل أن أكون شيئاً، فلك الحمد. اللهم إني أسألك لِمَن دخل هذا المسجد خصالاً: ألاّ يدخله أحد فيصلي فيه ركعتين مخلصاً فيهما إلاّ خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه، ولا يدخله مُسْتَتِيبٌ إلاّ تُبْتَ عليه، ولا خائف إلاّ أَمَّنْتَه، ولا سقيم إلاّ شفيتَه، ولا مُجْدِبٌ إلاّ أَخْصَبْتَه وأَغْنَيْتَه. وإذا أَجَبْتَ دعوتي فاجعل علامتها أنْ تَقْبَلَ قُرْباني.

قال: فنزلت نار من السماء فسدّتْ ما بين الخافِقَيْن، ثم امتدّ منها عنق فاحتمل القربان وصعد به إلىٰ السماء.

وقال سعيد بن المسيب رحمه الله تعالىٰ: لما فرغ سليمان من بناء بيت المقدس تَغَلَّقَتْ أبوابه، فعالجها سليمان فلم تنفتح، حتىٰ قال في دعائه: بصلوات أبي داود إلاّ ما فُتحت الأبواب، ففُتحت. ففرّغ له سليمانعليه السلام عشرة آلاف من قُرّاء بني إسرائيل: خمسة آلاف بالليل، وخمسة آلاف بالنهار. فلا تأتي ساعة من ليل أو نهار إلاّ واللهُ عزوجل يُعْبَدُ فيها فيه.

وحكىٰ الكسائي في خبر بناء بيت المقدس قال: فأوحىٰ الله تعالىٰ إلىٰ سليمانعليه السلام أن يبني بيت المقدس ويرفع قواعده كما رفع إبراهيم قواعد البيت العتيق، وأن يبنيه علىٰ صخرة المعراج. فأمر سليمان الجانّ أن تقطع الصخور، وتنقل الرخام والأحجار والعَمَد وآلات العمارة إليه، ثم أمر بالبناء علىٰ الأساس الذي كان داود وضعه.

فلما كَمُلَ البناء انهار وانهدم، فأمر أن يُحفر أساسه حتىٰ يبلغ الماء، وعقد البناءَ بالحجارة المنحوتة بعضِها علىٰ بعض، فغلب الماء علىٰ البناء، فما انعقد الأساس. فأمر أن تُصنع قِلال النحاس والرصاص، وختمها بخاتمه، وجعلها تحت الأساس، ثم أمر بالبناء فوقها، فبُنيت وارتفع البناء، وعمل فيه عشرة آلاف عمود من الرخام الملون، يلي كل عمود سارية من الذهب وسارية من الفضة، ومحاريب الذهب والفضة.

وكَمُلَ البناء والزخرفة في أربعين يوماً.

قال الكسائي: وكان يعمل فيه في كل يوم ألف عفريت من الجن، وألف شيطان، وألف من الإنس، وفرغ منه يوم عرفة، واتخذ له قناديل من الذهب بسلاسل الفضة.

قال الثعلبي رحمه الله تعالىٰ: فكان بيت المقدس علىٰ ما بناه سليمانعليه السلام إلىٰ أن غزاه بُخْتَنَصَّر، فخرّب المدينة وهدمها، ونقض المسجد وأخذ ما كان في سقوفه وحيطانه من الذهب والفضة، والدر والياقوت وسائر الجواهر، فحمل ذلك معه إلىٰ دار مملكته من أرض العراق.

قال الثعلبي: ثم لم يزل خراباً إلىٰ أن بُنِيَ في الإسلام.

۞ مرور سليمانعليه السلام علىٰ وادي النمل:

قال الكسائي: ولما سار سليمان لقصد الغزو، مرّ في طريقه بوادي النمل.

قال الثعلبي: إنه مرّ بوادي السَّدير[١].

قال الكسائي: فنظر إليهم وإذا هم يزيدون على مائة ألف كُرْدوس[٢] مثل السحاب، وهم زُرْق العيون، ولهم أيد وأرجل. فقال سليمان: إني أرى سحابة في الأرض ولا أعلم ما هي؟ فحملت إليه الريح قول النملة كما أخبر الله تعالى عنها بقوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٨ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا مِّن قَوۡلِهَا﴾ [النمل].

قال الكسائي: ونزل الناس معه فقال: أتدرون ما هذا السواد؟ هذه أمة من الأمم يقال لها: النمل، وأخبرهم بقول النملة، وسجد وسجدوا شكراً لله تعالى.

ودخلت النمل مساكنها زمرة بعد زمرة، والنملة تناديهم: الوَحا الوَحا[٣]، فقد وافتكم الخيل. فصاح بها سليمان وأراها الخاتم، فجاءت خاضعة فوقفت بين يديه، فسجدت ثم قالت: يا نبي الله، ما سجدتُ قبلك إلاّ لأبيك إبراهيم، وها أنا بين يديك مُرْني بأمرك. فقال: ما الذي تكلّمتِ به قبل وصولي إليك؟ قالت: يا نبي الله، إني رأيتُك في موكبك وعسكرك، فناديتُ النمل أن يدخلوا مساكنهم لئلاّ يَحْطِمَهم جندك، وأنا كمثل غيري من الملوك أريد الإصلاح لقومي. فقال لها: كم عددكم؟ وما تأكلون وما تشربون؟ قالت: يا نبي الله، لو أمرتَ الجن والشياطين أن يحشرونا إليك لعجزوا، وليس على ظهر الأرض وادٍ ولا جبلٌ ولا غابةٌ إلا وفي أكنافها مثل سلطانك كراديس من النمل، ولو تفرّق كردوس واحد في الأرض لَما وسعته، ولقد خُلقنا قبل أبيك آدم، وإنّا لنأكل رزق ربنا ونشكره. فأمرها أن تعرض النمل عليه، فنادتهم، فمرّوا به زمرة بعد زمرة، وسلّموا عليه بلغاتهم وهو ينظر إليهم، فقالت ملكة النمل: يا نبي الله، مِنّا ما يأوي الجبالَ، ومِنّا ما يأوي قرب المياه والأشجار والزروع، وفي الهواء وهي الطيارة، فإذا نبتت أجنحتها

---

(١) وكذلك قال ابن حيان في تفسيره الكبير المسمى بالبحر المحيط: وادي السَّدير من الطائف.

(٢) المقصود بالكردوس هنا الطائفة.

(٣) أي أسرعوا أسرعوا.

هلكت واختطفتها الطير، والنملة لا تموت حتىٰ يخرج من ظهرها كراديس من النمل، وليس علىٰ ظهر الأرض أحرصُ من النمل، وإنها لتجمع في صيفها ما يملأ بيتها، وهي مع ذلك تظن أنها لا تشبع، وبتسبيحها تسأل ربها أن يوسع الرزق علىٰ خلقه.

قال الثعلبي: قال الضحاك: اسم النملة التي كلّمتْ سليمان طاحِية.

وقيل: حَرْمِيّة، والله أعلم.

وأقول: إن هذه القصة لأعظم دليل وأوضح بيان علىٰ التحدي الإلهي لكل عقل بشري كان أو سيوجد بعد ذلك إلىٰ يوم القيامة، وإنه لمفخرة علمية واضحة يُبَيِّن فيها سبحانه للعالَم كيف يعطي أحبابه من الأسرار والمعارف ما لم تستطع العقول البشرية أن تصنع مثله، وبأن العقل البشري مهما نضج فإن عطاءه لا شيء أمام عِلْم الله عزوجل، فهذه النملة تخاطب أخواتها بإشارات لا يدركها العِلْم الحديث مهما رقىٰ وعلا، ومع هذا فقد وصل كلامها إلىٰ أذن سليمان عليه السلام عن طريق الريح. وهنا تظهر عظمة الله عزوجل بما أعطىٰ نبيه سليمان من العلوم بأنواعها، التي مهما رقىٰ الإنسان وتَطَوَّر فلن يصل إلىٰ واحد من ملايين منها.

وبعد أن ثبت لك ذلك أيها القارئ عن طريق تلاوة هذه الآية، فيجب عليك أن تخضع لخالق هذا الكون العظيم، الذي له بكل شيء آية تدل علىٰ أنه الواحد الأحد، وأنه الفعّال لِما يريد.

۞ حشر البعوض لسليمان عليه السلام:

قال الكسائي: فلما نظر سليمان عليه السلام إلىٰ كثرة النمل قال: يا رب، ما أعظم جندك! إلهي، ما خلقتَ خلقاً أكثر من هذا؟ فأوحىٰ الله إليه: نعم، وسترى ذلك. ثم أمر الله تعالىٰ مَلِك البعوض أن يحشرها لسليمان، فحشرها من شرق الأرض وغربها. فأقبلت كراديس البعوض كالسحاب يتبع بعضها بعضاً حتىٰ وقف منهم كردوس علىٰ سليمان، وأقبل مَلِكهم وقال: يا نبي الله، ما لك وللضعفاء من خلق ربك أَلْهَيْتَهُم عن التسبيح؟ يا ابن داود، إنّا في هذه الأرض من قبل أن يوجد أبوك آدم بألفي عام، ما عُرِضْنا علىٰ آدمي

قبلك، والآن أُمرنا أن نُعرض عليك، نحن نأكل من رزق ربنا، ولا نفتر عن ذِكْره صباحاً ولا مساء. فقال سليمان: أخبرني كم أنتم؟ وأين مساكنكم ومأواكم؟ ومن أين ترزقون؟ فقال: يا نبي الله، أنا مسؤول عن سبعين سحابة من البعوض، كل سحابة تملأ المشرق والمغرب، لكل زمرة موضع معلوم، تأكل كلٌّ واحدة رزقها، ولولا خوف الميعاد لأكلنا ما في الدنيا. ثم سجدوا له وانصرفوا.

وكان سليمان إذا أراد أن يُدرك قوماً بعث إليهم البعوض، فيأكل جميع ما في مدينتهم.

وهكذا استلم سيدنا سليمان المُلْك وهو ابن عشرين، وجعل الله تحت حكمه كل مخلوق من أهل الأرض من إنس، وجن، وحيوان، وطير في البر والبحر. ومع هذا كان يجلس مع المساكين ويأكل معهم ويقول: مسكين مع المساكين.

فسيدنا سليمان في الحقيقة أُمِرَ بمهمة وكان العبد الصالح، أُمر بمهمة وقام بحقها كما أمره ربه حيث هو نبي ومعصوم. بنىٰ مجداً عظيماً، وبنىٰ مملكة كبيرة، عمّر المدائن والقلاع والقصور، وأحضر الذهب من معادنه، وأخرج اللآلئ والمراجين من أماكن كثيرة، وبنىٰ له الجن والشياطين صرحاً وأموراً فخمة، وصنعوا له القدور والتماثيل - وكانت جائزة في زمانه -. كُلُّ ذلك وسيدنا سليمان لا يغتر به ولا يلتفت إليه، ويقول: هذه الدنيا فانية، هذه الدنيا بيدي.

كان كآبائه تماماً متجرداً عن الدنيا، منشغلاً بأمور الآخرة، قلبه دائماً مع خالقه وبارئه. ما سُبِقَ إلىٰ المحراب، وما سُبق إلىٰ تلاوة التوراة والزبور، وما سُبق إلىٰ التهجد، وما سُبق إلىٰ حب المساكين، وما سُبق إلىٰ دفع زكاة ماله، وما مرّ يومٌ إلاّ وهو يجاهد أعداء الله بالسيف ويقاتلهم ليقولوا: لا إله إلاّ الله. أراد أن يقول لأهل الدنيا: ها أنا قد ملكتُ الدنيا فماذا يعني؟

يروى أن سيدنا سليمان مرّ علىٰ مزارع مسكين، وسليمان تنقله الريح علىٰ بساطه العظيم، ومعه الجن والعفاريت والإنس والملوك، في موكب لم يَرَ العالَم مثله. فنظر المزارع وتعجّب من ذلك، وقال: سبحان الله ما أُوتي آل داود، فنقلت الريح كلمته إلىٰ سليمان وليس عجيباً كما مر معنا، فنزل سليمان قريباً من أرض المزارع وأحضره. فجاء المزارع يرتجف فؤاده وعن يمينه ويساره العفاريت والمردة. فقال سليمان: يا هذا، ماذا قلتَ؟ قال: يا نبي الله، ما قلتُ شيئاً يشين. قال: بل قلتَ، قال: ماذا؟ قال: قلتَ: سبحان الله

ما أوتي آل داود. ثم قال: أتنظر إلىٰ هذا الملك الذي يتنعم به ابن داود؟ قال: نعم، قال: لَقولك سبحان الله أفضل من هذا الملك كله يوم القيامة، ما أنت عليه يا أخي من العمل ومن ذِكْرك لله أفضل من هذه الدنيا، ما أوتيه ابن داود فإنه زائل، أما التسبيح والتقديس فهو الذي يبقىٰ وينفعك عند رب العالمين.

فأثبت لأهل الدنيا بأنها لا تعدل عنده جناح بعوضة، وبأنها كانت بيده لم تدخل قلبه، ولم تشغله أن يلبي دعوة الله صباح مساء، فأتىٰ حُجّة.

وهكذا نقول لأنفسنا ولأصحاب الأموال: أن لا نغتر بالدنيا.

۞ حادثة الخيل وما قيل فيها:

قال الله تعالىٰ: ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ(١) الْجِيَادُ(٢) ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ(٣) عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ(٤) ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَيَّ(٥) فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ(٦) ﴿٣٣﴾﴾ [ص].

---

(١) قال أبو الحسن علي بن إبراهيم الحَوْفي في كتاب (البرهان في علوم القرآن) في تفسير هذه الآية: الصافنُ من الخيل الذي يَجمع بين يديه. وقال الفرّاء: الصافن من الخيل هو القائم. وقال مجاهد: صفون الفرس إذا رفع إحدى رجليه حتىٰ يكون علىٰ طرف الحافر. وقال ابن زيد: والصفن أن يقوم الفرس علىٰ ثلاث ويرفع رِجْلاً واحدة، ويكون طرف الحافر علىٰ الأرض.

(٢) قال ابن زيد: الجياد هي السِّراع.

(٣) قال قتادة والسُّدِّي: الخير هي الخيل.

(٤) قيل: إنه لَها عن الصلاة حتىٰ فاتته. وروي عن علي رضي الله عنه أنه سئل عن الصلاة الوسطىٰ فقال: هي العصر، وهي التي فُتِنَ بها سليمان حتىٰ توارت بالحجاب، يعني الشمس حتىٰ غابت من مغربها.

(٥) أي الخيل التي عُرِضَتْ عليَّ فشغلتْني عن الصلاة.

(٦) أي جعل يمسح فيها السوق، وهو جمع ساق. قال قتادة والحسن والسدي: عقرها وضرب أعناقها. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: جعل يمسح أعرافها وعراقيبها بيده حباً لها. وقيل: كشف عن عراقيبها وضرب أعناقها وقال: لا تشغلني عن عبادة ربي مرة أخرى. قال أبو إسحاق: يجوز أن يكون الله أباح له ذلك؛ لأنه لا يجعل التوبة من الذنب بذنب أعظم منه، والله أعلم. وقال قوم: أي حبسها في سبيل الله وكوى سوقها وأعناقها بمِيسَم الصدقة، وهي حديدة تكوى بها إبل الصدقة وغيرها؛ لِتُعرف وتتميّز عن غيرها من الإبل المملوكة.

قال الثعلبي رحمه الله تعالىٰ في قصة الخيل: قال الكلبي: غزا سليمان أهل نصيبين فأصاب منهم ألف فرس.

وقال مقاتل: ورث سليمان من أبيه داود ألف فرس كان داود أصابها من العمالقة.

قالوا: فصلّىٰ سليمان الصلاة الأولىٰ وقعد علىٰ كرسيه، وعُرِضَ عليه منها تسعمائة فرس، فتنبّه لصلاة العصر فإذا الشمس قد غابت، وفاتته الصلاة ولم يعلم بذلك، فاغتمّ وقال: ردوها عليّ. فرُدَّت عليه فعرقبها بالسيف، فقرّبها إلىٰ الله عزّ وجلّ وبقي منها مائة فرس، فما في أيدي الناس من الخيل العراب فهي من نسل تلك المائة.

وقال كعب: كانت الأفراس أربعة عشر فرساً، فأمر بضرب أعناقها وسوقها بالسيف وقتلها، فسلبه الله مُلكه أربعة عشر يوماً؛ لأنه ظلم الخيل بقتلها.

وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن الله تعالىٰ أمر الملائكة المُوَكَّلين بالشمس فردوها، وصلىٰ سليمان العصر في وقتها.

وقال ابن زيد: إن الشيطان هو الذي أخرج الخيل لسليمان من مرج من مروج البحر، وذكر أنها كانت عشرين فرساً، وكانت لها أجنحة.

۞ صفة بساط سليمان عليه السلام:

قال الكسائي: وكان سليمان إذا ركب الريح تقدّم أمام بساطه البعوضُ، ثم الزنابيرُ وكلُّ ما يطير في الهواء، ثم الشياطين.

وكان إذا أراد أن يركب الريح دعا الرياح الثمانية، فيبسط بعضها علىٰ بعض، ثم يبسط بساطه علىٰ هذه الرياح.

وكان من السندس الأخضر، وهو أخضر البطن أحمر الظهر، أهداه الله تعالىٰ إليه من الجنة، لا يعلم طوله وعرضه إلاّ الله تعالىٰ.

وقيل: كان طوله ثلاثمائة وسبعين فرسخاً[1]، وفي عرض عشرة آلاف ذراع.

وكان مرصعاً بالجواهر والأحجار الكريمة، وعليه من الألوان ما يجعل الإنسانَ يغيب عمّا فيه من جماله وينسىٰ الدنيا كلها.

وكان سيدنا سليمان إذا ركبه جعل اللونَ الأخضر مِمّا يلي الأرض، والأحمر مِمّا يليه، فإذا رفع الناس رؤوسهم إليه يرونه علىٰ لون السماء.

وكان يجلس علىٰ كرسيه وعن يمينه ويساره القضاة والعلماء والأحبار من بني إسرائيل علىٰ كراسيَّ مُعَدّة لهم، وهو جالس في وسط البساط وزمام الريح بيده، ويتغدّى علىٰ مسيرة شهر، ويتعشّىٰ علىٰ مسيرة شهر.

قال الله تبارك وتعالىٰ: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ﴾ [سبأ ١٢].

قال الكسائي: وكان سليمان إذا ركب الرياح علىٰ بساطه يرى كل شيء عليه من الجن والإنس والشياطين والهوام وغيرهم، والطيرُ تُظَلِّله، ولا يَقِفُ علىٰ مدينة إلاّ فتحها.

وهو معه يطويه متىٰ شاء، ويُوَسِّع به متىٰ شاء. فإذا نزل في مكان ضَيِّق ينطوي معه وينزوي علىٰ بعضه، وإذا كان في مكان وفي جو واسع انفتح علىٰ كله.

۞ ذِكْر أخبار صخر وما كان مِنْ أمره مع نبي الله سليمان:

قال الكسائي: وجمع سليمان عليه السلام عفاريتَ الجن والشياطين، وأمرهم بإحضار صخر الجني، فقالوا: يا نبي الله، إن الله قد أعطاه قوةَ جماعةٍ مِنّا، ويصعب علينا حَمْله إليك، وما لنا إلاّ أمر واحد، وهو أنه يأتي في كل شهر إلىٰ عين في جزيرة فيشرب ماءها، والرأي أن ننزفه منها ونملأها خمراً، فإذا جاء وشربه وسَكِرَ ذَهَبَتْ قوته، فنحمله ونأتيك به.

ثم خرجوا ففعلوا ذلك، واختفوا في تلك الجزيرة، فجاء صخر ليشرب، فَاشْتَمَّ رائحة الخمر وقال: أيتها الخمرة، إنك لطيبة غير أنك تسلبين العقل، وتجعلين الحليم جاهلاً، وأَمْرُكِ كله ندامة. وانصرف ولم يشرب.

---

(١) الفرسخ يساوي ثلاثة أميال.

ثم عاد في اليوم الثاني وقد أجهده العطش فقال: ما مِن قضاءٍ يأتي من الله إلاّ كان مُبْرَماً، ثم نزل على العين فشرب حتى امتلأ، ثم قام ليخرج فسقط، فتبادرت العفاريت إليه ومعهم طابَع خاتم سليمان، فلما رآه ذلّ وخضع، فحملوه حتى وقفوه بين يدي سليمان، وهو يُخْرِجُ مِن فيه لهب النيران، ومن مُنْخَرَيْه الدخان. فلما عاين الخاتمَ ضعفت قوته، وخرّ ساجداً على وجهه، ثم رفع رأسه وقال: يا نبي الله، سيزول هذا المُلك عنك ولا يبقى إلاّ ذِكْره. قال: صدقتَ، ثم قال له: يا نبي الله، ما الذي أَحْوَجَكَ إليّ وأنا بالبعد منك لا أختلط بالآدميين؟ فقال له سليمان: إن الناس قد اشتكوا مِن وَقْع الحديد وصوته على الحجر، فقال: عليك بوَكْر العُقاب وعُشِّه وبيضه، فليس شيء من الطيور أبصر منه.

فأُتِيَ به، فوضعه في البريّة وغطّاه بجامٍ من القوارير شديد الصفاء. فجاء العُقاب فلم ير عشه، فطار في الهواء حتى نظر إلى عشه في تلك البرية، فانقضّ عليه وضرب الجام برجله ليكسره، فلم يقدر على ذلك. فطار وتعلّق في الهواء، وغاب يومه وليلته، ثم أقبل صبيحة اليوم الثاني وفي منقاره قطعة من حجر السامور، فانقضّ على الجام بذلك الحجر فضربه به، فانشق الجام نصفين ولم يُسمع له صوت، وأخذ العُقابُ عُشَّه وبيضه، وترك حجر السامور هناك، فأخذه صخر وهو في صفاء المرآة وحرّ النار.

فدعا سليمان بالعُقاب وسأله عن حجر السامور: من أين احتمله؟ فأخبره أنه من جبل شامخ، فبعث سليمان الجن والشياطين فحملوا منه ما قدروا، فكان يقطع به الأحجار والصخور والجَزْعة من غير أن يُسمع له وَقْعٌ.

قال الكسائي: ثم قال صخر: يا نبي الله، أَتُحِبُّ أن أتّخذ لك مدينة؟ قال: نعم. فاتّخذها، فعجب سليمان من ذلك وأمره أن يتّخذ له مدينة دون تلك المدينة؛ حتى يحملها معه على بساطه حيث ذهب، فقال: يا نبي الله، لك كلما أردتَ السفر مدينةٌ على أي لون شئتَ.

فبنى له مدينة في طول عسكره وعرضه، وجعل لكل سبط من الأسباط قصراً في طول ألف ذراع، وعرضُه مثل ذلك، وفي كل قصر بيوت وغرف.

ثم بنى بعد ذلك مجلساً من القوارير في طول ألف ذراع، وعرضه مثل ذلك، يجلس فيه العلماء والقضاة.

وبنىٰ لسليمان قصراً عجيباً في طول خمسة آلاف ذراع، وعرضه مثلها، وزخرفه بألوان القوارير، ورصّعه بأنواع الجواهر، وجعل فيه جميع الصور والتماثيل، وأتقن صنعته.

وإليك أخي القارئ صوراً لبعض المدن التي بناها الجن لسيدنا سليمان، وما فيها من آثار باقية إلىٰ يومنا هذا.

١- القدس القديمة (Jerusalem):










إسطبل للخيول

٢- مدينة (Meggido):



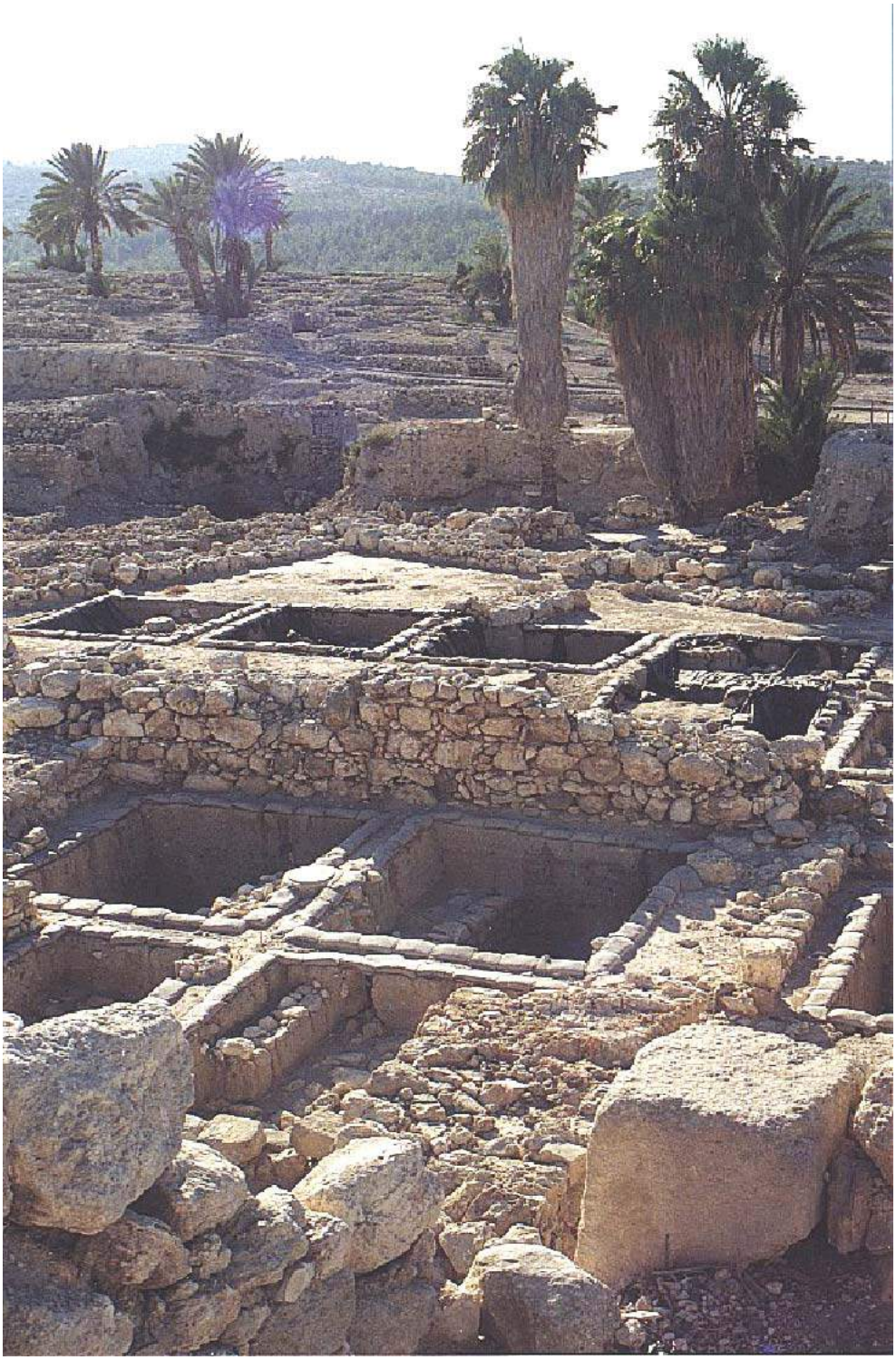














إحدى بوابات المدينة



حوض للماء



إحدى أحواض الماء التي
كانت تستخدم لسقاية الخيول

٣- مدينة (Hazor):

















بعض الأسلحة القديمة **التي وجدت في تلك المنطقة**

٤- مدينة (Gezer)







حوض لتعبئة الماء





۞ صفة كرسي سليمان عليه السلام وما انتهى إليه أمره:

كان سليمان عليه السلام يجلس للقضاء، فيقضي بين الإنس وبين الجن. وكان يريد أن يجلس على كرسي يهابه مَن يراه، لا لِيتكبر عليه، إنما لينطق بالحق مَن حضر بين يديه، فيقر بالحق المُدَّعي والمُدَّعى عليه، ويقول الشاهد كذلك الحق.

قال الكسائي: وذكر العلماء حيث قالوا: وكان مِمّا عمله صخر الجني لسليمان عليه السلام الكرسي، وكان سليمان أَمَرَه باتّخاذه ليجلس عليه للقضاء، وأَمَرَه أن يعمله بديعاً مهولاً، بحيث إذا رآه مبطل أو شاهد زور ارتدع وتهيّب.

قال الكسائي: فعمل له الكرسيَّ وكان من أنياب الفيلة، وفصّصه بالياقوت واللؤلؤ والزبرجد وأنواع الجوهر، وحفّه بأربع نَخَلات من ذهب، شماريخها من الياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر، على رأس نخلتين منها طاووسان من ذهب كبيران وبلون الطواويس، وعلى رأس النخلتين الأخريين نسران من ذهب للمنظر والجمال والهيبة، بعضها يقابل بعضاً. وجعل مقابل جنبي الكرسي عن اليمين واليسار أسدين كذلك من ذهب، وعلى رأس كل أسد منهما عمود ضخم من الزمرد الأخضر الخالص. وعقد على النخلات أشجار كروم من الذهب، وعناقيدها من الياقوت الأحمر.

وكان سليمان إذا أراد صعوده وضع قدميه على الدرجة السفلى، فيستدير الكرسي كله بما فيه دوران الرَّحَى المسرعة، وتنشر تلك الطواويس والنسور أجنحتها على النخلات الأربعة، ويبسط الأسدان أيديهما، ويضربان الأرض بأذنابهما، وكذلك في كل درجة يحصل ذلك. فإذا استوى سليمان بأعلاه، أخذ النسران اللذان على النخلتين تاج سليمان، فوضعاه على رأس سليمان. ثم يستدير الكرسي بما فيه، ويدور معه النسران والطاووسان، والأسدان مائلان برؤوسهما إلى سليمان، ينضحن عليه من أجوافها. ثم تُناوله حمامة من ذهب جاسمة على عمود من جوهر خالص من أعمدة الكرسي التوراةَ، فيفتحها سليمان عليه السلام ويقرؤها على الناس، ويدعوهم إلى فصل القضاء. فإذا دعا بالبيّنات، وتقدّمت الشهود لإقامة الشهادات، دار الكرسي بما فيه من جميع ما حوله دوران الرَّحَى

المسرعة، وسُمِعَ صوت للأسود تزأر، فيقف الشاهد بهذه الحالة فلا يمكنه إلاّ أن يقول الحق.

وقال أبو إسحاق الثعلبي: قال معاوية لوهب بن منبه: ما الذي كان يُدير ذلك الكرسي؟ قال: بُلْبُلتان من ذهب.

قال: فإذا دار الكرسي بسط الأسدان أيديهما، ويضربان الأرض بأذنابهما، وينشر النسران والطاووسان أجنحتها، فتفزع منها الشهود ويداخلهم الرعب الشديد، فلا يشهدون إلاّ بالحق.

قال الثعلبي رحمه الله تعالىٰ: فلما توفّىٰ الله سليمان عليه السلام جاء بُخْتنصَّر إلىٰ بيت المقدس، فأخذ الكرسي وحمله إلىٰ أنطاكية[1]، وأراد أن يصعد عليه ولم يكن له عِلْم بالصعود عليه، ولا معرفةٌ بأحواله. فلما وضع قدمه علىٰ الدرجة، رفع الأسد يده اليمنىٰ فضربه ضربة شديدة دقّته ورماه، فحُمل بختنصر، فلم يزل يعرج منها ويتوجّع إلىٰ أن مات.

وبقي الكرسي بأنطاكية حتىٰ غزاهم ملك من ملوك الشام يقال له: كَداس بن سَدارِس، فهزم خليفة بختنصّر وردّ الكرسي إلىٰ بيت المقدس، فلم يستطع أحد من الملوك الصعود إليه، فوُضِعَ فغاب، فلم يُعرف له خبر، ولا يُدْرَ أين هو، والله أعلم بالصواب.

هذا واقع وحقيقة الكرسي الذي أعطيه نبي الله سليمان، وهذا الذي يفتش عليه اليهود في زماننا وأنا واثق أنهم لن يستطيعوا الوصول إليه.

فإذا علمتَ الكرسي جيداً وفهمتَ كيف صُنع، مِن هنا تعرف كيف قدرة الله وعظمته، وكيف أن الله تعالىٰ يُذَلِّل للعبد الطائع كل شيء، فمَنْ أطاع الله أطاعه كل شيء.

قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢﴾ [الطلاق].

---

(١) كانت أنطاكية في القديم حاضرة سوريا، وهي واقعة علىٰ منعطف من نهر العاص، وقد وافقتْ قديماً غيرها من المدائن في الثورة والعلوم والتجارة، وكان لأهاليها امتيازات مدنيّة خصوصية، حتىٰ إنها كانت الثالثة بين مدن مقاطعات الرومان العظيمة، وقد اشتُهِرَت بحُسْن موقعها، وطيب هوائها، وكانت محفوفة بغياض السرو الكثيفة ومجاري المياه العذبة، كما ورد ذلك في بعض الكتب.

۞ خبر بِلقيس ملكة سبأ:

قال الكسائي: قال كعب الأحبار: هي بِلْقيس ابنة ذي شَرْح[1]، وهي مُتَوَلِّدة من الإنس والجن، وأمها عَمِيرة بنت ملك الجن.

وكان لاتصال ذي شَرْح والد بِلقيس بعَمِيرة بنت ملك الجن سبب عجيب.

قال الكسائي: أهلك الله مساكن سبأ بسيل العَرِم، فلما انقرضوا وأبادهم فناءوا، توارثها بعدهم جماعة من الملوك حتىٰ انتهىٰ المُلْك إلىٰ رجل فَظٍّ غليظ يقال له: شراحي الحميري، وكان من عادته مع قومه أنه افترض علىٰ أهل مملكته في كل أسبوع أن يأتوه بجارية من بناتهم فيفتضّها، ثم يردّها إلىٰ أهلها.

وكان ذو شرح وزيره، وهو من أبناء ملوك حمير من ولد سبأ. وكان لِذي شرح ألف قصر، وألف فرس عتيق، وألف سيف يمان.

وكان يرجع إلىٰ حُسْنٍ وجمال وعقل، وكان مولعاً بالصيد، فكانت الجن تتصوّر له في صورة الظبي، فإذا صادهم وهمّ بذبحهم كلّموه وقالوا له: لا تَعْجَل، فإنّا إنما جئنا لننظر إلىٰ محاسن وجهك. وكانت الجن تؤذي أهل اليمن، فأقسم ذو شرح أن يقتل ملك الجن ويتزوّج بابنته.

وكان اسم ملك الجن عُمَيْر، وكان حسن الوجه، وابنته عَمِيرة.

فمرّ ذو شرح ذات يوم في وادٍ من بلاد اليمن كثير الأشجار، فنزل به حتىٰ جنّه الليل وكان في جمع قليل من أصحابه، وكان الوادي الذي نزل به من مساكن الجن. فلما مضىٰ بعض الليل سمع هَمْهَمة الجنّ، فقام ونادى: يا معشر الجن، قد نزلتُ بكم الليلة علىٰ أن تُضِيفوني فإني جارٌ لكم، فأسمعوني من أشعاركم.

قال: فأنشدته الجن من أشعارها، وجاءته عَمِيرة بنت عُمَيْر ملك الجن علىٰ أحسن صورة، فلما نظر إليها ذُهِلَ عقله من حُسْنها، وغابت عن عينيه فشُغِفَ بحبها، فقال:

---

(١) ابن ذي جدن بن إيل بن الحارث بن قيس.... الخ، وفي رواية أخرى للكسائي: هو ذو سَرْح.

يا معشر الجن، إنْ أنتم زوّجتموها مني وإلاّ كنتُ حَرْباً عليكم ما عِشْتُ أبداً. فنادوه: يا ذا شرح، إنك آدمي، فكيف تقاتل الجن ومسكنهم الهواء وظلمات الأرض؟ مهلاً أيها الآدمي، لا تُعَرِّضْ نفسك إلىٰ ما لا تَقْدِرُ عليه وارجع، فإنْ قُدِّرَ لك أمر فسوف تناله.

فلما سمع ذلك أَيِسَ من التزويج، وأخذ في مُسْتَأْنَف أَمْره في مؤالفة الجن، فكان يُهاديهم بما يصلح لهم من الهدايا، فصافاه عُمَير ملكُ الجن وآخاه، وأَلِفَه حتىٰ صار عنده كالأخ. فلما رأى ذلك ذو شرح وأنه قد تمكّن من ملك الجن، قال له: هل لك أن تُزَوِّجني ابنتك عَمِيرة؛ ليكون لي في ذلك شرف إلىٰ الممات؟ فرغب فيه عُمَير ملك الجن؛ لِحُسْنه وجماله وشرفه وماله، فزوّجه ابنته بحضرة سادات الجن. وانصرف ذو شرح إلىٰ مدينة سبأ، وأهدى هدايا كثيرة إلىٰ ملك الجن وسادات قومه، ثم زُفَّتْ إليه فوَطِئها، فحملت منه.

قال الكسائي: وولدتْ له عَمِيرة بنت ملك الجن بِلْقيس بنت ذي شرح علىٰ أحسن ما تكون من الصورة، ثم ماتت أمها بعد ذلك بقليل فربّتها الجن.

فلما بلغت مبلغ النساء قالت لأبيها: إني كرهتُ المقام عند الجن، فاحملني إلىٰ بلاد الإنس فإنهم أحبّ إليّ. فقال لها: إنَّ للإنس مَلِكاً ظالماً، وذَكَرَ لها سُنَّته في بلاد قومه، وأنه يَفْتَضُّ الأبكار ثم يَرُدُّهُنَّ إلىٰ أَهْلِهِنّ. قالت: لا تخشىٰ ذلك عليّ وانقلني، وسترى ما يكون مني.

فبنىٰ لها قصراً خارج مدينة سبأ من أعظم ما يكون من الأبنية، واتّخذ لها عريشاً من العاج والآبِنوس والذهب والفضة، ونقلها إلىٰ القصر، واتّخذ لها أوانيّ الجواهر.

فأقامت بِلقيس في قصرها زمناً طويلاً، وانتشر خبرها إلىٰ ملك سبأ، فركب في موكبه حتىٰ وقف علىٰ باب القصر ورأى حُسْن بنائه، فرجع وأرسل بجارية من جواريه إلىٰ بِلقيس فدخلتْ عليها، ونظرتْ إليها وإلىٰ ما في قصرها من التُّحَف العظيمة، وما عندها من جواري الإنس والجنّ، فعادتْ إلىٰ الملك وأخبرته بما هي عليه من الجمال، وأنها ابنة وزيره.

فأحضره وأنكر عليه وقال: كيف اتخذتَ مثل هذا القصر، ولك مثل هذه البنت وأنت وزيري ولم تُعْلِمْني، ولا استأذنتَني في بنائه؟ فقال: أيها الملك، أما القصر فإني أنفقتُ عليه المال الذي ورثتُه من أبي، وأما البنت فإنها ابنة عَمِيرة بنت ملك الجنّ، ورغبتْ في أن

تسكن في بلاد الإنس، فحملتُها إلىٰ هذا المكان، فهذه قصتها. فقال: صدقتَ، فَزَوِّجْنِيها ولا بد من ذلك. فقال: أحتاج في ذلك إلىٰ إذنها، قال: اسْتَأْذِنْها.

فجاء إليها وقال: يا بُنَيّة، قد وقعتُ فيما كنتُ أخشاه عليك. وذَكَرَ لها مقالة الملك، فقالت: زَوِّجْني منه ولا تخف، فإنه لا يصل إليّ. فزوّجها منه بحضور أكابر أهل المملكة.

ولما تمّ التزويج كتب المَلِك كتاباً إليها يقول: إني قد عشقتُ اسمكِ قبل أن أنظر إليكِ، فإذا قرأتِ هذه الرقعة فَعَجِّلي بحضورك إليّ. فكتبتْ إليه: إني لمشتاقة إلىٰ وجهك أَشْوَق منك إليّ، غير أنَّ قصري هذا هو من بناء الجن وفيه عجائب كثيرة، وقد جمعتُ فيه ما لا يصلح إلاّ لمثلك، فإنْ رأيتَ أن تتحوّل إلىٰ قصري فافعلْ.

فلمّا ورد جوابُها عليه، ركب لوقته في حَشَمه وجنوده وسادات قومه، فبلغ بِلقيسَ فقالت لأبيها: امْضِ إلىٰ الملك وقل له: إن ابنتي من بنات الجن، ولم تنظر قط إلىٰ مِثْل هذه الجنود، فَفَرِّقْ هؤلاء وادخل إليها منفرداً.

فقال ذلك للملك، ففرّق جنوده وأتىٰ إليها بمفرده، ودخل القصر وله سبعة أبواب، وكانت بِلقيس قد جعلت عند كل باب جارية من بنات الجن من أحسن ما تكون من النساء، وفي أيديهن أطباق الذهب فيها الدنانير والدراهم والطِّيب، وأمرتهنّ أن يَنْثُرْنَ ذلك علىٰ الملك. فلما دخل توهّم أنَّ كلَّ واحدة منهن امرأته وهمّ بالنزول عليها، فتقول: أنا خادمتها وهي أمامك، حتىٰ انتهىٰ إلىٰ آخر الأبواب، فتقدّمتْ إليه جاريةٌ وأَصْعَدَته إلىٰ العرش، فنظر إلىٰ القصر وما فيه من الآلات والزينة، فرأى ما لم يخطر بباله. ثم أقبلتْ بِلقيس والجواري بين يديها ينثرن علىٰ المَلِك من أنواع النِّثار، وعلىٰ رأسها تاج. فصعد علىٰ عرشها، فلما رآها الملك فُتِنَ بها وكاد أن يَذْهَل عقلُه، وأخذتْ في مخادعته وملاعبته، ثم أمرتْ بالطعام فأُحضر بين يديه، فامتنع مِنَ الأكل وقال: ما أريد أنْ أغفل عن وجهك. فأمرت بإحضار الشراب، فأُتِيَ به في آلات الجوهر النفيس، وأخذ في الشُّرْب، فلم تزل به حتىٰ أسكرته وغاب عن عقله، ووقع علىٰ قفاه لا يعقل من أمره شيئاً، فذبحته.

ثم دَعَتْ بأبيها وأَعْلَمَتْه بما فعلتْ، ففرح وكتب إلىٰ خُزّان المَلِك عن المَلِك: إني قد

أحببتُ النزول بهذا القصر، فاجمعوا ما في الخزائن من الأموال وأنفذوه إلىٰ عندي[١].

فجمعوا الأموال وأَنْفذوها إلىٰ القصر، ثم أمرتْ بعد ذلك باتّخاذ الأطعمة، فصُنِعَتْ ودعتْ سادات ملوك اليمن، فلما جلسوا قُدِّمَتْ إليهم الأطعمة فأكلوا، ثم قُدِّمَ إليهم الشراب فشربوا، فلما أخذ منهم أشرفت بِلقيس عليهم وقالت: إنَّ المَلِك يأمركم أن تُوَجِّهوا إليه بنسائكم وبناتكم، فغضبوا وقالوا: أما يكفيه أنه فضح بنات العرب حتىٰ طمع فينا نحن؟ فقالت لهم: لا تغضبوا حتىٰ أرجع إليه وأُعَرِّفَه غضبكم. ثم أمرتْ أن يُعاد عليهم الشراب ثانياً، فشربوا ساعة، فعادت إليهم وقالت: قد أخبرتُ الملك بغضبكم ومقالتكم فقال: لا بد من ذلك، فازداد القوم غضباً وصاحوا، فقالت: علىٰ رِسْلِكم حتىٰ أُراجعه وأسأله. ومضت وعادت فقالت: إني عُدْتُ إلىٰ الملك فوجدته قد نام، فما رأيكم في أمر أفعله وأُريحكم مِمّا أنتم فيه مِن شره، علىٰ أن تُمَلِّكوني علىٰ أنفسكم؟ قالوا: نعم، فحَلَّفَتْهم علىٰ ذلك، وأخذتْ عليهم العهود والمواثيق، وغابت ساعة وعادت ومعها رأس الملك، فألقته إليهم، ففرحوا بذلك واستبشروا، وملّكوها عليهم.

فملكتْ بضع عشرة سنة حتىٰ بعث الله سليمان نبياً.

وقد قيل في قَتْل الملك غير ذلك، فليرجع إليه مَن أراد ذلك في المطولات مِن كتب التاريخ.

۞ صفة القصر الذي بَنَتْه بلقيس وصفة عرشها:

قال أبو إسحاق الثعلبي نقلاً عن الشعبي: يروى أن بلقيس لَمّا مَلَكَتْ، أَمَرَتْ فحُمِلَ إليها خمسمائة أسطوانة من الرُّخام، كل أسطوانة خمسون ذراعاً. وأَمَرَتْ بها فنُصِبَتْ علىٰ تل قريب من مدينة صنعاء، وخطّتْ بين كل أسطوانتين عشرة أذرع، ثم جعلت علىٰ ذلك سقفاً مبسوطاً بألواح الرخام، وأُلْحِمَ بعضها إلىٰ بعض بالرصاص حتىٰ صارت كأنها لوح واحد، ثم بَنَتْ فوق ذلك قصراً مربعاً من آجُرّ، وجعلتْ في كل زاوية من زواياه قبة من

---

(١) وفي رواية: وآتوني بها.

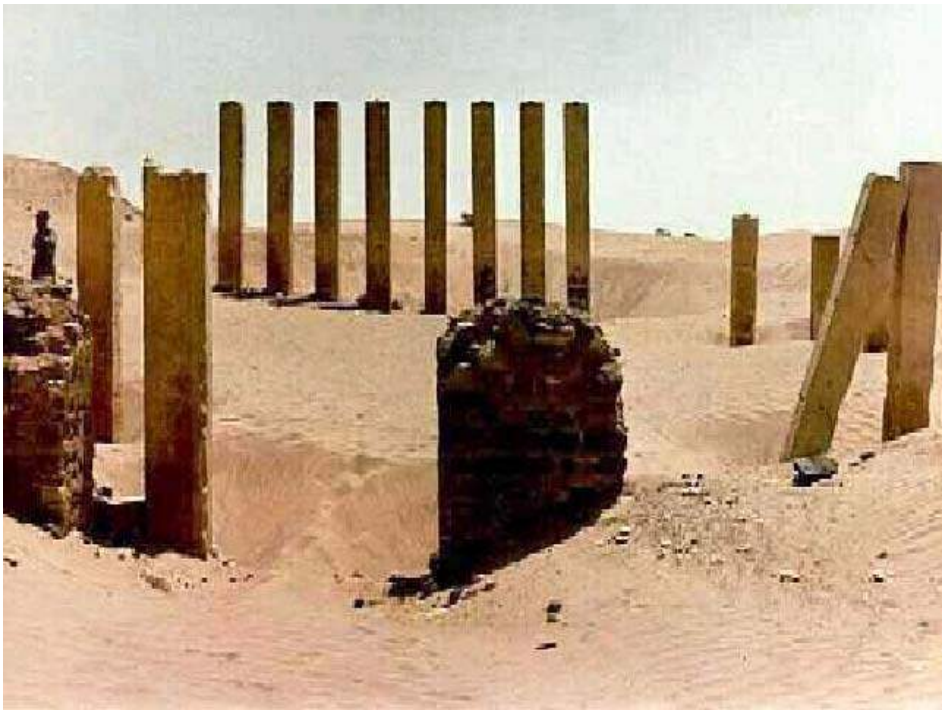
ذهب مُشْرَفة في الهواء، وفيما بين ذلك مجالس حيطانها من ذهب وفضة مرصّعة بأنواع الجواهر الملونة، فكانت الشمس إذا طلعتْ على ذلك القصر الْتَهَبَ الذهبُ والجوهر، فيكاد يُعْشي العيون وتَحار فيه الأبصار. وجعلتْ باب ذلك القصر مِمّا يلي المدينة بدرج من الرخام الأبيض والأحمر والأخضر، وفي جانبه حُجَرٌ لِحُجّابها وبُوّابها وحَرَسها وخَدَمها وحَشَمها على قدر مراتبهم.

قال الشعبي: وأما صفة عرشها، فكان مُقَدَّمُه من ذهب مُفَصَّصٍ بالياقوت الأحمر والزمرد الأخضر، ومُؤَخَّرُه من فضة مُكَلَّلٍ بأنواع الجواهر، وله أربع قوائم: قائمة من ياقوت أحمر، وقائمة من ياقوت أصفر، وقائمة من زمرد أخضر، وقائمة من دُرٍّ أصفر. وصفائح السرير من ذهب، وعليه سبعة بيوت، على كل بيت باب مغلق.

وكان ثمانين ذراعاً في ثمانين ذراعاً، وطوله في الهواء ثمانون ذراعاً، فذلك قوله تعالى: ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾ [النمل]، أي سرير ضخم.



صورة من الجو لبقايا قصر بلقيس في مأرب باليمن





صور أخرى عن قرب لبقايا حرم بلقيس



آثار مملكة سبأ القديمة



بقايا بيوت طينية قديمة في منطقة مأرب باليمن

۞ خبر سليمان وبِلقيس وسبب زواجه بها:

قال الكسائي: وكان سبب اتصال خبرها لسليمان عليه السلام أنه بينما هو يسير على بساطه، وكان الهدهدُ دليلَه على الماء؛ لأنه يراه من عِدّة فراسخ. فارتفع في الهواء لطلب الماء، فنظر إلى هدهدٍ قد أقبل من ناحية اليمن، فالتقيا، فقال له الهدهد السليماني: من أين أنت؟ قال: من اليمن، وسأله الآخر فقال: أنا من الشام من طيور الملك سليمان، قال: ومَن سليمان؟ قال: نبي الله، ملك الجن والإنس والطير وجميع المخلوقات. قال: إنّ هذا مَلِك عظيم، قال: وهل في اليمن مَلِك؟ قال: نعم، ملكة يقال لها: بلقيس، تحت يدها عشرة آلاف قائد، تحت يد كل قائد كذا وكذا ألفاً من العساكر.

وحكى الثعلبي أنه قال لَمّا أخبره بمُلْك سليمان: إنَّ لِصاحبكم مُلْكاً عظيماً، ولكن ليس مُلْك بلقيس دونه، فإنها ملكة اليمن، وتحت يدها اثنا عشر ألف قَيْل[1]، مع كل قَيْل مائة ألف مقاتل، فهل أنت منطلق معي حتى تراها؟ قال: نعم.

فانطلق الهدهدان حتى أتيا بلاد اليمن وصارا إلى قصرها، فنظر إليها الهدهدان وإلى قصرها ومُلْكها.

وحضر وقت الصلاة لسليمان فلم يجد الهدهدَ، فقال ما أخبر الله تبارك وتعالى به عنه: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ[2] ﴿٢١﴾﴾ [النمل].

ثم دعا العُقاب وقال: أنت عَرِيف الطير، فَتَعَرَّفْ لي خبر الهدهد. فطار في الشرق والغرب، وإذا هو بالهدهد قد أقبل من جهة اليمن، فجاء به إلى سليمان، فاستخبره عن سبب غيبته، فقال كما أخبر الله عز وجل به عنه: ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾ [النمل]،

---

(١) القَيْل هو القائد بلغة أهل اليمن.

(٢) أي بحُجَّة بَيِّنة.

وذكر صفة عرشها وما فيه من أصناف الجواهر وغيرها، ثم قال: ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [النمل]. وهنا خرّ ساجداً لله، ثم رفع رأسه وقال: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ[1] وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾﴾ [النمل]، فقال سليمان: ﴿سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [النمل].

ثم سأله عن الماء فقال: هو تحت قائمة كرسيك، فأمر سليمان بتحويل البساط فَحُوِّلَ، ونقر الهدهد بمنقاره فخرج الماء، فشرب الناس وصَلُّوا. ثم قال للهدهد: ﴿اذْهَب بِّكِتَابِي هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [النمل].

وأقبل سليمان على آصف بن برخيا وقال: اكتب إلى هذه المرأة كتاباً لطيفاً، فدعا بصحيفة من فضة وكتب: (بسم الله الرحمن الرحيم، إنه من سليمان، ألاّ تعلوا عليّ وائتوني مسلمين)، وختم الكتاب وبعثه مع الهدهد في زُمرة من الطير.

فأقبلوا نحو اليمن وانقضّوا على قصرها، ودخل الهدهد إلى قُبَّتها من كُوّة[2] من كُوَى القبة وهي نائمة، وقد وضعت خاتم مُلْكها على صدرها، فوضع الكتاب على نحرها وطار.

فلما استيقظت أخذت الكتاب، وجمعت قومها ثم قالت: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَؤُا إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾ [النمل]، وفتحته وقالت: ﴿إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾﴾ [النمل]، وقرأته عليهم وعلمتْ أنه من قِبَل رجل عظيم، وجمعتْ أكابر قومها وأهلَ العقل والعِلْم الذين في مملكتها، وقالت: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَؤُا أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾﴾ [النمل]، قالوا: ﴿نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [النمل]، فعلمتْ بلقيس عند ذلك أنهم قد اختلطوا الرأي في عزمهم على الحرب فقالت: ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَٰلِكَ

---

(١) خَبْء الأرض نباتها، وخَبْء السماء مطرها.

(٢) الكُوّة: الخَرْق في الحائط.

يَفۡعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّي مُرۡسِلَةٌ إِلَيۡهِم بِهَدِيَّةٖ فَنَاظِرَةُۢ بِمَ يَرۡجِعُ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [النمل].

قال الثعلبي رحمه الله تعالىٰ: وأرادت أن تختبر حال سليمانعليه السلام فقالت: إنْ طلب الدنيا أرضيناه بالمال وصرفنا أذاه عنا، وإنْ كان من الأنبياء ولم تُرَغِّبْه الدنيا لم يكن لنا أمر إلاّ الطاعة له. فمضوا علىٰ رأيها، فأمرت باتخاذ الهدايا.

فعاد الهدهد إلىٰ سليمان وأخبره بما كان من أمرها مع قومها، فأمر سليمان أن يُفرش ميدانه بِلَبِن الذهب والفضة، وأن يُبنىٰ حول الميدان حائط من الفضة شُرُفاته من الذهب، علىٰ كل شُرفة تاج من الذهب مرصع بالجوهر. وأمر الجنّ أن يأتوا بأولادهم من الذكور والإناث، وأمر بإحضار كل فرس عجيب الخَلْق.

قال الثعلبي: إن سليمانعليه السلام سأل الجنّ عن أحسن دوابّ رأوها في البحر، قالوا: رأينا دوابَّ في بحر كذا وكذا، مُنَمَّرة، مُنَقَّطة، مختلفة ألوانها، لها أجنحة وأعراف ونواصٍ.

قال: عليّ بها الساعة، فأتوه بها، قال: شدّوها عن يمين الميدان ويساره، ففعلوا.

قالوا: وأمر سليمان الشياطين أن يُظهروا من التهويلات ما لم يُظهروه قبل ذلك اليوم.

قال الكسائي: وكانت بلقيس قد أعدّت مائة لَبِنة من الذهب، ومائة لَبِنة من الفضة، ومائة غلام أمرد، لكل غلام ضفائر كضفائر النساء، ومائة وصيفة مضمومات الشعر.

قال الثعلبي: واختلفوا في عددهم.

فقال الكلبي: عشرة غلمان وعشر جوارٍ.

وقال مقاتل: مائة وصيفة ومائة وصيف.

وقال مجاهد: مائتا غلام ومائتا جارية.

وقال وهب بن منبه: خمسمائة غلام وخمسمائة جارية.

قال الثعلبي: قال وهب وغيره من أهل الكتب: عَمَدَتْ بلقيس إلىٰ خمسمائة جارية وخمسمائة غلام، فألبست الجواري لباس الغلمان، وألبست الغلمان لباس الجواري، وجعلت في سواعدهم أساور من ذهب، وفي أعناقهم أطواقاً من ذهب، وفي آذانهم أقراطاً

وشُنوفاً[١] من ذهب مرصّعات بألوان الجواهر. وحملت الجواري على خمسمائة رَمَكة[٢]، والغلمان على خمسمائة بِرْذَوْنٍ، على كل فرس لجام من ذهب مرصّع بالجواهر، وغواشيها من الديباج الملون. وبعثت إليه خمسمائة لَبِنة من ذهب، وخمسمائة لَبِنة من فضة.

قال الثعلبي: قالوا: وعَمَدَتْ إلى تاج من ذهب مرصّع بالجواهر، ومائة فرس من جياد خيول اليمن، عليها براقع الحرير وأَجِلّة الديباج. وبعثتْ بِحُقّة من ذهب فيها دُرّة غير مثقوبة، وجَزْع يماني مثقوب مُعْوَجُّ الثَّقْب، وقارورة. وبعثت ذلك مع وزيرها، وكتبتْ جواب كتاب سليمان وقالت: قد بعثتُ إليك بمائتي وصيف ووصيفة على سِنٍّ واحدة، وأُحِبُّ أن تُمَيِّزَ ذكورهم من إناثهم من غير أن تكشف عنهم، ودُرّة غير مثقوبة تأمر مَن يثقبها من غير أن تستعين بأحد من الإنس والجنّ والشياطين، وجَزْع مثقوب تُدخل فيه خيطاً، وقارورة تملؤها ماءً ما نزل من السماء ولا نبع من الأرض.

فلما جاء الرسول ونظر إلى ميدان سليمان وحيطانه، وما على شُرُفاته من التيجان، والخيول حول الميدان، دخل على سليمان بالجواري والغلمان والحُقّة والقارورة، ولم يُظهر الذهب والفضة والخيل؛ لأنه استحقرها بالنسبة لِما رآه.

قال: فلما دنا القوم من الميدان ونظروا إلى مُلْك سليمان، ورأوا الدواب تَرُوث على لَبِن الذهب والفضة، رَمَوا ما معهم من الهدايا.

قال الكسائي: وفي بعض الروايات: إن سليمان لَمّا أمر بفراش الميدان بِلَبِن الذهب والفضة، أمرهم أن يتركوا على طريقهم موضعاً على قدر اللَّبِنات التي معهم، فلما رأت الرسل موضع اللَّبِنات خالياً وكل الأرض مفروشة، خافوا أن يُتَّهَموا بذلك وطرحوا ما معهم في ذلك المكان.

قال الثعلبي: ثم مروا على الشياطين، فلما نظروا إليهم فزعوا، فقيل لهم: جُوزوا،

---

(١) الأشناف: جمع شنف وهو ما يُعَلَّق في أعلى الأذن، وأما ما يُعَلَّق في أسفلها فهو قُرْط.

(٢) الرمكة هي الفرس.

فلا بأس عليكم. وكانوا يمرون على كُرْدوس[١] كُرْدوس من الجنّ والإنس والطير والسباع والوحش، حتىٰ وقفوا بين يدي سليمان عليه السلام.

قال الكسائي: فَقُدِّمَ الكتاب إلىٰ سليمان، فأخبر سليمانُ الرسول بما فيه قبل فَتْحه وقراءته، ومَيَّزَ الوُصَفاء من الوصائف، وأمر دودة فثقبت الدُرّة، وأدخلت الخيط في الجَزْع، وأمر أن تُساق الخيل حتىٰ تَعْرَقَ وتُمْلأَ القارورة من عَرَقِها. وأقبل علىٰ وزير بلقيس وقال: ارجع إلىٰ صاحبتك بما جئتَ به من الهدية وقل لها: ﴿أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [النمل].

قال الكسائي: فعاد الوزير إليها بما جاء به من الهدية، وأخبرها بما كان من أمر سليمان، فقالت لقومها: هل علمتم الآن أن رأيي كان أصوب من رأيكم في تَرْك المحاربة؟ ومن أين لنا طاقة بحرب نبي؟ ثم جمعتْ أموالها وكنوزها واصطحبت ذلك معها، إلاّ عرشها فإنها تركتْه بقصرها وأغلقت عليه سبعة أبواب، وسارت إلىٰ سليمان ومعها ملوك اليمن وأكابرها وساداتها، فبلغ ذلك سليمان.

قال أبو إسحاق الثعلبي: شَخَصَتْ بلقيس إلىٰ سليمان عليه السلام في اثني عشر ألف قَيْل من ملوك اليمن، تحت يد كل قَيْل منهم مائة ألف.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: وكان سليمان رجلاً مَهيباً، لا يُبْتَدَأُ بشيء حتىٰ يكون هو الذي يسأل عنه. فخرج يوماً فجلس علىٰ سرير مُلْكه، فرأى رَهَجاً[٢] قريباً منه، فقال: ما هذا؟ قالوا: بلقيس، قال: وقد نزلتْ منا بهذا المكان؟ قالوا: نعم.

قال ابن عباس: كما بين الكوفة والحيرة قَدْر فرسخ.

قال ابن عباس: فأقبل حينئذ سليمان علىٰ جنوده فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [النمل]، فقال عفريت من الجن: ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ

---

(١) الكردوس: الكتيبة من الخَيّالة.

(٢) الرَّهَج: الغبار أو ما أُثير منه.

﴿وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾ [النمل ٣٩]، فقال سليمان عليه السلام: أريد أسرع من ذلك، فقال الذي عنده علْم من الكتاب وهو آصف بن برخيا: ﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ [النمل ٤٠].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: وكان عنده اسم الله الأعظم.

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [النمل].

ثم قال سليمان: ﴿نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾﴾ [النمل].

وسبب ذلك أنه أقبل عفريت من الجن وقال: يا نبي الله، إنَّ رِجْلَيْها كحافر حمار. قال له سليمان: إنْ كان ذلك كما قلتَ وإلاّ عاقبتك، قال: يا نبي الله، أريد أن أتخذ لك صَرْحاً[1] من قوارير، وأُجري فيه ماء، وأُنزل فيه الحيتان والسمك، فلا يشك مَن رآه أنه ماء جارٍ. فاتَّخذه كذلك، فلما فرغ منه شكره، فقال: يا نبي الله، اعْفُ عني، فإني كذبتُ علىٰ بِلقيس في رجليها. فعفا سليمان عنه.

وأقبلت بلقيس، فجعلت تنظر إلىٰ الجنّ والإنس والطير والوحش وغيرهم وهم قيام لا يضر بعضهم بعضاً. فلما قاربت الصرحَ المُمَرَّدَ إذا بعرشها فَتَعَجَّبَتْ، فقيل: أهكذا عرشك؟ قالت: كأنه هو، وعلمتْ أنه هو وأنه من قدرة الأنبياء.

قال أبو إسحاق الثعلبي: فلما أقبلت إلىٰ الصرح حَسِبَتْهُ لُجّة وكشفت عن ساقيها، فناداها سليمان: إنه صرح مُمَرَّدٌ من قوارير، فأرسلت ثوبها علىٰ ساقيها حياء من سليمان ثم قالت: ﴿إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [النمل]، ثم أسلم قومها.

قال الثعلبي: اختلف العلماء في أمر بلقيس بعد إسلامها، فقال أكثرهم: لَمّا أسلمت بلقيس أراد سليمان أن يتزوّجها، فلما همّ بذلك كَرِهَ ما رأى من كثرة شعر ساقيها، وقال: ما أقبح هذا! فسأل الجن: بِمَ يذهب هذا؟ فقالوا: بالموسىٰ، فقالت المرأة: لم يَمَسَّني الحديدُ قط، فكرهه سليمان، فسأل الجن فقالوا: لا ندري، فسأل الشياطين

---

(١) الصرح هو القصر.

فمكروا عليه، فلما ألحّ عليهم قالوا: نحن نحتال عليه حتىٰ يكون كالفضة البيضاء. فاتّخذوا لها النُّورة[1] والحمّام.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: هو أول يوم اتُّخِذَت فيه النُّورة.

وقال الكسائي في سياقة خبره: ثم قالت بلقيس: يا نبي الله، أرى خاتمك منقوشاً، فما الذي عليه؟ قال: لا إله إلاّ الله محمد رسول الله، قالت: ومَن محمد؟ قال: نبي يخرج في آخر الزمان، فآمنتْ بلقيس به. ثم قال لها بعد إيمانها: أتحبين أن ترجعي إلىٰ بلادك وما كنتِ فيه؟ قالت: لا، بل أكون معكَ من بعض نسائك. فتزوّج بها سليمان عليه السلام.

هذا ما أورده الكسائي، وفيه زيادات نقلها أبو إسحاق الثعلبي قد ذكرناها أثناء القصة ونبّهنا عليها، ونسبناها إلىٰ قائلها.

وهكذا استطاع سيدنا سليمان بقدرة وقوة الله عز وجل أن يملك أهل اليمن، فقدرة الله سبحانه فوق كل قدرة.

۞ يموت الإنسان حيث كان مكتوباً له:

قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ [لقمان ٣٤].

يُروى أن سليمان عليه السلام كان يعقد مجلساً للعلم يحضره الناس، وكان مَلَك الموت يأتيه ويزوره بصفات رجل أو شيخ... أو غير ذلك.

فجاءه مرة بصفات رجل ونظر بوجه جليس له، وأكثر النظر ثم انصرف، فسأل الرجل سليمان: يا نبي الله، مَن هذا الرجل الذي كان ينظر إليّ كثيراً؟ فقال: إنه مَلَك الموت. فارتجف قلبه وقال: أرجوك أن تأمر الريح أنْ تنقلني إلىٰ بلاد الهند، فألقته الريح حيث أراد.

ثم أتىٰ مَلَك الموت فسأله سليمان: رأيتُك تكثر النظر بوجه فلان من الناس؟ فقال: يا نبي الله، أمرني الله أن أقبض روحه بعد دقائق في بلاد الهند، فرأيته جالساً عندك، فكنتُ

---

(١) النورة حجر الكلس، ثم غُلِّبَ علىٰ أخلاط تضاف إلىٰ الكلس من زرنيخ وغيره، ويُستعمل لإزالة الشعر.

متعجباً أهذا هو؟ وكيف سيصل إلىٰ بلاد الهند بهذه الفترة؟ فذهبت في الساعة المعينة لقبضه، فرأيته قد ألقته الريح هناك، فقبضتُ روحه وأتيتُ إليك.

مشيناها خُطىً كُتِبَتْ علينا ومَن كُتِبَتْ عليه خُطىً مشاها
وأرزاقٌ لنا مُتَفَرِّقاتٌ فمَن لم تأته مِنّا أتاها
ومَن كانت مَنِيَّتُه بأرض فليس يموت في أرض سواها

۞ خبر الفتنة وذهاب خاتم سليمان عليه السلام ورجوعه إليه والجسد الذي ألقي علىٰ كرسيه:

قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾﴾ [ص].

قيل: الجسد هو صخر الجني.

قال الكسائي: كان سليمان عليه السلام كلما نزل بمنزل من البراري بَنَتِ الجن والشياطين له قصراً بديعاً، فإذا تحوّل عنه خرّبوه. وكان له قصر علىٰ ساحل البحر من بناء الجن، فأمرهم أن يتركوه علىٰ حالته.

فجاء سليمان إلىٰ ذلك القصر فنزله، وكان صخر الجني معه، وهو شديد الحرص علىٰ أن يسلبه الخاتم؛ لأنه كان قد عَلِمَ أن مُلْكه في خاتمه. وكان لسليمان جارية اسمها الأمينة، فكان إذا أراد الدخول إلىٰ الخلوة بنسائه يُسَلِّم الخاتم إليها، فإذا اغتسل أخذ خاتمه منها، وكذلك إذا أراد الوضوء.

فجاء سليمان في بعض الأيام فنزل ذلك القصر وأراد الوضوء، فدفع الخاتم إلىٰ الجارية، فجاء صخر وقد ألقىٰ علىٰ نفسه صورة سليمان، فقال للجارية: هاتِ الخاتم، فناولته إياه وهي لا تعلم. فلما صار الخاتم في يد صخر لم يستقرّ في يده لأنه شيطان، فرماه في البحر، فجاء حوت بإذن الله فابتلعه، ومضىٰ صخر وهو علىٰ صورة سليمان، فجلس علىٰ كرسيه ومعه الناس، وهم يظنون أنه سليمان.

قال الكسائي: وخرج سليمان من الخلاء وقد غَيَّرَ الله صورته إلىٰ صورة صخر، فطلب الخاتم، فقالت الجارية: أعوذ بالله منك، قد دفعتُ الخاتم إلىٰ سليمان. فعَلِمَ أن الله قد أوقع به البَلِيّة، فخرج يريد القصر ويقول للناس: أنا سليمان، والناس يهزؤون بقوله ويقولون: لستَ سليمان، أنت صخر الجني.

فجعل سليمان يدور علىٰ جميع الناس وهم علىٰ كلمة واحدة في إنكاره، وجعل يدور في القرى ويقول: أنا سليمان، والناس يشتمونه، حتىٰ لَزِقَ بطنه بظهره من الجوع فقال: إلهي، إنك ابتليتَ كثيراً من الأنبياء ولم تحرمهم رزقك. إلهي، إني تائب إليك من خطيئتي.

فلم يزل سليمان كذلك أربعين يوماً لم يَطْعَمْ شيئاً، ثم وجد قرصة يابسة ملقاة فأخذها، ولم يقدر علىٰ أكلها لِيُبْسِها، فأقبل إلىٰ ساحل البحر وقعد يبلّ القرصة، فاسْتَلَبَتْها الأمواجُ من يده فقال: إلهي، رزقتَني بعد أربعين يوماً قرصة يابسة، فنزلتُ حتىٰ أَبُلَّها، فاستلبتها الأمواج من يدي، وأنت المتكفل بأرزاق العباد، وأنا عبدك المذنب، فارزقني فأنت الرزاق الكريم.

ثم جعل يمشي علىٰ الساحل وهو يبكي، فإذا هو بقوم يصطادون السمك، فسألهم شيئاً من الطعام فمنعوه وطردوه، وقالوا له: انصرف عنا، فما رأينا أَوْحَشَ من وجهك. قال: ما عليكم من وجهي إذا أطعمتموني؟ قالوا: وحق سليمان إنْ قمنا إليك لَنُوجِعَنَّكَ ضرباً إنْ لم تبرح عنا، قال: يا قومي، فأنا واللهِ سليمان. فضربه رجل منهم علىٰ رأسه وقال: أتكذب علىٰ نبي الله؟ فبكىٰ حتىٰ بكت الملائكة لبكائه، ورحمه أولئك القوم وناولوه سمكة، وأعطوه سكيناً، فشقّ بطنها لِيُصْلِحها ويَشْويها ويأكلها، فخرج الخاتم من بطنها، فغسله وجعله في إصبعه، وعاد إليه حُسْنه وجماله.

فوضع السمكة وسار يريد قصره، فجعل يمر بتلك القرى، فكل مَن كان قد أنكره عَرَفه وسجد له، فبلغ ذلك صخراً الجني فهرب.

وعاد سليمان إلىٰ قصره، واجتمع له الإنس والجن والشياطين والسباع والهوام كما كانوا أول مرة، فبعث العفاريت في طلب صخر فأَتَوْه به، فأمر أن ينقروا له صخرتين وصفّده بالحديد، وجعله بينهما وأطبقهما عليه، وختم عليه بخاتمه وطرحه في بحيرة طبرية،

فيقال: إنه فيها إلىٰ يوم القيامة.

ثم أمر الله الرياح أن تَحْشُرَ له سائر الشياطين، فحُشِرَتْ له، فصفّد مردتهم بالحديد وحبسهم.

وحكىٰ الثعلبي رحمه الله تعالىٰ في خبر الفتنة قال: قال محمد بن إسحاق: قال بعض العلماء عن وهب بن منبه: سمع سليمان عليه السلام أن في جزيرة من جزائر البحر رجلاً يقال له: صَيْدون، مَلِكٌ عظيم الشأن لم يكن لأحد من الناس عليه سبيل؛ لمكانه في البحر.

وقال غيره: إن هذه الجزيرة مسيرةُ شهر في مثله، وفيها عجائب كثيرة وأشجار وأنهار، وفي وسطها مجلس علىٰ عمود من مَرْمَرٍ مُلَوَّن، والمجلس من ذهب مرصّع بأنواع الجواهر، يُشْرِف علىٰ جميع الجزيرة.

وقيل: إنه كان ساحراً، فكانت الجن تُطيف به وتعمل له العجائب، فدُلَّ سليمان عليها فغزاها.

قال الثعلبي: فخرج سليمان إلىٰ الجزيرة تحمله الريح علىٰ ظهر الماء، حتىٰ نزل بها بجنوده من الجن والإنس، فقتل مَلِكها وسلب ما فيها، وأصاب فيما أصاب بنتَ الملك واسمها جَرادة، لم يَرَ الناسُ مثلها حُسْناً وجمالاً. فاصطفاها سليمان لنفسه ودعاها إلىٰ الإسلام، فأسلمت علىٰ جفاء منها وقلّة ثقة.

وأحبّها سليمان حباً لم يُحِبَّه شيئاً من نسائه، وكانت منزلتها عنده منزلة عظيمة، وكان لا يذهب حزنها ولا ترقأ دمعتها[1] علىٰ أبيها، فشقّ ذلك علىٰ سليمان وقال لها: ويحك، ما هذا الحزن الذي لا يذهب والدمع الذي لا يرقأ؟ قالت: إني أذكره وأذكر مُلْكه، وما كان فيه وما أصابه، فيُحزنني ذلك. قال سليمان: فقد بدّلكِ الله مُلْكاً أعظم من مُلْكه، وسلطاناً أعظم من سلطانه، وهداك إلىٰ الإسلام وهو خير من ذلك كله. قالت: إن ذلك كذلك، ولكن إذا ذكرتُه أصابني ما ترى من الحزن، ولو أنك أمرتَ الشياطين فصوّروا لي صورته في داري أراها بكرة وعشية، لرجوتُ أن يذهب ذلك، وأن يسكن عني

---

(١) أي لا تجف ولا تنقطع.

بعض ما أجد في نفسي. فأمر سليمان الشياطين أن يُمَثِّلوا صورة أبيها في دارها حتىٰ لا تُنْكِرَ منه شيئاً، فمثّلوه لها حتىٰ نظرت إلىٰ أبيها بعينه إلاّ أنه لا روح فيه، فعمدتْ إليه حين صنعوه فَأَزَّرَتْه وقَمَّصَتْه وعَمَّمَتْه بِمِثْل ثيابه التي كان يلبس، ثم كانت إذا خرج سليمان من دارها تغدو علىٰ ذلك التمثال هي ووَلائدها فيسجدن له كما كانت تصنع ذلك في مُلْكه، وتفعل ذلك بكرة وعشية، وسليمان لا يعلم بشيء من ذلك أربعين يوماً.

وبلغ ذلك آصف بن برخيا وكان صِدِّيقاً، وكان لا يُرَدُّ مِن باب سليمان متىٰ أراد دخوله من ليل أو نهار، فأتاه فقال: يا نبي الله، كبرت سني، ودقّ عظمي، ونفد عمري، وقد حان مني الذهاب، وقد أحببتُ أن أقوم مقاماً قبل الموت أذكر فيه مَن مضىٰ من أنبياء الله، وأُثني عليهم بعِلْمي، وأُعْلِمَ الناس ما يجهلون من كثير من أمورهم. فقال: افعل.

فجمع له سليمان الناس، فقام فيهم خطيباً، فذكر مَن مضىٰ من أنبياء الله وأثنىٰ علىٰ كُلٍّ منهم بما فيه، وذكر ما فضّلهم الله به، حتىٰ انتهىٰ إلىٰ سليمان فقال: ما كان أحلمك في صغرك! وأورعك وأفضلك في صغرك! وأَحْكَمَ أمرك في صغرك! وأبعدك مِن كل ما تكره في صغرك! ثم انصرف، فوجد سليمان في نفسه من ذلك.

فلما دخل سليمان داره، أرسل إلىٰ آصف بن برخيا فقال: ذكرتَ مَن مضىٰ من أنبياء الله وأثنيتَ عليهم خيراً في كل زمانهم، وفي كل حال من أمورهم، فلما ذكرتَني جعلتَ تُثني عليّ بخير في صغري، وسكتّ عمّا سوى ذلك من أمري في كبري، فماذا أَحْدَثْتُ في آخر أمري؟ قال: لأن غير الله يُعبد في دارك أربعين يوماً في هَوَى امرأة، قال سليمان: في داري؟ قال: نعم في دارك. فاسترجع سليمان ثم دخل داره، فكسر ذلك الصنم، وخافت تلك المرأة.

ثم أمر سليمان بثياب الطُّهْر[1] فأُتِيَ بها، فلبسها ثم خرج إلىٰ فلاة من الأرض وحده، فأمر برماد فَفُرِشَ له، ثم أقبل تائباً إلىٰ الله تعالىٰ حتىٰ جلس علىٰ ذلك الرماد، تَذَلُّلاً لله تعالىٰ وتضرعاً إليه، يبكي ويدعو ويستغفر مِمّا كان في داره.

---

(١) هي ثياب لا يغزلها إلاّ الأبكار، ولا تمسّها امرأة ذات دم.

فلم يزل ذلك دَأْبه حتىٰ أمسىٰ، ثم رجع إلىٰ داره وكان له وليدة يقال لها: الأمينة، فكان إذا دخل لحاجته أو أراد إصابة امرأة من نسائه وضع خاتمه عندها حتىٰ يتطهّر. فوضعه يوماً من الأيام عندها ثم دخل لقضاء حاجته، فأتاها صخر الجني علىٰ صورة سليمان لا يُنْكَر منه شيء، فقال لها: يا أمينة، خاتمي. فناولته إياه، فجعله في يده، ثم خرج حتىٰ جلس علىٰ سرير سليمان، وعكفت عليه الجن والإنس والطير.

وخرج سليمان فأتىٰ الأمينة وقد تغيّر عن هيئته عند كل مَن يراه، فقال: يا أمينة، قالت: ومَن أنت؟ قال: أنا سليمان بن داود، قالت: كذبتَ، لستَ سليمان، وقد جاء سليمان وأخذ خاتمه، وهو جالس علىٰ سريره في مُلْكه.

فعرف سليمان أن خطيئته قد أدركته، فجعل يقف علىٰ الدار من دور بني إسرائيل فيقول: أنا سليمان بن داود، فيحثون عليه التراب ويسبونه، ويقولون: انظروا إلىٰ هذا المجنون، يزعم أنه سليمان.

فلما رأى سليمان ذلك عمد إلىٰ البحر، فكان ينقل الحيتان لأصحاب البحر منه إلىٰ السوق، فيعطونه كل يوم سمكتين، فإذا أمسىٰ باع إحدى سمكتيه بأرغفة، ويشوي الأخرى فيأكلها. فمكث كذلك أربعين صباحاً عِدّة ما كان ذلك الوثن في داره.

قال الثعلبي: وأنكر آصف وعظماء بني إسرائيل حُكْم عدو الله الشيطان في تلك المدة، فقال آصف: يا معشر بني إسرائيل، هل رأيتم من اختلاف حُكْمِ سليمان بن داود ما رأيتُ؟ قالوا: نعم، قال: أمهلوني حتىٰ أدخل علىٰ نسائه وأسألهم: هل أنكرن منه في خاصّة أمره ما أنكرناه في عامة أمر الناس؟ فدخل علىٰ نسائه فقال: ويحكنّ، هل أنكرتُنّ من أمر نبي الله سليمان ما أنكرناه؟ فقلن: أشدّ وأعظم، ما يَدَعُ امرأة منا في دمها، ولا يغتسل من جنابة. فقال آصف: إنا لله وإنا إليه راجعون، إن هذا لهو البلاء المبين. ثم خرج إلىٰ بني إسرائيل فقال: ما في الخاصة أعظم مِمّا في العامة.

فلما مضت أربعون صباحاً طار الشيطان عن مجلسه، ثم مرّ بالبحر فقذف الخاتم فيه، فابتلعته سمكة وأخذها بعض الصيادين، وقد عمل له سليمان صدر يومه، حتىٰ إذا كان آخر النهار أعطاه سمكتَيْه، فأُعطي السمكة التي ابتلعت الخاتم. وحمل سليمان سمكتيه،

فباع التي ليس فيها الخاتم بالأرغفة، ثم عمد إلى السمكة الأخرى فبقرها ليشويها، فاستقبله الخاتم في جوفها، فأخذه فجعله في يده ووقع ساجداً لله تعالى، وعكفت عليه الطير والوحش والجن، وأقبل إليه الناس، ورجع إلى مُلْكه، وأظهر التوبة من ذنبه، وأمر الشياطين بإحضار صخر، فأدخله في صخرة عظيمة ثم شدّ عليه أخرى، ثم أوثقهما بالحديد والرصاص، ثم أمر به فقُذِفَ في البحر.

وقيل: إن سليمان لَمّا أصاب ابنة الملك صَيْدون أُعْجِبَ بها، فعرض عليها الإسلام فأبت وامتنعت، فخوّفها فقالت: إنْ أكرهتَني على الإسلام قتلتُ نفسي، فخاف سليمان أن تقتل نفسها، فتزوّج بها وهي مشركة أربعين يوماً، وكانت تعبد صنماً لها في خفية من سليمان إلى أن أسلمتْ، فعوقب سليمان بزوال مُلْكه أربعين يوماً.

وقال بعض المفسرين: كان سبب فتنة سليمان عليه السلام أنه أُمِرَ ألاّ يتزوج امرأة إلاّ من بني إسرائيل، فتزوّج من غيرهم، فعوقب على ذلك.

وقال الشعبي في سبب فتنة سليمان عليه السلام: إن سليمان وُلِدَ له وَلد، فاجتمعت الشياطين وقال بعضهم لبعض: إنْ عاش له ولد لم ننفكّ مِمّا نحن فيه من البلاء والسُّخْرة، وما لنا إلاّ أن نقتل ولده أو نُخْبِلَه. فعَلِمَ سليمان بذلك، فأمر السحاب أن يأخذ ابنه، وأمر الريح فحملته، وغدا ابنه في السحاب خوفاً من مضرة الشيطان، فعاقبه الله تعالى بخوفه من الشياطين، ومات الولد فأُلقي ميتاً على كرسيه، فهو الجسد الذي ذكره الله تعالى في كتابه العزيز حيث قال: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾﴾ [ص].

وقال الكسائي في رواية أخرى غير المُتَقدِّمة: كان سليمان عليه السلام قد أُعطي من القوة ما إنه يأتي على خمسمائة حُرّة وسبعمائة سُرِّيّة، فقال في يوم: لأطوفنّ على ألف امرأة أُجامعهنّ كلهنّ، فتحمل كل واحدة منهن بغلامين فارسين يركبون الخيل ويغزون البلاد. ولم يقل: إن شاء الله، وطاف عليهنّ، فلم تحمل منهن غير واحدة، حملت بنصف إنسان، قيل: إنه الجسد الذي أُلقي على كرسي سليمان.

وإن الذي ثبت من هذه القصة عند المُؤَلِّف ما رويناه من صحيح البخاري، قال البخاري رحمه الله تعالى: حدثنا خالد بن مَخْلد: حدثنا مغيرة بن عبد الرحمن عن

أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرةﷺ عن النبيﷺ قال: قال سليمان بن داود: لأطوفنّ الليلة علىٰ سبعين[1] امرأة، تحمل كل امرأة فارساً يجاهد في سبيل الله. فقال له صاحبه: إن شاء الله، فلم يقل، ولم تحمل شيئاً إلاّ واحداً ساقطاً إحدى شِقَّيْه. فقال النبيﷺ: لو قالها لجاهدوا في سبيل الله.

۞ وفاة بِلقيس زوجة سليمانعليه السلام:

قال الكسائي رحمه الله تعالىٰ: أقامت بلقيس عند سليمان سبع سنين وسبعة أشهر، ثم توفيت، فدفنها بمدينة تدمر[2] من أرض الشام تحت حائط، ولم يعلم أحد بموضع قبرها إلىٰ أيام الوليد بن عبد الملك بن مروان.

قال موسىٰ بن نصير: بُعِثْتُ في أيام الوليد إلىٰ مدينة تدمر ومعي العباس بن الوليد بن عبد الملك، فجاء مطر عظيم فانهار بعض حائط المدينة، فانكشفت عن تابوت طوله ستون ذراعاً وعرضه أربعون ذراعاً، مُتَّخَذٌ من حجر كالزعفران، مكتوب عليه: (هذا تابوت بلقيس الصالحة، أسلمت لثلاث عشرة سنة خلت من مُلْك سليمان، وتزوّج بها يوم عاشوراء سنة أربع عشرة خلت مِن مُلْكه، وتوفيت يوم الإثنين من ربيع الأول سنة إحدى وعشرين مضت مِن مُلْكه، وقد دُفنت ليلاً في حائط مدينة تدمر، ولم يطّلع علىٰ دفنها إنس ولا جن ولا شيطان).

قال: فرفعنا غطاء التابوت وإذا هي غضّة كأنها دُفِنَتْ ليلتها، فكتبنا بذلك إلىٰ الوليد، فأمر بتركه في مكانه وأن يُبنىٰ عليه بالصخر والمرمر، ففعلنا ذلك.

---

(١) قال شعيب وابن أبي الزناد: تسعين، وهو أصح.

(٢) هي مدينة قديمة معناها بالعبرانية النخيل، وكانت عامرة ذات تجارة واسعة، وهي واقعة بطرف بادية الشام في الشمال الشرقي من دمشق، تمر عليها القوافل بين الشام والعراق من القرن السادس قبل الميلاد.

۞ خبر وفاة سليمان عليه السلام:

قال الكسائي: مَلَكَ سليمان شرق الأرض وغربها، وطاف أقطارها حتىٰ انتهىٰ إلىٰ السد الذي هو بالقرب من جبل قاف[1]، فوقف هناك ثم قال للريح: هل جريتِ ها هنا قط؟ قالت: لا يا نبي الله، وإنه آخر الدنيا، وليس وراءه إلاّ عِلْم الله تعالىٰ. ثم أمر الريح فاحتملته حتىٰ نظر إلىٰ التنين المُحْدِق بالعالَم، فسار أياماً علىٰ طرف من أطرافه، فإذا هو بمَلَك فقال: يا ابن داود، إن هذا التنين محيط بالعالَم الذي هو مسيرة خمسمائة عام.

ثم ارتفع إلىٰ مستقرّ الغمام ونظر إلىٰ مجمع القَطْر، ونزل من هناك إلىٰ مسكن الليل والنهار، فإذا هو بمَلَك يقول: اللهم أَعْطِ كلَّ مُنْفِقٍ خَلَفاً، وكلَّ مُمْسِكٍ تَلَفاً.

ثم أمر الريح أن تحط بساطه إلىٰ الأرض المقدسة، وكانت مدة غيبته مائة وثلاثين يوماً.

وكان في طول سفرته هذه يرى شخصاً بين يديه يسبق كلَّ شيء، فسأله: مَن هو؟ فأخبره أنه مَلَك الموت، فوقعت عليه الرعدة وتغيّر لونه، وجعل ابنَه رَحْبَعَم خليفته، وأوصىٰ الناس بالسمع والطاعة له، وأخذ في الصوم والصلاة طول ليله، فإذا أصبح خرج من محرابه إلىٰ روضة هناك فيها نبات حسن يتسلّىٰ به.

فخرج في بعض الأيام فرأى نَبْتاً غريباً لم يكن قد رآه قبل ذلك اليوم، فقال: أيها النَّبْت، ما أنت؟ قال: أنا الخرنوب الذي لا أنبت في موضع إلاّ خرّبته، فقال سليمان: فما تصنع ها هنا، فلستَ من نبات الرياض بل من نبات البراري؟ قال: قد أُمرتُ أن أنبت ها هنا.

فعاد سليمان من الغد وهو علىٰ حاله وقد زاد نباته، فقال له سليمان: ألم آمرك أن تلحق بموضعك من البراري؟ قال الخرنوب: يا نبي الله، إنَّ هذا الموضع سيخرب عن

---

(١) هو السد الذي بناه الإسكندر ذو القرنين، وهو المعروف بسد يأجوج ومأجوج. وقد أرسل الخليفة الواثق بالله سنة مائتين وإحدى وثلاثين بعثة علمية برئاسة سلام الترجمان، مُزَوَّدة بالمال والماء والزاد لتأتيه بخبره وحاله. وإن ابن خَرْداذبه هو أول مَن روى خبر هذه البعثة العلمية عن نفس رئيسها، ثم استملاه من الكِتاب الذي كان كَتَبَه في هذا المعنىٰ للخليفة الواثق بالله، كما هو موجود في كتاب المسالك والممالك طبع لندن سنة ١٣٠٦هـ ص١٦٢-١٧٠. وعن ابن خرداذبه نقل جميع المؤلفين الذين جاءوا بعده: كالإدريسي، وابن الفقيه الهمداني، والمقدسي.

قريب. فسكت سليمان.

فلما ضعف عن العبادة توكّأ على عصاه، فبينا هو في محرابه متوكئاً قائماً يتلو الزبور والتوراة، إذ أتاه مَلَك الموت، فرفع رأسه إليه، فناوله شمّة فشمّها، فمات عليه السلام.

وبقي سليمان على حالته لم يسقط إلى الأرض، ولم يتحرّك ولا مال، فهابوه وما جَسَروا أن يتقدّموا إليه، وقالوا: إنه لم يمت.

ولم تزل الإنس والجن والشياطين والوحش والطير في الطاعة والأعمال حتى مضت سنة، ثم وقعت الأَرَضة في أسفل العصا، فذلك قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ[1]﴾ [سبأ ١٤]، فخرّ سليمان عند ذلك كالخشبة اليابسة. وكانت الجن قبل ذلك تدّعي علم الغيب، ﴿فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿١٤﴾﴾ [سبأ]، أي في تلك السنة في نقل الصخور والبنيان وغير ذلك.

وحكى أبو إسحاق الثعلبي في خبر وفاة سليمان عليه السلام: قال أهل التاريخ: لبث سليمان في مُلْكه بعد أن ردّه الله عليه تعمل له الجن ما يشاء من محاريب، وتماثيل، وجفان كالجوابي، وقدور راسيات.... وغير ذلك. ويُعَذِّب مِن الشياطين مَن شاء، ويأمرهم بحمل الحجارة الثقيلة ونَقْلِها إلى حيث أحبّ، فأتاهم إبليس وهم في العمل فقال: كيف أنتم؟ فقالوا: ما بنا طاقة لِما نحن فيه، فقال لهم: تذهبون تحملون الحجارة وترجعون فُرّاغاً لا تحملون شيئاً؟ قالوا: نعم، قال: فأنتم في راحة. فأبلغت الريح ذلك إلى سليمان، فأمرهم أن يحملوا ذاهبين راجعين، فقال لهم إبليس: تعملون بالليل؟ قالوا: لا، قال: فأنتم في راحة. فأبلغت الريح ذلك سليمان، فأمرهم أن يعملوا بالليل والنهار. فأتاهم إبليس فسألهم، فشكوا إليه أنهم يعملون بالليل والنهار، فقال لهم إبليس: وفَعَلَها؟ قالوا: نعم، قال: فتوقّعوا الفرج، فقد بلغ الأمر منتهاه. فما لبثوا إلاّ يسيراً حتى مات سليمان.

---

(١) المِنْسأَة اسم آلة، وهي بلسان أهل الحبشة العصا.

وقال ابن عباس وغيره: كان سليمان يتحنّث[1] في بيت المقدس السنة والسنتين، والشهر والشهرين، وأقل من ذلك وأكثر، يدخله ومعه طعامه وشرابه. فدخله في المرة التي مات فيها.

قال: وكان بدء ذلك أنه لم يكن يوماً يصبح فيه إلاّ نَبَتَ في بيت المقدس شجرة، فيسألها سليمان: ما اسمك؟ فتقول الشجرة: اسمي كذا وكذا، فيقول: لأي شيء تصلحين؟ فتقول: لكذا وكذا، فيأمر بها فتُقْطَع، فإنْ كانت تنبت لغرس غرسها، وإنْ كانت لدواء كتب عليها لكذا وكذا.

فبينا هو يصلي ذات يوم، إذ رأى شجرة بين يديه، فقال لها: ما اسمك؟ فقالت: الخرنوبة، قال: ولأي شيء نَبَتِّي؟ قالت: لخراب هذا المسجد، فقال سليمان: ما كان الله لِيُخْرِبَه وأنا حي، أنتِ الذي علىٰ وجهك هلاكي وخراب بيت المقدس. فنزعها وغرسها في حائط له ثم قال: اللهم عَمِّ عن الجن موتي حتىٰ يعلم الإنسُ أن الجن لا يعلمون الغيب، وكانت الجن يخبرون الإنس أنهم يعلمون الغيب، وأنهم يعلمون ما في غد.

قال ابن عباس: ثم دخل سليمان المحراب فقام يصلي متكئاً علىٰ عصاه، فمات علىٰ تلك الحالة ولم يعلم بذلك أحد من الشياطين، وهم في ذلك يعملون له يخافون أن يخرج فيُعاقبهم.

وقال عبد الرحمن بن زيد: قال سليمان لِمَلَك الموت: إذا أُمرتَ بي فأعلمني. قال: فأتاه فقال: يا سليمان، قد أُمرتُ بك، وقد بقيتْ لك سويعة. فدعا سليمان الشياطين فبنوا عليه صرحاً من قوارير ليس له باب، فقام يصلي واتّكأ علىٰ عصاه، فدخل عليه مَلَك الموت، فقبض روحه وهو متكئ علىٰ عصاه.

وفي رواية أخرى: أن سليمان قال ذات يوم لأصحابه: قد آتاني الله من المُلْك ما تَرَوْن، وما مرّ عليّ يوم في مُلْكي بحيث صفا لي من الكدر، وقد أحببتُ أن يكون لي يوم واحد يصفو لي إلىٰ الليل ولا أغتمّ فيه، وليكن ذلك غداً.

---

(١) أي يتعبّد.

فلما كان من الغد دخل قصراً له وأمر بإغلاق أبوابه، ومنع الناس من الدخول عليه ورَفْع الأخبار إليه؛ لئلاّ يسمع شيئاً يسوءُه. ثم أخذ عصاه بيده وصعد فوق قصره، واتّكأ عليها ينظر في ممالكه، إذ نظر إلىٰ شاب حسن الوجه، عليه ثياب بيض، قد خرج عليه من جانب قصره فقال: السلام عليك يا سليمان، فقال سليمان: وعليكم السلام، كيف دخلتَ هذا القصر وقد مَنَعْتُ من دخوله؟ أما منعك البوّاب والحُجّاب؟ أما هِبْتَني حين دخلتَ قصري بغير إذني؟ فقال: أنا الذي لا يُحجبني حاجب، ولا يمنعني بوّاب، ولا أهاب الملوك، ولا أقبل الرَّشا، وما كنتُ لأدخل هذا القصر بغير إذن. فقال سليمان: ومَن أَذِنَ لك في دخوله؟ قال: رَبُّه، فارتعد سليمان وعَلِمَ أنه مَلَك الموت، فقال له: أنت مَلَك الموت؟ قال: نعم، قال: فيمَ جئتَ؟ قال: جئتُ لأقبض روحك، قال: يا مَلَك الموت، هذا يوم أردتُ أن يصفو لي، وما أسمع فيه ما يَغُمُّني. قال له: يا سليمان، إنك أردتَ يوماً يصفو لك فيه عيشك حتىٰ لا تُغَمَّ فيه، وذلك اليوم لم يُخلق في الدنيا، فَارْضَ بقضاء ربك فإنه لا مَرَدَّ له. قال: فاقبض كما أُمرتَ، فقبض مَلَك الموت روحه وهو متكئ علىٰ عصاه.

قال الثعلبي: قالوا: وكانت الشياطين تجتمع حول محرابه ومصلاه أينما كان، وكان للمحراب كُوىً بين يديه ومن خلفه، فكان الشيطان الذي يريد أن يدخل يقول: ألستُ جَلِداً إنْ دخلتُ فخرجتُ من ذلك الجانب؟ فيدخل حتىٰ يخرج من الجانب الآخر. فدخل شيطان من أولئك فمرّ، ولم يكن شيطان ينظر إلىٰ سليمان في المحراب إلاّ احترق، فمرّ ولم يسمع صوت سليمان، ثم رجع ولم يسمع، ثم رجع فوقع في البيت فلم يحترق، ونظر إلىٰ سليمان عليه السلام قد سقط ميتاً، فخرج فأخبر الناس أن سليمان قد مات، ففتحوا عنه وأخرجوه، ووجدوا مِنْسَأَته قد أكلتها الأَرَضة، فمكثوا يَدْأَبون[1] له من بعد موته حولاً كاملاً، فأيقن الناس أن الجن كانوا يَكْذِبونهم، ولو أنهم عَلِموا الغيبَ لَعَلِموا بموت سليمان، فلم يلبثوا في العذاب سنة يعملون.

---

(١) أي يعملون.

قال الثعلبي: ثم إن الشياطين قالوا للأرضة: لو كنتِ تأكلين الطعام لأتيناك بأطيب طعام، ولو كنتِ تشربين الشراب سقيناكِ أطيب الشراب، ولكننا سننقل إليك الماء والطين.

قال الثعلبي: فهم ينقلون إليها ذلك حيث كانت.

قال الثعلبي: ألم تَر إلى الطين الذي يكون في جوف الخشب؟ فهو مِمّا تأتيها به الشياطين شكراً لها.

فذلك قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ(١) ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾﴾ [سبأ].

قال أهل التاريخ: كان عمر سليمان ثلاثاً وخمسين سنة، ومدة مُلْكه أربعين سنة، ومُلِّكَ يوم مُلِّكَ وهو ابن ثلاث عشرة سنة.

وقال وهب بن منبه: عاش سليمان ستين سنة، منها في المُلْك والنبوة أربعون سنة.

قال: وتفرّقت الإنس والجن وغيرهم، فتفرّق بنو إسرائيل بعده ثلاث فِرَق: فرقة كفروا واتّبعوا السحرة، وفرقة اعتزلوا وقالوا: لا نُطيع بعده أحداً، وفرقة اتبعوا ابنه رَحْبَعَم.

أجل، مَلَكَ سيدنا سليمان الدنيا، ثم بعد ذلك ذهب ولم يأخذ منها درهماً ولا ديناراً، فاعتبروا يا أولي الأبصار.



(١) الدابة هنا الأَرَضة، ويقال لها: القادح أيضاً، وهي دويبة تأكل العيدان.

ذو النون سيدنا يونس بن متى

عليه الصلاة والسلام

قال ربنا تبارك وتعالى بحقه: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنبياء].

وقال عز وجل: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذۡ أَبَقَ إِلَى ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُدۡحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلۡتَقَمَهُ ٱلۡحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٞ ﴿١٤٢﴾ فَلَوۡلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطۡنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ فَنَبَذۡنَٰهُ بِٱلۡعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٞ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتۡنَا عَلَيۡهِ شَجَرَةٗ مِّن يَقۡطِينٖ ﴿١٤٦﴾ وَأَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلۡفٍ أَوۡ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُواْ فَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٖ ﴿١٤٨﴾﴾ [الصافات].

وقال تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ إِذۡ نَادَىٰ وَهُوَ مَكۡظُومٞ ﴿٤٨﴾ لَّوۡلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعۡمَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلۡعَرَآءِ وَهُوَ مَذۡمُومٞ ﴿٤٩﴾ فَٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [القلم][1].

۞ مولد يونس عليه السلام ونشأته:

هو يونس بن متّى، الذي وصفه الله تعالى في كتابه بذي النون، أي صاحب الحوت.

قال الكسائي رحمه الله تعالى نقلاً عن وهب بن منبه: كان متىّ رجلاً صالحاً من أهل بيت النبوة[2]، كان عابداً تقيّاً، لم يُرزق الولد إلى آخر عمره، وبعد أن وصل إلى بعد الثمانين سأل الله تبارك وتعالى الولد، فنودي: إنَّ الله قد استجاب دعاءك يا متّى.

فانطلق متّى وزوجه إلى حظيرة التوبة في بيت المقدس، فلما وصلوا إلى هناك إذا بمَلَك قد

---

(١) انظر كذلك إن شئتَ إلى المواضع التالية من القرآن الكريم: النساء ١٦٣، الأنعام ٨٦، يونس ٩٨.

(٢) أي من نسل سيدنا إبراهيم ثم إسحاق ثم يعقوب عليهم الصلاة والسلام.

هبط من السماء، فضرب قبة على باب حظيرة التوبة، وذلك في ليلة عاشوراء، وأمرهما أن يدخلا. فدخل متىّ وزوجه ونام معها، فحملت بسيدنا يونس عليه السلام، ثم انصرفا إلى منزلهما.

فلما مضى على حمل أم يونس أربعة أشهر، توفي زوجها متىّ، وبقيت أرملة ليس لها من أحد يقوم بأمورها، غير أنها كانت من نسل النبي هارون، فكانت تصيب رزقها من السماء صباح مساء[1].

فلما وضعت يونس لم يكن لها لبن يكفيه، فكانت تأتي الرعاةَ وتسألهم اللبن فلا يجيبونها، فكانت تقول: اللهم هذا الولد هو هِبَتُك فلا تُهْلكه جوعاً، والله عز وجل أكرم مِن أن يُهْلِكَ نبياً من أنبيائه جوعاً. فكانت المواشي تأتيه وتمجّ عليه بضرعها، فيشرب حتى يشبع ويقول: الحمد لله.

وبقي كذلك حتى فطمته أمه، فكانت كرامةً يراها الناس، وينظرون لها صباح مساء، فآمن به عند ذلك خَلْقٌ كثير وهو في هذه السن، آمنوا بالله عز وجل الذي سخّر له هذه الدواب تشخب عليه لبناً حاراً في الشتاء، بارداً في الصيف.

وهكذا رُبِّيَ سيدنا يونس في طفولته، وكان يسمى بيتيم بني إسرائيل.

ولما بلغ السبع سنين، أقبل على أمه وقال لها: يا أُمّاه، لا ينبغي أن تذهب أيامي بالبطالة، فأريد أن تُلبسيني ثوباً من الصوف حتى ألحق بالعُبّاد من بني إسرائيل وأكون معهم. فقالت له: يا بُنَيّ، أنت صغير ولم يَئِن لك أن تَسيح.

فلم يزل بها حتى أجابته بذلك، فلبس ثوب الصوف، ووضع الزنار، وحمل العصا، وساح في البراري يعبد الله عز وجل ويُسَبِّحه ويُقَدِّسه، واشْتُهِرَ ذِكْره بكثرة العبادة.

---

(١) وهذا ليس بغريب، فقد حصل ببني إسرائيل أشياء أكثر من ذلك بكثير، وسيمر معك أن مريم ابنة عمران كذلك كان رزقها يأتيها من السماء من عند الله تعالى.

۞ رحيل يونس عليه السلام إلىٰ الرّملة[1] وزواجه من ابنة ولي الله زكريا:

قال الكسائي: قال وهب بن منبه: لَمّا استكمل يونس من العمر خمساً وعشرين سنة، سمع في منامه هاتفاً يقول له: إن الله يأمرك أن تمضي إلىٰ مدينة الرّملة، فإنَّ فيها ولياً من أوليائه، وله ابنة عفيفة فتزوّج منها.

فلما أصبح عزم علىٰ المسير، وسار معه جماعة من أصحابه العُبّاد من بني إسرائيل حتىٰ وصل مدينة الرملة، فدخلها وسأل عن ذاك الرجل وكان اسمه زكريا، فقيل له: إنه في السوق يبيع ويشري، فعجب يونس من ذلك، وذهب إلىٰ السوق فرآه يبيع الطِّيب، ويُكْثِرُ من الضحك، فقال: ليس هذا من صفات الأولياء والعُبّاد. فنظر إليه زكريا من بعيد فعرفه، فقام إليه وصافحه وسلّم عليه باسمه واسم أبيه، فقال يونس: وكيف عرفتَني؟ قال: رأيتك في المنام بصورتك هذه، وأُمِرْتُ أن أُزَوِّجَك ابنتي.

وفي المساء توجّها إلىٰ المنزل، فقدّم زكريا الطعام فأكلا، ثم ذكر له يونس رؤياه وأنها سبب مسيره إلىٰ بلاد الرملة، ثم سأله عن مكسبه بالبيع والشراء، فقال زكريا: البيع والشراء مباح إذا كان في طاعة الله، والتاجر فاجر إلاّ مَن أخذ الحق وأعطاه واتّقىٰ الله، ولم يمدح سلعته فوق ما تستحق.

فلما جاء الليل، خلع زكريا لباس التجارة ولبس ثياب العبادة، ثم دخل محرابه، ولم يزل في صلاته ودعائه وتضرعه حتىٰ أصبح. وفي الصباح خلع ثياب العبادة ولبس ما كان عليه بالأمس من ثياب التجارة، وخرج إلىٰ السوق وسيدنا يونس معه، وهكذا كان ذلك دَأْبه ودَأْب يونس عليه السلام كذلك.

وبعد فترة تزوّج يونس من ابنة زكريا الولي الصالح، وأقام عنده فترة من الزمن، وَهَبَ لهما فيها بعضَ ماله.

وبعد أن مات زكريا احتمل يونس زوجته إلىٰ بيت المقدس، وأقام هناك يعبد الله عز وجل،

---

(١) هي مدينة عظيمة بفلسطين، تبعد عن بيت المقدس قرابة ٢٠ أو ٢٢ كم.

ولم يكن يوم ذلك قد نُبِّئَ بعد.

وقد رزقه الله من هذه المرأة غلامين ولدين.

۞ مبعث يونس عليه السلام إلىٰ أهل نينوى[1] وتبليغه الدعوة:

قال الكسائي: قال وهب بن منبه: كان في بلاد نينوى بالعراق ملك جبار له جيوش كثيرة، قيل: إنها كانت تزيد علىٰ عشرة آلاف قائد. وكان إذا غزا تكون معه تماثيل الأسود والفيلة من النحاس والحديد، يخرج من أفواهها لهب النار، ومعه كذلك رجال يلعبون بالنار.

فغزا هذا الملك بني إسرائيل في بيت المقدس علىٰ هذه الصورة، فقتل منهم وسبىٰ، ثم عاد إلىٰ بلاد نينوى. وتكرّرت غزواته في بني إسرائيل، فأوحىٰ الله تعالىٰ إلىٰ نَبِيٍّ بني إسرائيل في ذلك الزمان شَعْيا أن يختار مِن عُبّاد بيت المقدس أميناً قوياً يبعثه إلىٰ بلاد نينوى رسولاً إلىٰ مَن بها مِن الملوك وغيرهم.

فقام النبي شَعْيا وذهب إلىٰ ملك بني إسرائيل حزقيل، وأمره أن ينادي في عُبّاد بيت المقدس أن يأتوا، وكانوا يومها عشرة آلاف عابد، لباسهم الشَّعْر والصوف، ونِعالهم من الخوص.

فنادى فيهم للاجتماع فاجتمعوا، فاختار منهم ثلاثة، واختار من الثلاثة واحداً أَلاَ وهو سيدنا يونس. ثم قال له حزقيل: إن الله أوحىٰ إلىٰ نبيه شَعْيا أن يختار من جملة هؤلاء العُبّاد والزُّهّاد أعبدَهم وأتقاهم، وقد وقع اختياره عليك ليبعثك إلىٰ بلاد نينوى. فقال يونس: إن في بني إسرائيل مَنْ هو أعبد وأزهد مني، ابعث إليها غيري أيها الملك. فقال: لا أبعث سواك فانهض، ونَفِّذ الأوامر ولا تخالفني، فإن هذا عن أمر الله.

فانطلق يونس إلىٰ أمه وكانت امرأة صالحة، فأخذ الإذن منها أن يسير إلىٰ نينوى،

---

(١) هي مدينة بالموصل في العراق. قال ابن حوقل في حديثه عن الموصل: وفيها رستاق نينوى، وكانت لهم مدينة في سالف الزمان، آثارها بَيِّنة، وأحوالها ظاهرة، وسورها مُشاهد، وهي من شرقِيّ دجلة باتجاه الموصل. كانت عاصمة الآشوريين ومَقرّاً لملوكهم، بها قصر فاخر ما تزال آثاره في قرية النبي يونس ظاهرة حتىٰ الآن، وكانت حينئذ من أكثر مدن الشرق سكاناً، وأعظمها حصانة وبنياناً - انظر الصور ص ٢٥٦-٢٥٨-.

فقالت له: يا بني، سِرْ ولا تعصِ نبي الله شَعْيا، فإنك أُمِرْتَ بهذه المهمة، فَقُمْ بها حق القيام.

فعزم على المسير، فودّع أمه، وحمل زوجته وأولاده حتى بلغ شاطئ دجلة، فأقبل على أهله وقال: قد عزمتُ على الفرار، فنهاه أهله عن ذلك.

ثم قام ليعبر دجلة إلى بلاد نينوى، فَعَبَرَ بولده الأكبر، ثم رجع وأخذ ولده الثاني، فلما توسّط دجلة زاد الماء، فغرق ابنه الذي كان معه، وكان في يده نُقْرة من الذهب[1] كان قد ورثها مِن حَميه، فغرقت. وجاء ذئب إلى ولده الذي عبر به فاحتمله، فصاحت المرأة: يا يونس، إن ابنك أخذه الذئب. فخرج من الماء يعدو خلف الذئب، فالتفت إليه وقال: ارجع يا يونس فإني مأمور.

فرجع يونس باكياً على ولديه وعلى المال، فلما بلغ الشط لم يَرَ زوجته كذلك، فجلس يبكي، فأوحى الله إليه: إنك شكوتَ كثرة العيال وقد أَرَحْتُك منهم، ولن تجد أمامك مَن يشغلك عن تبليغ الدعوة، فاذهب الآن إلى قومك يا يونس، فإني سأرد عليك زوجك وولديك، وأنا على كل شيء قدير.

فطابت نفس يونس، وسار حتى بلغ بلاد نينوى، فتوسّط سوقها ونادى: يا قوم، قولوا لا إله إلاّ الله يونس عبده ورسوله، وكان أهل نينوى يعبدون النار. فلما سمعوا ذلك أقبلوا على مَلِكهم وأخبروه بأمره وبمقالته، فأحضره المَلِك وقال له: مِنْ أين أنت؟ قال: أنا رسول الله إليك وإلى أهل مملكتك، فآمنوا بي تَنْجوا من النار. فأمر المَلِك بحبسه، ثم أرسل إليه وزيره سنجير[2] فقال له: ادخل على هذا الرجل يونس، وتعرّف أمره وحكايته.

فدخل عليه الوزير وسأله عن اسمه واسم أبيه، ومِنْ أين أقبل؟ وفيما جاء؟ فذكر له أنه رسول الله إلى هذه المملكة، فقال الوزير: أرى أن تَرْفُقَ، فإني أخشى عليك من هذا الملك فإنه جبّار.

وانصرف الوزير إلى الملك وأخبره بالقصة، وقال له: قد عرفتُ الرجل، وقد ذكر أنه

---

(١) النُّقْرة من الذهب ما سُبِكَ مُجْتَمِعاً منها.

(٢) قال الكسائي: اسمه سنحاريب، وهو من أهل بيت المقدس المَسْبِيِّين.

رسولٌ من إله السماء. فهمّ الملك بِقَتْـل يونس، فاسْـتَوْهَبه منه الوزير وجعله في حمايته، علىٰ أن يكون في البلد وألاّ يقول مِثْل مقالته الأولىٰ. فاستدعىٰ الوزير يونس وذكر له ذلك، فقال يونس: أمّا القتل فلا أخشىٰ منه، والرسالة لا أتركها حتىٰ يحكم الله بيني وبين هذا الملك وهذه المملكة. فخلّىٰ الملك سبيله علىٰ أنه مجنون.

فكان يونس بعد ذلك يمر في الأسواق والحوانيت يدعو الناس إلىٰ عبادة الله وتوحيده وطاعته، ويقول لهم: يا قوم، إني رسول الله إليكم. يا قوم، اعبدوا الله واتركوا عبادة النار، إني ناصح لكم.

ولم يزل يدعوهم في كل يوم من الصباح إلىٰ المساء، والناس يضربونه ويرجمونه ويسبونه، حتىٰ إذا أتىٰ المساء أتىٰ شاطئَ دجلة، فيصلي حتىٰ الصبح ثم يعود إليهم، وهكذا.





مدخل مدينة نينوى القديمة



سور **نينوى القديم وقد أعيد بناؤه من جديد، وهو** من بقايا مدينة نينوى الآشورية



آثار مدينة نينوى القديمة



آثار إحدى قصور نينوى القديمة



جامع النبي يونس في نينوى



صورة لمدينة نينوى قبل التجديد

۞ قصة العذاب الذي نزل على أهل نينوى ثم إيمانهم برب العالمين:

قال الله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾﴾ [يونس].

قال الكسائي: قال وهب بن منبه: بقي سيدنا يونس على هذه الحالة يبلغهم الدعوة فترة طويلة من الزمن حتى وصل إلى الضجر منهم، فاستغاث ربَّه فأوحى إليه: يا يونس، إنك دعوتَ القوم فلا تعجل عليهم، وادْعُهم أربعين يوماً زائداً على ذلك، فإنْ آمنوا وإلاّ جاءهم العذاب من السماء.

فقام يونس ودعاهم حتى استكمل العِدّة فما آمنوا، فأوحى الله إليه: أنِ اخرج من بين أظهرهم. فابتعد يونس بعد أن قال لأهل نينوى: يا قوم، أنتم ما أجبتم دعوتي، وإن الله سينزل عليكم ناراً من السماء. فما صدّقوه.

فذهب حتى بلغ شاطئ دجلة، فقعد هناك ينتظر نزول العذاب على القوم وكيف ينزل، وكان قد وعدهم بنزوله بعد ثلاثة أيام.

فأمر الله تعالى جبريل أن يرسل عليهم سحابة فيها ألوان العذاب من جهنم، فانطلق إلى مالك خازن جهنم وأمره بذلك، فأخرج شرارة من الحُطمة على مِثْل سحابة سوداء مظلمة، فجاءت تجرها الزبانية حتى بلغت بلاد نينوى، فانبسطت فوق سمائها حتى أظلّت عليها، فظنّ القوم أنها مطر وكانوا قد مُنِعوا المطر. فنظر وزير الملك إلى السحابة يخرج من طرفها شرر النار، وهي مُطْبِقة على البلاد من كل الجهات، فدخل على الملك وقال له: الحذر الحذر أيها الملك، فليست هذه سحابة مطر بل هي سحابة عذاب، وأخشى أن يكون ذلك لتكذيبنا يونس نبي الله. ثم قال: انظروا إلى يونس، فإنْ كان معكم في البلاد فلا تخافوا، وإنْ كان قد خرج عنكم فقد هلكتم بهذه النار. فطلبوا يونس فلم يجدوه.

وجعلت السحابة بعد ذلك تدنو منهم، وترمي بشرر منها كالرماد الأحمر، لا يقع هذا الشرر على شيء إلاّ أحرقه. ثم دنت حتى كادت أن تحرق البلاد كلَّها بشراً وحيواناً، والكل يصيح: كان وعد يونس حقاً.

عند ذلك أقبل عليهم الوزير سنجير وقال: أيها الملك، ما ذكره يونس كان حقاً، إنّ يونس كان مُرْسَلاً مِن قِبَل السماء، فإذا أردنا أن ننجو من هذا العذاب الذي سيأخذ البلاد والعِباد، لا بد لنا من أن نؤمن برب يونس.

ثم خرج القوم بأجمعهم مع نسائهم وأطفالهم إلىٰ ظاهر البلد يَجْأَرون ويستغيثون، وتغيّرت وجوههم ووصلوا إلىٰ حد الموت. فقام سنجير فيهم وقال: إلهنا، إنك أمرتَنا أن نُعتق رقاب عبيدنا وإمائنا، ونحن عبيدك يا الله وإماؤك، فأَعْتِقْنا. إلهنا، إنك أمرتَنا أن نعفو عمّن ظلمنا، فاغفر لنا واعف عنا. اللهم أعتقنا من عذابك هذا، فإنا قد آمنا بنبيك يونس وبجميع النبيين. والكل خلفه يقول: آمين، يا الله، آمنا بك. ثم خرّوا سجداً بأجمعهم، فأوحىٰ الله تعالىٰ إلىٰ ملائكة العذاب: أنِ ارجعوا. فانصرفت السحابة عنهم، وسمعوا صوتاً: أبشروا يا أهل نينوى برحمة من ربكم. فرجعوا إلىٰ المدينة وقد آمنوا عن بكرة أبيهم.

۞ ابتلاع الحوت لسيدنا يونس عليه السلام:

قال الكسائي: قال وهب بن منبه: ثم جاء يونس لينظر إلىٰ ما نزل بقومه من العذاب، فَلَقِيَه إبليس بصورة شيخ، فقال له يونس: مِن أين أقبلتَ أيها الشيخ؟ قال: من نينوى. قال: فما نزل بهم اليوم؟ قال: ما نزل بنا إلاّ سحابة بيضاء أمطرت مطراً غزيراً، وكان يونس قد وعدنا بالعذاب فلم يكن، فَعَلِمْنا كذبه. فغضب يونس وقال: لا أعود إلىٰ قومٍ كَذّبوني، وسار.

قال تعالىٰ: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَـٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ[1]﴾ [الأنبياء ٨٧].

قال الكسائي: فلم يزل يسير حتىٰ لحق بساحل بحر الروم[2]، فإذا هو بسفينة مارّة،

---

(١) قال مجاهد وقتادة والضحاك والكلبي: معناه أي فظنّ أن لن نقضي عليه بالعقوبة، وهي رواية العَوفيّ عن ابن عباس، ودليل ذلك قراءة عمر بن عبد العزيز والزهري: (فَظَنَّ أَن لَّن نُقَدِّرَ عَلَيْهِ). وقال عطاء وكثير من العلماء: معناه أن نُضَيِّق عليه الحبس.

(٢) هو البحر الأبيض المتوسط.

فلوّح إليهم فوقفوا له، فقال لهم: احملوني معكم فإني رجل منقطع غريب من بيت المقدس. فحملوه، فقعد على كَوْثَل السفينة[1]، فلما توسطت البحرَ هبّتْ عليهم رياح كثيرة من جميع الجوانب، وأشرفوا على الغرق، فأخذوا في الدعاء والتضرع ويونسُ لا يتكلم، فأقبل أهل السفينة عليه وقالوا: لِمَ لَمْ تَدْعُ معنا؟ قال: لأني مغموم لِذهاب الأهل والولد. فلم يزالوا به حتى دعا، فازداد البحر هيجاناً. قال يونس: اطرحوني في البحر فإنَّ هذا مِن أَجْلي، قالوا: ما نفعل، قال: فاقترِعوا. فاقترَعوا، فوقعت القرعة عليه، فقالوا: إن القرعة تخطئ وتصيب، ولكن تعالوا حتى نَتَساهم. فجعل كل واحد منهم لنفسه سهماً ثم رموا بها في البحر، فغرقت إلاّ سهم يونس فإنه بقي على وجه الماء.

قال الله عز وجل: ﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾﴾ [الصافات].

وبهذه الأثناء كان الله قد أمر حوتاً عظيماً من بحر الهند أن يتوجّه إلى البحر المتوسط، فجاء الحوت ودنا من السفينة، فقام يونس ليرمي بنفسه، فتعلّق القوم به وقالوا: ألا ترى هذه الأمواج، وهذا الحوت العظيم؟ فَأَقْعَدوه والبحر يزيد عليهم بكثرة أمواجه وأهواله. فصار إلى جانب السفينة ليرمي بنفسه، فإذا بالحوت قد دار إلى الجانب الذي قَصَدَ أن يرمي نفسه منه، فعَلِمَ يونس أنه هو المراد، فغطّى وجهه بكسائه ورمى نفسه في البحر، فابتلعه الحوت.

وقيل في رواية أخرى: أمر الله الحوت بقوله: يا حوت، إن يونس عَبْد لنا وإنه ليس بطعام لك، إنما جعلنا بطنك سجناً له، إياك أن تكسر له عظماً، أو تجرح له لحماً، أو أنْ تمس شعرة من شعره بسوء. ففتح الحوت فمه، فدخل يونس عليه السلام مع الماء، ثم نظر يميناً ويساراً فوجد نفسه في بطن الحوت.

قال تعالى: ﴿فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾﴾ [الصافات]، أي يلوم نفسه على ما فعله.

قال الكسائي: فبقي يونس في بطن الحوت يسمع تسبيح الحيتان بلغاتهم، فلم يزل كذلك حتى بلغ إلى موضع يُسمع فيه صريف الأقلام كما في تفسير القرطبي. وهو إذا سجد

---

(١) الكَوْثَل هو مؤخرة السفينة.

يكون سجوده على كبد الحوت، وهو يقول له: يا يونس، أَسْمِعْني تسبيح المغمومين المحبوسين في حَبْسٍ لم يُحبس فيه أحد من الآدميين، ويونس يقول: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [الأنبياء]. وكانت الملائكة تقول: إلهنا، إنّا نسمع تسبيح مكروب كان لك شاكراً، اللهم ارحمه في غربته.

زاد بعضهم في روايته: فقال لهم رب العزة: إنه عبدي يونس، أَبِقَ مِن قومه فحبسته تأدباً في بطن الحوت. وتشفعت الملائكة له حتى قَبِلَ الله ﷻ شفاعتهم، وقَبِلَ توبته.

قال الله تعالى: ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ[1] أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنبياء].

وقال تعالى: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾﴾ [الصافات].

لهذا قيل: ما دعا إنسان بهذا الدعاء من المسلمين إلاّ استجاب الله له؛ لأنه تعالى هو القائل: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنبياء].

وقيل: إنَّ اسم الله الأعظم موجود في هذا الدعاء.

قال الكسائي: واختُلف في مدة لُبثه.

فمنهم مَن قال أربعين يوماً.

وقيل: ثلاثة أيام.

فلما انقضت المدة التي قدّر الله عليه، أَلْهَمَ الله الحوت أن يرجع إلى الموضع الذي ابتلعه فيه، فشقّ ذلك على الحوت لأنه كان قد أَنِسَ به وبتسبيحه، فناداه المَلَك: أنِ اقذفه من بطنك فليس هو مَطْعَم لك. فتقدّم الحوت إلى الساحل وقذفه[2].

---

(١) قيل: ظلمة الليل، وظلمة البحر، وظلمة بطن الحوت. وقيل: أَمَرَ الله تعالى حوتاً أكبر أن يبتلع الحوت الأول، ثم نزل الحوت الثاني في أعماق البحر، فصارت ظلمة الليل، وظلمة البحر، وظلمة بطن الحوت الأول، وظلمة بطن الحوت الثاني.

(٢) فالمكان المعروف اليوم بأنه المكان الذي لفظ فيه الحوت سيدنا يونس هو شاطئ بلدة برجة بلبنان شمال صيدا، وقد كان يسمى لفترات طويلة برأس النبي يونس.

قال تعالىٰ: ﴿ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ ﴾ [الصافات].

قال الكسائي: خرج كالفرخ الذي لا ريش له وهو لا يقدر علىٰ القيام، فأنبت الله عليه شجرة من يقطين[1] كان لها ثلاثة أغصان، غصن قِبَل المشرق، وغصن قِبَل المغرب، والغصن الثالث علىٰ رأسه. وجاءه جبريل فقال: يا يونس، إن الله قد أعطاك من الجنة ما ترضىٰ به، ثم أمرّ يده علىٰ رأسه وجسمه، فأنبت الله شعره ولحيته.

وأمر الله ظبية فوقفت بين يدي يونس وكلّمته بإذن الله تعالىٰ، فمصّ من لبنها فقوي عند شربه، ثم بشّرته بإيمان قومه، وأخبرته بما كان من أمرهم وبسبب إيمانهم، وذكرت له اشتياقهم إلىٰ رؤيته. وكانت الظبية ترعىٰ حول سيدنا يونس، فإذا جاع أو عطش أرضعته.

فلم يزل كذلك يشرب من لبن الظبية ويستظل تحت شجرة اليقطين أربعين يوماً، فنام في بعض الأيام ثم انتبه، فرأى اليقطينةَ قد جفّت، والظبيةَ قد غابت، فاغتمّ لذلك، فعَلِمَ أن الله ضرب له مَثَلاً بقومه.

ثم هبط عليه مَلَك وقال له: قُمْ إلىٰ قومك فإنهم يتمنون رؤيتك. وأتاه المَلَك بِحُلَّتَيْن، فاتّزر بواحدة وارتدى بالأخرى.

۞ عودة يونس عليه السلام إلىٰ نينوى والأمثال التي ضربها الله له:

قال الكسائي نقلاً عن وهب بن منبه: فسار يونس حتىٰ دخل قرية كثيرة الأشجار والخيرات، وأهلُها يقطعون تلك الأشجار، ويلقون ثمارها في الأرض، فقال: يا قوم، كيف تفعلون ذلك وتُبْطلون علىٰ أنفسكم هذه الثمار؟ فأوحىٰ الله إليه: يا يونس، إنك أَشْفَقْتَ علىٰ قوم لا تعرفهم مِن قَطْعِهم للأشجار، ولم تشفق علىٰ قومك وهم مائة ألف أو يزيدون! فعَلِمَ يونس أنَّ هذا مَثَل ضربه الله تعالىٰ له، فقال: إلهي لا أعود إلىٰ ذلك أبداً.

ثم سار حتىٰ دخل قرية أخرى وقت المساء، فتلقاه رجل من أهلها وسأله أن ينزل

---

(١) يعتبر اليقطين طعاماً مغذٍ للعقل، ومقوٍّ للذاكرة.

عليه، فنزل في بيت الرجل فأكل وشرب، ثم نظر إلىٰ البيت وفيه فخار كثير يريد أن يوقد عليه، فأوحىٰ الله تعالىٰ إليه: يا يونس، قُلْ لهذا الفاخِرانِيِّ أن يكسر الفخار الذي عمله. فذهب يونس إلىٰ الرجل وقال له: اكسر هذه الأواني، فقال له: يا يونس، أنا أضفتُك عندي وأطعمتُك، وأَنَمْتُك في بيتي، ثم تأمرني أن أكسر ما تعبت عليه أياماً كثيرة! أنت رجل مجنون. فطرده من بيته، فأوحىٰ الله إليه: يا يونس، إنَّ هذا الفاخِرانيّ أشفق علىٰ فخّاره وسَمّاكَ مجنوناً، وأخرجك من منزله حين أمرته بكسره، وأنت بُعثت إلىٰ مائة ألف أو يزيدون فدَعَوْتَ عليهم، ولم تُفكر في هلاكهم ولم ترحمهم! فاعتذر يونس وقال: إلهي لا أعود إلىٰ ذلك أبداً.

ثم سار حتىٰ مرّ علىٰ زَرْع يأكله الجراد فحزن عليه، فأوحىٰ الله إليه: قد حزنتَ علىٰ إرسال الجراد علىٰ الزرع ولم تزرعه أنت، ولم تحزن علىٰ إرسال العذاب علىٰ مائة ألف أو يزيدون! فقال: إلهي تُبْتُ إليك من ذنبي، لا أعود إليه أبداً.

وهكذا ضرب الله له الأمثال، وقد مرّت معه قصص كثيرة في هذا المجال. وذلك لتعرف بأن ابن آدم غالٍ علىٰ الله، وأن العذاب لا يكون هكذا بسرعة.

ثم سار يونس حتىٰ دخل قرية، وهناك امرأة معها رجل وهو ينادي: مَن يحمل هذه المرأة إلىٰ زوجها في بلاد نينوى وله مائة مثقال من الذهب؟ فنظر إليها يونس فإذا هي امرأته، فقال: أيها الرجل، ما قصة هذه المرأة؟ فقال: إنها كانت قاعدة علىٰ شاطئ دجلة تنتظر زوجها يونس، فمرّ بها مَلِك من ملوك هذه القرية فاحتملها وأراد أن يفجر بها، فأيبس الله يديه ورجليه، فسألها أن تدعو له بالفرج وألاّ يعود إلىٰ مِثْل ذلك. فَدَعَتْ له، فعافاه الله، فدفعها إليّ وأعطاني مائة مثقال ذهباً علىٰ أن أحملها إلىٰ نينوى. فقال يونس: أنا أحملها فأعطني الذهب، ولم يكشف عن نفسه. فسلّمها الرجل إليه وقد عَرَفَتْه، ففرحت به وفرح بها، ثم سارا، وفي الطريق قصّ عليها ما حصل معه.

ثم أتيا قرية أخرى وإذا برجل يبيع سمكة، فاشتراها يونس وكان قد جاع كثيراً، فشقّ جوفها لِيُصْلِحَها للأكل، فوجد صرة الذهب التي وقعت منه في دجلة، فقال: الحمد لله الذي ردّ عليّ أهلي ومالي، اللهم فاردد عليّ وَلَدَيَّ يا أرحم الراحمين. فأرسل الله إليه

وَحْيَه بأنه سَيَرُدّ عليه وَلَدَيْه.

ثم سار فإذا هو برجل علىٰ دابة ومِن ورائه غلام، فإذا هو ولده الصغير، فتعلّق يونس بالرجل، فقال الرجل: مَن أنت؟ فقال: أنا يونس. فسلّم إليه الغلام وقال: الحمد لله الذي ردّ الأمانة إلىٰ أهلها، وخلّص ذمتي من يونس. فسأله يونس عن قصة الغلام فقال: أنا رجل صيّاد، وكنتُ قد ألقيتُ شبكتي في دجلة، فوقعتْ في أعماق المياه، فوقع هذا الغلام فيها فأخذتُه، فإذا بهاتف يقول: يا صياد، احفظ هذا الغلام حتىٰ يأتي إليك يونس، فإنه أبوه فادفعه إليه. ثم قال الرجل: يا نبي الله، ادْعُ لي أن يغنيني الله عن صيد السمك. فدعا له يونس، فأعطاه الله الخير الكثير.

ثم سار يونس إلىٰ بلاد نينوى، فإذا هو براعٍ علىٰ قارعة الطريق يرعىٰ غنماً، وهو يقول: اللهم اردد عليّ والدي. فرآه يونس فعرفه وهو ولده الأكبر، فتعانقا وبكيا طويلاً، ثم قال الولد: يا أبتِ، إن هذه الأغنام لرجل في القرية، فَسِرْ معي حتىٰ أردّها إليه.

فسارا وإذا هما بشيخ علىٰ باب داره، فقال له الغلام: هذا أبي، فقام الشيخ إلىٰ يونس وسلّم عليه، ثم قال له يونس: هل تعرف قصة هذا الغلام؟ فقال: نعم، كنت أرعىٰ هذه الأغنام في البريّة، وإذا بهذا الغلام علىٰ ظهر ذئب في تلك الأيام، فكلّمني الذئب بقدرة الله تعالىٰ وقال: أيها الراعي، إذا جاء إليك يونس فادفع إليه هذا الغلام، فإنه أمانة عندك. ثم قال الشيخ: يا نبي الله، ادْعُ الله أن يغفر لي ذنوبي، وأن يميتَني في يومي هذا. فدعا له، فقبضه الله لوقته، فغسّله يونس وكفّنه، وصلّىٰ عليه ودفنه.

وبعد ذلك سار يونس بزوجه وولديه وماله وصحته حتىٰ قرب من المدينة، فإذا هو بغلام يرعىٰ غنماً، فوقف يونس وقال: يا غلام، هل من لبن؟ قال الغلام: يا هذا، والذي بعث إلينا يونس نبياً ما ذقنا اللبن منذ غاب عنا نبينا يونس. قال: فأنا يونس نبي الله، فقبّل الغلام رأسه وقال: لو رأيتنا يا نبي الله ونحن نجول تحت العذاب لَرَحِمْتَنا. قال يونس: يا غلام، اذهب الآن إلىٰ المدينة وأَخْبِرِ الناسَ أنك قد رأيتَني. قال: أخشىٰ أنْ يُكَذِّبوني، فقال: سِرْ إليهم وهذه الأغنام شهود لك.

فمضىٰ الغلام حتىٰ توسّط سوق المدينة وقال: أيها الناس البشرى، فقد رجع إلينا يونس نبيُّنا، وقد لقيتُه. فوصل الخبر إلىٰ الملك، فقام عن سريره وقال: عليّ بالغلام. فأُتِيَ به، فسأله فأخبره بمقدم يونس، ففرح الملك وفرح أهل المدينة وقد عرفوا فضل يونس ومكانته، وأنه رسول الله وعبده.

ثم خرجوا والتقوا بسيدنا يونس وأدخلوه المدينة، وأَجْلَسَه الملك في موضعه ووقف بين يديه، ثم أوحىٰ الله عزوجل إليه بعد ذلك بأشياء كثيرة.

۞ وفاة يونس عليه السلام:

قال الكسائي: قال وهب بن منبه: مكث يونس في أهل نينوى ما شاء الله يدعوهم إلىٰ عبادة الله عزوجل، ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، إلىٰ أن مات الملك، وماتت امرأة يونس وولداه جميعاً. فاستخلف يونس الراعي علىٰ مدينة نينوى، وخرج هو وسبعون رجلاً من العُبّاد حتىٰ أَتَوْا إلىٰ جبل يقال له: صهيون[1] في القدس.

فكانوا هناك يعبدون الله تبارك وتعالىٰ حتىٰ مات يونس عليه السلام، ومات العُبّاد الذين صحبوه، فقُبِروا هناك في جبل صهيون.



(١) صهيون الجبل المشمس أو الجاف، قد يطلق هذا الاسم للدلالة علىٰ كل القدس، إلاّ أنه ينحصر غالباً في الجبل الجنوبي الغربي من المدينة. وكان هذا الجبل محاطاً مِن كل جانب إلاّ جانب الشمال بأودية عميقة الجوانب، فكان وادي الجبانين إلىٰ شرقيّه يفصله عن موريا وأوفل، ووادي ابن هنوم إلىٰ جنوبيّه وغربيّه، وسُمِّيَ جزؤه المحاذي للمدينة غرباً بوادي جيحون.

سيدنا إلياس واليسع
عليهما الصلاة والسلام

قال الله تبارك وتعالىٰ: ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [الأنعام].

وقال الله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴿١٢٥﴾ اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾﴾ [الصافات].

وقال تعالىٰ: ﴿وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾﴾ [ص].

۞ نسب إلياس عليه السلام ومولده:

قال الكسائي: هو إلياس بن ياسين بن فنحاص بن العَيْزار بن هارون، عبد الله ونبي من أنبيائه، بعثه الله إلىٰ أهل بعلبك[1] وضواحيها.

أمه صفورية، وجدّته أم أبيه صفورية بنت موسىٰ بن عمران عليه السلام.

ظَهَرَ ليلة مولده أنوار أضاءت محاريب بني إسرائيل، فلما نظرت ملوك بني إسرائيل ذلك عَلِموا أنه قد حَدَثَ حادِث، فتعرّفوا الخبرَ، فقيل لهم: وُلِدَ مولود مِن وَلَدِ هارون بن عمران.

۞ خصائص أهل بعلبك وإرسال سيدنا إلياس إليهم:

قال ابن إسحاق والعلماء من أصحاب الأخبار: لَمّا قبض الله عز وجل حزقيل النبي عليه السلام، عظمت الأحداث في بني إسرائيل وظهر فيهم الفساد، ونَسوا عهد الله تعالىٰ إليهم في

---

(١) هي بلد بلبنان علىٰ حدود سوريا، اسمها بالأصل بَكَّ وسميت ببعلبك نسبة إلىٰ صنمهم بَعْل، أي بعل بَكَّ. وتسمىٰ سهولها والأراضي المنبسطة عنها ببر لياس نسبة إلىٰ سيدنا إلياس عليه السلام.

التوراة، حتىٰ نصبوا الأوثان وعبدوها من دون اللهﷻ، فبعث الله تعالىٰ إليهم إلياس نبياً.

وقال الثعلبي: عندما فتح يوشع بن نون أرض الشام، بوّأها بني إسرائيل وقسمها بينهم، فأحلَّ قسماً منهم ببعلبك ونواحيها، وهم سِبْط سيدنا إلياس.

كانوا في البداية يعملون بالتوراة ويُطَبِّقونها علىٰ أنفسهم، وكانوا علىٰ أحسن حال. ثم مع الأيام ومع الزمان تركوها، وحرّفوها وبدّلوها، وعبدوا الأصنام والحجارة من دون الله تعالىٰ، ووقعوا في سخطه.

وكان علىٰ بني إسرائيل يومئذ مَلِك يقال له: آجاب، وقد أضلّ قومه وأجبرهم علىٰ عبادة الحجارة والأصنام من دون الله سبحانه، حيث الناس علىٰ دين ملوكهم.

فعبدوا هذه الأصنام فترة، ثم صنعوا صنماً كبيراً وسَمَّوْه بعلاً. كان بطول عشرين ذراعاً، وكانت له أربعة وجوه.

وكان لهذا الملك الطاغية امرأة فاسقة مِن أفسق خَلْق الله، وكانت ماجنة جداً. كانت اختصاصية بقتل الأنبياء، كلما سمعت بنبي أرسلت إليه واحتالت عليه وقتلته، فقتلت مِن فوق الثلاثمائة نبي.

وقد اختُلف في اسمها فقيل: إربيل، وقيل: إزبل، وقيل: أرايل.

وكان زوجها آجاب يخافها كثيراً ويطيعها، وإذا غاب في غزو يستخلفها مكانه علىٰ الرعية، فتبرز للناس كما يبرز، وتركب كما يركب، وتجلس في مجلس القضاء تقضي بين الناس. وكانت في سفهها غير محصنة، كلما رأت إنساناً مناسباً تجلس معه، فلم يكن علىٰ وجه الأرض أفحش منها منطقاً وفعلاً.

وقد تزوّجت قبل آجاب سبعة ملوك من بني إسرائيل، واحتالت عليهم وقتلتهم كلهم.

وقد عمّرت كثيراً، وولدت سبعين ولداً.

وكان لهذه المرأة الماجنة كاتب، كان مؤمناً حكيماً يكتم إيمانه، وقد خلّص من يدها ثلاثمائة نبي.

فأفسدت وأفسد أهل بعلبك وطغوا كثيراً، فأرسل الله لهم نبيه إلياس بدعوى الحق،

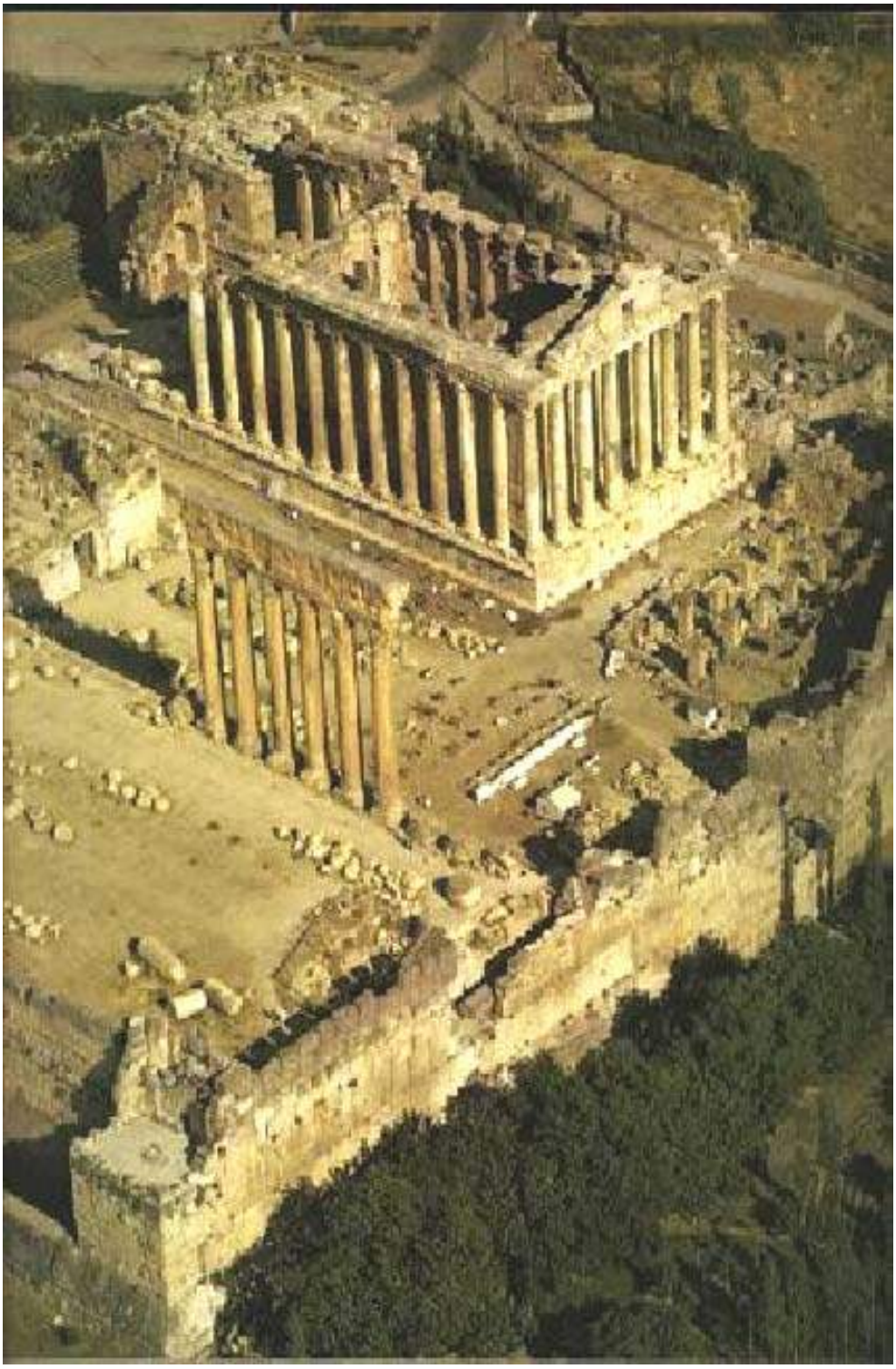
يُبَلِّغُهم الدعوة، ويأمرهم بالمعروف، وينهاهم عن المنكر كغيره من الأنبياء.

فجعل سيدنا إلياس يدعوهم إلىٰ عبادة الله تعالىٰ، وهم في ذلك لا يلتفتون إليه ولا يسمعون منه، إلاّ ما كان هناك مِن أمر الملك الذي كان ببعلبك فإنه صدّقه وآمن به، وكان إلياس يقوّم أمره بعد ذلك، ويسدّده ويرشده.

وإليك أخي القارئ بعض الصور لبقايا مدينة بعلبك الأثرية:



















بقايا لقصر آجاب الملك

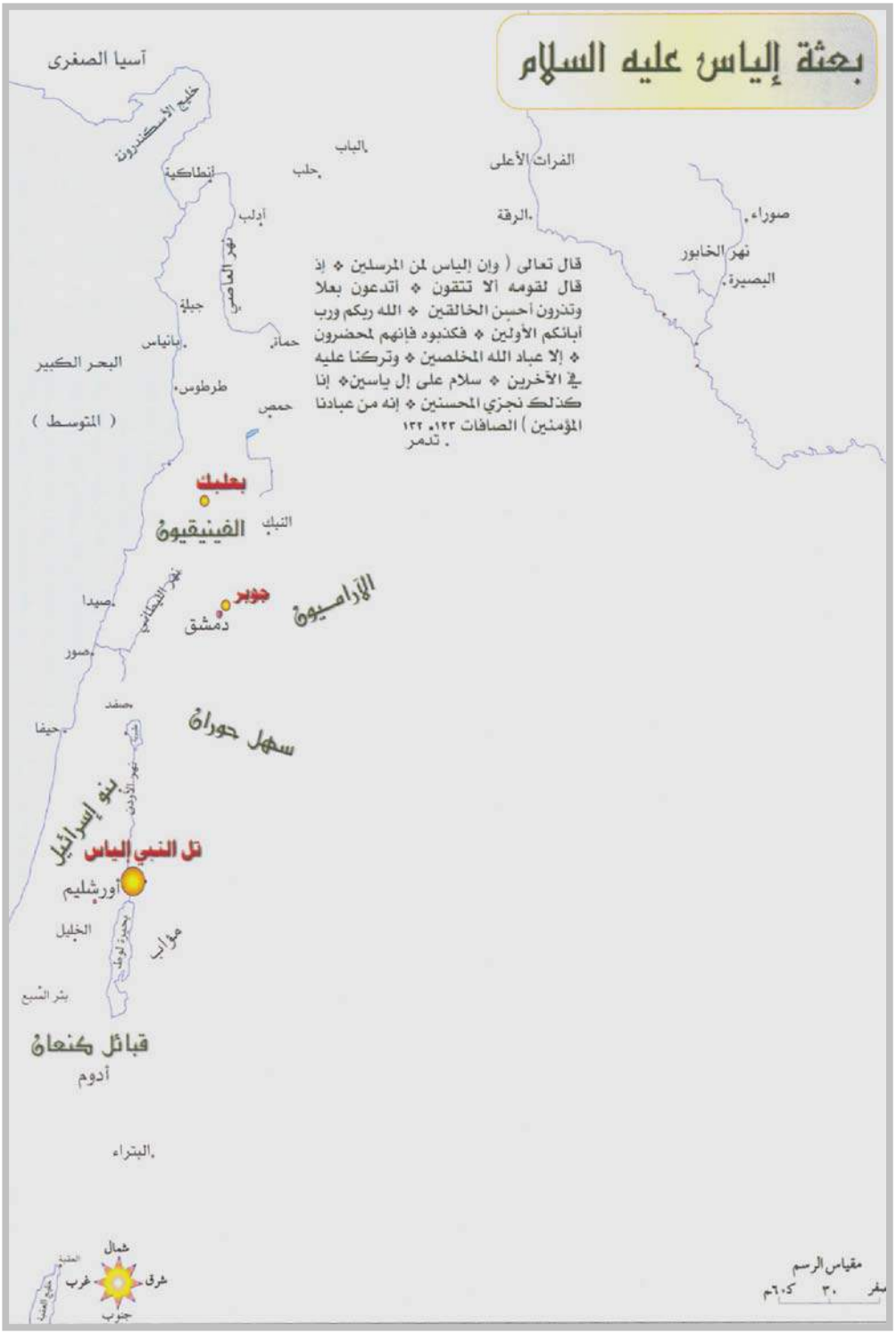








بقايا لأحد قصور بعلبك


بعثة إلياس عليه السلام
آسيا الصغرى
خليج الإسكندرون
أنطاكية
الباب
حلب
الفرات الأعلى
الرقة
صوراء
نهر الخابور
البصيرة
أدلب
نهر العاصي
جبلة
بانياس
حماة
البحر الكبير
طرطوس
حمص
(المتوسط)
قال تعالى (وإن إلياس لمن المرسلين ❖ إذ قال لقومه ألا تتقون ❖ أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين ❖ الله ربكم ورب آبائكم الأولين ❖ فكذبوه فإنهم لمحضرون ❖ إلا عباد الله المخلصين ❖ وتركنا عليه في الآخرين ❖ سلام على إل ياسين❖ إنا كذلك نجزي المحسنين ❖ إنه من عبادنا المؤمنين) الصافات ١٢٣، ١٣٢
تدمر
بعلبك
الفينيقيون
النبك
جوبر
الآراميون
دمشق
نهر اليرموك
صيدا
صور
حيفا
حسفد
سهل حوران
نهر الأردن
بنو إسرائيل
تل النبي إلياس
أورشليم
الخليل
بحيرة لوط
مؤاب
بئر السبع
قبائل كنعان
أدوم
البتراء
شمال
غرب
شرق
جنوب
مقياس الرسم
صفر ٣٠ كم٦٠

۞ خبر جُنَيْنة مُزْدَكىٰ العبد الصالح وفرار سيدنا إلياس عليه السلام:

قال الثعلبي: كان بجانب قصر آجاب حديقة جميلة غنّاءة لعبد صالح من بني إسرائيل يُدعىٰ مُزْدَكىٰ، كان يعتني بها كثيراً، ويُكْثر من إصلاحها مع ذِكْره وعبادته لله عز وجل، وكان آجاب يجلس ويأكل فيها.

فحسدت إربيلُ هذا العبدَ الصالح، وأرادت أن تحتال لقتله، فتركت زوجها حتىٰ سافر في غزاة، وأَتَتْ بعدد كبير من المنافقين وقالت لهم: اشهدوا أمامي بأن هذا الرجل صاحب الحديقة قد سبّ الملك آجاب، وكانت القاعدة عندهم أن الذي يسب الملك يُقتل.

فأحضرتْ هذا العبد الصالح وقالت له: يقولون أنك تَسُبُّ الملك؟ فقال: لا، قالت: بلىٰ، وهناك شهود. فأحضرت شهود الزور فشهدوا بذلك، فأمرت بقتله حالاً قبل أن يأتي زوجها؛ لتأخذ الحديقة. فقتلته ولم تُعْطِ الحديقة لورثته، فجاء زوجها وقال لها: هذا عبد صالح وما آذانا. فقالت: بل سبّك ونحن قتلناه، وانتقمنا منه لأنه كان يعاديك.

فأوحىٰ الله تبارك وتعالىٰ إلىٰ إلياس عليه السلام بأنْ أَخْبِرْ آجاب بأنَّ الله سيُهلكه وزوجته في هذه الجُنينة. فذهب إلياس وبلّغه ذلك، فاشتد غضبه عليه ثم قال: يا إلياس، واللهِ ما أرى ما تدعونا إليه إلاّ باطلاً. فقال إلياس: دعوتُكم إلىٰ الله وبلّغتكم رسالته، وأمرتكم بالمعروف، ولا زلت أخبركم عن الله ما يأمرني به، وأنتم ظلمتم هذا العبد الصالح وأخذتم حديقته، وعَبَدْتُم الأصنام من دون الله تعالىٰ، فاتقوا الله وتوبوا إليه.

فهمّ الملك بتعذيبه وحَبْسه وقتله، ولكن إلياس وبأمر من الله عز وجل فرّ إلىٰ الجبال، فارتقىٰ يومها أصعب جبل وأشمخه[1]، فدخل مغارة فيه[2].

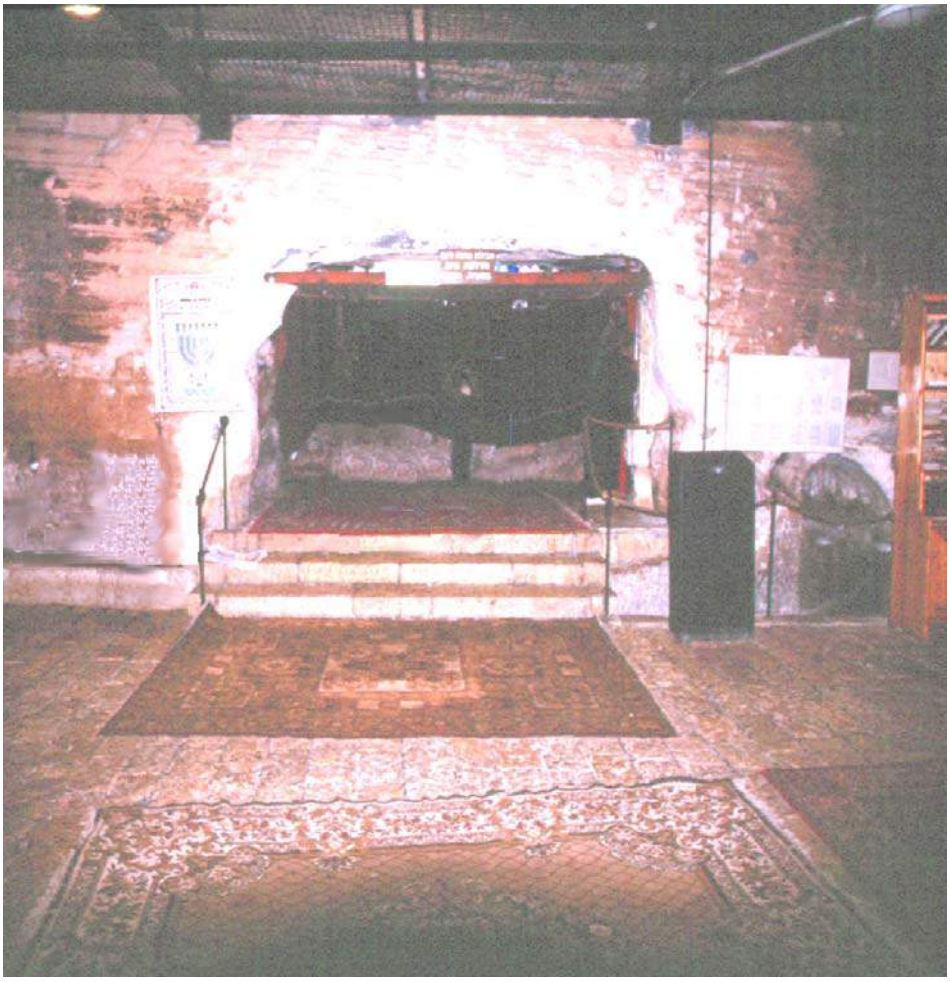
فيقال: إنه بقي فيه سبع سنين شريداً، طريداً، خائفاً، يأوي الشعاب والكهوف،

---

(١) وهو من سلسلة جبال صنين، التي هي أعلىٰ جبال المنطقة حيث يُرى الثلج عليه في الصيف. وقيل: إن اختفاء إلياس عليه السلام كان في جبل الكارمل، وفيه مغارة معروفة بمغارة إلياس، والله أعلم بالصواب.

(٢) ويقال: إن الجبل انشق ودخل إلياس إلىٰ داخله، ثم أُطْبِقَ عليه.

ويأكل من نبات الأرض وثمار الشجر، وهُم في طلبه قد وضعوا عليه العيون يَتَوَكَّفون أخباره[١]، ويجتهدون في أَخْذِه، والله تعالىٰ يستره ويدافع عنه.



مغارة إلياس المعروفة في جبل الكرمل، والتي يعتقد أن سيدنا إلياس اختفىٰ فيها

(١) أي ينتظرون أخباره ويسألون عنها.

ظهور سيدنا إلياس عليه السلام ومَكْر آجاب:

قال الثعلبي: فلما تمّت له سبع سنين، أَذِنَ الله تعالىٰ في إظهاره عليهم؛ وشفىٰ غيظه منهم. فأمرض الله تعالىٰ ابناً لآجاب الملك، وكان أَحَبَّ ولده إليه وأعزّهم عليه، وأشبههم به، فأَدْنَفَ[1] حتىٰ يُئِسَ منه. فدعا آجابُ صنمه بعلاً، وكانوا قد فُتِنوا به وعظّموه حتىٰ جعلوا له أربعمائة سادن، وكّلوهم به وجعلوهم أنبياءه. وكان الشيطان يوسوس إليهم بشريعة من الضلالة، فيُبَيِّنونها للناس، فيعملون بها ويسمونهم الأنبياء.

فلما اشتدّ مرض ابن الملك، طلب إليهم أن يشفعوا إلىٰ بعل ويطلبوا لابنه مِن قِبَله الشفاء والعافية. فدَعَوْه فلم يُجِبْهم، ومنع الله تعالىٰ بقدرته الشيطانَ عن صنمهم، فلم يُمَكِّنْه الولوج في جوفه، وهم مجتهدون في التضرع إليه، وهو لا يزداد مع ذلك إلاّ جموداً.

فلما طال عليهم ذلك قالوا لآجاب: إن في ناحية الشام آلهة أخرى، وهي في العِظَم مِثْل إلهك، فابعث إليها أنبياءك فليشفعوا لك إليها، فلعلّها أن تشفع لك إلىٰ إلهك بعل، فإنه غضب عليك، ولولا غضبه عليك لقد كان أجابك وشفىٰ لك ابنك. فقال آجاب: ومِنْ أَجْل ماذا غضب عليّ وأنا أُطيعه وأطلب رضاه منذ كنتُ لم أُسْخِطْه ساعة قط؟ قالوا: مِنْ أجل أنك لم تقتل إلياس، وفرّطتَ فيه حتىٰ نجا سليماً وهو كافر بإلهك يعبد غيره، فذلك الذي أغضبه عليك. قال آجاب: وكيف لي أن أقتل إلياس يومي هذا وأنا مشغول عن طلبه بوجع ابني، وليس لإلياس مَطْلب، ولا يُعرف له موضع فيُقصد؟ فلو عُوفي ابني لَتفرّغتُ لطلبه، ولم يكن لي هَمٌّ ولا شُغْل غيره حتىٰ آخذه فأقتله، فأُريح إلهي منه وأُرْضيه.

ثم اندفعتْ أنبياؤه الأربعمائة ليشفعوا إلىٰ الأرباب التي بالشام، ويسألوها أن تشفع إلىٰ صنم الملك ليشفي ابنه.

فانطلقوا حتىٰ إذا كانوا بحِيال الجبل الذي فيه إلياس، أوحىٰ الله عز وجل إلىٰ إلياس أن يهبط

---

(١) أَدْنَفَ المريض أي ثقل ودنا من الموت.

من الجبل ويُعارِضَهم، ويَسْتَوْقِفَهم ويُكَلِّمَهم، وقال له سبحانه: لا تَخَفْ، فإني سأصرف عنك شرهم، وأُلقي الرعب في قلوبهم.

فنزل إلياس من الجبل، فلما لقيهم استوقفهم وقال لهم: إن اللهﷻ أرسلني إليكم وإلىٰ مَن وراءكم، فاستمِعوا أيها القوم رسالة ربكم لِتُبَلِّغوها صاحبكم، ارجعوا إليه وقولوا له: إن اللهﷻ يقول لك: ألستَ تعلم يا آجاب أني أنا الله لا إله إلاّ أنا، إله بني إسرائيل الذي خلقهم ورزقهم وأحياهم وأماتهم، أَجَهْلُك وقِلّة عِلْمك حَمَلَك علىٰ أن تشرك بي، وتطلب الشفاء لابنك من غيري؟ تطلب الشفاء من أصنام لا يملكون لأنفسهم شيئاً إلاّ ما شئتُ؟ إني حلفت باسمي لأَغِيظَنَّك في ابنك، ولأُمِيتَنَّه في فوره هذا حتىٰ تَعْلَمَنَّ أنَّ أحداً لا يملك له شيئاً دوني.

فرجعوا وقد مُلئوا منه رعباً، فلما صاروا إلىٰ الملك أخبروه بأن إلياس قد انحطّ عليهم، ووصفوه بأنه رجل نحيف طويل، قد قَشِفَ وقَحِلَ[1]، وتمعّط شعره[2]، وتقشّر جلده، عليه جُبّة من شعر، وعباءة قد خلّلها علىٰ صدره بخِلال. فقال الملك: ما الذي منعكم أن تبطشوا به حين لقيتموه؟ قالوا: لَمّا صار معنا قُذِفَتْ في قلوبنا الهيبة والرعب منه، وانقطعت ألسنتنا ونحن في هذا العدد الكثير وهو واحد، فلم نقدر أن نكلمه أو أن نراجعه أبداً، حتىٰ لم نستطع أن ننظر إليه كثيراً من كثرة هيبته. فسمع الملك ما قالوا ثم قال: لا ننتفع بالحياة ما دام إلياس حياً، ولا بد لنا من أن نمكر به.

فأحضر آجاب خمسين رجلاً من الشداد ذوي البأس والقوة من قومه، وعَهِدَ إليهم عَهْده، وأمرهم بالاحتيال عليه والاغتيال به، وأن يُطمّعوه في أنهم ومَن وراءهم قد آمنوا به.

فانطلقوا حتىٰ ارتفعوا ذلك الجبل الذي فيه إلياس، ثم تفرّقوا يميناً وشمالاً وهم ينادونه بأعلىٰ أصواتهم: يا نبي الله، ابرز لنا وأنت آمِنٌ علىٰ نفسك، فإنا قد آمَنّا بك وصدّقناك، وملّكناك علينا، ومَلِكُنا آجاب آمن بك كذلك، وجميع بني إسرائيل يقرئونك

---

(١) من باب عَلِمَ أي يبس، ومنه تَقَحَّلَ الشيخ إذا يبس جلده علىٰ عظمه من البؤس والكِبَر.

(٢) تمعّط الشعر أي تمرّط وسقط من داء يَعْرِضُ له.

السلام ويقولون لك: قد بلّغتَنا رسالة ربك، وعرفنا ما قلتَ وآمنا بك، وأجبناك إلىٰ دعوتك، فهلمّ إلينا أنت نبينا وأنت رسول ربنا، فَأَقِمْ بين أظهرنا واحكم بيننا، فإننا ننقاد إلىٰ ما أمرتَنا، وننتهي عما نهيتَنا، وليس يسعك أن تتخلّف عنا مع إيماننا وطاعتنا.

وكل هذا كان منهم مماكرة وخديعة.

فلما سمع إلياس مقالتهم وقعتْ بقلبه وخاف الله تعالىٰ، وأشفق من سُخْطه إنْ هو لم يَظهر لهم ولم يُجِبْهم بعد الذي سمعه منهم. فلما أجمع أن يبرز لهم رجع إلىٰ نفسه وقال: لو أني دعوتُ الله ﷻ وسألته أن يُعْلِمَني ما في أنفسهم، وأن يُطْلِعَني علىٰ حقيقة أمرهم. فرفع يديه ودعا بصدق فقال: اللهم إنْ كانوا صادقين فيما يقولون فائذن لي في البروز إليهم، وإنْ كانوا كاذبين فَاكْفِنِيهم، وارْمِهم بنار تحرقهم من عندك يا رب العالمين. فما استتمّ إلياس قوله حتىٰ حُصِبوا بالنار من السماء، فاحترقوا بأجمعهم.

فأُخْبِرَ آجاب بذلك، فأحضر خمسين أُخَر وقال لهم: البسوا ثياب العباد واذهبوا إلىٰ إلياس، وقولوا له: إن الجماعة الأولىٰ كانت خادعة ولو علمناها لقتلناها، ولكنا نحن آمنا بك ونحن صادقون معك.

فذهبوا إلىٰ الجبل وصرخوا قائلين: يا إلياس، نحن آمنا بك وبربك، وأتيناك طائعين ممتثلين الأوامر، فابرز إلينا. فرفع إلياس يديه ودعا بنفس الدعوة السابقة، فأرسل الله إليهم كذلك شهباً من السماء فأحرقتهم.

فَعَلِمَ آجاب بذلك فقال: لا بد لنا من مكر، فأحضر كاتبه المؤمن وكأنه كان يعلم بإيمانه سراً، وقال له: اذهب إلىٰ إلياس وأخبره بأنا آمنا به. وبعث معه خمسين رجلاً، وقال لهم: إنّا أَشْعَرْنا الكاتبَ بأنا آمنّا بإلياس، فإذا نزل إلياس فأوثقوه وأحضروه إليّ.

فسار الكاتب وسار معه الخمسون وانطلقوا إلىٰ الجبل، فلما وصلوا نادى الكاتب بأعلىٰ صوته: يا إلياس، أنا فلان قد أتيتُ. فعرف إلياس صوته وتاقت نفسه إليه، فقد كان مشتاقاً للقائه، فأوحىٰ الله تعالىٰ إليه: أنِ ابرز إلىٰ أخيك الصالح، فَالْقَه وجَدِّد العهد به.

فبرز إليه إلياس وسلّم عليه وصافحه، وقال له: ما الخبر؟ فقال: إنه قد بعثني إليك

هذا الجبار الطاغية وقومه، وإن الملك قد أمر رعيته بأن يعبدوا الله، فنبذوا الأصنام وتركوها إليك أنت لتحرقها، ولا أدري إنْ كان مخادعاً أم صادقاً. ثم قال: وإني خائف إن رجعت إليه ولستَ معي أن يقتلني، فَمُرْني بما شئتَ أن أفعله وأن أنتهي إليه، إن شئتَ انقطعتُ إليك وكنتُ معك في هذا المكان وتركته، وإن شئتَ جاهدته معك، وإن شئتَ فأرسلني إليه بما تحب، وإن شئت دعوتَ ربك أن يجعل لنا مِن أمرنا فرجاً ومخرجاً. فأوحىٰ اللهﷻ إلىٰ إلياس: إن كل شيء جاءوك به مكر وخديعة لِيَظْفَروا بك، وإنّ آجاب هذا إنْ أَخْبَرَتْهُ رُسُلُه بأنك لقيتَ هذا الرجل ولم يَأْتِ بك إليه اتّهمه وعرف بأنه داهن في أمرك، فلم يَأْمَنْ أن يقتله، فانطلِق معه فإنَّ في انطلاقك معه عُذْره وبراءته عند آجاب، وإني سأُشْغِلُ عنك آجاب فلا تخف، وإني سأضاعف علىٰ ابنه البلاء حتىٰ لا يكون له هَمٌّ سوى ولده، وإني سأميت ولده علىٰ شر حالة، فإذا مات فارجع عنه.

فانطلق معهم إلياس، وعندما قدموا إلىٰ الملك شدّد الله تعالىٰ علىٰ ابنه المرض وأخذه الموت، فاشتغل آجاب بولده، ورجع إلياس عليه السلام سالماً إلىٰ مكانه في الجبال، وصار عذراً للكاتب.

فلما فرغ آجاب من ابنه وقلَّ جزعه، انتبه لإلياس وسأل عنه، فقال الكاتب: ليس لي به عِلْمٌ، وذلك أنه شغلني عنه موت ابنك والجزع عليه، ولم أَكُنْ أحسبك إلاّ قد اسْتَوْثَقْتَ منه. فَأَضْرَبَ عنه آجاب وتركه؛ لِما كان فيه من الحزن علىٰ ابنه.

۞ ذِكْرُ دعاء إلياس علىٰ قومه وما حلّ بهم من القحط:

قال الثعلبي: فلما طال عصيان قومه، ضاق إلياس بذلك ذرعاً وأَجْهَدَهُ البلاء، فأوحىٰ الله تعالىٰ إليه بعد سبع سنين وهو خائف مجهود: يا إلياس، ما هذا الحزن والجزع الذي أنت فيه؟ ألستَ أَمِيني علىٰ وَحْيي، وحُجّتي في أرضي، وصفوتي مِن خَلْقي؟ فَسَلْنِي أُعْطِكَ، فإني ذو الرحمة الواسعة، وذو الفضل العظيم. فقال إلياس: تُمِيتُني يا رب فتلحقني بآبائي، فإني قد مَلَلْتُ بني إسرائيل ومَلُّوني، وأبغضتُهم فيك وأبغضوني. فأوحىٰ الله تعالىٰ إليه: يا إلياس، ما هذا باليوم الذي أُعْري منك الأرض وأهلَها، وإنما قِوامها وإصلاحها بك وبأشباهك يا إلياس إنْ كنتم صبرتم قليلاً، ولكنْ تَسْأَلُني فأُعْطيك. قال إلياس: فإنْ لم تُمِتْني

يا إلهي فأعطني ثأري من بني إسرائيل، قال تعالىٰ: فأيّ شيء تريد أن أعطيك يا إلياس؟ قال: تُمَكِّنُني من خزائن الأرض سبع سنين، فلا تُنْشِئُ عليهم سحابة إلاّ بدعوتي، ولا تمطر عليهم سبع سنين قطرة إلاّ بشفاعتي، فإنهم لا يذلّهم إلاّ ذلك. قال الله تعالىٰ: يا إلياس، أنا أرحم بِخَلْقي من ذلك وإنْ كانوا ظالمين. قال: يا رب، أطلب منك ست سنين. قال تعالىٰ: أنا أرحم بخلقي من ذلك وإن كانوا ظالمين، قال: فأنا أطلب خمس سنين، قال تعالىٰ: أنا أرحم بخلقي من ذلك وإن كانوا ظالمين، ولكني أعطيك ثلاث سنين أجعل خزائن الأرض بيدك، فلا تنشأ عليهم سحابة إلاّ بدعوتك، ولا تنزل عليهم قطرة إلاّ بشفاعتك. قال إلياس: فبأيّ شيء أعيش؟ قال: أُسَخِّرُ جيشاً من الطير تنقل إليك طعامك وشرابك من الريف والأرض التي لم تَقْحَطْ. قال إلياس: قد رضيتُ.

فأمسك الله عزّ وجلّ عنهم المطر حتىٰ هلكت الماشية، والدواب، والهوام، والشجر، وجُهِدَ الناس جَهْداً شديداً، وإلياس علىٰ حالته مُسْتَخْفٍ من قومه، يُوضَعُ له الرزق حيث كان، وقد عَرَفَه بذلك قومُه، فكانوا إذا وجدوا ريح الخبز في بيت قالوا: لقد دخل إلياس هذا البيت، وطَلَبوه، ولَقِيَ أهلُ ذلك المنزل منهم شراً.

۞ لقاء إلياس عليه السلام مع اليسع المريض ودعاؤه له بالشفاء:

قال ابن عباس رضي الله عنهما: أصاب بني إسرائيل ثلاث سنين القحطُ، فمرّ إلياس عليه السلام بعجوز فقال لها: هل عندك طعام؟ قالت: نعم، شيء مِن دقيق وزيت قليل. فجاءته بشيء من الدقيق والزيت، فدعا فيهما بالبركة ومسّهما، فبارك الله في ذلك حتىٰ ملأتْ جُرُبها دقيقاً، وملأتْ خَوابِيَها زيتاً. فلما رَأَوا ذلك عندها قالوا: مِنْ أين لكِ هذا؟ قالت: مَرَّ بي رجلٌ مِنْ حاله كذا وكذا. فوصفتْ صفته، فعرفوه وقالوا: ذلك إلياس، فطلبوه فوجدوه، فهرب منهم.

ثم آوى ليلة إلىٰ بيت امرأة من بني إسرائيل لها ابن يقال له: اليسع بن أخطوب به ضُرٌّ، فآوتْه وأخفتْ أمره، فدعا له، فعوفي من الضرّ الذي كان به، واتّبع اليسعُ إلياسَ وآمن به، وصدّقه ولَزِمه، وكان يذهب به حيث ذهب، وكان إلياس قد أَسَنّ وكَبِرَ، وكان اليسع غلاماً شاباً.

۞ رفع البلاء عن قوم إلياس بدعوته واستمرارهم علىٰ الكفر:

قال: ثم أوحىٰ الله تعالىٰ إلىٰ إلياس: إنك أهلكت كثيراً من الخَلْق مِمّن لم يَعْصِ سوى بني إسرائيل من البهائم، والدواب، والطير، والهوام، والشجر، بِحَبْسِ المطر عن بني إسرائيل. فقال: يا رب، دعني أَكُنِ الذي أدعو لهم بالفرج مِمّا هم فيه من البلاء الذي أصابهم، لعلهم أن يرجعوا ويَنْزِعوا عمّا هم عليه من عبادة غيرك.

فأجيب إلياس، وجاء إلىٰ بني إسرائيل وقال لهم: إنكم قد هلكتم جوعاً وجَهْداً، وهلكتْ بهائمُكم ودوابكم والشجر بخطاياكم، وإنكم علىٰ باطل وغرور، فإن كنتم تُحِبّون أن تعلموا ذلك فاخرجوا بأصنامكم هذه، فإن استجابتْ لكم فذلك كما تقولون، وإنْ هي لم تفعل علمتم أنكم علىٰ باطل فَنَزَعْتُم عنه، ودعوتُ اللهﷻ ففرّج عنكم ما أنتم به من البلاء. قالوا: أَنْصَفْتَ.

فخرجوا بأوثانهم فدَعَوْها فلم تستجب لهم، ولم تُفَرِّجْ عنهم ما كانوا فيه من البلاء. ثم قالوا لإلياس: يا إلياس، إن الله قد أَهْلَكَنا، فادْعُ الله لنا. فدعا اللهَ تعالىٰ ومعه اليسع بالفرج مِمّا هم فيه، وأن يُسْقَوا. فخرجتْ سحابة مِثْل التُّرْس علىٰ ظهر البحر وهم ينظرون، فأقبلتْ نحوهم وطبّقت الآفاق، ثم أرسل الله تعالىٰ عليهم المطر، فأحيىٰ بلادهم.

فلما كشف الله تعالىٰ عنهم الضر، نقضوا العهد ولم ينزعوا عن كفرهم، ولم يُقْلِعوا عن ضلالتهم، وأقاموا علىٰ أخبث ما كانوا عليه.

۞ خبر رفع سيدنا إلياس ونبوة اليسع وهلاك آجاب الملك وامرأته:

قال الثعلبي: فلما رأى إلياسعليه السلام ذلك دعا الله تعالىٰ أن يريحه منهم، فقيل له كما يزعمون: انظر يوم كذا وكذا، فاخرج فيه إلىٰ موضع كذا في البر، فما جاءك من شيء فاركبه ولا تَهَبْه.

فخرج إلياس ومعه اليسع بن أخطوب، حتىٰ إذا كانا في الموضع الذي أُمِرَ به إلياس، أقبل فرس من نار حتىٰ وقف بين يديه، فوثب عليه إلياس، فانطلق الفرس به، فناداه

اليسع: يا إلياس، ما تأمرني؟ فقذف إليه إلياس كساءه من الجو الأعلىٰ، وكان ذلك علامة استخلافه إياه علىٰ بني إسرائيل.

فكان ذلك آخر العهد به، ورفع الله ﷻ إلياس من بين أظهرهم، وقطع عنه لذة المطعم والمشرب، وكساه الريش. فكان إنسياً مَلَكياً، أرضياً سماوياً.

قال: وسلّط الله تعالىٰ علىٰ آجاب الملك وقومه عدواً لهم، فقصدهم من حيث لم يشعروا حتىٰ قتلهم شر قتلة. وقُتل يومها آجاب وزوجته في بستان مُزْدَكىٰ، فلم تزل جيفتاهما ملقاتَيْن في تلك الجنينة حتىٰ بليت لحومهما ورمّت عظامهما.

هذا ما أورده النويري في تاريخه نقلاً عن الثعلبي وابن عباس في هذا المجال.

۞ تنبيه:

وأما ما حكاه الكسائي في هذه القصة فإنه قال: كان إلياس عليه السلام علىٰ صورة موسىٰ وقوته، ونشأ أحسن نشأة، وبنو إسرائيل يقولون: هذا الذي بَشَّرَنا به العيزار أنَّ الله يهلك الملوك والجبابرة علىٰ يديه.

فلما بلغ سبع سنين وكان يحفظ التوراة قال: يا بني إسرائيل، إني أُريكم من نفسي عجباً. فصاح بهم صيحة انتشرت فيهم فأَرْعَبَتْ قلوبَهم، فلما سكنتْ روعتهم هَمُّوا بقتله، وقال بعضهم: هو ساحر. فهرب منهم وصعد إلىٰ جبل وهم يتبعونه، فلما قربوا منه فُرِجَ له الجبل، فدخل فيه وانصرف القوم، فنُمِيَ الخبر إلىٰ بعض ملوكهم فعذّبهم.

ثم انفرج الجبل وأقام إلياس به يأكل من المباحات حتىٰ استكمل أربعين سنة، والناس قد أَخَذوا في عبادة الأصنام، وخاضوا في المعاصي. فبعثه الله نبياً ورسولاً، وجاءه جبريل بالوحي، وأمره عن الله تعالىٰ أن يتوجّه إلىٰ الملوك والجبابرة الذين يعبدون الأصنام، وأن يدعوهم إلىٰ طاعة الله تعالىٰ وعبادته، وأن يرسلوا معه بني إسرائيل. وأعطاه القوة، وأَمَرَ النار والجبال والوحش بطاعته.

فانطلق إلياس إليهم وهم في سبعين قرية، كل قرية منها مدينة، في كل مدينة جبّار يَسُوسهم، وكلهم يعبدون صنماً يدعىٰ بعلاً وهو علىٰ صورة امرأة. فسار إلياس إلىٰ قرية من

قراهم وكان فيها ملك يقال له: آجاب، فوقف بالقرب من قصره وقرأ التوراة[1] بأطيب نغمة، فسمعه الملك فقال لامرأته: ألا تسمعين؟ ما أطيب هذا الصوت! فقامت المرأة وأشرفت عليه من أعلىٰ القصر، وسألته عن حاله وخبره، فأخبرها أنه رسول الله، فقالت: وما حُجّتك علىٰ دَعْواك؟ فاستدعىٰ النارَ فجاءت إليه، وشَهِدَتْ بنبوته وصَدَّقَتْه. فأخبرت المرأة زوجها بما رأت منه، فجاء إليه وآمن به هو وامرأته، وأوصاه إلياس بالصبر والجهاد.

وانصرف إلياس حتىٰ إذا كان يومُ اجتماع القوم، وقد خرجوا بزينتهم ونصبوا صنمهم بعلاً، وقف عليهم ودعاهم إلىٰ الإيمان، فقال فيمَ أخبر الله تعالىٰ به عنه: ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ [الصافات]. فقالوا له: مَن أنت؟ قال: أنسيتموني بعد أنْ كنتُ فيكم ومعكم؟ أنا إلياس. فَحَثَوْا في وجهه التراب، ورَمَوْه بالحجارة من كل جانب.

وكان ملكهم الأكبر يقال له: عاميل، فأمر بزيت فغُلِيَ في قِدْر نحاس، وقال لإلياس: إنْ رجعتَ وإلاّ طرحتُك فيه، فقال: أنا وحيد في أرضكم، فريد في جمعكم، ولكني أُرِيكم آية تدل علىٰ صدق دعواي أني رسول الله إليكم. فقال له الملك: نعم، فقال إلياس: أيتها النار اخْمُدي بإذن الله تعالىٰ، فخمدت وسكن غليان الزيت، فعجب الناس من ذلك، وقال الملك: قد أتيتَ بحُجّة، ولكنْ أمهلنا يومنا لننظر في أمرك.

ففارقهم وأتاهم من الغد ودعاهم، فجمع الملك ملوك قومه وعلماءهم وقال لهم: ما تقولون في هذا الرجل؟ فقال العلماء: إنا نرى في التوراة صفة هذا الرجل أنه يُبْعَثُ نبياً، تُسَخَّرُ له النار والأسود والجبال، وأنه لا يسمع أحد صوته إلاّ ذل وخضع له. فقال بعض علمائهم: أيها الملك، كذب هؤلاء فيما ذكروه، وهذا ساحر فلا يَهُولَنَّكَ أمره. فبسط الملك العذاب علىٰ أولئك النفر، فاشتدّ ذلك علىٰ إلياس، وخالفه الملك آجاب الذي كان قد آمن به، ففارقته زوجته ولحقت بإلياس وكانت من الصالحات.

---

(١) فبعد سيدنا موسىٰ عليه السلام كان الأنبياء يتوالون علىٰ طول الأيام والزمان علىٰ بني إسرائيل لتجديد ما نسوا وضيّعوا من أحكام التوراة، فكانوا كلهم تبعاً لسيدنا موسىٰ عليه السلام وعلىٰ ديانته.

قال الكسائي: واتّخذ إلياس عريشاً بقرب قصر الملك عاميل، فأشرفت امرأة عاميل عليه في بعض الليالي وهو يعبد الله تعالىٰ، فنظرتْ إلىٰ عمود من نور من لدن العريش إلىٰ السماء، فآمنت ولحقت به. فأمر زوجُها أن تُلْقىٰ في النار، فأُلْقِيَتْ فيها، فدعا إلياسُ اللهَ تعالىٰ لها، فلم تعمل النار فيها شيئاً، فأطلقها الملك فلحقت بإلياس.

ثم مات ولدٌ لعاميل الملك، فجزع عليه وتضرّع إلىٰ صنمه فلم يُغْنِ عنه شيئاً، فغضب وقال لإلياس: إنّ ابني قد مات وعجز إلهي عن إحيائه، فهل تقدر أن تحييه؟ فقال: هذا علىٰ ربي هَيِّن، ودعا اللهَ تعالىٰ، فقام الغلام يشهد أن لا إله إلا الله وأن إلياس عبده ورسوله، فآمن الملك وخرج عن المُلك، وتَبِعَ إلياسَ، ولبس الصوف، وعَبَدَ الله تعالىٰ حتىٰ مات، وماتت زوجته وابنه.

واستمر القوم في ضلالهم وكفرهم ما شاء الله، وإلياس يدعوهم فلا يجيبونه، فأوحىٰ الله تعالىٰ إليه: أن ادْعُهم وأَنْذِرْهم، فإنْ آمنوا وإلاّ حَبَسْتُ عنهم الغيث وابتليتُهم بالقحط. فدعاهم فقالوا: إنّا لا نؤمن بك ولا بربك، فاصنع ما أنت صانع.

فحبس اللهﷻ عنهم المطر، وغارت العيون، وجفّت الأشجار، فأكلوا ما عندهم حتىٰ نفذ، ثم أكلوا المواشي حتىٰ أكلوا الكلاب والسنانير والفئران، وبلغ بهم الجوع حتىٰ كانوا يأكلون مَنْ مات منهم، وإلياس بينهم وهم لا يرونه، ويدعونه وهو لا يجيبهم. وكان الله تعالىٰ قد جعل أَمْرَ أرزاقهم إليه، فأوحىٰ الله إليه: إن السماء والأرض ومَن عليها قد غضبت علىٰ هؤلاء، وقد هلك كثير مِنْ خَلْقي بسببهم، وكُلٌّ يَدْعوك ولا ترحمهم، فَأَنْصِفْ خَلْقي إلياسُ، فإني أُعْصىٰ وأَرْزُقُ، وأُكْفَرُ فأَحْلُم. ففزع إلياس وقال: يا رب، ما غضبتُ إلاّ لك وأنت أعلم بمصالح عبادك. فأوحىٰ الله إليه: أن سِرْ إليهم وادْعُهم، فإنْ آمَنوا وإلاّ كنتُ أَرْأَفَ بهم منك.

قال الكسائي رحمه الله: فانطلق إلياس حتىٰ صار إلىٰ أول قرية مِن قرى مدينتهم، فمرّ بعجوز فقال لها: هل عندك طعام؟ فقالت: وحق إله بعل ما ذقت الخبز منذ مدة، قال: فهلاّ تؤمنين باللهﷻ قالت: إن ابني اليسع علىٰ دين إلياس، ولا أراه ينتفع به وقد أشرف علىٰ الموت من الجوع. فقال إلياس: يا اليسع، أتحب أن تأكل الخبز؟ فصاح: كيف لي بالخبز؟

ومات، فبكت العجوز ولطمت، فقال لها: إنْ أحياه الله وجاءك بما تأكلين أتؤمنين بالله عز وجل قالت: نعم. فدعا الله تعالىٰ، فقام اليسع وهو يشهد أن لا إله إلا الله وأن إلياس رسول الله، ورزقهم الله تعالىٰ خبزاً ولبناً، فأكلوا وآمنت العجوز، وخرجت تنذر قومها، فخنقوها فماتت، فاغتمّ اليسع لذلك، فقال له إلياس: إن الله سيحييها ويجعلها آية لقومها.

وخرج إلياس إلىٰ قومه وقد اجتمعوا عليها يريدون أكلها، فصاح بهم، فتفرقوا عنها وقالوا: إنك أنت إلياس حقاً. فدعا اللهَ تعالىٰ فأحياها، فأقبل القوم عليه وقالوا: ألا ترى ما نحن فيه منذ سبع سنين؟ قال: فهلاّ دعوتم صنمكم بعلاً ليكشف عنكم؟ قالوا: قد دعوناه فلم يُغْنِ شيئاً، قال: فإنْ أغاثكم الله تعالىٰ أتؤمنون؟ قالوا: نعم. فسأل اللهَ تعالىٰ فأمطرهم، وجرت أنهارهم، وأَنْبَتَتْ أرضُهم، وأحيىٰ الله مَن مات منهم من الجوع، فازدادوا كفراً وعتواً.

فحذرهم إلياس وأنذرهم، وذكّرهم بنعمة الله عليهم، فقالوا: إن القحط قد ارتفع عنا وهيهات أن يعود أبداً، وإن عاد فلا نبالي، قد جمعنا في منازلنا ما يكفينا زمناً طويلاً. فدعا اللهَ تعالىٰ عليهم واعتزلهم، وقال: إلهي قد بلغت الرسالة، وقد اقترب أجلهم وعذابهم. ثم قال: اللهم فأخرجني من بينهم، ثم أَنْزِلْ عليهم عذاباً. فأوحىٰ الله إليه: أنْ يا إلياس، إنك قد أَدَّيْتَ الرسالة، وفعلتَ ما أُمِرْتَ به، فاسْتَخْلِفِ الآن موضعك اليسع بن أخطوب، فإني قد جعلته لك خليفة علىٰ بني إسرائيل المؤمنين.

وخرج إلياس عن ديار قومه في يوم جمعة، فإذا هو بفرس يلتهب نوراً وله أجنحة ملونة، فناداه: أقبل يا نبي الله، فاستوى علىٰ ظهره، وجاءه جبريل فقال: يا إلياس، طِرْ مع الملائكة حيث شئتَ، فقد كساك الله الريش، وقطع عنك لذة المطعم والمشرب، وجعلك آدمياً مَلَكياً، سماوياً أرضياً. ونشر الفرسُ أجنحته، فهو يطير مع الملائكة.

قال الكسائي: ثم أرسل الله عز وجل العذاب علىٰ قومه، فأحدقت بهم سحابة من جهنم، واعتزلهم المؤمنون فأحدقت السحابة بالكفرة، فأمطرت عليهم حجارة من العذاب، قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ﴾ [الفرقان ٤٠]. ثم انكشفت عن ديارهم وقد صاروا حُمَماً سوداً، قال الله تعالىٰ: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾﴾ [الصافات].

قال الكسائي: وأقام اليسع مع بني إسرائيل حتىٰ قبضه الله تعالىٰ.

۞ روايات تثبت وجود سيدنا إلياس عليه السلام:

روى بعضهم بسند رفعه إلىٰ داود بن عون الطفاوي عن رجل كان مرابطاً في بيت المقدس وبعسقلان قال: بينا أنا أسير في وادي الأردن، إذا أنا برجل في ناحية الوادي قائم يصلي، فإذا سحابة تُظِلُّه من الشمس، فوقع في قلبي أنه إلياس النبي، فأتيته فسلمتُ عليه، فانفتل من صلاته فردّ عليّ السلام، فقلت له: مَنْ أنت يرحمك الله؟ فلم يَرُدَّ عليّ شيئاً، فأعدت عليه القول مرتين فقال: أنا إلياس النبي. فأخذتني رعدة شديدة خشيت علىٰ عقلي أن يذهب، فقلت له: إنْ رأيتَ يرحمك الله أن تدعو لي أن يُذهب الله عني ما أجد حتىٰ أفهم حديثك. قال: فدعا لي بثمانِ دعوات فقال: يا بَرُّ، يا رحيم، يا حي، يا قيوم، يا حنّان، يا منّان، يا هياشر، اهيا - وهاتان بالسرياني -. فذهب عني ما كنت أجد، فقلت له: إلىٰ مَن بُعِثْتَ؟ قال: إلىٰ أهل بعلبك. قلت: فهل يوحىٰ إليك اليوم؟ فقال: أما بَعْدَ بَعْثِ محمد خاتم النبيين فلا. قلت: فكم من الأنبياء في الحياة؟ قال: أربعة: أنا والخضر في الأرض، وإدريس وعيسىٰ في السماء. قلت: فهل تلتقي أنت والخضر؟ قال: نعم، في كل عام بعرفات. قلت: فما حديثكما؟ قال: يأخذ مِن شِعْري وآخذ من شِعْره. قلت: فكم الأبدال؟ قال: هم ستون رجلاً: خمسون ما بين عريش مصر إلىٰ شاطئ الفرات، ورجلان بالمَصِّيصة، ورجل بأنطاكية، وسبعة في سائر الأمصار، بهم تُسْقَوْن الغيثَ، وبهم تُنْصرون علىٰ العدو، وبهم يقيم الله أمر الدنيا حتىٰ إذا أراد أن يُهلك الدنيا أماتهم جميعاً[1].

---

(١) ذكره ابن حجر في الإصابة، وقال: في إسناده جهالة ومتروكون. وقد أخرج الدارقطني في الإفراد عن ابن عباس مرفوعاً: يلتقي الخضر وإلياس في كل عام في الموسم، فيحلق كل واحد منهما رأس صاحبه، ويتفرقان عن هؤلاء الكلمات: (باسم الله ما شاء الله لا يسوق الخير إلاّ الله، باسم الله ما شاء الله لا حول ولا قوة إلاّ بالله، باسم الله ما شاء الله لا يصرف السوء إلاّ الله، باسم الله ما شاء الله ما كان من نعمة فمن الله). قال ابن حجر: في إسناده ضعف. وروى ابن عساكر عن أبي داود نحوه وهو معضل، ورواه أحمد في الزهد وزاد أنهما يصومان رمضان ببيت المقدس، وروى الطبراني كذلك بنحوه.

وذكر القرطبي في تفسيره من طريق مكحول عن أنس بن مالك ﷺ قال: غزونا مع رسول الله ﷺ، حتىٰ إذا كنا بفج الناقة عند الحِجْر، إذا نحن بصوت يقول: اللهم اجعلني مِنْ أمة محمد المرحومة المغفور لها، المُتُوب عليها، المستجاب لها. فقال رسول الله ﷺ: يا أنس، انظر ما هذا الصوت؟ فدخلتُ الجبل، فإذا برجل أبيض اللحية والرأس، عليه ثياب بيض، طوله أكثر من ثلاثمائة ذراع. فلما نظر إليّ قال: أنت رسول النبي؟ قلت: نعم، قال: ارجع فَأَقْرِئْه مني السلام وقل له: هذا أخوك إلياس يريد لقاءك. فجاء النبيُّ ﷺ وأنا معه، حتىٰ إذا كنا قريباً منه تقدّم النبي ﷺ وتأخّرتُ، فتحدّثا طويلاً. فنزل عليهما شيء من السماء شِبْهُ السفرة، فَدَعَواني فأكلتُ معهما، فإذا فيها كمأة ورمان وكرفس. فلما أكلت قمت فتَنَحَّيْتُ، وجاءت سحابة فاحْتَمَلَتْهُ، فإذا أنا أنظر إلىٰ بياض ثيابه فيها تهوي به، فقلت للنبي ﷺ: بأبي أنت وأمي، هذا الطعام الذي أَكَلْنا أَمِنَ السماء نزل عليه؟ فقال النبي ﷺ: سألته عنه فقال: يأتيني به جبريل في كل أربعين يوماً أكلة، وفي كل حول شربة من ماء زمزم، وربما رأيتُه علىٰ الجب يملأ بالدلو فيشرب، وربما سقاني[1].

(١) حديث ضعيف رواه ابن أبي الدنيا لكنه يُتقوّى بوروده من عدة طرق بألفاظ مختلفة، ومنها ما أخرجه الحاكم في المستدرك عن الأوزاعي عن مكحول عن أنس بن مالك ﷺ قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فنزلنا منزلاً، فإذا رجل في الوادي يقول: اللهم اجعلني من أمة محمد المرحومة المغفورة المُثاب لها. قال: فأشرفت علىٰ الوادي فإذا رجل طوله أكثر من ثلاثمائة ذراع، فقال لي: مَنْ أنت ؟ قلت: أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ. قال: أين هو ؟ قلت: هو ذا يسمع كلامك، قال: فائته وأقرئه مني السلام، وقل له: أخوك إلياس يقرئك السلام. فأتيت النبي ﷺ فأخبرته، فجاء حتىٰ لقيه فعانقه وسلّم عليه، ثم قعدا يتحدثان فقال له: يا رسول الله، إني إنما آكل في كل سنة يوماً، وهذا يوم فطري فآكل أنا وأنت. فنزلتْ عليهما مائدة من السماء عليها خبز وحوت وكرفس، فأكلا وأطعماني، وصلّينا العصر ثم وَدَّعْتُه، ثم رأيته مَرَّ علىٰ السحاب نحو السماء. قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وعقّب عليه ابن حجر والذهبي فقالا: هذا موضوع قبّح الله مَن وضعه، وما كنت أحسب أن الجهل يبلغ بالحاكم إلىٰ أن يصحح هذا.

سيدنا زكريا ويحيى

عليهما الصلاة والسلام

قال الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِىَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِى عَاقِرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً ۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ۗ وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٤١﴾ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [آل عمران].

وقال تبارك وتعالى: ﴿كٓهيعٓصٓ ﴿١﴾ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿٢﴾ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ﴿٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً ۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ

﴿ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً ۖ وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾﴾ [مريم].

وقال تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء].

وكذلك قال تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [الأنعام].

۞ نسب زكريا عليه السلام:

هو من بني إسرائيل من نسل سيدنا سليمان بن داود، ولكنه كان بعده بفترات طويلة.

ونسبه كما ذكره أبو إسحاق الثعلبي رحمه الله تعالى هو: زكريا بن بَرْخِيا بن آذن بن مُسلم بن صدوق بن نخشان بن داود بن سليمان بن مسلم بن صُدَيْقِية بن ناحور بن شلوم بن نَهْفاشاط بن أنبا بن لبْنا بن رَحْبَعَم بن سليمان بن داود عليهم الصلاة والسلام.

۞ مبعث زكريا عليه السلام ونبوته:

كان زكريا عليه السلام عبداً صالحاً يعمل نجاراً ويأكل من كسب يده كما كان نبي الله داود عليه السلام.

وكان عليه السلام كثير العبادة، فأكرمه الله سبحانه بعد فترة بالنبوة والرسالة، وأمره أن يبلغ ذلك لبني إسرائيل، وكان يومها بيت المقدس قد خلا من الأنبياء.

فبينا سيدنا زكريا في محراب جده داود عليه السلام وقد انفتل عن صلاته[1]، إذ هبط عليه جبريل بوحي الله تعالى ونبوته، وأعلمه أن الله تبارك وتعالى قد بعثه رسولاً إلى بني إسرائيل، فخرّ زكريا ساجداً لله تعالى على ذلك.

ثم خرج إلى بني إسرائيل ودعاهم إلى الله عز وجل، فكذّبه بعضهم وصدّقه آخرون.

فأقام في بني إسرائيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، ويعبد الله تبارك وتعالى.

---

(١) أي انصرف عنها.

۞ مولد مريم ابنة عمران وكفالة زكريا عليه السلام لها:

قال الثعلبي: كان زكريا عليه السلام قد تزوّج من امرأة اسمها أشياع، وهي أخت حنّا زوج عمران والد مريم، وكان زكريا وعمران لم يُرزقا الولد.

فبينا حنّا امرأة عمران ذات يوم جالسة إلى جانب عمران، إذ رأت حمامة تُزِقّ فرخاً لها، فبكت شوقاً منها إلى الولد، وذكرت ذلك لزوجها عمران، فقال لها: قومي ندعو الله ربنا في ذلك.

فقاما وصلّيا، ودعَوَا الله تعالى أن يرزقهما ولداً. فرأى عمران في منامه أن الله استجاب دعاءه، فقام إلى زوجته فجلس معها، فحملت منه، فقالت عند ذلك كما هو نص القرآن الكريم: ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾﴾ [آل عمران].

وكان الناس في ذلك الزمان يتقرّبون إلى الله عز وجل بتحرير أولادهم، وكانوا يخدمون بيت المقدس في صغرهم إذا بلغوا حدّ الخدمة، فمن أحبّ أن يقيم على الخدمة بعد ذلك أقام، ومن اختار الانصراف انصرف.

وكما هو معلوم من الآية الكريمة أن امرأة عمران حرّرت ما في بطنها، ونذرت بأنها ستجعله خادماً للمعبد، وأن الله تعالى تَقَبَّلَ منها ذلك. ولكن بعد أن وُلِدَتْ مريم وقعت في غَمٍّ حيث وضعتها أنثى؛ لهذا قال تعالى: ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ [آل عمران].

فبعد أن وصلت مريم إلى السن المناسبة، كان لا بد لأمها من أن تجعلها كما نذرت للمعبد.

قال الكسائي هنا: فحملت أم مريم ابنتها حتى دخلت بيت المقدس، وزكريا عليه السلام هناك في نفر من عبّاد بني إسرائيل، فقال لها: ما هذه يا حنّا؟ قالت: هذه ابنتي مريم قد جعلتها مُحَرّرة، وقد قَبِلَها الله مني، فاقْبَلوها ولا تَرُدّوها.

فأقبل بنو إسرائيل على زكريا وقالوا له: ما تقول في هذه؟ قال: لا بد لها مِن مُكْفِل

إلىٰ أن تبلغ مَبْلَغ الخدمة ؛ لتكون خادمة في المسجد. فقالوا: أيّنا يَكْفلها؟ فقال: أنا أَوْلىٰ بها لأني زوج خالتها، ولكنا نقترع.

فأخذوا أقلامهم وساروا إلىٰ عين سُلوان[1] وكانت غزيرة الماء، وقالوا: نرمي أقلامنا فيها، فأيّنا وقف قلمه فهو الذي يكفلها. فألقوها، فرسبت أقلامهم جميعاً إلاّ قلم زكريا، فإنه طفا وغالَبَ الجِرْية.

قال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [آل عمران].

فقام زكريا وأخذها، واسترضع لها بعضَ نساء بني إسرائيل، ثم مات والدها عمران.

۞ البشارة بميلاد يحيىٰ بن زكريا عليه السلام:

لقد بنىٰ سيدنا زكريا لمريم بيتاً لا يُصعد إليه إلاّ بسلم، ولا يدخل عليها أحد سواه. وكان لا يَصعد إليها إلاّ وهو يحمل الطعام.

وكان بعد ذلك إذا صعد إليها وجد عندها في الصيف فاكهة الشتاء، وفي الشتاء فاكهة الصيف، فعَجِبَ من ذلك.

قال تعالىٰ: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾﴾ [آل عمران].

قال الكسائي: فلما نظر زكريا إلىٰ ما رزق الله عز وجل من الفاكهة في غير وقتها، قال: إنّ الذي رزق هذه الفاكهة لَقادر علىٰ أن يرزق من العجوز العقيم والشيخ الكبير الولدَ، وألهمه الله عز وجل الدعاء.

وكان الباعث له كذلك علىٰ هذه المسألة أنه كان نبياً ورسولاً لبني إسرائيل، أُمِرَ أن يعمل بالتوراة، وأن يأمر بني إسرائيل وينهاهم. وكان قد وصل إلىٰ سن كبير، فخاف أنْ

---

(١) هي محلة في ربض بيت المقدس، تحتها عين عذبة تسقي جناناً عظيمة، قد وقفها عثمان بن عفان علىٰ ضعفاء المدينة.

يموت دون أن يأتي في بني إسرائيل مَن يُتَمِّمُ تبليغ الدعوة، فهنا أُلهم أن يدعو.

فلما أراد أن يدعو استحيىٰ من الله تعالىٰ، فجلس سبعة أيام ثم قام إلىٰ المحراب، ووافق ذلك يوم عاشوراء. فكلّمه المحراب بإذن الله تعالىٰ وقال: يا زكريا، أوَجدتَ ربك بخيلاً؟ يا زكريا، إن ربك أبداً رحيم. فعزم علىٰ الدعاء، واجتهد في العبادة، ثم رفع يديه.

قال تعالىٰ: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾﴾ [آل عمران].

وقال تعالىٰ: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا (١) ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي (٢) وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا (٣) وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا (٤) ﴿٤﴾ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي (٥) وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا (٦) ﴿٦﴾﴾ [مريم].

فاستجاب الله تعالىٰ دعاءه، وأمر جبريل أن يَنزل عليه بالبشرى. فأتاه وأتته الملائكة، وأحدقوا بالمحراب مِن حوله.

قال عز وجل: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ

---

(١) أي أخفىٰ دعاءه عن قومه، لأنه خشي إنْ دعا جهراً أن يعترض ويهزأ به بنو إسرائيل، فهو كبير بالسن، وامرأته عاقر ما ولدت في صباها، أفَتَلِدُ بعد أنْ وصلت إلىٰ العُقْر والسن الكبير ؟! كما أن النداء الخفي أخلص وأقرب للإجابة. وقال قتادة: إن الله يعلم القلب النقي، ويسمع الصوت الخفي. وقال بعض السلف: مَنْ قام مِنَ الليل فنادى ربه مناداة أسَرَّها عمّن كان حاضراً له، فقال: يا رب، يا رب، يا رب...، قال الله: لبيك لبيك.

(٢) أي ضعف وخار.

(٣) استعارة من اشتعال النار في الحطب، أي غلب سوادَ الشعر شيبتُه.

(٤) أي لم أكن خارجاً عن الحدود، ولم أكن عاصياً بدعائي. إنما دعوتُ وإني أرجو أنك تجيب دعائي، وما عوّدتَني فيما أسألك إلاّ الإجابة.

(٥) أي خفت أن تصير الحبورية من بعدي في غير أولاد الأنبياء.

(٦) أي رَضيّاً في بني إسرائيل يرث مكاني وحبوريتي، ويرث التابوت الذي فيه أقلام المحررين، ومفاتيح القربان، كما كان آباؤه وأسلافه من ذرية يعقوب أنبياء، فاجعله مِثْلهم في الكرامة التي أكرمتَهم بها من النبوة والوحي والاعتراف بجميلك عليهم. وليس المراد هنا وراثة المال كما زعم مَنْ زعم مِنَ الشيعة.

﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّيَ آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴿٤١﴾﴾ [آل عمران].

وقال تعالى: ﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا[1] ﴿٧﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴿٩﴾﴾ [مريم].

ولقد اختُلف في عمر سيدنا زكريا يوم بُشِّر، فقيل: كان ابن اثنتين وتسعين سنة، وقيل: كان ابن مائة وعشرين.

وكانت امرأته بنت ثمان وتسعين، وقيل: بنت ست وتسعين، وقيل: خمس وسبعين.

قال الثعلبي بتهذيب منا: وإن زكريا عليه السلام أنكر ذلك وسأل آية بعد ما سمع نداء الملائكة؛ لأنه لَمّا سمع نداء الملائكة، جاءه شيطان فقال له: يا زكريا، إن الصوت الذي سمعتَه ليس من الله، إنما هو من الشيطان، ولو كان من الله لأوحاه إليك خَفِيّاً كما ناديتَه خَفِيّاً، وكما يوحى إليك في سائر الأمور. فقال سيدنا زكريا ذلك دفعاً للوسوسة.

وفي الحقيقة إن سيدنا زكريا لم يشك في الولد، وإنما شكّ في كيفيته، والوجه الذي يكون منه الولد. فقال: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ﴾؟ أي تجعلني وامرأتي شابين؟ أو ترزقنا على كِبَرٍ؟ أو ترزقني من امرأة عاقر؟ أو ترزقني مِن غيرها من النساء؟

فقال ذلك مستخبراً مستفهماً لا مستنكراً، وهذا الذي يَحْسُنُ في تفسير الآية، حيث الأنبياء معصومون من الشيطان.

وبعد ذلك نام زكريا عليه السلام مع زوجه، واغتسل وعاد إلى محرابه. فجاءته نساء بني إسرائيل وقلن له: نرى أَمْرَك أعجب من امرأتك! فلم يستطع زكريا أن يُكَلِّمَهُنّ، وبذلك عَلِم أن امرأته قد حملت، فكتب لهن في الأرض: إني لا أقدر على الكلام ثلاثة أيام.

وكما يلاحظ من الآية السابقة أن الله عز وجل طلب من زكريا أن يكف عن الكلام ثلاثة أيام،

---

(١) أي ما أحد تَسَمّى قَبْلَه بهذا الاسم.

ويُقْبِل بكله على عبادة ربه وطاعته ؛ لأنه ما حُبس لسانه عن الكلام ولكنه نُهِيَ عنه. ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَـٰرِ ﴿٤١﴾﴾[آل عمران].

فبقي سيدنا زكريا ثلاثة أيام لا يستطيع أن يتكلّم إلاّ بالإشارة والرمز، ويكتب كتابة على التراب.

۞ مولد يحيى عليه السلام وتسميته:

يروى في بعض الأخبار أنه لَمّا وُلِدَ يحيى عليه السلام، رُفع إلى السماء فَغُذِّيَ بأنهار الجنة حتى فُطِمَ، ثم أُنزل إلى أبيه فكان يضيء البيت بنوره.

ولقد اختلف في تسميته، ولِمَ سُمِّيَ بذلك؟

فقال ابن عباس رضي الله عنهما: لأن الله أحيى به عُقْر أمه.

وقال قتادة: لأن الله أحيى قلبه بالإيمان والنبوة.

وقال الحسين بن الفضل: لأن الله تعالى أحياه بالطاعة، فلم يَعْصِ ولم يَهُمَّ بمعصية.

وقيل: لأنه استشهد، والشهداء أحياء عند الله.

وقيل: لأنه يُحْيي ذِكْرَ النبوة، يُحْيي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بعد أن أُمِيتَ في بني إسرائيل.

وهناك أقوال أخرى في ذلك.

۞ ذِكْرُ بعض صفة يحيى عليه السلام ومناقبه:

قال كعب الأحبار: كان يحيى حَسَن الوجه والصورة، لَيِّنَ الجناح، قصير الأصابع، طويل الأنف، مقرون الحاجبين، رقيق الصوت، كثير العبادة، قوياً في طاعة الله عز وجل، وقد ساد الناس في عبادته.

قال تعالى بحقه: ﴿يَـٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَـٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾﴾ [مريم]، أي المعرفة والعلم والحكمة.

وكان عليه السلام سيداً[١] وحصوراً[٢]، فمنذ صباه ما عَبَدَ غير الله، وما عصاه طرفة عين، وكان ينكر علىٰ أقرانه من الصبيان اللعب، ويقول: ما خُلقنا للعب، إنما خُلقنا لذكر الله وعبادته.

وكان يَعِظُ الناس، ويقف لهم في أعيادهم وجَمْعهم يدعوهم إلىٰ الله عز وجل.

وهو أول مَنْ آمن بعيسىٰ عليه السلام وصدّقه، فقد حكىٰ الطبري أن مريم لَمّا حملت بعيسىٰ حملت أيضاً أختُها بيحيىٰ، فجاءت أختها زائرة فقالت: يا مريم، أشعرتِ أني حملتُ؟ فقالت لها مريم: أشعرتِ أنت أني حملتُ؟ فقالت لها: وإني لأجد ما في بطني يسجد لما في بطنك. وذلك أنه روي أنها أَحَسَّتْ جنينَها يَخِرُّ برأسه إلىٰ ناحية بطن مريم.

قال السُّدي: فذلك قوله: ﴿مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران ٣٩].

وكان يومها السجود للكبير من التحية، فذلك تصديقه وإيمانه.

وكان سيدنا يحيىٰ قد وُلِدَ قبل عيسىٰ بستة أشهر، وقُتِلَ قبل رفع عيسىٰ إلىٰ السماء عليهما وعلىٰ نبينا أفضل الصلاة والسلام.

وكان عليه السلام كثير التقشف والزهد، كثير العبادة والسياحة إلىٰ أن قُتِلَ.

وقد روي أنه عليه السلام إنما كان يأنس إلىٰ البراري، ويأكل من ورق الشجر، ويَرِدُ ماء الأنهار، ويتغذّى بالجراد في بعض الأحيان، ويقول: مَن أَنْعَمُ منك علىٰ يحيىٰ؟

وروى أبو نعيم في الحلية وابن أبي عاصم وابن المبارك في الزهد عن مجاهد قال: كان طعام يحيىٰ بن زكريا العشب، وإنْ كان لَيبكي من خشية الله ما لو كان القار[٣] علىٰ عينيه لَخَرَقَتْهُ دموعُه، ولقد كانت الدموع اتَّخَذَتْ مجرى في وجهه.

وروى ابن عساكر أن أبويه خرجا في طلب يحيىٰ، فوجداه عند بحيرة الأردن. فلما

---

(١) السيد هنا هو الذي يطيع ربه، وهو الحسن الخُلُق الذي لا يغضب ولا يحسد.

(٢) الحصور هنا كما قال ابن مسعود وابن عباس وغيرهما: هو الذي لا يأتي النساء ولا يقربهن، يعني أنه حَصَرَ نفسه عن الشهوات، ولم يلتفت إلىٰ اللعب والباطل في صباه.

(٣) هو القطران.

اجتمعا به أبكاهما بكاء شديداً ؛ لِما هو فيه من العبادة والخوف من الله ﷻ.

وروى البيهقي في شعبه وابن المبارك عن وهيب بن الورد قال: فَقَدَ زكريا ابنه يحيىٰ ثلاثة أيام، فخرج يلتمسه في البرية، فإذا هو قد احْتَفَرَ قبراً فأقام فيه يبكي علىٰ نفسه، فقال: يا بني، أنا أطلبك منذ ثلاثة أيام وأنت في قبر قد احْتَفَرْتَه قائمٌ فيه تبكي؟ قال: يا أبتِ، ألستَ أنت أخبرتني أن بين الجنة والنار مفازة[1] لا يقطعها إلاّ دموع البَكّائين؟ فقال: ابكِ يا بني، فبكيا جميعاً[2].

۞ مبعث يحيىٰ عليه السلام بالرسالة والخصال الخمس التي أُمِرَ أن يبلغها لبني إسرائيل:

لا زال يحيىٰ عليه السلام يسيح في بلاد الشام يدعو الناس إلىٰ توحيد الله ﷻ حتىٰ بعثه الله نبياً ورسولاً، وأمره أن يأمر بني إسرائيل بخمس خصال، وضرب لكل خصلة منها مَثَلاً.

روي عن الحارث الأشعري أن النبي ﷺ قال: إن الله ﷻ أمر يحيىٰ بن زكريا عليه السلام بخمس كلمات أن يعمل بهن، وأن يأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن، وأنه كاد أن يبطئ بها، فقال له عيسىٰ عليه السلام: إنك قد أُمِرْتَ بخمس كلمات أن تعمل بهن، وتأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن، فإما أن تُبَلِّغَهُنَّ، وإما أن أُبَلِّغَهُنّ. فقال: يا أخي، إني أخشىٰ إنْ سَبَقْتَني أنْ أُعَذَّبَ أو يُخْسَفَ بي.

قال: فجمع يحيىٰ بن زكريا بني إسرائيل في بيت المقدس حتىٰ امتلأ المسجد، فقعد علىٰ الشَّرْف[3] فحمد الله وأثنىٰ عليه، ثم قال: إن الله أمرني بخمس كلمات أن أعمل بهن، وآمركم أن تعملوا بهن:

١) **أولهن أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً**، فإنّ مَثَل ذلك كمَثَل رجل اشترى عبداً من خالص ماله بوَرِق أو ذهب، فجعل يعمل ويؤدي غَلّته إلىٰ غير سيده، فأيّكم يَسُرُّه أن يكون عبدُه كذلك؟ وإن الله خلقكم ورزقكم فاعبدوه ولا تشركوا به شيئاً.

---

(١) المفازة هي الأرض الصعبة المقفرة.

(٢) هكذا رواه أيضاً وهب بن منبه ومجاهد بنحو هذه الرواية.

(٣) هو الموضع العالي يُشْرِفُ علىٰ ما حوله.

٢) وآمركم **بالصلاة**، فإن الله ينصب وجهه لوجه عبده ما لم يلتفت، فإذا صَلَّيْتُم فلا تلتفتوا.

٣) وآمركم **بالصيام**، فإن مَثَل ذلك كَمَثَل رجل معه صرة من مسك في عصابة، كلهم يجد ريح المسك، وإن خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك.

٤) وآمركم **بالصدقة**، فإن مَثَل ذلك كمَثَل رجل أَسَرَه العدو، فشدّوا يديه إلىٰ عنقه وقدّموه ليضربوا عنقه، وقال لهم: هل لكم أن أفتدي نفسي منكم؟ فجعل يفتدي نفسه منهم بالقليل والكثير حتىٰ فكّ نَفْسَه.

٥) وآمركم **بذكر الله كثيراً**، وإن مَثَل ذلك كمَثَل رجل طلبه العدو سراعاً في رجاء، فأتىٰ حصناً حصيناً فتحصّن فيه. وإنَّ العبد أحصن ما يكون من الشيطان إذا كان في ذِكْر الله.

قال: وقال رسول الله ﷺ: وأنا آمركم بخمس اللهُ أمرني بهن: الجماعة، والسمع، والطاعة، والهجرة، والجهاد في سبيل الله. فإنه مَن خرج من الجماعة قَيْدَ شبر فقد خلع رِبْقة الإسلام من عنقه إلاّ أن يراجع، ومَن دعا بدعوى جاهلية فهو من جُثىٰ جهنم. قالوا: يا رسول الله، وإنْ صام وصلىٰ؟ فقال: وإن صلىٰ وصام وزعم أنه مسلم. فادعوا المسلمين بأسمائهم علىٰ ما سمّاهم الله عز وجل: المسلمين، المؤمنين، عباد الله[1].

۞ وفاة يحيىٰ عليه السلام:

لقد ذكر النويري اختلاف العلماء في سبب قَتْل سيدنا يحيىٰ عليه السلام.

فقال بعضهم: كان يحيىٰ عليه السلام في زمن ملك من ملوك بني إسرائيل، وكانت له امرأة وهي بنت ملك صيدا[2]، وكانت قتّالة للأنبياء والصالحين، وكانت عاهرة تبرز للناس. وكان يحيىٰ

---

(١) حديث حسن رواه أحمد، والترمذي وصحّحه من حديث أبي داود الطيالسي، وابن ماجة عن هشام بن عمار، والحاكم من طريق مروان بن محمد. كما رواه ابن حبان في صحيحه، والطبراني في الكبير، وابن خزيمة.

(٢) هي مدينة علىٰ ساحل بحر الشام من أعمال دمشق قديماً، شرقي صور، بينهما ستة فراسخ. كان لها في القرن الثالث عشر إلىٰ القرن السابع عشر قبل الميلاد شهرة عظيمة في التجارة والحضارة والملاحة. ولّما انتقلت السيادة إلىٰ جارتها مدينة صور، بقيت صيدا محافظة علىٰ مركزها أيضاً، وبقيت قاعدة لمملكة كنعان. وقد فتحها المسلمون في خلافة عمر بن الخطاب سنة ٦٣٨م.

يزجرها عن ذلك ويقول لها: لا تبرزين كاشفةً عن وجهك، وكان كثيراً ما يقول لها: مكتوب في التوراة: «إن الزناة يوقفون يوم القيامة وريحهم أنتن من الجِيَف». فأمرتْ بيحيىٰ فسُجِنَ.

وكان قد حُبِسَ رجل من أبناء الملوك وكان يختلف إليها، فعَلِمَ بها وبه يحيىٰ، فزجره، فبلغ ذلك امرأة الملك، فحملتْ بنتاً لها واستقبلت بها زوجها، فقال: لِمَ فعلتِ ذلك؟ فقالت: وَجَبَ لها عليكَ حق، فقال: سليني ما شئتِ، فسألته أهلَ السجن، فظنّ أنها ترحمهم وتُسَرِّحُهم، فقال: قد فعلتُ.

فأمرت المرأة بأهل السجن فعُرِضوا، فلما مُرَّ بيحيىٰ أمرتْ به فذُبِحَ في طَسْت، ثم حملت الطَسْت إلىٰ أبيها بأَمْر أمها وقالت: أيها الملك، إني ذبحتُ لكَ ذبيحة مِن أعظم ما وجدتُ، ولو كان مِثْله ألفاً لَذبحتُهم لك. فقال: ومَن هو؟ قالت: يحيىٰ بن زكريا، قال: هلكتِ وأَهْلَكْتِ أبويك.

فغيّر الله حالهم من النِّعَم، وسلّط عليهم عدوهم، فذبح البنت وأبويها، وسلّط عليهم الكلاب حتىٰ أكلتهم.

وذكر الثعلبي في تفسيره في سبب قتل نبي الله يحيىٰ - بتصرف في روايته - أنه بعد أن نما سيدنا يحيىٰ وكبر، جعل ملك بني إسرائيل هيرودس الروماني يقربه منه ويكرمه، ويدنيه من مجلسه ويستشيره في أمره، ولا يقطع أمراً دونه.

وكانت زوجة الملك هيرودس أكبر منه سناً، وكانت امرأة سيئة للغاية، قد سُلِّطَتْ علىٰ ذبح الأنبياء، فذبحت كثيراً من أنبياء بني إسرائيل وعلىٰ الصخرة، وعلىٰ يديها أهلك الله بني إسرائيل. وكانت مِن قَبْلُ زوجةً لأخيه، ولها بنت من أخيه، وكانت تريد أن تزوج الملك ابنتها؛ ليبقىٰ المُلك بيدها.

فاستشار الملك سيدنا يحيىٰ في هذا الأمر، فنهاه عن نكاحها وقال: لن أرضاها لك. فبلغ ذلك زوجة الملك فازداد حقدها، وصمّمت علىٰ ذبح سيدنا يحيىٰ.

فعمدت أم الجارية حين جلس الملك علىٰ شرابه، فألبستها ثياباً رقاقاً حمراً، وطيّبتها وألبستها من الحلي، وألبستها فوق ذلك كساء أسود. ثم أرسلتها إلىٰ الملك، وأمرتها أن تسقيه الخمر كثيراً، وأن تتعرّض إليه بأنوثتها، وأن تُميله لنفسها. فإن أرادها علىٰ نفسها أبت حتىٰ

يعطيها ما تسأله، فإذا أعطاها ذلك سألته أن يؤتىٰ برأس يحيىٰ بن زكريا في طَسْت. ثم قالت لها: فإذا قال لك اطلبي غير ذلك فقولي له: لا أريد سوى رأس يحيىٰ بن زكريا.

ففعلت البنت ذلك، فلما أخذ الشراب من الملك مأخذه، أرادها علىٰ نفسه فقالت: لا أفعل حتىٰ تعطيني ما أسألك، قال: ما تسأليني؟ قالت: أسألك أن تبعث إلىٰ يحيىٰ بن زكريا فيُؤْتىٰ برأسه في طَسْت، قال: ويحك سليني غير هذا، قالت: ما أريد إلاّ هذا. فحاول، فلما أبت عليه بعث إليه فذُبح كما تُذبح النعجة، وأُتي برأسه مفصولاً عن جسده حتىٰ وُضِعَ بين يديه وهو يقول: لا يحل لك أن تنكح ابنة أخيك.

فلما أصبح إذا دم يحيىٰ يغلي، فأمر بتراب فألقي عليه، وبقي الدم فوق التراب يغلي، فألقىٰ عليه تراباً آخر، فارتفع الدم فوق التراب. فلم يزل يلقي عليه من التراب حتىٰ بلغ سور المدينة وهو كذلك يغلي.

فبلغ ذلك صهيون ملك بابل من المجوس، فجاء ليدمر القدس، ولينتقم الله به لنبيه يحيىٰ، لأنه ورد بالحديث القدسي: «إذا عصاني مَنْ يعرفني سَلَّطْتُ عليه مَن لا يعرفني»[1].

فحاصر ملك الفرس القدس حصاراً شديداً، وعجز عن فتحها. فأراد أن يرجع، فخرجت إليه عجوز من بني إسرائيل من بيت المقدس، فقالت له: سمعت أنك تريد أن تعود، قال: نعم، حيث انتهىٰ الزاد والطعام منا. فقالت: أَدُلُّكَ علىٰ أمر إنْ فعلتَه فَتَحْتَ القدس؟ قال: نعم، فقالت: أن تنوي بذلك أن تنتقم لنبي الله يحيىٰ، قال: نفعل. وشَرَطَتْ عليه هذه العجوز أن يفعل ما تقول، فقَبِل شرطها.

وفي رواية أخرى قالت لأمير الجيش الفارسي: أرأيتُك إنْ فتحتُ لك المدينة أتعطيني ما أسألك، فتقتل مَنْ أَمَرْتُك بقتله، وتكفّ إذا أمرتك أن تكفّ؟ قال: نعم، فقالت: إذا أصبحت فاقسم جندك أربعة أرباع، ثم اجعل في كل زاوية من المدينة ربعاً، ثم ارفعوا أيديكم إلىٰ السماء فنادوا: إنا نستفتحك يا الله بدم يحيىٰ بن زكريا، فإنها سوف تسّاقط.

---

(١) رواه أبو نعيم في الحلية من حديث الفضيل بن عياض.

ففعلوا ويسّر الله عليهم الفتح، فتساقطت المدينة، ودخلوها من جوانبها الأربعة ودمّروها.

ثم انطلقت به إلى دم يحيىٰ وهو ينبع ويفور، وهو علىٰ تراب كثير، فقالت: كُفَّ يدك واقتل علىٰ هذا الدم حتىٰ يسكن. فقتل عليه حتىٰ سكن سبعين ألفاً من بني إسرائيل[1]. فلما سكن قالت له: كُفَّ يدك، فإن الله تعالىٰ إذا قُتِلَ نبي لم يَرْضَ حتىٰ يَقتل مَن قَتَلَه ومَن رضي قَتْله. فَكَفَّ يده ونهب البلاد، وعاد إلى بلاد فارس وقد ساقهم معه أسرى.

ثم اختلف في مقتل يحيىٰ بن زكريا هل كان بالمسجد الأقصىٰ أم بغيره؟ علىٰ قولين:

فقال سفيان الثوري عن الأعمش عن شمر بن عطية قال: قُتِلَ علىٰ الصخرة التي ببيت المقدس سبعون نبياً، منهم يحيىٰ بن زكريا.

وعلىٰ هذه الرواية فإنه دُفِنَ حيث ذُبِحَ، وأما رأسه فنُقِلَ إلى دمشق ووُضِعَ في طست من ذهب وفوقه صندوق، ودُفِنَ في مغارة في زاوية من زوايا المسجد الأموي.

وعند تجديد المسجد في عهد الوليد بن عبدالملك، رأوا هذه المغارة فدخلوها وإذ وجدوا الصندوق، ففتحوه وإذ وجدوا رأس يحيىٰ عليه السلام والدم يشخب منه وكأنه الآن قُتِلَ. فأحضروا الخليفة فأمر بدفنه.

وفي ذلك روى القرطبي في تفسيره والحافظ ابن عساكر من طريق الوليد بن مسلم عن زيد بن واقد قال: رأيتُ رأس يحيىٰ بن زكريا حين أرادوا بناء مسجد دمشق، أُخْرِجَ مِن تحت ركن من أركان القبة التي تلي المحراب مما يلي الشرق، فكانت البشرة والشعر علىٰ حاله لم يتغير. وفي رواية: كأنما قتل الساعة.

وروي عن سعيد بن المسيب قال: قدم بختنصر دمشق، فإذا هو بدم يحيىٰ بن زكريا يغلي، فسأل عنه فأخبروه، فَقَتَلَ علىٰ دمه سبعين ألفاً فسكن.

---

(١) أخرج الحاكم في المستدرك بإسناد صحيح عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أوحىٰ الله إلى محمد ﷺ: إني قتلتُ بيحيىٰ بن زكريا سبعين ألفاً، وإني قاتل بابن ابنتك سبعين ألفاً وسبعين ألفاً. فالحسين ذُبِحَ في كربلاء، فسخّر الله المختار الجبار، فلا زال يذبح مَنْ قتلوه حتىٰ ذبح به سبعين ألفاً من القتلة، أو مِمّن كان مناصراً لهم.

وعلىٰ هذه الرواية يقتضي أنه قُتِلَ بدمشق، والمقام الذي عليه في المسجد الآن هو فوق المغارة.



مقام سيدنا يحيىٰ المعروف في الجامع الأموي بدمشق

وفي رواية أخرى عن قاسم مولىٰ معاوية قال: كان ملك هـذه المدينة - يعني دمشق - هداد بن هداد، وكان قد تَزَوَّج ابنُه بابنة أخيه أريل ملكة صيدا.

قال: وكان قد حلف بطلاقها ثلاثاً، ثم إنه أراد مراجعتها، فاسْتَفْتىٰ يحيىٰ بن زكريا فقال: لا تحل لك حتىٰ تنكح زوجاً غيرك. فحقدت عليه وسألت من الملك رأس يحيىٰ بن زكريا، وذلك بإشارة أمها، فأبىٰ عليها ثم أجابها إلىٰ ذلك، وبعث إليه وهو قائم يصلي بمسجد جيرون مَن أتاه برأسه في صينية، فجعل الرأس يقول له: لا تحل له حتىٰ تنكح زوجاً غيره.

فأخذت المرأة الطبق، فحملته علىٰ رأسها وأتت به أمها وهو يقول كذلك، فلما تَمَثَّلَتْ بين يدي أمها خُسِفَ بها إلىٰ قدميها، ثم إلىٰ حقويها[1]. وجعلت أمها تُوَلْوِل، والجواري يصرخن ويلطمن وجوههن، ثم خُسِفَ بها إلىٰ منكبيها، فأمرت أمها بالسيّاف أن يضرب عنقها لتتسلىٰ برأسها، ففعل. فلفظت الأرض جثتها عند ذلك، ووقعوا في الذل والفناء.

ولم يزل دم يحيىٰ يفور حتىٰ قدم بختنصر فقتل عليه خمسة وسبعين ألفاً.

قال سعيد بن عبد العزيز: وهي دية كل نبي.

ولم يزل يفور حتىٰ وقف عنده إرْمِيّاعليه السلام فقال: أيها الدم، أَفْنَيْتَ بني إسرائيل فاسكن بإذن الله. فسكن، فرفع السيف، وهرب من هرب من أهل دمشق إلىٰ بيت المقدس، فتبعهم إليها فقتل خَلْقاً كثيراً لا يُحْصَوْن كثرة، وسبىٰ منهم ثم رجع عنهم.

هذا قول ذكره بعض المؤرخين، إنما المعتمد أن بختنصر أتىٰ ودمر القدس عندما ذبح بنو إسرائيل النبيَّ شعيا.

وقيل أيضاً غير ذلك في سبب قتل يحيىٰ بن زكريا عليهما السلام عن مصادر شتىٰ، والله أعلم بالصواب.

---

(١) الحَقْو هو الخصر.

۞ وفاة زكريا عليه السلام:

عندما عَلِمَ زكريا بمقتل ولده يحيىٰ، فرّ من بني إسرائيل ودخل في بساتينهم خارج المدينة، فأمر الملك أن يؤتىٰ به لِيُقتل ويُذبح كما ذُبِحَ ولده.

فتبعه بنو إسرائيل ليقتلوه، وهو يفر من بستان إلىٰ بستان حتىٰ وصل إلىٰ شجرة زيتون قد فتحت بطنها وقالت: اخْتَفِ داخلي يا نبي الله، فدخلها. فجاء إبليس وأخذ بطرف ثوبه، فعندما أطبقت الشجرة بقي طرف الثوب خارجها.

ثم جاء بنو إسرائيل، فطلب منهم إبليس بصفات رجل أن يأتوا زكريا وهو في الشجرة، فقالوا: كيف يكون ذلك؟ قال: إني آتيكم بعلامة علىٰ هذا، فقالوا: وما العلامة؟ قال: هذا طرف ثوبه خارج الشجرة. فنظروا وإذ رأوا طرف ثوبه، فأُتِيَ بالمنشار[1] ونشروه حتىٰ سقط شِقّاه.

ورأيتُ مَن قال مِن المفسرين أنه عندما وصل المنشار إلىٰ مفصل رأس زكريا، واليهود حوله ولا مجال للهرب، أراد من الألم أن يصيح، فقال له جبريل: اصبر يا زكريا، لو صِحْتَ لَنُزِعَ اسمك من ديوان الأنبياء.

وقال وهب بن منبه: عندما هرب زكريا من قومه فدخل شجرة، فجاءوا فوضعوا المنشار عليها، فلما وصل المنشار إلىٰ أضلاعه أَنَّ، فأوحىٰ الله إليه: لئن لم يسكن أنينك لأقلبنّ الأرض ومَن عليها، فسكن أنينه حتىٰ قُطِعَ باثنتين[2].

وفي رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قبيل ليلة أُسْرِيَ به، رأى زكريا في المنام، فسلّم عليه وقال له: يا أبا يحيىٰ، خَبِّرْني مَن قتلك؟ كيف كان؟ ولِمَ قتلك بنو إسرائيل؟ قال: يا محمد، أُخْبِرك أنّ يحيىٰ كان خير أهل زمانه، وكان أجملهم وأصبحهم وجهاً، وكان كما قال الله تعالىٰ سيداً وحصوراً، وكان لا يحتاج إلىٰ النساء.

---

(١) وقيل: بالفؤوس.

(٢) رواه ابن عساكر.

فهَوِيَتْه امرأةُ مَلِكِ بني إسرائيل وكانت بَغِيّة، فَأَرْسَلَتْ إليه وعَصَمَه الله، وامتنع يحيىٰ وأبىٰ عليها، فأجمعت علىٰ قتل يحيىٰ. ولهم عيد يجتمعون في كل عام، وكانت سُنّة الملك أن يَعِدَ ولا يُخْلِف ولا يَكْذِب.

قال: فخرج الملك إلىٰ العيد، فقامت امرأته فشيّعته وكان بها معجباً، ولم تكن تفعله فيما مضىٰ. فلما أنْ شَيَّعَتْه قال لها الملك: سليني، فما سألتِني شيئاً إلاّ أعطيتُكِ. قالت: أريد دم يحيىٰ بن زكريا، قال لها: سليني غيره، قالت: هو ذاك، قال: هو لك.

قال: فبعثت جَلاوِزَتَها[1] إلىٰ يحيىٰ وهو في محرابه يصلي، وأنا إلىٰ جانبه أصلي. قال: فَذُبِحَ في طَسْت، وحُمِلَ رأسه ودمه إليها.

قال: فقال رسول الله ﷺ: فما بلغ من صبرك؟ قال: ما انْفَلَتُّ مِن صلاتي.

قال: فلما حُمِلَ رأسه ووُضِعَ بين يديها، فلما أمسوا خسف الله بالملك وأهل بيته وحشمه. فلما أصبحوا قالت بنو إسرائيل: قد غضب إله زكريا لزكريا، فتعالوا حتىٰ نغضب للملكنا فنقتل زكريا.

قال: فخرجوا في طلبي ليقتلوني، وجاءني النذير فهربت منهم، وإبليس أمامهم يدلهم عليَّ. فلمّا أنْ تخوّفتُ ألاّ أُعجزهم، عَرَضَتْ لي شجرة فنادتني وقالت: إليّ إليّ، وانصدعتْ لي ودخلتُ فيها.

قال: وجاء إبليس حتىٰ أخذ بطرف ردائي، والتأمت الشجرة وبقي طرف ردائي خارجاً من الشجرة، وجاءت بنو إسرائيل فقال إبليس: أما رأيتموه دخل هذه الشجرة؟ هذا طرف ردائه، دخلها بسِحْره. فقالوا: نخرق هذه الشجرة، فقال إبليس: شُقُّوه بالمنشار شقاً. قال: فَشُقِقْتُ مع الشجرة بالمنشار.

قال له النبي ﷺ: هل وجدتَ له مَسّاً أو وجعاً؟ قال: لا، إنما وَجَدَتْ ذلك الشجرةُ التي جعل الله روحي فيها[2].

---

(١) الجَلْوَز هو الشرطي، والجمع جلاوزة.

(٢) هذا حديث غريب جداً.

وهناك أقوال أخرى وردت في هذا المجال، إنما أتيت لك ببعض منها.

ثم سلط الله علىٰ بني إسرائيل ملك الفرس كما قدّمنا، فدمّر المدينة وذبح سبعين ألفاً من بني إسرائيل، ثم ساقهم أسرى إلىٰ بلاد الفرس.

وهذه صفة اليهود في جميع العصور والأزمنة، والتاريخ خير دليل علىٰ ذلك.



صورة قديمة لقبر سيدنا زكريا عليه السلام



قبر سيدنا زكريا المعروف في الجهة الجنوبية الشرقية من المدينة القديمة



مقام سيدنا زكريا المعروف في الجامع الأموي بحلب

سيدنا عيسى بن مريم

عليه الصلاة والسلام

وما كان من أمره حتى رُفِعَ إلى السماء

قال الله تعالى في محكم كتابه العزيز: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ ۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ ۖ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾ ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْـَٔايَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا

وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿٦١﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾ ﴾ [آل عمران].

وقال تبارك وتعالى: ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ ﴾ [النساء].

وقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَّا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾ [المائدة].

وقال سبحانه: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ

يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ۞ فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ ۞ [مريم](١).

فإن عيسىٰ بن مريم عليه السلام هو نبي الله ورسوله، وهو روحه وكلمته التي ألقاها إلىٰ مريم، وهو معجزة أتت بعد أن وصل اليهود إلىٰ ما وصلوا إليه من الجُحْد، ومن معصية الله. فكان لا بد أن يرسل الله عز وجل رسوله عيسىٰ؛ ليكون الحُجّة المتكررة بعد ما سبقه من النبيين والمرسلين. فهذا سيدنا موسىٰ بن عمران قد عجّزه بنو إسرائيل - وقد مرّت خلاصة سيرته -، فعندما فسدوا أظهر الله سيدنا عيسىٰ معجزة منه، مِن أم دون أب.

نسب عيسىٰ عليه السلام:

أمه هي مريم ابنة عمران.

---

(١) انظر كذلك إن شئتَ إلىٰ المواضع التالية من القرآن الكريم: البقرة ٨٧ و١٣٦ و٢٥٣، آل عمران ٨٤، النساء ١٦٣ و١٧١-١٧٣، المائدة ١٧ و٤٦-٤٧ و٧٢-٧٥ و٧٨-٧٩، الأنعام ٨٥، التوبة ٣٠-٣١، المؤمنون ٥٠، الأحزاب ٧، الشورى ١٣-١٤، الزخرف ٥٧-٦٤، الحديد ٢٧، الصف ٦ و١٤، التحريم ١٢.

وكان أبوها عمران عبداً صالحاً من عُبّاد بني إسرائيل، وكان مشهوراً بالعلم والمعرفة والعبادة.

وأمها كما وُصفت في كتاب الله العزيز كانت امرأة تقية صالحة، عُرفت بالعبادة والزهد، وبأنها المرأة التي يُرجع إليها في أمور الدين من قِبَل النساء.

ومريم كما علمنا كانت خادمة للمعبد، قد حرّرتها أمها قبل أن تلدها، وقد كفلها زكريا عليه السلام وتعهّدها في المعبد، فكان هو المسؤول عنها بعد وفاة أبيها.

۞ خبر الحمل بعيسى عليه السلام:

قال الكسائي: وكانت مريم تنمو وتزيد في كل يوم، وتعبد الله تعالىٰ حتىٰ برزت في العبادة علىٰ نساء بني إسرائيل.

فلما بلغت مبلغ النساء، أتت منزل زكريا، فقال لها: كيف خرجتِ من بيتك ومفتاحه معي؟ قالت: إني رأيتُ أمراً قبيحاً - أرادت بذلك الحيض -، فجئتُك بإذن الله. فأمرها زكريا أن تكون عند خالتها حتىٰ تطهر، ففعلتْ ذلك، فلما طهرت واغتسلت عادت إلىٰ عبادتها.

فكان ذلك عادتها وشأنها إذا حاضت، فذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا (١٦) فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا (٢) فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا (٣) فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (٤) قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا (٥) قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ

---

(١) أي شرق القدس؛ لهذا فإن النصارى يعتبرون المشرق مكاناً مقدساً، ويعتبرونه قبلة لهم. قال الحسن: وإنما اتّخذت النصارى مثله لأن مريم انتبذت مكاناً شرقياً.

(٢) أي ستراً.

(٣) يعني جبريل.

(٤) أي في صورة بشر.

(٥) أي إن كنتَ مطيعاً لربك.

لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ﴾ [مريم].

ثم نفخ في جيبها، فوصلت النفخة إلىٰ جوفها، فحملت بعيسىٰ لوقتها.

ويقال: إن زكريا في ذلك الوقت أفضىٰ إلىٰ امرأته، فحملت بيحيىٰ.

وقيل: إن امرأة زكريا حملت قبل مريم بثلاثة أشهر، وقيل: بستة أشهر.

وكانت مريم إذ ذاك بنت خمس عشرة سنة.

وقال الثعلبي في قصة حمل مريم أنه كان معها في المسجد ابن عم لها مِنَ المُحَرَّرين، يقال له: يوسف بن يعقوب النجار، وكان رجلاً حكيماً نجاراً، يتصدّق بعمل يديه. وكان يوسف ومريم إذا نَفِدَ ماؤهما، أخذ كل واحد منهما قُلَّته وانطلق إلىٰ المغارة التي فيها الماء يستسقيان منه، ثم يرجعان إلىٰ الكنيسة.

فلما كان اليوم الذي لقيها فيه جبريل، وكان أطول يوم في السنة وأشدّ حراً، نفد ماؤها فقالت: يا يوسف، ألا تذهب بنا نستسقي؟ فقال لها: إن عندي لَفَضْلاً مِن ماء أكتفي به في يومي هذا إلىٰ غدٍ. قالت: لكني والله ما عندي ماء.

فأخذت قُلَّتها ثم انطلقت وحدها حتىٰ دخلت المغارة، فوجدتْ عندها جبريل عليه السلام قد مثّله الله عز وجل بشراً سَوِيّاً، فقال لها: يا مريم، إن الله قد بعثني إليكِ لأَهَبَ لكِ غلاماً زكياً. قالت: ﴿ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ ﴾ [مريم].

قال عكرمة: وكان جبريل قد عَرَضَ لها في صورة شاب أمرد، وضيء الوجه، جعد الشعر، سَوِيّ الخَلْق.

قال الحكماء: وإنما أرسله الله تعالىٰ في صورة البشر؛ لِتَثْبُتَ مريم عليها، وتقدر علىٰ استماع كلامه. ولو أتاها علىٰ صورته التي هو عليها لفزعت ونفرت عنه، ولم تقدر علىٰ استماع كلامه.

قال الثعلبي: فلما استعاذت مريم منه قال: ﴿ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ ﴾ [مريم]. فلما قال ذلك استسلمت لقضاء الله تعالىٰ، فنفخ جبريل في جيب

درعها وكانت قد وضعته، ثم انصرف عنها. فلما لبست مريم درعها حملت بعيسىٰ عليه السلام، ثم ملأت قُلَّتها وانصرفت إلىٰ المسجد.

وقال السدي وعكرمة: إن مريم عليها السلام كانت تمكث في المسجد ما دامت طاهرة، فإذا حاضت تحوّلت إلىٰ بيت خالتها، حتىٰ إذا طهرت عادت إلىٰ المسجد.

فبينما هي تغتسل من الحيض وقد أخذتْ مكاناً شرقياً، فضربت بينها وبين قومها حجاباً ستراً.

وقال مقاتل: جعلت الجبل بينها وبين قومها، فبينا هي كذلك عَرَضَ لها جبريل وبشّرها، ونفخ في جيب درعها.

وقيل غير ذلك في المكان، وكيف كان النفخ؟

قال النويري نقلاً عن العلماء حيث قالوا: فلما اشتملت مريم علىٰ عيسىٰ وتبيّن حملها، داخلها الهم والغم حيث علمت أن بني إسرائيل سوف يقذفونها، فنادتها الملائكة: ﴿يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصۡطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [آل عمران]. ثم بشّرتها بعيسىٰ وأخبرتها عنه فقالت: ﴿يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٖ مِّنۡهُ ٱسۡمُهُ ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ وَجِيهٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ وَكَهۡلٗا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [آل عمران]. وقالت كذلك: ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ [آل عمران]. فطابت نفس مريم بعد أن سمعت هذا الكلام.

قال وهب بن منبه: إنَّ أول مَن أنكر علىٰ حمل مريم يوسف النجار، وكان مشهوراً بالعبادة والزهد والتقىٰ، وكان مع مريم يخدمان المسجد الذي بجبل صهيون[1]، وكان ذلك المسجد يومئذ من أعظم مساجد بني إسرائيل. فكانا يَلِيا معالجته وتنظيفه وتطهيره، ويَلِيا أموره بنفسيهما. وكان لا يُعلم أحد من زمانهما أشد اجتهاداً وعبادة منهما.

---

(١) وجبل صهيون علىٰ باب بيت المقدس.

فلما اشتملت مريم على عيسىٰ عليه السلام، وكان يوسف معها مُنْطَلِقَيْن إلىٰ المسجد، رأى بطنها منتفخاً انتفاخاً كبيراً فاستعظمه، فأراد أن يخاطبها ويسألها فاستحيىٰ منها، ولم يَدْرِ علىٰ ماذا يضع أمرها. فكان إذا أراد أن يتّهمها ذَكَرَ صلاحَها وعبادتَها، وذَكَرَ براءتها وأنها لم تَغِبْ عنه، ولا يعرف أنها التقت مع ذَكَرٍ أبداً. وإذا أراد أن يبرئها ذَكَرَ الذي ظهر بها من الحمل.

فلما اشتدّ عليه ذلك ضرب لها أمثالاً وقال: يا مريم، إنه قد وقع في نفسي منك ومن أمرك شيء، وقد حرصتُ علىٰ أن أكتمه، فبلغني ذلك مبلغاً، ورأيت أنَّ الكلام فيه أشفىٰ لصدري. قالت: قُلْ قولاً جميلاً، فقال: خبّريني يا مريم، هل ينبت زرع بدون بذر؟ قالت: نعم، قال: فهل تنبت شجرة بغير غيث يصيبها؟ قالت: نعم، قال: فهل يكون ولد من غير فحل؟ قالت: ألم تعلم أن الله عز وجل أنبت الزرع يوم خلقه من غير بذر، وإنما يكون البذر من الزرع الذي كان أُنْبِتَ من غير بذر. ألم تعلم يا يوسف أن الله عز وجل أنبت الشجر من غير غيث، وبالقَدَر جعل الغيث حياة الشجر بعد ما خلق سبحانه كل واحدة علىٰ حدى. أوَتقول يا يوسف أن الله لا يقدر علىٰ إتيانه؟ قال: لا أقول هذا، ولكني أعلم أن الله تبارك وتعالىٰ يقدر علىٰ ما يشاء، يقول لذلك: كن فيكون. فقالت: يا يوسف، أوَلم تعلم أن الله عز وجل خلق آدم وامرأته حواء من غير ذكر ولا أنثىٰ؟ قال: بلىٰ. فوقع في نفس يوسف أن الذي بها شيء مِن أمر الله تعالىٰ، وأنه لا يسعه أن يسألها عنه مرة ثانية.

وفي رواية الكسائي قال لها يوسف: هل يكون ولد من غير فحل؟ قالت: نعم، آدم وامرأته حواء من غير ذكر ولا أنثىٰ. قال: صدقتِ. ثم قال: وهذا الولد الذي في بطنك مَن أبوه؟ قالت: هذا هبة ربي لي، ومَثَله كمَثَل آدم خَلَقَه من تراب.

فنطق عيسىٰ في بطنها وقال: يا يوسف، ما هذه الأمثال التي تضربها؟ قُمْ فاشتغل بصلاتك، واستغفر لذنبك مِمّا وقع في قلبك.

فقام يوسف وجاء إلىٰ زكريا وأخبره بالأمر، فاغتمّ زكريا وقال لامرأته: إن مريم حامل، وأخاف من فساق بني إسرائيل أن يتهموا يوسف بها. فقالت: توكّل علىٰ الله واستعن به، فإنه يَرُدّ عنها مقالة الفساق.

قالوا: ثم تولّىٰ يوسف خدمة المسجد، وكفاها كلَّ عمل كانت تعمله فيه؛ لِما رأى من رقة جسمها، واصفرار لونها، وضعف قوتها.

وكانت مريم وهي حامل تقول: كنتُ إذا خَلَوْت أنا وعيسىٰ حدّثني وحدثته، وإذا شغلني عنه إنسان سبّح في بطني وأنا أسمع[1].

۞ ميلاد عيسىٰ عليه السلام:

لقد اختلف العلماء في مدة حمل مريم، فقيل: إنها حملت وولدت بساعة واحدة.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ما هو إلاّ أنْ حملت فوضعت، ولم يكن بين الحمل والانتباذ إلاّ ساعة واحدة؛ لأن الله تعالىٰ لم يذكر بينهما فصلاً.

وقيل: بثلاث ساعات.

وقيل: حملت ستة أشهر.

وقيل: ثمانية أشهر[2].

وقيل: بل حملت كباقي النساء تسعة أشهر.

قال الكسائي وغيره: فلما دنا وقت الولادة، خرجت مريم في جوف الليل من منزل زكريا - أو من المسجد علىٰ خلاف - حتىٰ صارت إلىٰ خارج بيت المقدس، وابتعدت عن بني إسرائيل ابتعاداً كاملاً، فذلك قوله تعالىٰ: ﴿۞ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾﴾ [مريم]. وأخذها الطلق، فنظرت إلىٰ نخلة يابسة فجلست تحتها، فاخضرّت من ساعتها وصارت ذات سعف وخوص، وحملت الرطب لوقتها، وأنبع الله في أصل النخلة عيناً من الماء.

وقيل: بل كان هناك نهر جاف تحت جذع النخلة، فأجراه الله لها في هذه الساعة.

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه، وأبو نعيم في الحلية، والرافعي.

(٢) وهذه من خصوصيات سيدنا عيسىٰ؛ لهذا يقال: إن ابن الثمانية أشهر لا يعيش غالباً.

وقال وهب بن منبه: لَمّا دنت ولادة مريم أوحىٰ الله تبارك وتعالىٰ إليها أن تخرج من المحراب لِتَتَبَوَّأَ منزلاً تلد فيه، فتحوّلت إلىٰ بيت خالتها أم يحيىٰ بن زكريا. فلما دخلت عليها استقبلتْها وسلّمت عليها، فشعرت بسجود مَنْ في بطنها للذي في بطن مريم - كما تقدّم معنا ذِكْر ذلك -.

ثم أوحىٰ الله تعالىٰ إلىٰ مريم أن تخرج من أرض بيت المقدس إلىٰ الأرض التي ستلد فيها، فذهبت وحدها حتىٰ إذا كانت ببعض الطريق، هناك ألجأها المخاض إلىٰ تلك الأماكن التي كان يربط فيها المسافرون دوابهم إذا نزلوا.

وهناك قول أنها ارتحلت مع يوسف النجار، فحملها علىٰ حماره وليس بينها وبين الأُكاف غير ثوبها، وهي مُثْقَلة لا تقدر أن تقوم. فانطلقا في سواد الليل من بيت لحم يَؤُمّان الجبال، حتىٰ إذا كانا ببعض الطريق بين نخلات يَنْزِلْنَها الركبان، فنزلا ذلك المنزل، فأدركها المخاض، فالتجأت إلىٰ بعض تلك الأواريّ، وهو في أصل جذع نخلة يابس فَحْل ليس فيه عراجين، فأنبته الله تعالىٰ وأثمره حتىٰ أظلّها وأكنّها، وتدلّتْ عليها غصون من كل جانب حتىٰ سترها السَّعَف والعراجين. واشتدّ بها الطلق وداومها سبع ليال، وأشرفت علىٰ الموت فقالت ما أخبر الله تبارك وتعالىٰ به عنها: ﴿فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا[1] مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾﴾ [مريم].

قال: واشتدّ عليها البرد، فعمد يوسف إلىٰ حطب فجعله حولها كالحظيرة، ثم أشعل فيه النار فأَدْفَأَها، وكسر لها سبع جوزات فأكلتْها[2].

وقيل: إنها عند الولادة سمعت نداء يقول: اخرج يا مَن سيُعبد من دون الله؛ لهذا قالت: ﴿يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾﴾ [مريم].

وقال كعب الأحبار: إنها خرجت منفردة، فلما فقدها زكريا أهمّه ذلك، وبعث يوسف النجار في طلبها، فجاء حتىٰ نظر إليها تحت النخلة.

---

(١) النَّسْيُ هو الشيء الحقير الذي لا قيمة له، وبعضهم قال: كخرقة الحيض. أي لا تُعرف ولا تُذكر.

(٢) فمن أجل ذلك توقد النصارى النار ليلة الميلاد، ويلعبون بالجوز.

قال كعب: ولَمّا شَكَتْ مِن ألم الولادة ما شَكَتْ وقالت: ﴿يَٰلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾﴾ [مريم]، فناداها من تحتها: ﴿أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا[1] ﴿٢٤﴾﴾ [مريم].

قيل: إن الذي ناداها عيسىٰ عندما وُلِدَ، فقال: لا تخافي أنا عبد الله.

وقيل: جبريل وهو المعتمد، فأخبرها بقوله: ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا[2] ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا[3]﴾ [مريم].

قال كعب: فلما جاء يوسف النجار كلّمها فلم تتكلّم، فتكلّم عيسىٰ في حِجْرها وقال: يا يوسف، أَبْشِرْ وقَرَّ عيناً وطِبْ نفساً، فقد أخرجني ربي من ظلمة الأرحام إلىٰ ضوء الدنيا، وسآتي بني إسرائيل وأدعوهم إلىٰ طاعة الله.

ثم انصرف يوسف وأخبر زكريا بأن مريم ولدت وأنها ستأتي، وأخبر بني إسرائيل بالحديث.



هذه النجمة موجودة في كنيسة المهد في بيت لحم ويعتقد بأنها المكان الذي ولد فيه سيدنا عيسىٰ

(١) السَّري هو الرجل العظيم السيد في قومه، وقيل علىٰ المعتمد: هو جدول ماء صغير. قالوا: كان نهراً من ماء عذب، يكون بارداً إذا شربت منه، وفاتراً إذا استعملته.

(٢) أي نضيجاً. وهنا إشارة إلىٰ أن الرطب هو أفضل شيء للحامل أن تأكله أثناء الحمل أو بالأشهر الأخيرة، وللتي تعسّرت عليها الولادة كذلك، ولو كان هناك شيء غير ذلك لأنبته الله تعالىٰ لمريم.

(٣) أي كُلي واشربي من الماء الذي أنبعه الله لكِ، وقَرِّي عيناً بهذا الولد.

قال الثعلبي: قال وهب: فلما وُلِدَ عيسىٰ أصبحت الأصنام بكل الأرض منكوسة علىٰ رؤوسها، ففزعت الشياطين ولَمْ يَدْروا لِمَ ذلك، فذهبوا مسرعين حتىٰ جاءوا إبليس وهو علىٰ عرش له في لُجّة خضراء، يتمثّل يوم كان علىٰ الماء[١]. فأتوه وقد خلت ست ساعات من النهار، فلما رأى إبليس جماعته فزع من ذلك ولم يَرَهم جميعاً منذ فرّقهم قبل تلك الساعة، إنما كان يراهم أشتاتاً. ولم يكن شيء أعون علىٰ هلاك بني إسرائيل يومها من أن ينطبق عليهم الشياطين من كل جانب[٢].

فسألهم إبليس: ما الذي أتىٰ بكم في هذه الساعة؟ فقالوا: أَمْر جَلَل، الأصنام كلها سقطت علىٰ وجوهها، وأتينا لنشكو لك. فقال لهم: انتظروا. ثم طار في الدنيا كلها ومرّ علىٰ بيت المقدس علىٰ المكان الذي وُلِدَ فيه عيسىٰ، فرأى الملائكة مُحْدِقين بذلك المكان، ورآها مجتمعة حول مريم وهي تَلِدُ، فأراد أن يدنو فلم تُمَكِّنْه الملائكة من الدنو. فأراد أن يأتيه من فوقه، فرأى فوق رأسه الملائكة ومناكبُهم إلىٰ السماء. ثم أراد أن يأتيه من تحت الأرض، فإذا أقدام الملائكة راسية. فأراد أن يدخل مِن بينهم، فَنَحَّوْه عن ذلك.

فسيدنا عيسىٰ آية من آيات الله، لا يُمَكَّن إبليس منه أن ينخزه[٣].

قال: فرجع إبليس إلىٰ أصحابه فقال: ما جئتكم حتىٰ أَحْصَيْتُ الأرض كلها شرقاً وغرباً، بَرّها وبحرها، والخافِقَيْن والجوَّ الأعلىٰ. ثم أخبرهم بمولد عيسىٰ بن مريم وقال: ما اشْتَمَلَتْ قبله أُمٌّ علىٰ ولد إلاّ بعلمي، ولا وضعتْه قط إلاّ وأنا حاضرها، وإني لأرجو أن أُضِلَّ به كثيراً مِمّن يهتدي، وما كان نبي قبله أشدّ عليّ وعليكم من هذا المولود.

۞ رجوع مريم بعيسىٰ عليه السلام بعد مولده وكلامه في المهد:

قال الكسائي: ثم قامت مريم بعد الولادة وحملت عيسىٰ علىٰ صدرها حتىٰ أشرفت

---

(١) حيث إبليس مسكنه في البحر.

(٢) إنما أقول: لولا الملائكة التي تحفظ الناس وإلاّ اختطفتهم الشياطين من الطرقات، ولكن كل إنسان عليه حفظة من الملائكة يحفظونه من هؤلاء العتاة.

(٣) فما من مولود يولد إلاّ وينخزه إبليس إلاّ الأنبياء؛ لهذا يصيح عند الولادة.

به علىٰ بني إسرائيل، وزكريا بينهم.

وأثناء ذلك سمعت نداء جبريل: ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا[1] ﴿٢٦﴾﴾ [مريم].

وقال الثعلبي: قال الكلبي: احتمل يوسف مريم وعيسىٰ إلىٰ غار، فأَدْخَلَهما فيه أربعين يوماً حتىٰ طهرت من نفاسها، ثم جاء بهما، فكلّمها عيسىٰ في الطريق فقال: يا أماه أَبْشِري، فإني عبد الله ومسيحه.

قال الله تعالىٰ: ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ﴾ [مريم: ٢٧].

قال: فلما نظروا إليها بكوا وقالوا: ﴿لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا[2] ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ[3] مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾﴾ [مريم].

فأشارت إليه أي كلّموه، فقالوا: ﴿كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾﴾ [مريم]؟ وضربوا بأيديهم علىٰ جباههم تعجباً، فتنحنح عيسىٰ وقال: ﴿إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾﴾ [مريم].

وقال القرطبي: قيل: كان عيسىٰ عليه السلام يرضع، فلما سمع كلامهم ترك الرضاعة وأقبل عليهم بوجهه، واتّكأ علىٰ يساره، وأشار إليهم بسبابته اليمنىٰ، وقال: ﴿إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ

---

(١) قال القرطبي: ومعنىٰ هذه الآية أن الله تعالىٰ أمرها علىٰ لسان جبريل أو ابنها علىٰ خلاف في ذلك، بأن تُمْسِكَ عن مخاطبة البشر وتُحيل علىٰ ابنها في ذلك؛ ليرتفع عنها خجلها، وتتبيّن الآيةُ فيقوم عُذْرها.

(٢) بمعنىٰ عظيماً فظيعاً، لا يُعرف منك ولا من أهل بيتك، وكانوا أهل بيت صالحين.

(٣) شبّهوها بالعبادة والتقىٰ والصلاح بهارون. ولقد اختُلف هل هو سيدنا هارون أخو النبي موسىٰ عليهما السلام؟ أم هو هارون العبد الصالح الذي كان في زمانها؟ أم هو أخ لها بالعبادة؟ والمعتمد أنه كان عبداً صالحاً تقياً من بني إسرائيل، وعندما مات مشىٰ بجنازته أربعون ألفاً، كل واحد منهم اسمه هارون. وقال الكسائي: ناداها هارون وكان أخاها من أمها، وهو من أحبار بني إسرائيل وعُبّادهم، وقال لها: ﴿مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾، فمِن أين لكِ هذا الولد؟ وقال الثعلبي: قال قتادة: كان هارون رجلاً صالحاً من أتقياء بني إسرائيل، ليس هارون أخا موسىٰ. وقال وهب بن منبه: كان هارون مِن أفسق بني إسرائيل وأظهرهم فساداً، فشبّهوها به.

﴿ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا ﴿٣٠﴾ .....﴾ الآيات. فكان أول ما نطق به الاعتراف بعبوديته لله عز وجل، وبربوبيته سبحانه، وردّاً على مَن غَلا مِن بعده في شأنه.

قالوا: قال العلماء: فلما سمع ذلك أحبار بني إسرائيل، عَلِموا أنه لا أب له، وأن الله تعالى خلقه كما خلق آدم. فقال زكريا: الحمد لله الذي برّأنا بقول عيسى من فساق بني إسرائيل.

قال بعض العلماء: ثم لم يتكلّم عيسى بعدها حتى كان بمنزلة غيره من الصبيان.

وقيل غير هذا، والله أعلم بالصواب.

۞ خروج مريم وعيسى عليهما السلام إلى مصر وما حصل له من آيات ومعجزات في مسيره ومدة مقامه إلى أنْ عاد:

قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةٗ[1] وَءَاوَيۡنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبۡوَةٖ[2] ذَاتِ قَرَارٖ وَمَعِينٖ[3] ﴿٥٠﴾﴾ [المؤمنون].

قال الكسائي وغيره من أهل السير: قالوا: كان سبب خروج مريم إلى مصر أنه بلغ الملكَ هيرودس خبرُ عيسى، فهَمَّ بقتل مريم وابنها، فخاف زكريا والمؤمنون عليهما من القتل، وذلك بعد مولد عيسى بأيام قلائل. فقال زكريا لمريم: إني أخاف عليكِ وعلى ابنك من هذا الملك، وأمر يوسف النجار أن ينقلهما إلى أرض مصر، وأعطاهما أتاناً مع الزاد. فسار يوسف بهما نحو مصر.

---

(١) أي علامة واضحة على وحدانية الله وعلى عظمته.

(٢) هي مكان مرتفع وتحته أنهار جارية. ولقد اختلف العلماء في الربوة التي ذكرها الله تعالى في كتابه: فقال عبدالله بن سلام: هي دمشق، وعلى هذا القول قيل: إنها الربوة المشهورة غربي دمشق والتي تبعد عن دمشق قليلاً. وقال أبو هريرة: هي الرملة، وهي المدينة المشهورة في فلسطين. وقال قتادة وكعب الأحبار: هي بيت المقدس. قال كعب: هي أقرب الأرض إلى السماء. وقال أبو زيد: هي مصر. وقال الضحاك: هي غوطة دمشق. وقال أبو العالية: هي أيلة. وقال بعض المفسرين: هي قرية من قرى مصر تُسَمّى سَدَمَنْت، وهي بلد من بلاد إقليم الفيوم معروفة مشهورة.

(٣) القرار هي الأرض المستوية، والمَعين الماء الظاهر.

ولقد حصلت معجزات كثيرة على يد عيسىعليه السلام في مسيره ومُقامه بمصر، أذكر لك بعضها لتكون نموذجاً واضحاً لِما حصل لسيدنا عيسى في شهوره الأولى من ولادته عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والتسليم.

معجزة أولى:

فبينما هم سائرون إلى أرض مصر، رأى يوسف النجار في بعض الطريق أسداً ففزع منه، فقال عيسى: قَرِّباني إلى الأسد ولا تَقْرَباه أنتم. فقرّبوه، فلما صار بين يدي الأسد قال عيسى: أيها الوحش، ما وقوفك على قارعة الطريق؟ قال: لِثور يمر عليّ لا بد لي منه. قال عيسى: هذا الثور لقوم مساكين ليس لهم سواه، ولكن انطلق إلى برية كذا وكذا فإنك سترى جملاً ميتاً، فكُلْهُ واترك هذا الثور لأصحابه. فمضى الأسد نحو الميتة وتركهم، والله أعلم بالصواب.

وتعجب الناس يومها من أمر هذا الطفل، كيف يهابه السبع ويطيعه وهو لا زال في بداية أيام ولادته؟!

معجزة ثانية:

ثم ساروا حتى دخلوا قرية عامرة، وقد اجتمع الناس على باب ملكهم ومعهم صنم من حجر، وهم يبكون ويسجدون لذلك الصنم. فقال لهم عيسى: ما شأنكم أيها القوم؟ فالتفتوا فقالوا: إن امرأة الملك قد تعسّر عليها وضع هذا الولد، وقد أَمَرَنا الملك أن نسجد لهذا الصنم، ونسأله أن يخفف عنها ما هي فيه. فقال: اذهبوا إلى الملك وقولوا له: لو وضعتُ يدي على بطنها لخرج منها المولود عاجلاً. فدخلوا وأخبروا الملك، فطلبه حالاً. فدخل عيسى، فعجب الملك مِن نُطْقِه وهو صغير، وأُدْخِلَ على المرأة، فقال عيسى للملك: إنْ أخبرتك بما في بطنها وخرج كما أقول، أتؤمن بربي الذي خلقني من روحه؟ قال: نعم، فقال: في بطنها غلام على خده خال أسود، وعلى ظهره شامة بيضاء. ثم وضع عيسى يده على بطن المرأة وقال: أيها الجنين، بالذي خَلَقَ الخَلْقَ وأسبغ عليهم سعة

الرزق اخرج، فخرج الولد على ما وصفه تماماً. فهَمَّ الملك أن يؤمن، فقال وزراؤه: إنَّ هذه المرأة ساحرة، وهذا الصبي مِثْلها ساحر، وقد طردهما من بيت المقدس عَمَلُهما. فرفض أن يؤمن، فأرسل الله صاعقة من السماء أهلكته وقومَه.

معجزة ثالثة:

ثم مضى يوسف النجار بهما حتى دخلوا مصر، وما جاءت إلينا نصوص صحيحة تبين الفترة التي بقوا فيها على الطريق، إنما فترة طويلة الله أعلم بها.

قال الثعلبي نقلاً عن وهب بن منبه بتهذيب مني: فنزلت مريم دار دهقان هناك، ولم يكن لها ما تعيش منه إلاّ الغزل، فكانت تغزل الكتان والصوف بالأُجرة لأهل مصر، ويوسف يحتطب ويبيع الحطب مدة، ليس لهم رزق إلاّ من ذلك. وكانت هذه الدار يأوي إليها المساكين والفقراء.

وبنزول مريم وولدها وجلوسها في الدار سُرِقَ للدهقان مال من خزانته، ولم يتّهم الدهقان أحداً، إنما مريم حزنت لتلك المصيبة. فلما رأى عيسى حزن أمه بمصيبة صاحب ضيافتها، قال لها: يا أماه، أتحبين أنْ أَدُلَّه على ماله؟ قالت: نعم يا بني، فقال: قولي له أن يجمع لي مساكين داره. فذهبت مريم للدهقان وقالت له: اجمع المساكين، نريد أن نُبَيِّن لك السارق.

فجمع المساكين وكان بينهم مقعد وأعمى، فأمر عيسى المقعد أن يجلس على كتف الأعمى، وقال للأعمى: قُمْ به. فقال الأعمى: أنا أضعف من ذلك، فقال عيسى: وكيف قويتَ على ذلك البارحة عندما اتفقتما على سرقة المال من الخزانة؟ فلما سمعوه يقول ذلك ضربوا الأعمى حتى قام، فلما استقلّ قائماً هوى المُقعد إلى كُوّة الخزانة، فقال عيسى: هكذا احتالا على مالك البارحة؛ لأن الأعمى استعان بقوته، والمُقعد بعينيه. فقال المُقعد والأعمى: صدق، فردّا على الدهقان ماله.

فقال الدهقان لمريم: خذي نصف المال، فقالت: إني لم أُخْلَق لهذا، قال: فأَعْطِهِ ابنكِ، قالت: هو أعظم مني شأناً.

والله أعلم بالصواب.

معجزة رابعة:

قال الثعلبي: ثم لم يلبث الدهقان أنْ أَعْرَسَ ابناً له، فصنع له عيداً فجمع عليه أهل مصر، وكان يطعمهم شهرين.

فلما انقضىٰ ذلك زاره قوم من أهل الشام، ولم يعلم الدهقان بهم حتىٰ نزلوا به، وليس عنده يومئذ شراب. فلما رأى عيسىٰ اهتمام الدهقان بذلك، دخل بيتاً من بيوته فيه جرار، فأمرّ عيسىٰ عليه السلام يده علىٰ أفواهها، فكلما مرّ بيده علىٰ جرّة امتلأتْ شراباً حتىٰ أتىٰ علىٰ آخرها، وهو يومئذ ابن اثنتي عشرة سنة.

معجزة خامسة:

قال الثعلبي بتصرف وتهذيب مِن قِبَلي: وبينما عيسىٰ يلعب مع الصبيان بأرض مصر، إذ وثب غلام منهم علىٰ غلام آخر فقتله، فجاء أهله وتعلّقوا بجميع الصبيان وفيهم عيسىٰ عليه السلام، وأَتَوْا بهم إلىٰ القاضي، فقال القاضي: مَنْ قتل هذا؟ قالوا: هذا، وأشاروا إلىٰ عيسىٰ. فقال له القاضي: لِمَ قتلتَ هذا الغلام؟ قال: أراكَ حاكماً جاهلاً، كان يجب أن تسألني: أَقَتَلْتَه أم لا؟ قال القاضي: أراك ذا عقل، فما اسمك؟ قال: عيسىٰ بن مريم. قال: يا عيسىٰ، لِمَ قَتَلْتَه؟ قال: يا جاهل، أبهذا أمرتُك؟ ثم دنا عيسىٰ من الغلام وقال: قُمْ بإذن الله الذي يُحْيي العظام وهي رميم. فاستوى الغلام جالساً، وقال له: مَنْ قَتَلَكَ؟ قال: قتلني فلان بن فلان، وهذا عيسىٰ بن مريم بريء من دمي. فعجب الناس من ذلك، وقتلوا قاتل الغلام، وأخذت مريم بيد عيسىٰ وانطلقت.

معجزة سادسة:

قال الثعلبي بتصرف وتهذيب مني: وأتت مريم بعيسىٰ عليه السلام إلىٰ مُعَلِّمٍ لِيُعَلِّمَه، فقال عيسىٰ: إن ربي قد أغناني عن تعليم المُعَلِّمين، وعلّمني التوراة والإنجيل. قالت: صدقتَ، ولكن تكون عند مُعَلِّم خير من أن تلعب مع الصبيان.

فأتت به إلىٰ مُعَلِّم يُعَلِّمه، فكان الأمر أنْ تَعَلَّمَ المُعَلِّم من عيسىٰ.

وروى الثعلبي عن محمد الباقر رحمه الله تعالىٰ قال: لَمّا وُلِدَ عيسىٰ عليه السلام كان ابنَ يوم كأنه ابن شهر، فلما كان ابن تسعة أشهر أخذت والدته بيده وجاءتْ به إلىٰ كُتّاب، وأَقْعَدَتْهُ بين يدي المؤدِّب، فقال له المؤدب: قل: (بسم الله الرحمن الرحيم)، فقالها عيسىٰ عليه السلام. فقال المؤدب: قل: (أَبْجَد)، فرفع عيسىٰ رأسه وقال للمؤدب: هل تدري ما (أبجد)؟ فَعَلاه ليضربه، فقال: يا مؤدب لا تضربني، إنْ كنتَ تدري وإلاّ فَسَلْني حتىٰ أُفَسِّرَ لك. فقال: فَسِّرْه لي، فقال عيسىٰ: الألف آلاء الله، والباء بهجة الله، والجيم جلال الله، والدال دين الله. فقال له المؤدب: (هوّز)؟ فقال له عيسىٰ: الهاء هي جهنم وهي الهاوية، والواو ويل لأهل النار، والزاي زفير جهنم. فقال له المؤدب: (حُطِّي)؟ فقال عيسىٰ: حُطَّت الخطايا عن المستغفرين. فقال المؤدب: (كَلَمُن)؟ فقال عيسىٰ: كَلَمُن كلام الله غير مخلوق، لا مُبَدِّل لكلماته. فقال المؤدب: (سفعص)؟ فقال عيسىٰ: صاع بصاع، والجزاء بالجزاء. فقال المؤدب: (قَرَشَت)؟ فقال عيسىٰ: تَقْرَشُهم حين تحشرهم، أي تجمعهم. فقال المؤدب لمريم: أيتها المرأة، خذي بيد ابنك فقد عُلِّمَ، ولا حاجة له إلىٰ مؤدِّب.

قال سعيد بن جبير: قال رسول الله ﷺ: إن عيسىٰ عليه السلام أرسلتْه أمه إلىٰ الكُتّاب ليتعلّم، فقال له المُعَلِّم: بسم الله الرحمن الرحيم، فقال: وما باسم الله؟ قال: لا أدري، قال: الباء بهاء الله، والسين سناء الله، والميم مملكته.

۞ رجوع عيسىٰ ومريم عليهما السلام من مصر:

قال الكسائي: قال وهب بن منبه: وأقامت مريم وابنها عيسىٰ بمصر اثنتي عشرة سنة حتىٰ أهلك الله الملك هيرودس.

قال: وأوحىٰ الله تعالىٰ إلىٰ مريم بوفاة الملك، وأمرها أن ترجع إلىٰ بلادها. فجاء يوسف النجار فرجع بها.

فلم تزل هي وابنها يسكنان بجبل الجليل، بقرية يقال له: الناصرة[1]. وهناك نشأ سيدنا

---

(١) هي من أعمال الجليل، اشتُهرت بكونها وطناً لسيدنا عيسىٰ، وبها ابْتُدِعَت النصرانية.

عيسىٰ مدة طفولته وصباه إلىٰ أن بدأت خدمته ووصل الثلاثين من عمره.

وكان سيدنا عيسىٰ يحب السياحة كثيراً في البراري والسهول والقفار، حيث هذا أقرب وأخلص، وأبعد عن الناس.

۞ مبعث عيسىٰ عليه السلام:

قال الكسائي: قال وهب بن منبه: ثم أوحىٰ الله تعالىٰ إلىٰ عيسىٰ بعد أنْ تمّتْ له ثلاثون سنة أن يبرز إلىٰ الناس، ويدعوهم إلىٰ الله تعالىٰ، ونزل عليه الإنجيل.

فكان يسير في البلاد ويدعو الناس إلىٰ الله عزوجل، يُرَغِّبُهم فيما عنده، ويُزَهِّدُهم في الدنيا، ويضرب لهم أمثالاً، ويداوي المرضىٰ والزمنىٰ، ويبرئ الأكمه والأبرص.

فأحبّه الناس وسكنوا إليه، وكثرت أتباعه حتىٰ امتنع وعلا أمره.

ثم أحيىٰ الله تبارك وتعالىٰ الموتىٰ علىٰ يديه.

وكان جبريل لا يتركه في سفر ولا حل.



۞ اجتماع عيسىٰ عليه السلام مع الحواريين وإيمانهم به:

قال الكسائي بتصرف مني: مَرَّ عيسىٰ عليه السلام علىٰ قوم أربعة يصيدون السمك: شمعون، وأخ له أَنْدِرْيوس، ويعقوب، ويوحنا. فجلس معهم ووعظهم، وزهّدهم في الدنيا، ووعدهم الجنة وأخبرهم عن نعيمها، فآمنوا به واتبعوه.

ومرّ كذلك بطائفة أخرى، فوجدهم علىٰ نهر يغسلون الثياب ويُقَصِّرونها[1]، منهم: لوقا، وتوما، ومرقوص، ويوحنا، وأَخَوان لهم صَبِيّان لم يبلغا الحلم: أحدهما شمعون، والآخر يعقوب.

وقيل في أسمائهم غير ذلك، والله تعالىٰ أعلم.

فقال لهم عيسىٰ عليه السلام: يا قوم، إنكم تُقَصِّرون هذه الثياب وتُنَظِّفونها من أوساخها، فلِمَ لا تفعلون ذلك مع قلوبكم؟ ثم قال لهم: إني رسول الله إليكم جميعاً. وبشّرهم برسول يأتي مِن بعده اسمه أحمد، فآمَنوا به واتبعوه.

فكانوا اثني عشر رجلاً: أربعة منهم كانوا يصيدون السمك، وثمانية يُقَصِّرون الثياب.

وكان مِنَ القَصّارين رجل أسفل النهر يقال له: يوذا[2]، لم يسمع كلام سيدنا عيسىٰ، إنما لَمّا رأى أصحابَه اتّبعوه لحق بهم، فصاروا به ثلاثة عشر. وهذا هو الذي ارتدّ بعد ذلك، ودَلَّ اليهود علىٰ عيسىٰ عليه السلام ليصلبوه كما سيأتي معنا إن شاء الله تعالىٰ.

وهؤلاء هم الحواريون الذين كانوا تلاميذ عيسىٰ عليه السلام الخاصّين، تركوا أعمالهم وأشغالهم وساحوا معه كما يحب، فكانوا ملازمين له دائماً، يأكلون كما يأكل، ويشربون كما يشرب.

---

(١) التقصير هو صباغة الثياب.

(٢) وفي رواية: يهوذا الإسخريوطىٰ، كما في الكتاب المقدس.

۞ ذِكْر بعض معجزات سيدنا عيسىٰ عليه السلام:

قال تعالىٰ: ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ[١] وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ[٢] تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ[٣] وَٱلْحِكْمَةَ[٤] وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ[٥] وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ[٦] بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ[٧] وَٱلْأَبْرَصَ[٨] بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ ﴾ [المائدة].

فمعجزات سيدنا عيسىٰ كثيرة، حيث بنو إسرائيل كما هو معلوم هم أهل إعجاز وجدل ينكرون الحقيقة، فكان لا بد من أن يُظْهِرَ لهم الله عز وجل علىٰ يد نبيه وعبده عيسىٰ بعض المعجزات؛ لتكون أوقع في نفوسهم، ولكي لا يبقىٰ لهم حجة ولا معاندة أمام الحق.

---

(١) قال الحسن: ذِكْر النعمة شكرها.

(٢) اختلف فيه، فقال الربيع بن خيثم: هو الروح الذي نُفِخَ فيه، وقد أضافه الله عز وجل إلىٰ نفسه تَكَرُّماً وتَخْصيصاً، نحو بيت الله، وناقة الله. والقُدس هنا هو الله تعالىٰ، ويدل عليه قوله سبحانه: ﴿ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾ [النساء ١٧١]، وقوله تعالىٰ: ﴿ فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُّوحِنَا ﴾ [التحريم ١٢].
وقال السدي وكعب الأحبار: روح القدس هو جبريل عليه السلام.
ويروى عن كعب الأحبار كذلك أن جبريل الأمين كان يرافق عيسىٰ ويعينه، ويسير معه حيث سار إلىٰ أنْ صعد به إلىٰ السماء.
وقال سعيد بن جبير وعبيد بن عمير: روح القدس هو اسم الله الأعظم، وبه كان عيسىٰ يُحْيِي الموتىٰ، ويُرِي الناسَ تلك العجائب.
وقال آخرون: أراد الله تعالىٰ بالقدس هنا الطهارة، يعني الروح الطاهرة. وقد سُمِّيَ روحه قدساً لأنه لم تَتَضَمَّنْه أصلاب الفحولة، إنما كان أمراً من الله تعالىٰ.

(٣) أي عَلَّمَه الخط بدون معلم.

(٤) هي العلم والفهم الغزير.

(٥) فكان يقرأ التوراة والإنجيل عن ظهر غيب، وكان يكتب.

(٦) أي تجعل وتصور كهيئة الطير.

(٧) الأكمه هو الذي وُلِدَ أعمىٰ ولم يَرَ الضوء قط. قالوا: ولم يكن في الإسلام أكمه غير قتادة.

(٨) هو الذي به وضح بياض يَنْشُفُ الدم من تحته، ويكون مَعِيباً عند الناس.

ومن هذه المعجزات التي جاء بها سيدنا عيسىٰ عليه الصلاة والسلام:

❁ تصوير الطير:

فكان عيسىٰ عليه السلام يُصَوِّر من الطين كهيئة الطير، ثم ينفخ فيه فيصير طيراً بإذن الله تعالىٰ.

قال وهب بن منبه: كان يطير ما دام الناس ينظرون إليه، فإذا غاب عن أعينهم سقط ميتاً؛ ليتميز فِعْل الخَلْق مِن فِعْل الله تعالىٰ، ولِيُعْلَم أن الكمال لله عز وجل.

قال العلماء: ولم يخلق الله تعالىٰ علىٰ يد عيسىٰ بن مريم سوى الخفاش، وإنما خُصَّ بالخفاش لأنها أكمل الطير خَلْقاً، فتكون أبلغ في القدرة؛ لأن لها ثدياً وأسناناً، وهي تلد وتحيض وتطهر، وللذكر مَنِيٌّ كمَنِيِّ الرجال.

❁ إبراء الأكمه والأبرص والأعمىٰ:

وكان الغالب علىٰ زمن عيسىٰ الطب، فأراهم الله تعالىٰ المعجزة مِن جنس ذلك، وهذه زيادة في الحجة عليهم.

فكان يداوي المرضىٰ والزمنىٰ من الصباح إلىٰ المساء، ويُبرئ الأكمه والأبرص، فيضع يده عليه فيُشفىٰ حالاً بإذن الله وقدرته.

قال الكسائي: قالوا: وربما اجتمع عليه من المرضىٰ والزمنىٰ في الساعة الواحدة خمسون ألفاً، فَمَنْ أطاق منهم أن يبلغه بَلَغَه، ومَنْ لم يقدر علىٰ ذلك أتاه عيسىٰ يمشي إليه. وإنما كان يداويهم بالدعاء بشرط الإيمان، فكان لا يسعهم إلاّ أن يؤمنوا حالاً، فآمن به عدد كبير.

قال أبو إسحاق الثعلبي: يروى أن عيسىٰ عليه السلام مَرَّ بِدير فيه عميان، فقال: ما هؤلاء؟ فقيل له: هؤلاء قوم طُلِبوا للقضاء فطمسوا أعينهم بأيديهم. فقال لهم عيسىٰ: ما دَعاكم إلىٰ هذا؟ فقالوا: خِفْنا عاقبة القضاء فصنعنا بأنفسنا ما ترى، فقال: أنتم العلماء والحكماء والأحبار والأفاضل، لأنكم فررتم من الدنيا. ثم قال لهم: امسحوا بأيديكم أعينكم وقولوا: باسم الله، فمسحوا، فأعادهم الله يبصرون، وجلسوا يعبدون الله عز وجل.

۞ إحياء الموتىٰ:

ومن جملة من أحياهم **سام بن نوح**.

قال الكسائي: قال وهب: سَأَلَتْ طائفة من بني إسرائيل عيسىٰ عليه السلام أنْ يحيي لهم سام بن نوح، فقالوا: أَحْيِ لنا سام بن نوح ليكلمنا ويقول لنا أنك نبي الله، فإنْ لم تفعل قتلناك، وإن فعلتَ آمنا بك واتبعناك. فأوحىٰ الله إليه: أنِ افعل، نادِهِ ثلاث مرات فإنه سيجيبك. فذهب إلىٰ قبره وناداه ثلاث مرات: يا سام، يا سام، يا سام. فأجابه بإذن الله تعالىٰ، وفي الثالثة قام وهو أشمط الرأس واللحية، فسأله عيسىٰ: أهكذا مِتَّ أبيض الرأس واللحية؟ قال: لا، ولكنني سمعت نداءك فَخِفْتُ أن تكون القيامة قامت فشمطتُ. ثم جلس سام أمام الناس، وأخبر القومَ بأن عيسىٰ نبي الله وكلمته، ثم ردّه عيسىٰ إلىٰ قبره. ومع ذلك ازدادوا تعاسة، وما آمن يومها سوى القليل جداً.

ومِمَّن أحيىٰ كذلك **العازر**.

كان نبياً من أنبياء بني إسرائيل، وكان محبوباً عندهم، وصديقاً لعيسىٰ عليه السلام. وفي مرضه الأخير أرسل أخته إلىٰ عيسىٰ عليه السلام وقال لها: قولي لعيسىٰ إن أخاك العازر يموت فائْتِه، وكان بينه وبين أن يصل إليه مسيرة ثلاثة أيام. فأتاه عيسىٰ هو وأصحابه الحواريون فوجدوه قد مات منذ ثلاثة أيام، فقال عيسىٰ لأخته: انطلقي بنا إلىٰ قبره. فانطلقت معهم إلىٰ قبره وهو في صخرة مطبقة، فقال عيسىٰ: اللهم رب السماوات السبع والأرَضين السبع، إنك أرسلتَني إلىٰ بني إسرائيل لأدعوهم إلىٰ دينك، ولأخبرهم أني أُحْيِي الموتىٰ بإذنك، فَأَحْيِ لنا العازر. فقام العازر وأوداجه تقطر، فخرج مِن قبره وبقي، ووُلِدَ له.

قال الكسائي: وسأل بنو إسرائيل عيسىٰ عليه السلام أن يحيي لهم **عزيراً**، فقال: التمسوا قبره، فالتمسوه فوجدوه في صندوق من حجر، فعالجوه ليفتحوا بابه فلم يستطيعوا ذلك، فرجعوا إلىٰ عيسىٰ وأخبروه أنهم عجزوا أن يخرجوه من قبره، فأعطاهم ماء في إناء وقال: انضحوا بهذا الماء فإنه ينفتح. فانطلقوا ونضحوه بالماء، فانفتح طابقه. فأقامه عيسىٰ في أكفانه فنزعها عنه، ثم جعل ينضح جسده بالماء، ولحمه ينبت وشعره وهم ينظرون. ثم قال

عيسىٰ: يا عزير، احْيَ بإذن الله، فإذا هو جالس. فقالوا: ما شهادتك علىٰ هذا الرجل؟ فقال عزير: أشهد أنه روح الله وكلمته ألقاها إلىٰ مريم، وأنه عبد الله ونبيه وابن أَمَتِه. قالوا: يا عيسىٰ، ادْعُ ربك يحييه لنا فيكون بين أظهرنا. فقال عيسىٰ: رُدّوه إلىٰ قبره فإنه انقطع رزقه وانقضىٰ أجله، فردّوه إلىٰ قبره.

❁ إخبار بني إسرائيل بما يدّخرون وما يأكلون في بيوتهم:

قال تعالىٰ علىٰ لسان عيسىٰ بن مريم عليه السلام: ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [آل عمران].

قال الكسائي نقلاً عن ابن منبه: وذلك أن عيسىٰ عليه السلام لَمّا أَبْرَأَ الأكمه والأبرص، وأحيىٰ الموتىٰ بإذن الله تعالىٰ، قال له بنو إسرائيل: إنك تزعم أنك تخبرنا بما نأكل في بيوتنا وما ندّخر؟ قال: نعم، قالوا: فإنا نجمع خيارنا وأحبارنا ورهباننا فنأمرهم أن يأكلوا في بيوتهم وأن يدّخروا، ثم نأتيك لتخبرنا ماذا أكلنا وماذا ادّخرنا. قال: نعم.

فانطلقوا إلىٰ بيوتهم وأكلوا وادّخروا، وأقبلوا إليه من الغد، وسأله كل رجل منهم عمّا أكل وادّخر، فأخبرهم ولم يخطئ بواحدة. كان يجيبهم الإجابة وكأنه معهم ورأى بعينه، وكان يطلعه الله علىٰ أمورهم في بيوتهم أكثر منهم اطِّلاعاً علىٰ أنفسهم، فلم يَبْقَ لهم حجة ولا دليل، ولكنهم بقوا متشككين وخرجوا وهم غير مؤمنين.

❁ إخباره بالمغيبات (قصة ابن العجوز):

قال أبو إسحاق الثعلبي: كان عيسىٰ كما أسلفنا سوّاحاً يحب السياحات كثيراً.

يروى أنه مَرَّ بمدينة ومعه الحواريون، فقال لهم: إن في هذه المدينة كنزاً، فمن يذهب ليستخرجه؟ قالوا: يا روح الله، لا يدخل هذه القرية غريب إلاّ قتلوه. فقال: إذاً مكانكم، انتظروني هنا حتىٰ أعود إليكم.

ومضىٰ حتىٰ دخل المدينة، فوقف بباب امرأة عجوز، فقال: السلام عليكم يا أهل الدار، غريبٌ أَطْعِمُوه. فقالت: أما ترضىٰ أن أدعك لا أذهب بك إلىٰ الوالي ليقتلك حتىٰ تقول أطعموني؟!

فبينا عيسىٰ عليه السلام في الباب يخاطب العجوز وتخاطبه إذ أقبل ابنها، فقال له عيسىٰ: يا عبد الله، أَضِفْني ليلتك هذه. فقال الفتىٰ كما قالت أمه، فأجابه عيسىٰ: أما إنك لو فعلت ذلك زوّجتك ابنة الملك، فقال له الفتىٰ: أمّا أنا فإمّا أقول عنك: مجنون، أو أقول: إنك عيسىٰ بن مريم. فقال: أنا أقول لك: إذا أَضَفْتَني الليلة عندك زوّجتك ابنة الملك، وأنا عيسىٰ بن مريم.

فأضافه وبات عنده تلك الليلة، فلما أصبح قال له: اغْدُ وادخل علىٰ الملك وقل له: جئت أخطب ابنتك، فإنه سيأمر بضربك وإخراجك. فذهب ابن العجوز واجتمع مع الملك، وقال له: جئتك خاطباً لابنتك، فأمر بضربه.

وفي اليوم الثاني قال له عيسىٰ: ارجع إليه، وسيأمر بضربك ضرباً أخف من الضرب الأول. وهذا الذي حصل، فرجع إلىٰ عيسىٰ فأخبره.

وفي اليوم الثالث قال له عيسىٰ: ارجع إلىٰ الملك واخطب ابنته، فإنه سيقول لك: إني أُزَوِّجك إيّاها علىٰ حُكْمي، وحُكْمي قصرٌ من ذهب وفضة، وما فيه من فضة، وزبرجد، ولؤلؤ، ومرجان، وحجارة كريمة. فقل له: أَفْعَلُ ذلك، فإذا قَبِلَ قُلْ: ابعث معي رجلاً من عندك ليستلم القصر، فإذا بعث معك فاخرج، فإنك سوف تجده فلا تُحْدِث فيه شيئاً.

فذهب ابن العجوز ودخل علىٰ الملك، فخطب إليه ابنته، فقال الملك: تُصْدِقُها حُكْمي؟ قال: نعم، وما حُكْمك؟ فحكم الذي سَمّىٰ له عيسىٰ. فقال له: نعم، ابعث معي مَن يقبض ذلك. فبعث معه قوماً، فدفع إليهم ما سأله الملك، فعجب الملك من ذلك وسلّم إليه ابنته.

فتعجّب الفتىٰ وقال لعيسىٰ: يا روح الله، تَقْدِرُ علىٰ مِثْل هذا وأنت علىٰ هذا الحال؟ فأجابه: لأنني آثرتُ ما يبقىٰ علىٰ هذه الفانية. فدخل الإيمان حالاً في قلب ذلك الفتىٰ وقال: وأنا أَدَعُهُ وأَصْحَبُك. فتخلّىٰ عن الدنيا كلها، وتَبِعَ عيسىٰ عليه السلام علىٰ حبه للآخرة.

فأخذ سيدنا عيسىٰ بيده وأتىٰ به أصحابّه الحواريين الذين ينتظرونه خارج المدينة، وقال لهم: هذا هو الكنز الذي قلتُ لكم.

فكان ابن العجوز مع سيدنا عيسىٰ حتىٰ مات، وذلك قبل رفع عيسىٰ عليه السلام إلىٰ السماء.

۞ قصته مع اليهودي:

هذه القصة رويت بعدة روايات، وإحداها تقول:

قال أبو إسحاق الثعلبي: قال وهب بن منبه: خرج عيسىٰ عليه السلام يسيح في الأرض، فاستأذنه يهودي أن يصحبه، فأذن له. وكان مع اليهودي رغيفان، ومع عيسىٰ عليه السلام رغيف واحد. فقال عيسىٰ لليهودي: تشاركني في طعامك؟ فقال اليهودي: نعم. فلما رأى أنَّ عيسىٰ ليس معه سوى رغيف واحد، ندم علىٰ المشاركة.

ولَمّا قام عيسىٰ إلىٰ الصلاة أكل اليهودي الرغيف[1]، فلما قضىٰ عيسىٰ صلاته قال: نريد أن نأكل، فوضع اليهودي الرغيفين، فقال له عيسىٰ: أين الرغيف الثالث؟ قال: ما كان إلاّ رغيف واحد. فأكل عيسىٰ عليه السلام رغيفاً، وأكل اليهودي رغيفاً.

ثم انطلقا فجاءا إلىٰ شجرة، فقال عيسىٰ لصاحبه: لو أنّنا بِتْنا تحت هذه الشجرة. فناما ثم أصبحا، فانطلقا فَلَقِيا أعمىٰ، فقال له عيسىٰ: أرأيتَ إنْ عالجتُك حتىٰ رَدَّ الله عليك بصرك، هل تشكره وتؤمن به؟ قال: نعم. فمَسَّ عيسىٰ بصره، ومسح ودعا له، فإذا هو صحيح، فقال عيسىٰ لليهودي: بالذي أراك الأعمىٰ بصيراً، كم كان معك من الرغيف؟ قال: والله ما كان معي إلاّ رغيف واحد، فسكت عنه سيدنا عيسىٰ.

وبعد يوم أو يومين إذا هما بمُقْعَد في الطريق، فقال له عيسىٰ: أرأيتَ إنْ عالجتُك فعافاك الله تعالىٰ، هل تشكره وتؤمن به أنه واحد وأني رسوله؟ قال: بلىٰ. فدعا عيسىٰ ربه فإذا هو صحيح قائم، فقال اليهودي: ما رأيتُ مِثْل هذا قط، فقال له عيسىٰ: بالذي أراك الأعمىٰ بصيراً، والمُقعد صحيحاً، مَن صاحب الرغيف الثالث؟ فحلف له اليهودي: ما كان معي إلاّ رغيف واحد، فسكت عنه سيدنا عيسىٰ.

ثم انطلقا حتىٰ انتهيا إلىٰ نهر عَجّاج[2]، فقال عيسىٰ: لا أرى جسراً ولا سفينة، فَخُذْ

---

(١) وعلىٰ رواية أخرى: خَبَّأه.

(٢) أي جارف وعريض.

بحُجْزَتي[١] مِن ورائي، وضع قدمك موضع قدمي. ومشىٰ عيسىٰ علىٰ وجه الماء، واليهودي يمشي علىٰ قدمه. وبعد أن خرجا قال له عيسىٰ: بالذي أراك الأعمىٰ بصيراً، والمُقعد صحيحاً، وسخّر لك هذا البحر حتىٰ مشيت عليه، مَن صاحب الرغيف الثالث؟ فقال: والله ما كان معي إلاّ رغيف واحد، فسكت عنه سيدنا عيسىٰ.

ثم انطلقا فإذا هما بظباء يَرْعَيْن في البرية، فدعا عيسىٰ بظبي فأتاه، فذبحه وشواه وأكلا منه، ثم جمع عظامه وضربها بالعصا، وقال: قُمْ بإذن الله عزّ وجلّ. فإذا الظبي يعدو، فقال اليهودي: أنا ما رأيتُ مِثْل اليوم من هذه المعجزات، فقال عيسىٰ: بالذي أراك هذه الآية مَن صاحب الرغيف الثالث؟ فقال: ما كان إلاّ رغيف واحد، فسكت عنه عيسىٰ وانطلقا.

وبعد أيام مرّا بصاحب بقر، فنادى عيسىٰ: يا صاحب البقر، اجْزُرْ لنا مِن بقرك هذه عجلاً. فقال: ابعث صاحبك ليأخذ العجل. فبعث اليهوديَ وأخذ عجلاً، فذبحه وأكلا منه. فلما فرغا قذف عيسىٰ بعظامه في جلده، وضربها بعصاه وقال: قُمْ بإذن الله تعالىٰ، فقام العجل يهرول وله خوار. فقال عيسىٰ: يا صاحب البقر، خذ عِجْلك. فقال: ويحك مَنْ أنت؟ قال: أنا عيسىٰ بن مريم، فقال: عيسىٰ السحّار. فتركه عيسىٰ وسار مع صاحبه، ثم قال له: بالذي أحيىٰ لك العجل كم كان معك من الرغيف؟ فقال: ما كان معي إلاّ رغيف واحد، فسكت عنه سيدنا عيسىٰ.

ثم مضيا حتىٰ دخلا قرية فتفرّقا، فنزل عيسىٰ في أسفلها، واليهودي في أعلاها وقد أخذ عصا عيسىٰ، وقال: أنا الآن أُبْرِئُ المرضىٰ، وأُحْيِي الموتىٰ. وكان ملك تلك المدينة مريضاً مَرَضاً مُدْنِفاً[٢]، فانطلق اليهودي ينادي: مَنْ يبتغي مريضاً؟ حتىٰ أتىٰ قصر الملك، فأخبروه بمرض الملك فقال: أَدْخِلوني عليه فأنا أُبْرِئُه، وإنْ رأيتموه قد مات أنا أُحْيِيه. فقيل له: إنَّ وجع الملك قد أعيىٰ الأطباء قبلك، فليس من طبيب يداويه ولا يشفيه إلاّ صَلَبَه. فقال: أَدْخِلوني عليه. فأدخلوه، فضرب الملكَ بالعصا فازداد مرضه، فضربه الثانية فمات،

---

(١) أي بزناري.

(٢) أي كبيراً.

فجعل يضربه بالعصا وهو ميت ويقول: قُمْ بإذن الله، فأخذوه ليصلبوه.

فأُخبر عيسىٰ بذلك، فأقبل عليه وقد رُفِعَ علىٰ الخشبة، فقال لهم: أرأيتم إنْ أَحْيَيْتُ لكم الملك بإذن الله أَفَتَتْرُكون لي صاحبي؟ قالوا: نعم. فدعا اللهَ تعالىٰ فأحياه بإذنه، فقام الملك مُعافىٰ، وأُنزل اليهودي من الخشبة، فقال: يا عيسىٰ، أنت أعظم الناس عليّ مِنّة، والله لا أفارقك أبداً بعد اليوم. فقال له عيسىٰ: أنشدك الله الذي أحيىٰ الظبية والعجل بعد ما أكلناهما، وأحيىٰ هذا بعد ما مات، وأنزلك من الجذع بعد ما صُلِبْتَ، كم كان معك من رغيف؟ قال: والله ما كان معي إلاّ رغيف واحد، فسكت عنه سيدنا عيسىٰ.

ثم انطلقا حتىٰ أتيا قرية عظيمة خَرِبة فيها ثلاث لَبِنات من ذهب ظاهرات[1]، فقال اليهودي: أنا والله أُحِبُّ الذهب والمال، فقال له عيسىٰ: واحدة لي، وواحدة لك، والثالثة لمن أكل الرغيف الثالث. فقال: أنا واللهِ الذي أكلتُه وأنت تصلي، فقال له عيسىٰ: هذا المال كله لك.

ثم انطلق عيسىٰ وترك اليهودي قائماً ينظر وهو لا يستطيع أن يحمل لَبِنة واحدة منهن، كلما أراد أن يحمل واحدة ثَقُلَ عليه، فقال له عيسىٰ: دَعْهُ، فإنَّ له أهلاً يهلكون عليه. فتركه اليهودي وجعل يسير ويلتفت خلفه، وجعلت نفسه تتطلّع إلىٰ المال، ويكره أن يعصي سيدنا عيسىٰ، ويَعْجَزُ عن حَمْل الذهب.

وبعد أن انطلقا وسارا، جاء نفر ثلاث من اليهود فرأوا الذهب، فقالوا: هذه غنيمة لنا فنأخذه. ثم قالوا: يذهب واحد منا إلىٰ القرية يأتينا بدواب تحمل الذهب، ويأتينا بطعام لنأكله. فذهب واحد وفي الطريق قال في نفسه: لماذا أترك الذهب لهم؟ هو ذا أجعل في الطعام سُمّاً فإذا أكلاه ماتا، ويصير المال كله إليّ. أما الآخران فقالا: لماذا نجعل الذهب لثالث؟ إذا جاء قتلناه وأخذنا الذهب. فأتىٰ صاحبُهما بالطعام المسموم، فضرباه فوقع علىٰ الذهب ميتاً، فأكلا الطعام فماتا حول الذهب.

---

(١) وفي رواية أخرى: أن سيدنا عيسىٰ رأى كوماً من التراب فضربه بالعصا، فانطلق من تراب إلىٰ ذهب.

وبعد عدة شهور رجع عيسىٰ ومعه اليهودي، ومروا بهم وهم موتىٰ حول الذهب، فقال عيسىٰ: هكذا تصنع الدنيا بأهلها، ثم قال: يا أيها اليهودي، انظر ماذا سأصنع، قوموا بإذن الله. فأحياهم بقدرة الله تعالىٰ، فاعْتَبَروا ومَرُّوا ولم يأخذوا من المال شيئاً. فتطلعت نفس اليهودي إلىٰ المال، فقال لعيسىٰ: أعطني المال، فقال: خذه فهو حظك من الدنيا والآخرة.

فلما ذهب عيسىٰ أراد اليهودي أن يحمل المال ويسير، فخسف الله به الأرض، فهلك هو والمال معه.

❁ قصة المائدة:

قال وهب بن منبه: سأل بنو إسرائيل عيسىٰ بن مريم عليه السلام أن يُنَزِّلَ عليهم مائدة من السماء.

قال الله تعالىٰ: ﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ (١) هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ (٢) أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٣) ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ (٤) ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً

---

(١) هنا نعتوا عيسىٰ بأمه معترفين بأنه عبد الله ورسوله.

(٢) وقرأ علي بن أبي طالب، وعائشة، وسعيد بن جبير، ومجاهد: [هل تستطيع ربَّك] بالتاء ونصب الباء في (ربَّك). واختاره الكسائي وأبو عبيد، علىٰ معنىٰ: هل تستطيع أن تدعو ربك وتسأل ربَّك؟ ثم قالوا: لأن الحواريين لم يكونوا شاكِّين في قدرة الله تعالىٰ. وقرأ الباقون: [هل يستطيع ربُّك] بالياء ورفع الباء من (ربُّك)، وقالوا: إنهم لم يشكّوا في قدرة الله تعالىٰ، وإنما معناها هل يُنَزِّل أم لا؟ كما يقول الرجل لصاحبه: هل تستطيع أن تنهض معي؟ وهو يعلم أنه يستطيع، وإنما يريد هل يفعل أم لا؟ وأجراه بعضهم علىٰ الظاهر فقالوا: غَلِطَ القوم وكانوا بشراً، فقال لهم عيسىٰ استعظاماً لقولهم: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

(٣) معناه اتقوا الله أن تشكّوا في قدرته تعالىٰ، أو تَنْسِبوه إلىٰ عجز أو نقصان. وقيل: اتقوا الله أن تسألوه شيئاً لم تسأله الأمم قبلكم.

(٤) أي إنما سَأَلْنا لأنّا نريد أن نأكل منها فَنَسْتَيْقِنَ قدرتَه، وتطمئن وتسكن قلوبنا، ونعلم أنْ قد صَدَقْتَنا بأنك رسول الله، ونكون عليها من الشاهدين فنُقِرّ لله بالوحدانية والقدرة، ولك بالرسالة والنبوة. وقيل: نكون عليها من الشاهدين لك عند بني إسرائيل إذا رجعنا إليهم.

﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا[١] لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا[٢] وَءَايَةً مِّنكَ[٣] وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا[٤] عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ[٥] ﴿١١٥﴾﴾ [المائدة].

قال الكسائي: فأمرهم عيسىٰ بصيام ثلاثين يوماً، وأنَّ الله بعد ذلك يُطْعِمُهم ويُنَزِّلُها عليهم.

فصاموا حتىٰ تمّ الأجل، فقام عيسىٰ وصلّىٰ، وسأل الله تعالىٰ وقال: ﴿ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [المائدة]. فقال الله تعالىٰ مجيباً لعيسىٰ عليه السلام: ﴿إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾﴾ [المائدة].

قال الثعلبي: واختلف العلماء في المائدة هل نزلت أم لا؟

فقال مجاهد: ما نزلتْ مائدة، وهذا مَثَلٌ ضُرِبَ.

وقال الحسن: واللهِ ما نزلت المائدة، إن القوم لَمّا سمعوا الشرط وقيل لهم: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾﴾ [المائدة]، استغفروا وقالوا: لا نريدها ولا حاجة لنا فيها، فلم تنزل.

قال أبو إسحاق الثعلبي: والصواب أنها نزلت لقوله عز وجل: ﴿إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ﴾، ولا يقع في خبره الخُلْف؛ ولِتواتر الأخبار عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين رضوان الله تعالىٰ عليهم، وغيرهم من علماء الدين في نزولها.

قال كعب الأحبار: أُنزلت يوم الأحد، فلذلك اتّخذه النصارى عيداً.

---

(١) قال الكسائي: أي عائدة من الله علينا وحجة وبرهاناً. والعيد اسم لِما أَعَدْتَهُ وعاد إليك من كل شيء، ومنه قيل ليوم الفطر ويوم الأضحىٰ: عيد؛ لأنهما يعودان في كل سنة.

(٢) قال الثعلبي: يعني لأهل زماننا ومَنْ يجيء مِنْ بعدنا. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: أي يأكل منها آخر الناس كما يأكل أولهم.

(٣) أي دِلالة وحُجّة.

(٤) هي بالتشديد للمبالغة، ولأنها نزلتْ مرات. والتفعيل يدل علىٰ التكثير مرة بعد مرة.

(٥) أي عالمي زمانهم. قال ابن عباس: فجحد القوم وكفروا بعد نزول المائدة، فمُسِخوا قردة وخنازير.

ولقد اختلف القوم في صفتها، وفي كيفية نزولها:

فحكىٰ الكسائي عن وهب بن منبه قال: أنزل الله تعالىٰ علىٰ عيسىٰ مِكْتَلاً فيه ثلاث سمكات مشويات، ليس لها شوك ولا قِشْر، وثلاثة أرغفة، والملائكة تحملها حتىٰ وضعوها بين يدي عيسىٰ.

وقد قيل: إن المائدة كانت سُفْرة من الأَدَم الأحمر، وكان فيها سمكة واحدة مشوية، وحولها الخُضَر والبقول، وعند رأسها خل، وعند ذنبها ملح، وخمسة أرغفة علىٰ كُلٍّ منها زيتون، وخمس رمانات.

وقال الثعلبي في تفسيره: روى قتادة عن خِلاس بن عمرو عن عمّار بن ياسر عن النبيﷺ قال: نزلت المائدة خبزاً ولحماً، وذلك أنهم سألوا عيسىٰ طعاماً يأكلون منه لا ينفد، فقيل لهم: إنها مقيمة لكم ما لم تخونوا أو تخبئوا أو ترفعوا، فإن فعلتم ذلك عُذِّبْتُم. قال: فما مضىٰ يومهم حتىٰ خَبَّأوا ورفعوا وخانوا[1].

قال إسحاق بن عبدالله: إنَّ بعضهم سرق منها وقال: لعلّها لا تنزل أبداً، فرُفِعَتْ ومُسِخوا قردة وخنازير.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: إن عيسىٰ بن مريمعليه السلام قال لبني إسرائيل: صوموا ثلاثين يوماً، ثم سَلُوا الله تعالىٰ ما شئتم يُعْطِكم. فصاموا ثلاثين يوماً، فلما فرغوا قالوا: يا عيسىٰ، إنّا لو عَمِلْنا لأحدٍ فقَضَيْنا عَمَلَه لأَطْعَمَنا طعاماً، وإنّا قد صُمْنا وجُعْنا، فادْعُ الله أن يُنَزِّل علينا مائدة من السماء. ففعل، فأقبلت الملائكة بمائدة يحملونها، عليها سبعة أرغفة وسبعة أحوات، حتىٰ وضعتْها بين أيديهم، فأكل منها آخر الناس كما أكل أولهم.

وروى عطاء بن السائب عن راذان ومَيْسرة قالا: كانت المائدة إذا وُضِعَتْ لبني إسرائيل اختلفتْ عليهم الأيدي من السماء بكل طعام إلاّ اللحم.

---

(١) ولفظ الحديث كما ذكره القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن ج٦ ص٣٧٣: (قال: أُنْزِلَت المائدة من السماء خبزاً ولحماً، وأُمِروا ألاّ يخونوا ولا يدّخروا لِغَدٍ، فخانوا وادّخروا ورفعوا لغد، فَمُسِخوا قردة وخنازير).

وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما: أُنزل على المائدة كلُّ شيء إلاّ الخبز واللحم.

قال عطاء: أُنزل عليها كل شيء إلاّ السمك واللحم.

وقال عطية العَوْفي: نزل من السماء سمكة فيها طعم كل شيء.

وقال عمار وقتادة: كانت مائدة تنزل من السماء وعليها ثمر من ثمار الجنة.

وقال وهب بن منبه: أنزل الله تعالىٰ أقرصة من شعير وحيتاناً.

وروى عطاء بن أبي رباح عن سلمان الفارسي قال: لَمّا سأل الحواريون عيسىٰ بنَ مريم أن يُنَزِّلَ عليهم مائدة، لبس صوفاً وبكىٰ وقال: ﴿ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [المائدة ١١٤]، وارزقنا عليها طعاماً نأكله، وارزقنا وأنت خير الرازقين. فنزلت سفرة حمراء بين غمامتين، غمامة مِن فوقها، وغمامة مِن تحتها، وهم ينظرون إليها وهي تهوي مُنْقَضَّة حتىٰ سقطت بين أيديهم، فبكىٰ عيسىٰ وقال: اللهم اجعلني من الشاكرين، اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عقوبة ومُثْلة[1]. والشهود ينظرون إليها، ينظرون إلىٰ شيء لم يَرَوْا مِثْلَه قط، ولم يجدوا ريحاً أطيب من ريحه. فقال عيسىٰ عليه السلام لِيَقُمْ أحسنكم عملاً فليكشف عنها، ويذكر اسم الله ويأكل منها. فقال شمعون الصفا رأس الحواريين: أنت أَوْلىٰ بذلك منا. فقام عيسىٰ فتوضّأ وصلّىٰ صلاةً طويلة، وبكىٰ بكاء كثيراً، وكشف المنديل عنها وقال: باسم الله خير الرازقين، فإذا هو بسمكة مشوية ليس عليها شوك، تسيل سيلان الدسم، وعند رأسها ملح، وعند ذنبها خل، وحولها من أنواع البقول ما خلا الكراث. وإذا خمسة أرغفة، علىٰ واحد منها زيتون، وعلىٰ الثاني عسل، وعلىٰ الثالث بيض، وعلىٰ الرابع جُبْن، وعلىٰ الخامس قديد.

قالوا: فلما استقرّتْ بين يدي عيسىٰ، قال شمعون رأس الحواريين: أنت أَوْلىٰ يا روح الله، أَمِنْ طعام الدنيا هذا أم مِن طعام الآخرة؟ فقال عيسىٰ عليه السلام: ليس شيء مِمّا تَرَوْن،

---

(١) المُثْلة هي التنكيل.

ولكنه شيء افْتَعَلَه الله بالقدرة الغالبة، كُلوا مِمّا سألتم يُمْدِدْكم ويَزِدْكم مِن فضله. قال الحواريون: يا روح الله، لو أَرَيْتَنا مِن هذه الآية اليوم آية أخرى. فقال عيسىٰ: يا سمكة، احْيي بإذن الله. فاضطربت السمكة وعادت عليها فلوسها وشوكها، ففزعوا منها، فقال عيسىٰ: ما لكم تسألون أشياء إذا أُعْطِيتموها كَرِهْتُموها؟ ما أَخْوَفني عليكم أنْ تُعَذَّبوا! يا سمكة، عودي كما كنتِ بإذن الله تعالىٰ. فعادت السمكة مشوية كما كانت، فقالوا: يا روح الله، كُنْ أول مَن يأكل منها، ثم نأكل نحن. فقال عيسىٰ: معاذ الله أن آكل منها، ولكن يأكل منها مَن سألها. فخافوا أن يأكلوا منها، فدعا عيسىٰ عليه السلام أهل الزمانة والمرضىٰ، وأهل البرص والجذام، والمُقْعَدين والمبتلين، فقال: كُلوا مِن رزق الله، فلكم المهنأ ولغيركم البلاء[1].

فأكلوا وصدروا عنها وهم ألف وثلاثمائة رجل وامرأة مِن فقير، وزَمِنٍ، ومريض، ومُبْتلىٰ، كلهم شبعان يَتَجَشَّأ[2].

ثم نظر عيسىٰ عليه السلام إلىٰ السمكة فإذا هي كهيئتها حين نزلت من السماء، ثم طارت المائدة صُعُداً وهم ينظرون إليها حتىٰ توارت عنهم، فلم يأكل منها يومئذ زَمِنٌ إلاّ صَحَّ، ولا مريض إلاّ بَرَأَ، ولا مبتلىً إلاّ عُوفِيَ، ولا فقير إلاّ استغنىٰ، ولم يزل غنياً حتىٰ مات. وندم الحواريون ومَن لم يأكل منها إذْ لم يأكلوا منها.

وكانت إذا نزلت اجتمع الفقراء والأغنياء، والصغار والكبار، والرجال والنساء، ويزدحمون عليها. فلما رأى عيسىٰ ذلك جعلها نَوْبة بينهم.

فلبثت أربعين صباحاً تنزل ضحىً، ولا زالت منصوبة يؤكل منها، حتىٰ إذا فاء الفيء طارت صُعُداً وهم ينظرون إلىٰ ظلها حتىٰ تتوارى عنهم.

وكانت تنزل غِبّاً، تنزل يوماً ولا تنزل يوماً، كناقة صالح.

وأوحىٰ الله تبارك وتعالىٰ إلىٰ عيسىٰ أن اجعل مائدتي ورزقي للفقراء دون الأغنياء، فَعَظُمَ ذلك علىٰ الأغنياء حتىٰ شَكُّوا وشَكَّكوا الناسَ فيها، وقالوا: أَتَرَوْن المائدة حقاً نزلت

---

(١) وفي رواية أخرى: كُلوا من رزق ربكم، ودعوة نبيكم، واذكروا اسم الله.

(٢) جَشِئ وتجشّأ أي أخرج صوتاً من فمه عند الشبع.

من السماء؟ فقال عيسىٰ: هلكتُم، تجهّزوا لعذاب الله. فأوحىٰ الله تعالىٰ إلىٰ عيسىٰ: إني شرطتُ علىٰ المُكَذِّبين شرطاً، أنَّ مَن كفر بعد نزولها عَذَّبْتُه عذاباً لا أُعَذِّبه أحداً من العالمين.

فقال عيسىٰ: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [المائدة].

فمُسِخَ منهم ثلاثمائة وثلاثة وثلاثون رجلاً.

وقال الكسائي عن وهب: مُسِخَ منهم خمسة آلاف وخمسمائة.

فباتوا علىٰ فُرُشهم مع نسائهم في ديارهم، فأصبحوا خنازير يَسْعَون في الطرقات والكُناسات، ويأكلون العَذِرة.

فلما رأى الناس ذلك فزعوا إلىٰ عيسىٰ، وبكىٰ علىٰ المسوخين أهلُهم.

ولَمّا أبصرت الخنازير عيسىٰ عليه السلام بكتْ وجعلت تُطيف به، وجعل عيسىٰ يدعوهم بأسمائهم واحداً واحداً، فيكون ويشيرون برؤوسهم، ولا يقدرون علىٰ الكلام.

فعاشوا ثلاثة أيام ثم هلكوا، وهؤلاء الذين لُعِنوا علىٰ لسان عيسىٰ عليه السلام كما قال تعالىٰ: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [المائدة].

فتلك الأمة التي رأت مثل هذه المعجزات كان يجب عليها أن تتأثر بها، ولكن بني إسرائيل كانوا يزدادون بعداً عن الله تعالىٰ، ومع الأسف أقول: كلما رأوا آية أو معجزة نَأَوْا أكثر عن ربهم، وابتعدوا عن خالقهم.

۞ المحاورة التي كانت بين عيسىٰ عليه السلام وبين إبليس:

قال الله تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ ﴿١١٦﴾﴾ [البقرة].

وقال تعالىٰ: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا

فِي ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾ ﴾ [النساء].

وقال سبحانه: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۖ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [المائدة].

قال الكسائي: قال وهب بن منبه: جاء إبليس إلى عيسىٰ عليه السلام هو وأصحاب له علىٰ صور رجال ذوي هيئة وشيبة، وعيسىٰ يقول لبني إسرائيل: ﴿ قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ [آل عمران ٤٩]. فقال إبليس لعيسىٰ: أَتَخْلُقُ، وتَشْفي المرضىٰ، وتُحْيي الموتىٰ، وتنبئنا بالغيب؟ قال عيسىٰ: نعم، فقال: هذا الله عز وجل أيها الناس، فانظروا إليه فإنه نزل إليكم ليريكم قدرته. فقال أحد أصحاب إبليس: بئس ما قلتَ يا شيخ، أخطأتَ وجُرْتَ وقلتَ قولاً عظيماً، أتزعم أن الله يتجلىٰ لخلقه لينظروا إلىٰ قدرته؟ وهل ينبغي لخلقه أن ينظروا إليه، أو يسمعوا كلامه، أو يقوموا لرؤيته؟ هذا ليس الله، ولكنه ابن الله. فقام شيطان ثالث فقال: كلاكما قال شططاً وخطأً وجارَ، وقال قولاً عظيماً، وهل ينبغي لله أن يتخذ صاحبة يكون له منها ولد؟ وهل ينبغي لولد هو من الله أن تستقل به قوة امرأة ويسعه رَحِمها؟ ولكنه إله مع الله، وليس بولد لله، وليس الله كما قلتما. فتفرّقوا علىٰ ذلك، ونطق الناس بقولهم، فصار ذلك كلام النصارى.

هذه كانت المحاولة الإبليسية الأولىٰ.

فإبليس يحاول أن يغري سيدنا عيسىٰ، ولكن الله يحفظ أنبياءه، ويحفظ أولياءه وأحبابه، ومهما حاول إبليس والطغاة إبعاد الصالحين عن دينهم وعبادة ربهم فإنهم لا يستطيعون ذلك. إنما بهذا يُسْمِعُ جماعته التي حوله كلمة الشرك والضلال ؛ ليضلوا عن السبيل، وليبعدهم عن الطريق الصحيح، عن الحقيقة والنور.

۞ المحاولة الإبليسية الثانية حين عارض إبليسُ عيسىٰ عليه السلام وما خاطبه به:

قال وهب بن منبه: جاء إبليس إلىٰ عيسىٰ عليه السلام ومعه رفاقه من الشياطين، فعارضه في عَقَبة مِن عقاب الأرض المقدسة يقال لها: عَقَبة فِيق، فقال له: أنت المسيح ابن مريم؟ قال: أنا المسيح عيسىٰ بن مريم، روح الله وكلمته، وعبد الله وابن أَمَته. فقال: فأنت إله الأرض؟ قال: بل إله الأرض رب عيسىٰ بن مريم. قال: فأنت الذي بَلَغَ مِن عِظَم ربوبيتك أنْ تكلّمتَ في المهد صبياً؟ قال: بل العظمة للذي أنطقني في صغري. قال: فأنت الذي بلغ مِن عِظَم ربوبيتك أنك تخلق من الطين كهيئة الطير، فتنفخ فيه فيكون طيراً؟ قال: بل العظمة للذي خلقني وخلق ما سخر لي. قال: فأنت الذي بلغ مِن عِظَم ربوبيتك أنك تشفي المرضىٰ؟ قال: بل العظمة للذي بإذنه شفيتُهم، وإن شاء أمرضني. قال: فأنت الذي بلغ مِن عِظَم ربوبيتك أنك تُحْيي الموتىٰ؟ قال: بل العظمة للذي بإذنه أحييتهم، ولا بد أنه سيميتهم وسيميتني. قال: فأنت الذي بلغ مِن عِظَم ربوبيتك أنك تعبر البحر فلا تبتل قدماك ولا ترسخ فيه؟ قال: بل العظمة للذي ذلّله لي. قال: فأنت الذي بلغ مِن عِظَم ربوبيتك أنك تعلم الغيب؟ قال: بل العظمة لِعالِم الغيب والشهادة، ولستُ أعلم إلاّ ما علّمني ربي. قال: فأنت الذي بلغ مِن عِظَم ربوبيتك أنك كُوِّنتَ من غير أب؟ قال: بل العظمة للذي كوّنني وكوّن آدم وحواء من قبلي. قال: فأنت الذي بلغ مِن عِظَم ربوبيتك أنك سيأتي عليك يوم تعلو فيه الخلائق كلها، فتكون السماوات السبع والأرَضين السبع ومَن فيهن دونك، وأنت فوق ذلك كله تُدَبِّر الأمر، وتَقْسِم الأرزاق؟ فأعظم عيسىٰ عليه السلام قوله وضاق به ذرعاً، فسبّح ربه إعظاماً لِما قام به إبليس، فقال: سبحان ربي، هو الله الذي يرزق عز وجل. فجاء جبريل الأمين، فنفخ إبليسَ نفخة ذهب يلطم بها علىٰ وجهه،

لا يملك من نفسه شيئاً، حتىٰ وقع في الخافق الأقصىٰ من الأرض.

ثم نهض إبليس بالذي أعطاه الله من القوة، فسبق عيسىٰ إلىٰ أقصىٰ العقبة فَسَدَّها عليه، وملأ كل ثُلْمة وطريق، ثم قال له: لقد غضبتَ غضب إله عظيم، وقد اختبرتك بأنك إله وما أنت من البشر، ولو كنتَ من البشر ما قمتَ منذ فارقتك أربعين ليلة، لم تَطْعَم طعاماً، ولم تشرب شراباً، ولم تَنَمْ، ولم يضعف لك جسم لذلك، وهذا مِمّا لا ينبغي لبشر. فقال عيسىٰ: إن جسدي لَيَأْلَم مِمّا يَأْلَم منه البشر، وإني لأطعم وأشرب، وأنام وأغفُل، وأفرح وأحزن، وأجزع وأهلع، وأحتاج إلىٰ أن أتنظف بالماء، وكيف تزعم أني إله وأنت تعلم أني هكذا؟

ولم يزل إبليس لعنه الله يحاور سيدنا عيسىٰ حتىٰ عرض عليه أن يأمر الشياطين بعبادته والاعتراف بربوبيته، فضاق عيسىٰ ذرعاً، وسبّح الله تعالىٰ فقال: سبحان الله عما يقول، وبحمده مِلْء سمائه وأرضه، وعدد خلقه، ورضا نفسه، ومَبْلَغ علمه، ومنتهىٰ كلماته، وزينة عرشه. فهبط جبريل وميكائيل وإسرافيل، فنفخه ميكائيل نفخة فذهب منها نحو مطلع الشمس حتىٰ صدم عين الشمس عند طلوعها، فخرّ حصيداً محترقاً ثم أعاده الله. فأتبعه إسرافيل فنفخه نحو مغرب الشمس، فانطلق لا يملك من نفسه شيئاً. فأعاده الله رب العالمين وحاذى عيسىٰ عليه السلام، فقال: يا ابن مريم، لقد لقيتُ منك تعباً. ومرّت به النفخة حتىٰ وقع في العين الحامية التي تغرب الشمس فيها، فلبث سبعة أيام وسبع ليال، حتىٰ إذا أراد الخروج منها غطّته الملائكة بأجنحتها، فما رام سيدَنا عيسىٰ بعد ذلك.

۞ خبر رفع عيسىٰ عليه السلام إلىٰ السماء أول مرة:

قال وهب بن منبه: لَمّا أوحىٰ الله عز وجل إلىٰ عيسىٰ عليه السلام: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [آل عمران]، جزع من الموت جزعاً شديداً وقال

للحواريين: هذا الزمان الذي يقبض الله فيه الراعي، ثم تُفَرَّق الرعية من بعده. فعرفوا أنه يعني نفسه، فبكوا وجَزِعوا، فقال لهم: لا تبكوا من حزن الفراق، فسترون ما هو أشر من الفراق، ولست مفارقكم حتىٰ يظفر بي عدوي ثم يأسرونني، فلا تدفعوا عني ولا تمنعوا.

قال وهب: فما انتهىٰ من قوله للحواريين حتىٰ طلبه اليهود ليقتلوه، فاستخفىٰ منهم، فدلّهم عليه يوذا الذي كان يدّعي أنه من أتباعه. فأخذوه ليلاً من غار جبل بيت لحم، وجعلوا علىٰ رأسه إكليلاً من الشوك ليعذبوه ولِيُمَثِّلوا به، وجعلوا يلطمونه ويضربونه من خلفه ويقولون له: إنْ كنتَ نبياً كما تزعم فامنع عن نفسك، وادْعُ ربك فَلْيَحُلْ بيننا وبينك. وعيسىٰ لا يكلمهم حتىٰ طلع الفجر، ونصبوا له خشبة ليصلبوه عليها.

فلما أرادوا أن يرفعوه علىٰ الخشبة، أظلم الجو في وضح النهار ظلمة عظيمة لم تَرَ الأرض مثلها، وأرسل الله الملائكة فحالوا بينهم وبين عيسىٰ عليه السلام، وألقىٰ الله شبه عيسىٰ علىٰ يوذا، وأشرقت الشمس وقلب الله قلوب الناس وأبصارهم، فجعلوا ينظرون إلىٰ يوذا في صورة نبي الله عيسىٰ.

ولَمّا رفعوه علىٰ الخشبة قال: يا هؤلاء، إني أُذَكِّرُكم الله في دمي، إني صاحبكم يوذا الذي دللتكم علىٰ عيسىٰ. ثم أخبرهم خبر الظلمة وأنّ الملائكة حالوا بينهم وبين عيسىٰ، وأخبرهم بكلمات يعرفونها. فلما سمعوا ذلك منه ازدادوا غيظاً وحقداً، وقالوا: ما أعظم سحره! كيف اطّلع بسحره علىٰ سِرِّنا وما كنا نطويه دونه؟ وقتلوه وهو صاحبهم.

قال الله عز وجل: ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾﴾ [النساء].

وجاء في رواية أخرى: أنه لما صمّم اليهود أن يقتلوا عيسىٰ عليه السلام، فتّشوا عليه فلم يجدوه وكان في غرفة معينة، فأرسلوا واحداً منهم الذي هو يوذا ليخرجه، فرفع الله عيسىٰ إلىٰ السماء وألقىٰ الشبه علىٰ يوذا، فاستأخروه فدخلوا، فوجدوا صاحبهم علىٰ صورة عيسىٰ، فصلبوه مكانه.

وهناك كذلك أقوال غير هذين القولين، إنما كلها تجمع أن الله ﷻ ألقىٰ علىٰ يوذا شبه نبيه عيسىٰ، ورفع عيسىٰ إلىٰ السماء.

وهذه كانت المرة الأولىٰ، حيث سيدنا عيسىٰ رُفِعَ إلىٰ السماء مرتين.

قال العلماء: رَفَعَ الله تعالىٰ عيسىٰ في المرة الأولىٰ إلىٰ السماء بعد أنْ خَتَمَ عِلّة معدته، فمُنِعَ عنه الطعام والشراب واللذة.

۞ خبر هبوط عيسىٰ عليه السلام إلىٰ الأرض ووصيته للحواريين ورَفْعه ثانياً:

قال وهب بن منبه: رفع الله تعالىٰ عيسىٰ لثلاث ساعات مضت من النهار، فلبث في السماء أياماً.

قيل: سبعة أيام، وقيل: أربعين يوماً، والله أعلم.

ثم قال الله له: إن أعداءك اليهود أعجلوك عن الوصية والعهد إلىٰ أصحابك، فانزل إليهم واعهد لهم وأَوْصِهم، وانزل علىٰ مريم المجدلانية[1] فإنها في غار في جبل الجليل. وأمره تعالىٰ أن يأمرها أن تجمع له الحواريين، وأن يستخلف عليهم رئيسهم شمعون، وأن يُفَرِّقهم دعاة إلىٰ الله ﷻ في البلاد، وأن يخبرهم بالعلامة التي تأتيهم من الله.

ثم أهبطه الله تعالىٰ علىٰ مريم المجدلانية[2]، فاشتعل الجبل نوراً، وأتته بالحواريين، فبلّغهم رسالة ربهم وقال: إن آية ذلك أن تأتيكم الملائكة في ليلتكم هذه بمغارف فيها نور من نور الله، فكل مَن تناول مِغرفة منها يشعر بالنور الذي فيها، فإنه يصبح وقد تكلم بلغة

---

(١) هي من قرية من قرى أنطاكية يقال لها: مجدل، وكانت من أوسط نساء بني إسرائيل حسباً، وأكثرهم جمالاً ومالاً، إنما كانت تُستحاض فلا تَطهر أبداً. وقد خطبها أشراف بني إسرائيل وملوكهم، وامتنعت من إجابتهم حيث هي لا تريد أن تكشف أمرها، فظنوا أن ذلك تَرَفُّعاً منها. فلما ظهر سيدنا عيسىٰ وشاع ذكره، وأنه يشفي المرضىٰ بإذن الله تعالىٰ، أتته في جملة المرضىٰ، فخجلت أن تسأله من كثرة الناس، فجاءت من ورائه فمسّته من ظهره بيدها، فزال عنها ما كانت تشكوه وطهرت، وآمنت بعيسىٰ إيماناً شديداً، وصارت محبة له كثيراً، وأنفقت جميع أموالها في حب الله وفيما أمرها به سيدنا عيسىٰ، فصارت فقيرة لا تملك درهماً ولا ديناراً، وكانت بعد ذلك من عباد بني إسرائيل، وتُعَدُّ من أصحاب عيسىٰ عليه السلام.

(٢) وهذه هي الليلة التي يدخن فيها النصارى بالبان.

القوم الذين بُعث إليهم، وسيصبح على باب مدينتهم. ثم أوصاهم بتقوى الله، وأمرهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر، ودلّهم على الطريق الصحيح.

فلما فرغ عيسى من وصيته قال للحواريين: انتهت مهمتي، ثم رُفع بعد سبعة أيام إلى السماء، وتوفّاه الله تعالى لثلاث ساعات من النهار، ثم كساه الله الريش، وألبسه النور، وقطع عنه المطعم والمشرب، وصار مَلَكياً إنسياً.

وكان سيدنا عيسى عندما رُفِعَ إلى السماء ابن ثلاث وثلاثين عاماً، وهذا هو المعتمد، حيث مكث ثلاث سنين يبلغ الدعوة.

وحكى أبو إسحاق الثعلبي عن أهل التاريخ أن الله تعالى أوحى إلى عيسى وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، ورفعه من بيت المقدس ليلة القدر من شهر رمضان وهو ابن ثلاث وتسعين سنة.

وقد ورد في الحديث ما يدل على أنه رُفِعَ وله مائة وخمس وعشرون سنة.

۞ خبر وفاة مريم ابنة عمران عليها السلام:

ورد في خبر وفاتها قولان:

الأول: حكى الكسائي نقلاً عن كعب الأحبار أنها ماتت قبل رفع عيسى عليه السلام، فدفنها بيده في مشارق بيت المقدس.

والثاني: حكى الثعلبي رحمه الله تعالى أنها ماتت بعد رفع عيسى عليه السلام، وقال في خبره: إنه لَمّا صُلِبَ شبيه عيسى، جاءت مريم ابنة عمران وامرأة كان عيسى دعا لها فأَبْرَأَها الله من الجنون تبكيان عند المصلوب، فجاءهما عيسى عليه السلام فقال لهما: على ماذا تبكيان؟ فقالتا: عليك، فقال: إن الله عز وجل رفعني ولم يُصِبْني إلاّ خيرٌ، وإن هذا شيءٌ شُبِّه لهم.

ثم قال أيضاً في قصة وفاة مريم عن وهب بن منبه: لَمّا أراد الله تعالى أن يرفع عيسى عليه السلام آخرى بين الحواريين، وأَمَرَ رجلين منهما وهما شمعون ويوحنا أن يلزما أمه وألاّ يفارقانها. فانطلقا معها، وهكذا كانا معها حتى توفّاها الله عز وجل.

وروي أنهما ذهبا معها إلى ملك الروم آنذاك نيرون يدعوانه إلى الله عز وجل، وقد بعث

اللهﷻ إليه قبل ذلك بولُس. فلما أَتَوْه أَمَرَ بشمعون وبولس فقُتِلا وصُلِبا مُنَكَّسَيْن، فهربت مريم ويوحنا، حتىٰ إذا كانا في بعض الطريق لحقهما الطلب فخافا، فانشقت لهما الأرض فغابا فيها. فأقبل ملك الروم نيرون وأصحابه، فحفروا ذلك الموضع فلم يجدوا شيئاً، فردوا التراب كما كان، وعلموا أنه أَمْرٌ من اللهﷻ. وسأل بعد ذلك الملك عن حال عيسىٰعليه السلام فأخبروه، فأسلم.

وقيل في إسلامه غير ذلك.



ذِكْر أخبار الحواريين
وما كان مِن أمرهم مع مَن أُرسلوا إليهم

قال الكسائي: قال وهب بن منبه: وأصبح الحواريون على أبواب المدائن التي بُعِثوا إليها، يتكلّم كل رجل منهم بلغة الأمة التي بُعِثَ إليها، وهذا ليس على الله بعزيز.

فبعث الله عزّ وجلّ إلى أهل روما رجلين من الحواريين، وبعث أندراوس ولوقا إلى أرض الحبشة، ورجلاً إلى بابل، ورجلاً إلى إفريقيا، ورجلاً إلى أصحاب أهل الكهف، ورجلاً إلى بربر، ورجلين إلى أنطاكية، ورجلاً إلى السند والهند. وأقام شمعون رأس الحواريين مكانه، وأُمِروا أن يستظهروا به فيما يهمهم[1].

وقد اختُلف في أمر الحواريين إنْ كانوا رسلاً بعد سيدنا عيسى يوحى إليهم من الله، أم كانوا صحابة صديقين لهم كرامات ويُنَفِّذون الأوامر؟

فهناك أقوال تقول هذا وذاك، وكُلُّه معقول، والله أعلم بذلك.

خبر الحواريين في أنطاكية[2]

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُواْ مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُواْ رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيۡنَآ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٨﴾ قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡۚ أَئِن ذُكِّرۡتُمۡۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي

---

(١) أي أن يرجعوا إليه إذا أشكل عليهم أمر.

(٢) سميت بأنطاكية نسبة إلى الذي بناها أنطابيس، وهي بلد كانت من أعمال سوريا، وكانت مملكة للرومانيين.

فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّيٓ إِذًا لَّفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ ۖ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾ ۞ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ ﴿٢٩﴾ يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ ۚ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [يس].

فأهل أنطاكية كانوا يعبدون الأصنام، ويعيشون في ضلال وليل دامس. فأمر الله عز وجل سيدنا عيسىٰ أن يرسل إليها رسولين، وقد حصل.

فأرسل يوحنا وبولس ثم شمعون.

وقيل: صادق وصدوق وشلوم.

وقيل: شمعون ويوحنا وسمعان.

وقيل في أسماء الرسل غير ذلك.

وعلىٰ القول الأول الذي رواه الكسائي: أرسل سيدنا عيسىٰ عليه السلام أولاً يوحنا وبولس، فوجدا نفسيهما علىٰ باب أنطاكية، وكان حول البلد سور يُفتح صباحاً ويغلق ليلاً.

قال الكسائي: لَمّا أصبح يوحنا وبولس علىٰ باب أنطاكية، دخلاها عند فتوح بابها، وملكها يومئذ مخلنطيس، وكان ظالماً جباراً متكبراً. فلم يقدرا علىٰ الوصول إليه، وما أمكنهما أن يذكرا ما جاءا فيه مخافة أن يقتلهما الملك قبل أن يُبَلِّغا رسالة الله عز وجل.

فكانا كذلك مدة حتىٰ شخص الملك من منزله إلىٰ مستنزه له، فتركاه يسير في موكبه، وناداه من بعيد واحد ثم أتبعه الثاني. فلما سمع أصواتهما أرسل مَن يسمع مقالتهما، فبلّغاه رسالة الله عز وجل فقالا: نحن بُعثنا مِن قِبَل عيسىٰ بن مريم بأمر الله عز وجل، نبلغك بأنه لا إله إلاّ الله، وأن هذه الأصنام التي تعكفون عليها والتي تعبدونها من دون الله هي لا تنفع ولا تضر، ولا تقدم ولا تؤخر، وجئناكم بآية فاعبدوا الله وحده. فلما سمع الملك مقالتهما أمر بجلد كل واحد منهما مائة جلدة، وحلق رأسيهما من الوسط تمثيلاً بهما، ثم أمر بهما إلىٰ السجن لِيَخْلُدا فيه.

فأوحىٰ الله عز وجل إلىٰ شمعون الصفا الذي جلس في بيت المقدس بخبر الرسولين، وأمره بالانتصار لهما. فسار من بلاد فلسطين إلىٰ سوريا، إلىٰ أن وصل إلىٰ أنطاكية وهو يتكلّم بلغة أهلها.


أسيا الصغرى
خليج الإسكندرونة
أنطاكية
حلب
الباب
أدلب
نهر العاصي
الفينيقيون
جبلة
طرطوس
البحر الكبير
(المتوسط)
حماة
حمص
طرابلس
النبك
سلمية
السخنة
العرق
تدمر
الفرات الأعلى
الرقة
القامشلي
تل كوجك
رأس العين
الحسكة
صورا
البصيرة
شمال العراق
نهر الخابور
نهر الفرات
الآراميون
بادية الشام
العموريون
دمشق
نهر الليطاني
صيدا
صور
البثنية
صفد
حيفا
أذرعات
حوران
جلعاد
بصرى
نهر الأردن
يافا
أورشليم
الخليل
مؤاب
بئر السبع
الطفيلة
البتراء
معان
العقبة
سيناء
الشمال
شرق
غرب
قال تعالى :
﴿واضرب لهم مثلاً أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون﴾
يس ١٣
أصحاب القرية (أهل أنطاكية)
مقياس الرسم
٣٠ ٦٠كم

فدخلها على أنه تاجر وليس برسول لنبي الله عيسى، وتلطّف حتى صحب خواص الملك وبطانته، فأنِسوا به. كان حكيماً للغاية، يتكلّم الشعر والنثر، ويضرب الأمثال، وكان يجلس مع التجار ويناظرهم فيفوقهم، وكان كبار التجار بعد ذلك - الذين هم حاشية الملك - يرجعون إليه في أمورهم، وهو لا يُبيِّن لهم دينه وعقيدته، فتعجّبوا لأمره ورفعوه إلى الملك.

فجلس معه الملك وسأله عن نسبه، فأخبره أنه من بني إسرائيل، وأنه من بقية قوم انقرضوا، ولم يكن له مَن يأنس به، فاعتمد أهلَ أنطاكية رغبة في قربهم، وحرصاً على إيخائهم. فقال له الملك: قَبِلناك، وقَبِلنا قومك، وسوّدناك علينا. ودخل حبه في قلبه، وصار الملك لا يستطيع أن يجلس جلسة إلاّ وأجلس شمعون معه، في جلساته الخاصة، في راحته واستراحته، في نزهته، في قضائه وحُكْمه، فكان دائماً عن يمينه.

كما كان شمعون يدخل معهم بيوت أصنامهم، ويسجد لله ويكثر العبادة، وهم لا يَشُكّون بأمره[1].

فلبث شمعون فيهم زمناً، فاطمأنّ له الملك كثيراً، وصار من أقرب المقربين إليه.

وكان السجن الذي حُبِسَ فيه الرسولان له باب من حديد كبير، طوله خمسون ذراعاً، وعرضه ثلاثون ذراعاً. كان إذا فُتِحَ صَرْصَرَ حتى يَسْمَعَ صريره أقصاهم وأدناهم. فأراد شمعون أن يدخل إليهما ليلاً، فأرسل الله مَلَكاً فاقتلع الباب من موضعه فلم يُسمع له صوت، وألقى اللهﷻ السُّبات على أهل السجن وحراسه. فدخل شمعون واجتمع مع بولس ويوحنا، وبشّرهما عن الله الثواب والخير، وبلّغهما ما أتى به، وأين وصل؟ وكيف سيكون الأمر؟ ثم انصرف عنهما، وردّ المَلَك باب السجن إلى موضعه.

فلما تمكّن أَمْرُه مِن المَلِك قال: أيها الملك، بلغني أنك سجنتَ رجلين كانا قد جاءا يدعوانك إلى غير دينك، وإلى عبادة إله غير إلهك، ويزعمان أنَّ الله أرسلهما إليك،

---

(١) وهذا يعطينا أسلوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فعلى الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يكون وديعاً ليدخل في قلوب الآخرين.

وعَجِبْتُ كيف اجترءا عليك، فماذا قلتَ لهما؟ وما قالا لك؟ وهل أجبتَهما بما كان ينبغي لك من الجواب؟ وهل سألتَهما حين عظّما لك ربهما أن يذكرا لك سائر عظمته، أو أَحْيَيا لك ميتاً، أو غير ذلك مِمّا تعرف به مصداق قولهما؟ قال الملك: لقد حال الغضب دون ما تقول، فأمرتُ بجلدهما وسجنهما على التأبيد. قال: لعلّهما أَتَيا بشيء نحتاج أن ننظر إليه، فهل لك أن تدعوهما؟ قال: نعم.

فأحضرهما بين يديه، فقال لهما شمعون: أخبراني مَن أرسلكما إلى هذا الملك وقومه؟ قالا: أرسلنا الله الذي هو على كل شيء قدير. فقال شمعون: صِفا لي عظمته، قالا: هي أعظم من أن تُحصى. قال: فأخبراني ماذا يبلغ مِن قَدْره، قالا: إنْ شئتَ وصفنا لك ما نُطيق وَصْفه، وصفته أعظم من طاقتنا، وإنْ شئتَ وصفنا لك ذلك في كلمتين تكفيان من كلام كثير. قال: نعم، صِفا وأَوْجِزا. قالا: إنه يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد. فوضع شمعون يده على رأسه كالمُنْكِر لِما قالا، ثم أقبل عليهما وقال: إني أسألكما أمراً فإنْ قدر إلهكما عليه آمنّا بكما، قالا: سَلْ. فقال: هل يقدر أن يخلق خَلْقاً ونحن ننظر إليه؟ قالا: نعم، فقال: اعلما ما تقولان، قالا: قد عَلِمْنا جيداً، فمتى شئتَ أريناك.

عند ذلك خلا شمعون بالملك وقال: أيها الملك، إن هذين الرجلين ليس ببعيدين أنْ يكون ربهما كما قالا، ولا أظنهما عرّضا أنفسهما لِمِثْل هذا الموقف إلاّ وعندهما الثقة مِن إلههما، وإني أخشى أن يَدْعُوَا ربهما فيخلق خَلْقاً ينظر إليه الناس فيُمْرِض ذلك قلوبهم، ويزهدون في إلهك الذي تعبده ويذهبان بالصواب، فهل لك أن تدعو إلهك لِيخلق هذا الخَلْق الذي نريد أن نتمنّاه عليهما فيكون لك ولإلهك شرف هذا اليوم؟ فقال الملك: ليس دونك سر يا شمعون، إن هذا الإله الذي نعبده لا يسمع ولا يبصر، ولا يضر ولا ينفع، ولا يحيي ولا يميت.

فلما اطمأن شمعون جاء إلى الرسولين فقال لهما: اعرضا عليّ بعض قدرة إلهكما، فإنْ أجابكما وخَلَقَ الشيء على أعيننا ونحن ننظر إليه فقد صَدَقْتُما، والقول قولكما.

واجتمع الناس لينظروا، فأوحىٰ الله إليهما[1]: أنْ سلاه ماذا يريد، فإني مُسَخِّر لكما ما سألكما. فقالا: قد أُوحي إلينا أنه فاعل ما تسألنا، فَسَلْنا. وكان شمعون قد عهد في المدينة غلاماً مطموس الوجه لم يُخلق له عينان، فأُتي به، فقال شمعون: ادعُوَا ربكما أن يخلق له عينين ونحن ننظر، فقالا: نعم. فأوقفاه بين أيديهما، ودَعَوَا الله وأعانهما شمعون سراً، فأجابهم رب العالمين. فأخذ كل واحد منهما حَثْوة من تراب وعجنه وجعله كالبندقة، ووضعا البندقتين في موضع العينين من وجه الغلام، فانشقّ لهما البصر ثم صارت البندقتان عينين، وصار الغلام يرى وينظر.

فتعجّب الملك وخاف، فقال شمعون: لا تَخَفْ إن عندي حيلة، قال الملك: لعلهما ساحران، أَرِنا ما لا يكون وما ليس بكائن. فقال شمعون: ليس هذا من السحر، ولكني أخاف أن يأتي مِن إلههما ما يُعْجِز حيلتنا. فدعا شمعون بغلام مطموس آخر، وعَمِلَ ما عَمِلا، فانشقّ بصره كما انشق بصر الأول. ففرح الملك وأصحابه بذلك، فقال شمعون: إنما صنع ما تَرَوْن إلهٌ اخترته لنفسي، وهو الذي أظهر هذه المعجزة، فاسجدوا لهذا الإله الذي أَظْفَرَكم بعدوكم، لعله يُعينكم علىٰ ما يكون بعد هذا. فقال الملك: كيف نسجد لغير إلهنا؟ فقال شمعون: ألم تخبرني أنه لا يبصر ولا يسمع، ولا يضر ولا ينفع؟ فما قدرته عليك إنْ سجدتَ لغيره؟ قال: صدقتَ. وسجد الملك لإله شمعون، وسجد قومه لسجوده.

ثم قال شمعون: نريد أن نرى من هذين الرسولين ما هو أكبر، فالتفت إليهما وقال: إني سائلكما عن أمر، فإنْ قدر عليه إلهكما فالحجة إذاً لكما، والقول قولكما. قالا: سَلْ عمّا بدا لك، فقال: تسألان ربكما أن يحيي لنا ميتاً حتىٰ يكلمنا ويخبرنا ما خبره، وحتىٰ يُعْلِمَنا ما كان فيه وما لقي بعد الموت. قالا: نعم، إن الذي سألتَ يسيرٌ علىٰ ربنا وهَيِّن.

فوضع شمعون يده علىٰ رأسه كالمُعَظِّم المُنْكِر لهما لِما قالا، ثم خلا بالملك وقال له:

---

(١) إن لفظة: (فأوحىٰ الله إليهما) تعني أمرين: إما أن تكون بمعنىٰ ألهمهما، كما في قوله تعالىٰ: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾ [النحل ٦٨]. وإما أن تكون إيحاء حقيقياً، فيكونان عند ذلك رسولين، والله أعلم بالصواب.

إنك قد رُميتَ بأمر عظيم، وإني أخاف إنْ أحيىٰ ربُّهما الموتىٰ أن يميل الناس إليهما. فقال الملك: إنا نرجو ألاّ يأتي بشيء إلا أتيتَ أنت بمثله، قال: إني لا أَغُرُّكم، إنَّ إلهي لا يحيي الموتىٰ، ولا أعلم في الأرض مَنْ يقدر علىٰ ذلك. فقال الملك: فهل تطلب منهما أن يبتعدا عنا ونتركهما، فإنْ أَبَيا قاتلناهما؟ فقال: كيف نقاتل مَن لهما إله يحيي الموتىٰ؟ ولكن أرجو أنْ أدعو الإله الذي صنع ما رأيتم فيعيننا علىٰ ما نريد.

ثم قال لهما شمعون: هل يقدر إلهكما أن يحيي الموتىٰ؟ قالا: نعم، فقال الملك: إن عندنا ميتاً كان مات منذ سبعة أيام، وهو ابن دِهْقان مدينتنا. فدعا به الملك، فأُحْضِرَ في نعش وقد تغيّر لونه وأَرْوَح[1]، فقال شمعون: دونكما، ادْعُوَا أن يحييه إلهكما. فدَعَوَا الله، فما لبث أنْ تَفَتَّقَتْ عنه أكفانه، وردّ الله إليه روحه، فسألوه: متىٰ مِتَّ وماذا لَقِيتَ؟ فقال: مِتُّ منذ سبعة أيام، ثم عُرِضْتُ علىٰ عملي فقُذفت في سبعة أودية من نار... وذَكَرَ ما في الأودية من العذاب والحيات وغير ذلك. ثم قال: فلما صِرْتُ إلىٰ الوادي السابع خُفِّفَ عني العذاب. قالوا: فمن أين خُفِّفَ عنك العذاب؟ قال: أحياني الله وردّ عليّ روحي، فجاءني شيء مِثْل الريح فدخل مِنْ قِبَل رأسي، فلما صار في جسدي حَيِيتُ، ثم قيل لي: انظر فوقك، فشخصت ببصري[2] إلىٰ الأعلىٰ، وفُتِحَت أبواب السماء، فنظرت فإذا برجل شاب حسن الوجه، نحيف الجسم، أبيض يخالطه حمرة، متعلق بالعرش - يعني عيسىٰ بن مريم عليه السلام -، يشفع لهؤلاء الثلاثة. فقال الملك: أيّ رَهْط تعني؟ قال: هذا الشيخ الأجلخ[3]، وهذا الكهل الأنزع[4]، وهذا الفتىٰ الرَّجْل[5]. فما زالوا مجتهدين في الدعاء حتىٰ شُفِّعوا، والشافعُ لهم مُصْغٍ إليهم بأُذنه، كأنه يسمع ما يقولون ثم يرفعه إلىٰ الله. فلما فرغ من كلامه

---

(١) بمعنىٰ أَنْتَنَ.

(٢) شَخَصَ بصرُه وببصره أي رفعه.

(٣) هو الذي انحسر شعره عن جانبي رأسه.

(٤) هو الذي انحسر شعره عن جانبي جبهته.

(٥) هو الذي شعره بين السبوطة والجعودة.

قال: إني أحذركم أيها القوم مِثْل ما كنتُ فيه، فإنه لا إله إلاّ إله عيسىٰ بن مريم وشمعون وبولس ويوحنا.

فانكشفت الأمور، وازداد إلىٰ الملك أن شمعون واحد منهم، فقال شمعون: اعتصمنا بالله وتوكلنا عليه. ثم أَخْبَرَ الملك بخبره وخبر أصحابه، ودعاهم إلىٰ الله، فمنهم مَن آمن، ومنهم مَن تولّىٰ. وكان الملك مِمّن آمن به في عُصبة يسيرة، وأرسل الله علىٰ مَن تولّىٰ منهم صيحة من السماء، فإذا هم خامدون.

قال الكسائي: وكان قد نُعِيَ إلىٰ الدهقان ابنه، وكان اسم الدهقان حبيباً النجار. ثم لم يلبث أنْ جاءتْه البشارة بحياة ابنه، ولم يكن له ولد غيره. وأُخْبِرَ خبر الحواريين، فآمن بهم قبل أن يراهم. فأقبل مسرعاً، فلما قصّ عليه ابنه قصته ازداد إيماناً ويقيناً.

قال وهب بن منبه: فيقال والله أعلم: إن هذا هو الذي ذكره الله تعالىٰ في قوله: ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [يس]، فأوجب الله له بكلامه الجنة، وخُيِّرَ بين أن يُعَمِّر هو وابنه مائة عام، أو يُعَجَّلَ بهما إلىٰ الجنة. فاختارا الجنة، وهو قوله تعالىٰ: ﴿ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾﴾ [يس].

قال وهب بن منبه: ولم يزل هذا الدهقان يجاهد قومه قبل أن تأخذهم الصيحة، ويدعوهم إلىٰ الله تعالىٰ حتىٰ قتلوه. فقيل له: ﴿قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ﴾ [يس: ٢٦]، قال: ﴿يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [يس].

قال بعض العلماء: نصح قومه حياً وميتاً، حياً عندما قال لهم: اعبدوا الله، وميتاً عندما تمنّىٰ أنْ يُشاهِدوا لِيُؤْمِنوا.

وقد ورد في الحديث الشريف: «السبق ثلاث: السابق إلىٰ موسىٰ يوشع بن نون، والسابق إلىٰ عيسىٰ صاحب يس، والسابق إلىٰ محمد علي بن أبي طالب»[1].

---

(١) أخرجه الديلمي عن عائشة، والطبراني وابن مردويه عن ابن عباس.

وفي رواية أخرى قيل: إن يوحنا وبولس عندما وصلا باب أنطاكية، اجتمعا مع رجل اسمه حبيب النجار يسكن عند باب السور.

قيل: كان تاجراً.

وقيل: قصّاراً يصبغ الثياب.

وقيل: إسكافياً.

وقيل: راعياً.

وقيل: خادماً لبيت الأصنام.

وقيل: كان ينحت الأصنام.

قد عاش عمراً طويلاً، وكان مبتلىً بالمرض الخبيث.

وقيل: بل ولده كان مريضاً، واختُلف في مرضه، إنما على اختلافه فقد كان مرضاً مُعَجِّزاً، وقد عرضه على جميع أطباء ذلك الزمان ولم يَبْرَأْ. فدعواه إلى الله عز وجل فقال لهما: ما برهانكما؟ قالا: نبرئ الأكمه والأبرص والأعمى بإذن الله تعالى، فقال: إنْ أَبْرَأْتما ولدي آمنتُ بربكما. فوضع أحدهما يده ودعا، فعاد كأنه وُلِدَ الآن.

وعلى القول أنه هو المريض، فدعَوَا له وشفاه الله عز وجل.

فآمن بعد أن رأى منهما الآيات الدالة على صدقهما، وكسّر الأصنام وعَبَدَ الله عز وجل.

ثم لّما سمع بأن أهل أنطاكية اجتمعوا على الرسل وأرادوا قتلهم، جاء إلى القوم وقال: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٢٠﴾ [يس]. ثم التفت إلى الرسل فقال: أتطلبون أجراً على دعوتكم؟ قالوا: لا نريد أجرنا إلاّ من الله، فقال: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٢١﴾ [يس]، فقالوا: إذاً أنت واحد منهم على غير ديننا، فقال: ﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢٢﴾ [يس]؟ فهجموا عليه ولا زالوا يضربونه ويضربونه حتى قتلوه، ووطئوا عليه بأقدامهم حتى خرج قصبه من دبره، وقتلوا كذلك الرسل الثلاثة.

ثم كانت نهاية القوم مؤسفة جداً ومؤلمة، فما نزل عليهم بعد ذلك جند من السماء للنصيحة، إنما أمر الله جبريل فوقف على باب أنطاكية، وصاح بأهلها صيحة واحدة كما

صاح قبل ذلك بقوم صالح، فمات جميع مَنْ فيها وأهلكهم الله بكاملهم. فقالت الملائكة عندما رأت ذلك: ﴿يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٣٠﴾ [يس].

وهكذا شأن الأمم المخالفة، فكانت عبرة وعظة نقرؤها في سورة يس، كما نقرأ عن أمم غيرهم قد أُهلكوا في سور أخرى.

خبر الحواري توما في بلاد الهند

قال الكسائي: قال وهب بن منبه: واستيقظ توما صباحاً وإذ رأى نفسه على باب بلاد الهند والسند، فبينما هو يتردد على ساحلهم، إذ هو بغلام لملك الهند يقال له: حيّان، وكان تاجراً. فأتاه توما وقال له: هل لك أنْ تَبْتاعَني للملك عبداً؟ فقال: مَن أنت أيها الرجل الكريم؟ قال: إني كنتُ عبداً مملوكاً، فأعتقني سيدي وأمرني بالطلب لنفسي، فلم أصادف من الحرية ما كنتُ أظن، وكان حالي يوم كنتُ عبداً خيراً منه اليوم وأحسن. فقال له حيّان: ما أرى عليك مِيسَم العبودية، وإني لأرى عليك أثر الخير. ثم قال له: ما الذي تُحْسِنُ من الأعمال؟ قال: أَعْمَلُ سائر الأعمال.

فاشتراه حيّان بثلاثمائة مثقال من الذهب، وانطلق به إلى ملك الهند. فلما رآه الملك أجلّه وعظّمه، وقرّبه منه وأجلسه، وسأل التاجرَ حيّان عنه، فأخبره أنه اشتراه على أن يعمل سائر الأعمال. فقال الملك لتوما: أريد أن تبني لي قصراً لم يُعمل لأحد من قبل، فقال: لك ذلك عليّ، ولكن أرضك حارة، وإذا بُنِيَ في زمن الحر كان القصر حاراً، وكذلك إذا بني في زمن البرد يكون بارداً عليك، وإني أرى أن يُعمل في زمن الاعتدال. فوافق الملك على رأيه.

وفي هذه الأثناء عرض للملك غزاة، فخرج إليها واستخلف أخاه على المُلك، وأمره أن يدفع لتوما ما يحتاج إليه من الأموال للنفقة على القصر.

فصرف له أموالاً كثيرة، ففرّقها توما على الفقراء والمساكين حتى أغناهم.

ثم مرض أخو الملك مرضاً شديداً، وغاب عن حِسِّه وعن حركته سبعة أيام. فَقَدِمَ الملك وهو على تلك الحالة، فاشتغل به.

فلما ردّ الله روحه وأفاق من غيبوبته، قال الملك لتوما: ما فعلتَ في القصر؟ قال: بنيتُ لك قصراً لا مثيل له، وقد فرغت منه. فقال الملك لأخيه: ما الذي أعطيتَه من مالي؟ قال: أنفقتُ جميع ما ببيت المال، هو يطلب وأنا أعطيه. قال: فهل رأيتَ القصر؟ قال: لا، إنه قبض مني المال، ثم مرضتُ واشتكيتُ الوجع.

ثم قال الملك لتوما: أين بنيتَ هذا القصر؟ قال: بنيتُه لك في السماء، قال: وكيف لي بسلم أنال به السماء؟ قال: تنال السماء بالسلم الذي نالها به أخوك. فقال له أخوه: اسمع مني أيها الملك، أُخبرك بالعجب العجاب الذي رأيتُه، فإنك لو تعلم ما أَدْخَلَ عليك هذا الرجل من الخير، وصرف عنك من الشر، لَقَبَّلْتَ قدميه وجعلتَه فوق رأسك. قال: أخبرني خبره.

قال: أُخبرك أن الله عزّ وجلّ عرج بروحي إلىٰ السماء، فعرضني علىٰ النار فرأيت أمراً عظيماً مَهولاً. رأيت في النار أشياء لا أستطيع أن أصفها لك. ووصف له أشياء بسيطة من ألوان العذاب الذي رآه بها، ثم قال: وهذا كله لِعُبّاد الأصنام والحجارة والنيران. ثم قيل لي: إن الله عرضك علىٰ النار فأراك ما رأيتَ؛ لتكون لمن خلفك نذيراً وآية، فكل مَن يعبد غير الله ويسير في الطريق الذي يخالف الله له النار. ثم سيّرني الله إلىٰ الجنة ورأيت بها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، وما لا خطر علىٰ قلب بشر. وقيل لي: سُيِّرتَ إلىٰ الجنة كذلك لتبشر قومك بأن الذي يؤمن بالله وحده الفعّال لِما يريد له الجنة، ولتخبر مَن خلفك بما رأيتَ. فأُدخلتُ الجنة فرأيتُ كذا وكذا من نعيمها، وانتهيت بعد ذلك إلىٰ قصر عظيم من قصورها، وهو من أعظم قصور الجنة، وأبوابه مغلقة، فقلت لخزنة الجنة: إني أحب أن أشاهد باطن هذا القصر، فإني لم أَرَ مِثْله قط حتىٰ في الجنة. فقالوا: إن صاحبه في الدنيا، ومفاتيحه عند مَلَك من الملائكة. قلت: فلمن ادُّخِرَ هذا القصر العظيم؟ قالوا: هذا القصر هو لأخيك فلان الملك، وهو الآن في الدنيا وعنده رسول من عند الله عزّ وجلّ يقال له: توما الحواري، من حواريي عيسىٰ بن مريم، فإذا رجعتَ إليه فبَشِّره وأخبره أن القصر الذي بناه توما في السماء وأنفق عليه بيت ماله هو هذا، وأن القصر يساوي ذلك وزيادة. ثم ردّ الله عليّ بعد ذلك روحي، وأنت تعلم يا أخي أن لي شطر مالك ومُلكك وخزائنك، وتعلم ما لي بعد ذلك من الأموال والخزائن، وأنا أعطيك جميع ذلك علىٰ أن تعطيني قصرك الذي

رأيتُه لك في الجنة. فقال له الملك: يا أخي، ما كنتُ لأعطيك الباقي بالفاني.

ثم أقبل الملك على توما وآمن به هو وأهل مملكته، ولم تزل تلك الأمة على دين عيسى عليه السلام حتى أبادها الله بالموت.

خبر لوقا الحواري في بلاد فارس

كان أهل فارس في ذلك الوقت يعبدون النار من دون الله عز وجل، والنار ما أُطْفِئَتْ منذ خمسة آلاف عام.

قال الكسائي: قال وهب بن منبه: وأصبح لوقا على باب مدينة من مدائن فارس، وهي التي يسكنها الملك، ولسانه يتكلّم اللغة الفارسية، فإذا غلمان من أبناء الملوك والوزراء جلوس على قارعة الطريق يلعبون، فجلس لوقا إلى جانب غلام منهم وكان قد أتقن الأمور كلها، فقام وعلّم الغلام كيف يلعب الكرة مع الغلمان، فقام الغلام فغلب جميع أولئك الغلمان.

فلما تفرّق الغلمان، كان هذا الغلام مَديناً للوقا، فدعاه إلى منزله، فقال له لوقا: قبل أن آتي إلى منزلكم اذهب إلى أبيك واستأذنه في ذلك. فانطلق الغلام إلى أبيه وأخبره بخبر لوقا، فأَذِنَ له أن يأتي به.

فجاء لوقا إلى بيت هذا الوزير، ولَمّا وَلَجَ باب الدار قال: باسم الله، فخرج كل شيطان في الدار، وصاحب الدار ينظر إلى ذلك، وكانت الشياطين تظهر لهم، وتشاركهم في طعامهم وشرابهم. فعَجِبَ صاحب الدار من ذلك، وقدّم الطعام، فأقبلت الشياطين لتأكل على عادتها، فقال لوقا: باسم الله، فنفرت الشياطين وفرّت من الدار.

فقال صاحب الدار للوقا: قد رأيتُ منك اليوم ما لم أَرَهُ من أحد، وإن لك لَشأناً. ثم خلا به وقال له: لا بد أن تخبرني خبرك، وإياك أن تكتمني أمرك. قال لوقا: على أن تكتم أمري حتى آذن لك؟ قال: على أن أكتم أمرك. فاستوثق منه لوقا وأخبره خبره، وأنه من أتباع عيسى بن مريم عبد الله ورسوله.

ثم قال لوقا: أخبرني أي مال الملك أحب إليه وأعجب عنده؟ قال: ما شيء من ماله

أحب إليه وأعجب عنده من برذون له، حتىٰ إنه يركبه مِن سريره.

ثم أقام مدة، فقُدِّمَ البرذون إلىٰ الملك ليركبه علىٰ عادته، فلما صار إلىٰ جانب السرير خَرّ ميتاً. فشق ذلك علىٰ الملك وآلمه كثيراً، وقال: وددت لو فديته بمال عظيم. وحزن جلساء الملك علىٰ حزن الملك، وجاء الوزير إلىٰ لوقا وأخبره بالأمر، فقال: الآن آن الوقت أن تأخذني إلىٰ الملك، ارجع إليه وقل له: إني أحييه له إنْ أطاعني فيما أقول.

فرجع إلىٰ الملك وأخبره بذلك، وقال: إن هذا الرجل لَمّا عبر إلىٰ منزلي نفرت منه الشياطين، ولم تَطْعَم مِن طعامنا، وكانت تأكل معنا قبل ذلك وتشرب كما علمتَ، وقد قال: إنْ أطاعني الملك أَحْيَيْتُ له برذونه. فقال الملك: إن نفسي لَتطيب بكل شيء من أجل برذوني، فعليّ بالرجل.

فأُحْضِرَ لوقا إلىٰ الملك، فلما دخل الدار لم يَبْقَ بها شيطان إلاّ خرج. ثم جلس إلىٰ جانب الملك، فقال له الملك: بلغني أنك تحيي الموتىٰ، فأَحْيِ لي برذوني هذا. فقال: إنْ أطعتَني فيما أقول لك فعلتُ، قال: مُرْني بما شئتَ، فقال: إذا أَرَدْتَه ادْعُ ابنك، وادْعُ امرأتك. وكان ابنه ولي عهده، وامرأته منه بمكانة عظيمة، وكانت تُشاوَر في الملك.

فجاء الولد وجاءت الزوجة، فقام لوقا وأخذ بقائم من قوائم البرذون، وكلٌّ مِن الملك وابنه وامرأته أخذ بقائم. ثم قال لوقا بالفارسية: اللهم رب السماوت والأرض، خالق السماوات والأرض وما فيهما، لا إله إلاّ أنت وحدك لا شريك لك، أَحْيِ هذا العضو الذي في يدي. فحالاً تحرّك العضو في يده، ثم قال للملك: قُلْ كما قلتُ. فقال الملك مِثْل ذلك، فتحرّك العضو الذي في يده. ثم قال لابن الملك: قُلْ كما قلتُ، فقال، فتحرّك العضو الثالث. ثم قال لامرأة الملك: قولي كما قلتُ، فدعت بدعائه فتحرك العضو الرابع. ثم قال لهم: قولوا جميعاً كما أقول، فقالوا كلهم: اللهم رب السماوت والأرض، خالق السماوات والأرض وما فيهما، لا إله إلاّ أنت وحدك لا شريك لك، أَحْيِ هذا البرذون.

فقام البرذون حياً ينفض ناصيته، فعجب الملك والناس من ذلك، وسأله الملك عن خبره، فأخبره أنه رسول عيسىٰ بن مريم إلىٰ الله وقومه، يدعوهم إلىٰ عبادة الله تعالىٰ. فآمنوا به.

وقد قيل: إن الذي أُرسل إلىٰ أرض فارس هو الحواري متّىٰ. وأنه لَمّا دخل علىٰ الملك كان الملك سكراناً، فلما أحيىٰ رب العالمين البرذون، أمر الملك أصحابه بقتل متىٰ، فقتلوه. فلما أفاق الملك من سُكْره سأل عنه، فقيل له: إنك أمرتَ بقتله، فقتلناه. فقال: ما علمتُ بذلك. فقاموا إليه وغسّلوه، وكفّنوه ودفنوه.

ويقال: إن الله تعالىٰ بعد دفنه خسف بالملك وأولاده وأهله، والله أعلم.

فهذا ما جاءنا من أخبار الحواريين.



خبر ظهور المهدي والدجال
ونزول عيسى عليه السلام وما يكون في آخر الزمان

۞ خبر ظهور المهدي في آخر الزمان:

المهدي هو عبد صالح هاشمي قريشي من أهل بيت النبي ﷺ، من ولد فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ، ولكن هل هو من نسل الحسين بن علي أو من نسل الحسن؟ فهناك روايات تقول ذاك وذاك.

هو إمام عدل مجتهد، يجمع الناس على القرآن والسنة، فهو لا يأتي بدين جديد، إنما أول هذه الأمة سيدنا محمد وآخرها المهدي. ولكنه لا يأخذ من المذاهب الأربعة، وهو أهل للاجتهاد المطلق.

فيأتي فيحكم الأرض ويملؤها عدلاً كما مُلِئَت جوراً وظلماً وضلالاً، يقوم بدور عظيم جداً ويَأْطِر الناس على الحق أَطْراً، ويكون مُؤَيَّداً بالنصر من السماء، ومعه رايات الحق.

وتكون مهمته مُمَهِّدة لنزول عيسى عليه السلام، فيجمع المسلمين والمؤمنين، معهم الأولياء والأقطاب والأبدال والنجباء والأوتاد، ويقاتلون أعداء الله تحت راية لا إله إلاّ الله محمد رسول الله.

ترى زمانه زمان يُسْر ويُمْن، وخير وبركة. يحثو المال حَثْواً، وتكثر أمطار السماء، وتُخْرِج الأرض ما فيها من أنواع النباتات، ويكثر خير الناس. والسبب في ذلك العدل، فالعدل يُعَمِّر والظلم يُدَمِّر. وبتطبيق القرآن يكون العدل، وتمتلئ الأرض بالخيرات والبركات.

وله علامات إذا جاءت ظهر حالاً، فلا نلتفت إلى أولئك الذين يَتَصَيَّدون في الماء العكر.

وأمامه بيعتان، الأولى بالمغرب، والثانية أمام الكعبة المشرفة بين الركن والمقام.

وسيملك المهدي بعد فتح الشام جبل الدَيْلم والقسطنطينية، ويستفتح رومية وأنطاكية، ويأخذ كنيسة الذهب مرتين.

ذكر النويري في تاريخه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: يُبايَعُ المهدي بين مكة والركن، ويكون أول أمره على عدد أهل بدر، ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً.

وقال النويري في تاريخه: قال الكسائي: إنه يخرج قبل هذا وَلِيٌّ من قرية من قرى حرس[1] في ثلاثين رجلاً، ثم يجتمع إليه المؤمنون من كل ناحية، ثم ينكسف القمر ثلاث ليال متوالية، ثم يظهر المهدي بمكة ويَشِيع أمره، فيبلغ ذلك الزهراني صاحب السفياني، فيبعث إلى المهدي جيشاً ثلاثين ألفاً، فينزلون في البريّة، ثم يخرج السفياني إلى البيداء، فإذا استقرّ بالموضع خسف الله تعالى بهم الأرض، فيأخذهم إلى أعناقهم حتى لا يُفلت منهم إلاّ رجلان يخرجان بفرسيهما، فإذا وصلوا إلى القوم رَأَوْهم وقد خسف الله بهم، فيخسف الأرض بواحد منهما، ويُحَوِّل الله وجه الآخر إلى قفاه، فيبقى كذلك مدة حياته.

ثم يخرج المهدي بمن معه إلى بلاد الروم، فيسير حتى يسمع بهلاك السفياني وأصحابه.

قال: وذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُواْ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ ﴾ [سبأ].

فيحمد المهديُّ اللهَ على ذلك، ويخرج إلى بلاد الروم في نحو مائة ألف، فيصل إلى القسطنطينية، فيدعو ملك الروم إلى الإسلام، فيأتي فيقاتله، ويدوم القتال بينهم شهرين، ثم ينزل ملك الروم ويدخل المسلمون إلى القسطنطينية، فينزل المهدي على بابها ولها سبعة أسوار، فيُكَبِّر سبع تكبيرات، فينهدم كل سور منها بتكبيرة، ويدخلها المهدي ويقتل خَلْقاً كثيراً، ويقتل ملكَ الروم. ثم يرفع عنهم السيف، ويأخذ المسلمون من الغنائم ما لا يُحصى، حتى إنّ الرجل لَيأخذ من الجوهر ما يعجز عن حمله.

فبينما هم كذلك إذ يأتيهم الخبر من خليفة المهدي بخروج الدجال واجتماع الناس عليه، فيتركون تلك الغنائم وينصرفون إلى بلادهم مسرعين لمحاربة الدجال، فيقال: إنّ المهدي يسير نحو الدجال وعلى رأسه عمامة رسول الله ﷺ، فيلتقون ويقتتلون قتالاً شديداً، فيُقتل من أصحاب الدجال أكثر من ثلاثين ألفاً، ثم ينهزم الدجال فيمر نحو بيت المقدس، فيأمر الله الأرض بإمساك قوائم خيله، ويرسل عليهم ريحاً حمراء فتقتل منهم أربعين ألفاً.

---

(١) وفي رواية: مرجوش.

قال الكسائي: ثم يقبل المهدي بجيشه زُهاء مائة ألف، في أيديهم الرايات البيض، فيقول المهدي لعسكر الدجال: ويلكم، أَتَشُكّون في هذا الأعور الكذّاب أنه الدجال[١]؟ فيقولون: لا، ولكنّا نعيش في طعامه. فيُمْسَخون في الحال قردة وخنازير.

ثم ينزل عيسىٰ بعد ذلك إلىٰ الأرض، ويصلي خلف المهدي.

وهناك أحاديث كثيرة من السنة خرّجها جماعة من الأئمة وأسندوها إلىٰ جماعة من الصحابة تُبيِّن أن موضوع المهدي موضوع حقيقة وسيكون، وقد بلغت أكثر من أربعين حديثاً إسنادها بين صحيح وحسن وضعيف، وبعضها يُقَوّي البعض.

قال القاضي الشوكاني في الفتح الرباني: الذي أَمْكَنَ الوقوف عليه من الأحاديث الواردة في المهدي المنتظر خمسون حديثاً وثمانية وعشرون أثراً. ثم سَرَدَها مع الكلام عليها ثم قال: وجميع ما سُقْناه بالَغَ حَدَّ التواتر كما لا يَخْفىٰ علىٰ مَن له فَضْلُ اطِّلاع.

ومن هذه الأحاديث نذكر:

- عن سعيد بن المسيب عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: سمعت النبيﷺ يقول: «المهدي من عترتي من ولد فاطمة»[٢].

- وعن أبي سعيد الخدريرضي الله عنه أن النبيﷺ قال: «المهدي مني، أَجْلىٰ الجبهة[٣]، أَقْنىٰ الأنف، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، يملك سبع سنين»[٤].

- وعن عبدالله بن مسعودرضي الله عنه عن النبيﷺ قال: «لو لم يبق من الدنيا إلاّ يوم لطوّل الله ذلك اليوم حتىٰ يبعث فيه رجلاً مني أو من أهل بيتي، يواطئ اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي»[٥].

---

(١) وفي رواية للكسائي: (أتشكون في هذا الأعور الدجال ؟ إنه كذّاب).

(٢) أخرجه أبو داود وابن ماجة، ورواه البخاري في تاريخه ولفظه: «المهدي حق وهو من ولد فاطمة»، ورواه الحاكم والديلمي والطبراني وابن عدي في الكامل. وثّقه ابن حبان، وقال البخاري: في إسناده نظر، وقال النسائي: لا بأس به.

(٣) أي واسع الجبهة.

(٤) خرّجه أبو داود في سننه بإسناد جيد، وروى الترمذي نحوه من وجه آخر.

(٥) خرّجه الإمام الترمذي وقال: حديث حسن صحيح، ورواه أبو داود في سننه واللفظ له، والطبراني في الكبير والأوسط وزاد: (يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً). وفي الباب كذلك عن علي وأبي هريرة.

- وفي حديث سفيان الثوري عن عبدالله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « لا تذهب الدنيا - أو قال: لا تنقضي الدنيا - حتىٰ يملك العربَ رجلٌ من أهل بيتي، يواطئ اسمه اسمي »[١].

- وعن أم سلمة عن النبي ﷺ قال: « يكون اختلاف عند موت خليفة، فيخرج رجل من قريش من أهل المدينة إلىٰ مكة، فيأتيه ناس من أهل مكة فيُخرجونه وهو كاره، فيبايعونه بين الركن والمقام، فيبعثون إليه جيشاً من أهل الشام، فإذا كانوا بالبيداء خُسِفَ بهم، فإذا بلغ الناسَ ذلك أتاه أبدال أهل الشام وعصائب أهل العراق فيبايعونه، وينشأ رجل من قريش أخواله من كلب، فيبعث إليهم جيشاً فيهزمونهم ويَظهرون عليهم، فيقسم بين الناس فيؤمهم، ويعمل فيهم بسنة نبيهم ﷺ، ويُلقي الإسلام بجرانه إلىٰ الأرض، يمكث سبع سنين »[٢].

وليس ظاهر الحديث أنه لم يُبايَع قبل ذلك، بل يُبايَع.

- ويروى عن علي رضي الله عنه أنه نظر إلىٰ ابنه الحسن فقال: « إن ابني هذا سيد كما سمّاه النبي ﷺ، وسيخرج مِن صلبه رجل يُسَمّىٰ باسم نبيكم، ويشبهه في الخُلُق ولا يشبهه في الخَلْق، يملأ الأرض عدلاً »[٣].

- وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: « خشينا أن يكون بعد نبينا حَدَثٌ، فَسَأَلْنا النبي ﷺ فقال: إنّ في أمتي المهدي، يخرج يعيش خمساً أو سبعاً أو تسعاً. قلنا: وما ذاك؟ قال: سنين. قال: فيجيء إليه الرجل فيقول: يا مهدي أعطني أعطني، فيحثي له في ثوبه ما استطاع أن يحمله »[٤].

---

(١) رواه الترمذي وأبو داود وأحمد والطبراني في الكبير والذهبي، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه واللفظ له. ورواه أحمد في مسنده وزاد: (فيظهرون عليهم وذلك بعث كلب، والخيبة لِمَن لم يشهد غنيمة كلب). ورواه أبو داود من وجه آخر وزاد: (ثم يتوفىٰ ويصلي عليه المسلمون). ورواه الطبراني في الأوسط والكبير وزاد: (فيهزمهم الله فتكون الدائرة عليهم، فذلك يوم كلب، الخائب مَن خاب مِن غنيمة كلب، فيستفتح الكنوز، ويقسم الأموال) ورجال الطبراني رجال الصحيح.

(٣) أخرجه أبو داود من طريق أبي إسحاق.

(٤) خرجه الإمام الترمذي وقال: حديث حسن، ورواه أحمد في مسنده.

- وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أُبَشِّرُكم بالمهدي، يُبعث على اختلاف من الناس وزلازل، فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض، يقسم المال صحاحاً. قال له رجل: ما صحاحاً؟ قال: بالسَّوِيّة بين الناس. قال: ويملأ الله قلوب أمة محمد ﷺ غناء، ويَسَعُهم عدله، حتى يأمر منادياً فينادي فيقول: مَن له في مال حاجة؟ فما يقوم من الناس إلاّ رجل واحد فيقول: أنا، فيقول: ائْتِ السادن - يعني الخازن - فقل له: إن المهدي يأمرك أن تعطيني مالاً، فيقول له: احْثُ، حتى إذا جعله في حِجْره وائْتَزَره ندم، فيقول: كنتُ أجشع أمة محمد ﷺ، أو عجز عني ما وَسِعَهم. قال: فيَرُدُّه فلا يُقبل منه، فيقال له: إنّا لا نأخذ شيئاً أعطيناه. فيكون كذلك سبع سنين، أو ثمان سنين، أو تسع سنين، ثم لا خير في العيش بعده - أو قال: ثم لا خير في الحياة بعده-»[1].

- وعنه كذلك رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يخرج رجل من أمتي يقول بسنتي، يُنْزِلُ الله عز وجل له القَطْر من السماء، ويُنبت الله له الأرض من بركتها، تُمْلأ الأرض منه قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، يعمل على هذه الأمة سبع سنين وينزل بيت المقدس»[2].

- وعن محمد بن الحنفية عن أبيه علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «المهدي منا أهل البيت، يصلحه الله عز وجل في ليلة»[3].

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لو لم يبق من الدنيا إلاّ يوم لطوّله الله عز وجل حتى يملك رجل من أهل بيتي جبل الديلم»[4].

---

(١) رواه الترمذي وغيره باختصار كثير، وأحمد بأسانيد وأبو يعلى ورجالهما ثقات.

(٢) رواه الترمذي وابن ماجة باختصار، ورواه الطبراني في الأوسط والمقدسي في فضائل بيت المقدس.

(٣) رواه أحمد في مسنده، وابن ماجة في سننه، والديلمي في الفردوس، وأبو نعيم في الحلية وزاد: (أو قال: في يومين)، والبزار في مسنده وقال: لا نعلمه يروى عن النبي ﷺ بهذا اللفظ إلاّ من هذا الوجه بهذا الإسناد. وذكره ابن حبان في الثقات، وقال البخاري في التاريخ: في إسناده نظر، وقال أبو زرعة: لا بأس به.

(٤) رواه ابن ماجة بإسناد صحيح، ووثّقه أحمد والنسائي والدارقطني.

- وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يكون في أمتي المهدي، إن قصر فسبع وإلاّ فتسع، تنعم أمتي فيه نعمة لم ينعموا مثلها قط، تؤتي الأرضُ أُكُلَها، لا تَدَّخِرُ عنهم شيئاً، والمال يومئذ كدوس، يقوم الرجل فيقول: يا مهدي أعطني، فيقول: خذ»[١].

- وعن ثوبان مولىٰ رسول الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا رأيتم الرايات السود خرجت من قبل خراسان فائتوها ولو حَبْواً، فإن فيها خليفة الله المهدي»[٢].

- وعنه كذلك قال: قال رسول الله ﷺ: «يَقْتَتِل عند كنزكم ثلاثة كلهم ابن خليفة، ثم لا يصير إلىٰ واحد منهم، ثم تطلع الرايات السود مِن قِبَل المشرق، فيقتلونكم قتلاً لم يُقتله قوم. ثم ذكر شيئاً لا أحفظه فقال: فإذا رأيتموه فبايعوه ولو حَبْواً علىٰ الثلج فإنه خليفة الله المهدي»[٣].

- وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتىٰ تُمْلأ الأرض ظلماً وجوراً وعدواناً، ثم يخرج من أهل بيتي مَن يملؤها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وعدواناً»[٤].

- وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذ أقبل فتية من بني هاشم، فلما رآهم النبي ﷺ اغْرَوْرَقَتْ عيناه وتغيّر لونه. فقلت: ما نزال نرى في وجهك شيئاً نكرهه؟ فقال: إنّا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة علىٰ الدنيا، وإن أهل بيتي سَيَلْقَون بعدي بلاء وتشريداً وتطريداً، حتىٰ يأتي قوم مِن قِبَل المشرق معهم رايات سود، فيسألون الخير فلا يُعْطونه، فيقاتلون فينصرون، فيُعْطَوْن ما سألوا فلا يقبلونه، حتىٰ يدفعوها إلىٰ رجل من أهل بيتي فيملؤها قسطاً كما ملؤوها جوراً، فمَن أدرك ذلك منكم فليأتهم ولو حَبْواً علىٰ الثلج»[٥].

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك، وابن ماجة في سننه، وروى بنحوه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات إلاّ أنه قال: (يُرْسِل السماء عليكم مدراراً، ولا تدّخر الأرض شيئاً والمال كدوس).

(٢) إسناده صحيح ورجاله ثقات، رواه أحمد في مسنده، والحاكم في المستدرك وقال: حديث صحيح علىٰ شرط الشيخين، وروى ابن ماجة من حديث الثوري نحوه.

(٣) رواه الحاكم في المستدرك، وابن ماجة في سننه.

(٤) رواه الإمام أحمد، وأبو يعلىٰ، والحاكم في المستدرك وقال: حديث صحيح علىٰ شرط الشيخين ولم يُخَرِّجاه، وروى بنحوه ابن حبان في صحيحه.

(٥) رواه ابن ماجة في سننه، وابن أبي شيبة في مسنده، وأبو يعلىٰ بزيادة ونقص ألفاظ.

- وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «نحن ولد عبد المطلب سادة أهل الجنة: أنا، وحمزة، وعلي، وجعفر، والحسن، والحسين، والمهدي»[١].

- وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «ينزل بأمتي في آخر الزمان بلاء شديد من سلطانهم لم يُسمع بلاء أشد منه، حتىٰ تضيق عنهم الأرض الرَحِبة، وحتىٰ يملأ الأرض جوراً وظلماً، لا يجد المؤمن ملجأ يلتجئ إليه من الظلم، فيبعث الله عز وجل رجلاً من عترتي، فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، يرضىٰ عنه ساكن السماء وساكن الأرض، لا تدّخر الأرض مِن بذرها شيئاً إلاّ أخرجته، ولا السماء من قطرها شيئاً إلاّ صَبّه الله عليهم مدراراً، يعيش فيها سبع سنين أو ثمان أو تسع، تتمنىٰ الأحياء ألاّ موات مِمّا صنع الله عز وجل بأهل الأرض من خيره»[٢].

- وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: «في ذي القعدة تجاذب القبائل وتغادر فيُنهب الحاج، فتكون ملحمة بِمنىٰ يكثر فيها القتلىٰ، ويسيل فيها الدماء حتىٰ تسيل دماؤهم علىٰ عقبة الجمرة، وحتىٰ يهرب صاحبهم فيأتي بين الركن والمقام، فيبايَع وهو كاره، يقال له: إنْ أَبَيْتَ ضربنا عنقك، يبايعه مِثْل عدة أهل بدر، يرضىٰ عنهم ساكن السماء وساكن الأرض»[٣].

- وعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «يحج الناس معاً، ويُعَرِّفون معاً علىٰ غير إمام. فبينما هم نزول بِمنىٰ إذ أخذهم كالكلب، فثارت القبائل بعضها إلىٰ بعض، واقتتلوا حتىٰ تسيل العقبة دماً، فيفزعون إلىٰ خيرهم فيأتونه وهو ملصق وجهه إلىٰ الكعبة يبكي، كأني أنظر إلىٰ دموعه، فيقولون: هَلُمَّ فلنبايعك، فيقول: ويحكم كم

---

(١) رواه ابن ماجة في سننه، والحاكم وقال: صحيح علىٰ شرط مسلم ولم يخرجاه، ورواه الديلمي في الفردوس ولفظه: (إنا معشر بني عبد المطلب)، ورواه ابن حجر في التهذيب، وكذا الكناني وقال: هذا إسناد فيه مقال علي بن زياد لم أَرَ مَن جَرّحه ولا مَن وثّقه، وباقي الرجال ثقات.

(٢) حديث صحيح الإسناد رواه الحاكم في المستدرك، وعبد الرزاق.

(٣) رواه الحاكم في المستدرك.

عهد قد نقضتموه؟ وكم دم قد سفكتموه؟ فيُبايَع كرهاً. فإذا أدركتموه فبايعوه، فإنه المهدي في الأرض، والمهدي في السماء»[١].

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يخرج رجل يقال له: السفياني في عمق دمشق، وعامة مَن يتبعه من كلب، فيَقتل حتىٰ يبقر بطون النساء، ويقتل الصبيان. فتجمع لهم قيس، فيقتلها حتىٰ لا يمنع ذنب تلعة، ويخرج رجل من أهل بيتي في الحرة فيبلغ السفياني، فيبعث إليه جنداً من جنده فيهزمهم، فيسير إليه السفياني بمن معه، حتىٰ إذا صار ببيداء من الأرض خُسِف بهم، فلا ينجو منهم إلاّ المُخْبِر عنهم»[٢].

- وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «المهدي مِنّا أهل البيت، أشمّ الأنف، أقنىٰ، أجلىٰ، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً يعيش هكذا. وبسط يساره وإصبعين من يمينه: المسبحة والإبهام، وعقد ثلاثة»[٣].

- وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: «أتينا رسول الله ﷺ فخرج إلينا مستبشراً يُعْرَف السرور في وجهه، فما سألناه عن شيء إلاّ أخبرنا به، ولا سكتنا إلاّ ابتدأنا، حتىٰ مرّت فتية من بني هاشم فيهم الحسن والحسين، فلما رآهم التزمهم وانهملت عيناه، فقلنا: يا رسول الله، ما نزال نرى في وجهك شيئاً نكرهه؟ فقال: إنّا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة علىٰ الدنيا، وإنه سيلقىٰ أهل بيتي من بعدي تطريداً وتشريداً في البلاد حتىٰ ترتفع رايات سود من المشرق، فيسألون الحق فلا يُعْطونه، ثم يسألونه فلا يعطونه، ثم يسألونه فلا يعطونه، فيُقاتلون فيُنْصرون، فمَن أدركه منكم أو مِن أعقابكم فليأت إمام أهل بيتي ولو حَبْواً علىٰ الثلج، فإنها رايات هدى يدفعونها إلىٰ رجل من أهل بيتي، يواطئ اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي، فيملك الأرض فيملؤها قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً»[٤].

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك.

(٢) رواه الحاكم في المستدرك وقال: حديث صحيح علىٰ شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(٣) رواه الحاكم في المستدرك وقال: حديث صحيح علىٰ شرط مسلم ولم يخرجاه.

(٤) رواه الحاكم في المستدرك.

- وعن عوف بن مالك الأشجعي قال: قال رسول الله ﷺ: « كيف أنت يا عوف إذا افترقت هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، واحدة في الجنة وسائرهن في النار؟ قلت: ومتى ذلك يا رسول الله؟ قال: إذا كثرت الشرط، وملكت الإماء، وقعدت الحملان على المنابر، واتُّخذ القرآن مزامير، وزُخرفت المساجد، ورُفعت المنابر، واتُّخِذَ الفيء دولاً، والزكاة مغرماً، والأمانة مغنماً، وتُفُقِّه في الدين لغير الله، وأطاع الرجل امرأته وعقّ أمه وأقصى أباه، ولعن آخر هذه الأمة أولها، وساد القبيلةَ فاسقُهم، وكان زعيم القوم أرذلهم، وأُكرم الرجل اتّقاء شره. فيومئذ يكون ذلك ويفزع الناس إلى الشام، وإلى مدينة منها يقال لها: دمشق من خير مدن الشام، فتُحصنهم من عدوهم. قلت: وهل تُفْتَح الشام؟ قال: نعم وشيكاً، ثم تقع الفتن بعد فتحها، ثم تجيء فتنة غبراء مظلمة، ثم يتبع الفتن بعضها بعضاً حتى يخرج رجل من أهل بيتي يقال له: المهدي، فإن أدركتَه فاتبعه وكن من المهديين »[1].

- وعن تميم الداري قال: « قلت: يا رسول الله، ما رأيت للروم مِثْل مدينة يقال لها: أنطاكية، ما رأيت أكثر مطراً منها. فقال: نعم، لأن فيها التوراة، وعصا موسى، ورضراض الألواح، وسرير سليمان في غار، ولا تذهب الأيام حتى يسكنها رجل من عترتي، اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي، خُلُقه خُلُقي، يملأ الدنيا قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً »[2].

- وفي رواية أخرى: « لا تقوم الساعة حتى يملك رجل من أهل بيتي اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي، فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً »[3].

---

(١) رواه الطبراني، وروى ابن ماجة طرفاً من أوله، وفي سنده ضعف وثّقه ابن حبان.

(٢) رواه الخطيب في تاريخه، وابن حبان في المجروحين بزيادة: (فما مِن سحابة تشرف عليها من وجه من الوجوه إلاّ أفرغت ما فيها من البركة في ذلك الوادي).

(٣) رواه ابن حبان في صحيحه عن عبدالله وعن أبي سعيد، ورواه الحاكم وابن عدي في الكامل عن عبدالله بلفظ: (لا تذهب الأيام والليالي....)، ورواه الطبراني في الكبير وابن أبي شيبة بلفظ: (لا تذهب الدنيا حتى يبعث الله رجلاً...).

- وعن عبدالله بن الحرث الزبيدي قال: قال رسول الله ﷺ: «يخرج قوم مِن قِبَل المشرق فيُوَطِّئون للمهدي سلطانه»[١].

- وعن عبدالله بن عمرو عن النبي ﷺ قال: «يخرج المهدي وعلىٰ رأسه مَلَك ينادي: إنّ هذا المهدي فاتبعوه»[٢].

- وعن علي رضي الله عنه مرفوعاً: «المهدي منا يُختم الدين به كما فُتِحَ بنا»[٣].

- وعنه أيضاً كرّم الله وجهه قال: «أَمِنّا المهدي أم من غيرنا يا رسول الله؟ قال: بل منا، بنا يَخْتِم الله كما بنا فَتَحَ، وبنا يستنقذون من الشرك، وبنا يُؤَلِّف الله بين قلوبهم بعد عداوة بَيِّنة كما بنا ألّف بين قلوبهم بعد عداوة الشرك. قال علي: أمؤمنون أم كافرون؟ قال: مفتون وكافر»[٤].

- وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «سيكون بينكم وبين الروم أربع هُدَن، الرابعة علىٰ يد رجل من أهل هرقل تدوم سبع سنين. فقال رجل من عبد القيس يقال له المستورد بن حيلان: يا رسول الله، مَن إمام الناس يومئذ؟ قال: مِن ولدي ابن أربعين سنة، كأن وجهه كوكب دري، في خده الأيمن خال أسود، عليه عباءتان قطوانيتان كأنه من رجال بني إسرائيل، يملك عشرين سنة، يستخرج الكنوز، ويفتح مدائن الشرك»[٥].

- وعن بشير بن نهيك قال: سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يقول: «حدّثني خليلي أبو القاسم ﷺ قال: لا تقوم الساعة حتىٰ يخرج إليهم رجل من أهل بيتي، فيضربهم حتىٰ يرجعوا إلىٰ الحق. قال: وقلت: وكم يملك؟ قال: خمس واثنتين. قال: قلت: ما خمس واثنتين؟ قال: لا أدري»[٦].

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط، والبزار في مسنده.

(٢) رواه الطبراني في مسند الشاميين، والديلمي في الفردوس، وابن حجر في لسان الميزان.

(٣) رواه الطبراني.

(٤) رواه الطبراني في الأوسط وفيه عمرو بن جابر الحضرمي وهو كذاب.

(٥) حديث ضعيف أخرجه الطبراني، وذكره ابن حجر في الإصابة.

(٦) رواه أبو يعلىٰ في مسنده وفيه المرجىٰ بن رجاء، وثّقه أبو زرعة وضعّفه ابن معين، وبقية رجاله ثقات.

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتىٰ يملك رجل من أهل بيتي، يفتح القسطنطينية وجبل الديلم، ولو لم يبق إلاّ يوم طَوَّل الله ذلك اليوم حتىٰ يفتحهما»[١].
- وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لو لم يَبْقَ من الدنيا إلاّ يوم لبعث الله فيكم رجلاً من عترتي، يواطئ اسمه اسمي، برّاق الجبين، يفتح القسطنطينية وجبل الديلم»[٢].
- وعن حذيفة بن اليمان قال: قال رسول الله ﷺ: «المهدي رجل من ولدي، لونه لون عربي، وجسمه جسم اسرائيلي، علىٰ خده الأيمن خال كأنه كوكب دري، يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً، يرضىٰ بخلافته أهل الأرض، وأهل السماء، والطير في الجو»[٣].
- وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مِنّا الذي يصلي عيسىٰ بن مريم خلفه»[٤].
- وعنه رضي الله عنه قال: «يخرج رجل من أهل بيتي عند انقطاع من الزمان وظهور من الفتن يكون عطاؤه حثياً»[٥].
- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لن تَهْلَكَ أمة أنا في أولها، وعيسىٰ بن مريم في آخرها، والمهدي في وسطها»[٦].
- وعنه كذلك قال: قال رسول الله ﷺ: «يخرج رجل من أمتي يعمل بسنتي، يُنْزِلُ الله له البركة من السماء، وتُخرج له الأرض بركتها، يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً، يعمل سبع سنين علىٰ هذه الأمة، وينزل بيت المقدس»[٧].

---

(١) رواه الديلمي في الفردوس، وكذا الرافعي والقزويني.

(٢) رواه الديلمي في الفردوس.

(٣) أخرجه الروياني في مسنده، وأبو نعيم.

(٤) رواه أبو نعيم عن أبي الفرج الأصبهاني، وفي صحيح ابن حبان من حديث عطية بن عامر نحوه.

(٥) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه.

(٦) ذكره عبد الرؤوف المناوي في فيض القدير، وأبو عبدالله الحنبلي في المنار المنيف.

(٧) رواه أبو نعيم والمقرئ في الفتن.

- وفي حديث مرفوع فيه طول من حديث حذيفة قال: قلت: يا رسول الله، لقد كان بيت المقدس عند الله عظيماً، جسيم الخطر، عظيم القدر. فقال رسول الله ﷺ: هو مِن أَجَلِّ البيوت، ابتناه الله لسليمان بن داود عليهما السلام من ذهب وفضة ودُرٍّ وياقوت وزمرد، وذلك أن سليمان بن داود لَمّا بناه سخّر الله له الجن، فأتوه بالذهب والفضة من المعادن، وأتوه بالجواهر والياقوت والزمرد، وسخّر الله تعالى له الجن حتى بَنَوْه من هذه الأصناف. قال حذيفة: فقلت: يا رسول الله، وكيف أُخِذَتْ هذه الأشياء من بيت المقدس؟ فقال رسول الله ﷺ: إن بني إسرائيل لَمّا عصوا الله وقتلوا الأنبياء، سلّط الله عليهم بختنصر وهو من المجوس، وكان مُلْكه سبعمائة سنة، وهو قوله: ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ﴾ [الإسراء]. فدخلوا بيت المقدس وقتلوا الرجال، وسبوا النساء والأطفال، وأخذوا الأموال وجميع ما كان في بيت المقدس من هذه الأصناف، فاحتملوها على سبعين ألفاً ومائة ألف عجلة حتى أَوْدَعوها أرض بابل، فأقاموا يستخدمون بني إسرائيل ويستملكونهم بالخزي والعقاب والنكال مائة عام، ثم إن الله عز وجل رحمهم، فأوحى إلى ملك من ملوك فارس أن يسير إلى المجوس في أرض بابل، وأن يستنقذ مَن في أيديهم من بني إسرائيل. فسار إليهم ذلك الملك حتى دخل أرض بابل، فاستنقذ مَن بقي مِن بني إسرائيل من أيدي المجوس، واستنقذ ذلك الحُلِيَّ الذي كان من بيت المقدس، وردّه الله إليه كما كان أول مرة، وقال لهم: يا بني إسرائيل، إنْ عُدْتم إلى المعاصي عُدْنا عليكم بالسبي والقتل، وهو قوله: ﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ﴾ [الإسراء ٨]. فلما رجعت بنو إسرائيل إلى بيت المقدس عادوا إلى المعاصي، فسلّط الله عليهم ملك الروم قيصر، وهو قوله: ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْـَٔاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ ﴾ [الإسراء]. فغزاهم في البر والبحر، فسباهم وقتلهم، وأخذ أموالهم ونساءهم، وأخذ حُلِيّ جميع بيت المقدس واحتمله على سبعين ألفاً ومائة ألف عجلة حتى أَوْدعه في كنيسة الذهب، فهو فيها الآن حتى يأخذه المهدي فيردّه إلى بيت المقدس، وهو ألف سفينة وسبعمائة سفينة يُرسى بها على يافا حتى تُنقل

إلى بيت المقدس، وبها يجمع الله الأولين والآخرين... وذكر الحديث[١].

- وعن علي رضي الله عنه قال: «لا يخرج المهدي حتى يُقتل ثُلُث، ويموت ثُلُث، ويبقى ثُلُث»[٢].

- وعن كعب قال: «إني لأجد المهدي مكتوباً في أسفار الأنبياء، ما في عمله ظلم ولا عنت»[٣].

- وحدثنا ضمرة عن ابن شوذب عن مطر قال: «قيل له: عمر بن عبد العزيز مهدي؟ قال: لقد بلغنا عن المهدي شيء لم يَبْلُغْه عمر. قال: يكثر المال في زمان المهدي، فيأتيه رجل فيسأله، فيقول له: ادخل فَخُذْ. فيأخذ ثم يخرج فيرى الناس شِباعاً، فيندم فيقول: أنا مَن بين الناس؟ فيرجع إليه فيسأله أن يأخذ منه ما أعطاه، فيأبى فيقول: إنّا نعطي ولا نأخذ»[٤].

- وفي حديث طويل لحذيفة بن اليمان صاحب سر النبي ﷺ مرفوعاً، يقول بآخر الحديث: «فلو لم يَبْق من الدنيا إلاّ يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتى يأتيهم رجل من أهل بيتي تكون الملائكة بين يديه، ويظهر الإسلام».

- وعن أبي الصديق قال: قال أبو سعيد الخدري وهو قاعد في أصل منبر النبي ﷺ وله حنين، قلتُ: ما يبكيك؟ قال: تذكّرتُ النبي ﷺ ومقعده على هذا المنبر، قال: «إنّ مِن أهل بيتي الأَقْنى الأَجْلى، يأتي الأرض وقد ملئت ظلماً وجوراً فيملؤها قسطاً وعدلاً، يعيش هكذا - وأومى بيده سبعاً أو تسعاً»[٥].

- وعن قتادة قال: «يُجاء إلى المهدي وهو في بيته، والناس في فتنة تُهْراق فيها الدماء، فيقال له: قُمْ علينا، فيأبى حتى يُخَوَّف بالقتل، فإذا خُوِّفَ بالقتل قام عليهم، فلا يُهْراق في سببه محجمة دم»[٦].

---

(١) ذكره القرطبي في تفسيره، والطبري بنحوه.

(٢) ذكره نعيم بن حماد والمقرئ في الفتن.

(٣) ذكره المقرئ ونعيم بن حماد في الفتن.

(٤) ذكره نعيم بن حماد والمقرئ في الفتن.

(٥) ذكره المقرئ في كتابه (السنن الواردة في الفتن).

(٦) ذكره المقرئ في الفتن.

- وعن أبي معبد قال: «سمعت ابن عباس يذكر في المهدي شيئاً يقول: إني لأَرجو ألاّ تذهب الأيام والليالي حتىٰ يبعث الله منا أهل البيت غلاماً شاباً حَدَثاً، لم تلبسه الفتن ولم يلبسها، يقيم أمر هذه الأمة، كما فَتَحَ الله هذا الأمر بنا فأرجو أن يختمه الله بنا. قال أبو معبد: فقلت لابن عباس: أَعَجِزَتْ عنه شيوخكم ترجوه لشبابكم؟ قال: إن الله عز وجل يقول ما يشاء»[1].

- وعن ابن شوذب قال: «إنما سُمِّيَ المهدي لأنه يُهدى إلىٰ جبل من جبال الشام، يستخرج منه أسفاراً من أسفار التوراة، فيحاجّ بها اليهود، فَيُسْلِمُ علىٰ يديه جماعة من اليهود»[2].

- وروي من حديث ابن مسعود وغيره من الصحابة: أنه يخرج في آخر الزمان من المغرب الأقصىٰ، يمشي النصر بين يديه أربعين ميلاً، راياته بيض وصُفْر فيها رُقوم، فيها اسم الله الأعظم مكتوب، فلا تُهْزَم له راية. وقيام هذه الرايات وانبعاثها من ساحل البحر بموضع يقال له: ماسَنة مِن قِبَل المغرب، فيعقد هذه الرايات مع قوم قد أخذ الله لهم ميثاق النصر والظفر، أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون.

وفي هذا الحديث الطويل كذلك: فيأتي الناسُ من كل جانب ومكان، فيبايعونه يومئذ بمكة وهو بين الركن والمقام، وهو كاره لهذه المبايعة الثانية بعد البيعة الأولىٰ التي بايعه الناس بالمغرب. ثم إن المهدي يقول: أيها الناس، اخرجوا إلىٰ قتال عدو الله وعدوكم. فيجيبونه ولا يعصون له أمراً. فيخرج المهدي ومَن معه مِن المسلمين من مكة إلىٰ الشام لمحاربة ظالم اسمه عروة بن محمد السفياني، وكل مَن مع عروة من قبيلة كلب. ثم يتبدّد جيشه، ثم يوجد عروة السفياني علىٰ أعلىٰ شجرة علىٰ بحيرة طبرية، والخائب مَنْ خاب يومئذ مِن قتال كلب ولو بكلمة، أو بتكبيرة، أو بصيحة.

وعندما ينتصر المهدي علىٰ السفياني الكلبي يأخذ أموالاً وغنائم كثيرة، فيقسم المال ويعمل في الناس سنة نبيهم ﷺ، ويُلقي الإسلام بجرانه إلىٰ الأرض. عند ذلك ينطلق المسلمون لِيُحَرِّروا البلاد التي سقطت في أيدي الكافرين.

---

(١) ذكره المقرئ في الفتن.

(٢) ذكره المقرئ في الفتن.

- وروي عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه في حديث فيه طول عن النبي ﷺ أنه قال: ستُفْتَح بعدي جزيرة تسمىٰ بالأندلس[١]، فَتَغْلِبُ عليهم أهلُ الكفر، فيأخذون من أموالهم وأكثر بلدهم، ويَسْبُون نساءهم وأولادهم، ويهتكون الأستار، ويخربون الديار، ويرجع أكثر البلاد فيافي وقفاراً، وتنجلي أكثر الناس عن ديارهم وأموالهم، فيأخذون أكثر الجزيرة، ولا يبقىٰ إلاّ أَقَلّها. ويكون في المغرب الهَرْج والخوف، ويستولي عليهم الجوع والغلاء، وتكثر الفتنة، ويأكل الناس بعضهم بعضاً. فعند ذلك يخرج رجل من المغرب الأقصىٰ من أهل فاطمة بنت رسول الله ﷺ، وهو المهدي القائم في آخر الزمان، وهو أول أشراط الساعة.

يقول القرطبي في تفسيره: كل ذلك رأيناه في بلادنا بأعيننا، بقي المهدي، وكما ظهرت تلك العلامات سيظهر ورب الكعبة المهدي.

- وعن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «هو رجل من عترتي يقاتل علىٰ سنتي كما قاتلت أنا علىٰ الوحي»[٢].

- وعن أبي رومان عن علي رضي الله عنه قال: «إذا نادى منادٍ من السماء: إن الحق في آل محمد، فعند ذلك يظهر المهدي علىٰ أفواه الناس، ويشربون حُبَّه، ولا يكون لهم ذِكْر غيره»[٣].

- وعن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يخرج رجل من أهل بيتي في تسع رايات - يعني بمكة -»[٤].

- وعن الحسن: «أن رسول الله ﷺ ذكر بلاء يلقاه أهل بيته حتىٰ يبعث الله راية من المشرق

---

(١) جلس المسلمون في أسبانيا التي هي الأندلس ألفاً وسبعة عشر عاماً، أي قرابة عشرة قرون. ونُقلت من هناك أموال إلىٰ الشام والعراق لا يحصيها إلاّ الله، ونُقلت الأسرى والسبايا. وانقسمت بعد ذلك إلىٰ ثلاث وخمسين مملكة إسلامية يحكمها ملوك الطوائف، كل واحد منهم يعمل لصالح نفسه ولو علىٰ حساب الإسلام، ويتّفق مع الصليبيين ويرسل لهم أخباراً عن الآخر. فلا زال الصليبيون بقيادة الفونسو الصليبي يحتلون الأندلس ولاية بعد ولاية، حتىٰ وصلوا إلىٰ حدود البحر إلىٰ غرناطة، وكان آخر ملوك الطوائف أبو عبد الله الصغير.

(٢) رواه نعيم بن حماد في الفتن.

(٣) رواه نعيم بن حماد في الفتن.

(٤) ذكره نعيم بن حماد في الفتن.

سوداء، مَن نصرها نصره الله، ومَن خذلها خذله الله، حتىٰ يأتوا رجلاً اسمه كاسمي فيُوَلِّيه أمرهم، فيؤيده الله وينصره»[١].

- وعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: «يخرج رجل من ولد الحسين مِن قِبَل المشرق، ولو استقبلته الجبال لَهدمها واتّخذ فيها طرقاً»[٢].

- وعن عمار بن ياسر رضي الله عنه قال: «إذا بلغ السفيانيُّ الكوفة وقتل أعوان آل محمد، خرج المهدي علىٰ لوائه شعيب بن صالح»[٣].

- وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «إذا خرجت خيل السفياني إلىٰ الكوفة بُعِثَ في طلب أهل خراسان، ويخرج أهل خراسان في طلب المهدي، فيلتقي هو والهاشمي برايات سود علىٰ مقدمته شعيب بن صالح، فيلتقي هو وأصحاب السفياني بباب اصطخر، فتكون بينهم ملحمة عظيمة، فتظهر الرايات السود وتهرب خيل السفياني، فعند ذلك يتمنىٰ الناس المهدي ويطلبونه»[٤].

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «يُبايَع المهدي بين الركن والمقام، لا يوقِظ نائماً ولا يُهْريق دماً»[٥].

- وعن محمد بن الحنفية قال: «تخرج راية سوداء لبني العباس، ثم تخرج من خراسان أخرى سوداء، قلانسهم سود وثيابهم بيض، علىٰ مقدمتهم رجل يقال له: شعيب بن صالح أو صالح بن شعيب من تميم، يهزمون أصحاب السفياني حتىٰ ينزل ببيت المقدس، يُوَطِّئ للمهدي سلطانه، ويمد إليه ثلاثمائة من الشام، يكون بين خروجه وبين أن يُسَلَّم الأمر للمهدي اثنان وسبعون شهراً»[٦].

---

(١) رواه نعيم بن حماد في الفتن.

(٢) رواه نعيم بن حماد في الفتن.

(٣) رواه نعيم بن حماد في الفتن.

(٤) رواه نعيم بن حماد في الفتن.

(٥) رواه نعيم بن حماد في الفتن.

(٦) ذكره نعيم بن حماد في الفتن.

- وعن قتادة قال: «قلت لابن المسيب: المهدي أحق هو؟ قال: نعم، قلت: مِمّن هو؟ قال: من قريش، قلت: من أي قريش؟ قال: من بني هاشم، قلت: من أي بني هاشم؟ قال: من بني عبد المطلب، قلت: مِن أي بني عبد المطلب؟ قال: من ولد فاطمة»[١].

- وحدّثنا ابن المبارك وابن ثور وعبد الرزاق عن علي بن عبدالله بن عباس قال: «لا يخرج المهدي حتىٰ تطلع مع الشمس آية».

- وعن جعفر بن سيار الشامي قال: «يَبْلُغُ مِن رَدِّ المهدي المظالم حتىٰ لو كان تحت ضرس إنسان شيء انتزعه حتىٰ يرده»[٢].

- وعن كعب قال: «علامة خروج المهدي ألوية تُقْبِل من المغرب، عليها رجل أعرج من كندة»[٣].

- وعن ابن سيرين قال: «لا يخرج المهدي حتىٰ يُقْتَلَ من كل تسعة سبعة»[٤].

- وحدّثنا ابن اليمان عن علي رضي الله عنه قال: «لا يخرج المهدي حتىٰ يَبْصُقَ بعضكم في وجه بعض»[٥].

- وعن مطر الوراق قال: «لا يخرج المهدي حتىٰ يُكْفَرَ بالله جهرة»[٦].

- وعن ابن عياش عن سالم بن عبدالله عن أبي محمد عن رجل من أهل المغرب قال: «لا يخرج المهدي حتىٰ يخرج الرجل بالجارية الحسناء الجملاء، فيقول: مَن يشتري هذه

---

(١) ذكره نعيم بن حماد في الفتن.

(٢) ذكره نعيم بن حماد في الفتن.

(٣) ذكره نعيم بن حماد في الفتن.

(٤) ذكره نعيم بن حماد في الفتن.

(٥) ذكره نعيم بن حماد في الفتن.

(٦) ذكره نعيم بن حماد في الفتن.

بوزنها طعاماً؟ ثم يخرج المهدي»[1].

وإذا ذكرنا ذلك فالفائدة كبيرة، بأنْ يعرف كل واحد من المسلمين بأن ظهور المهدي سَيُبَدِّد الله به الظلام والطغيان والضلال، وسيعيد به عدل الإسلام وحكم القرآن. وبظهور المهدي تنجلي الحقائق، وتنتهي الترهات والعملاء.

إنما أتوقع لظهور المهدي أن تنتهي هذه الأسلحة والعلوم الحديثة التي يسيطر علينا عدونا بها تماماً، وينقطع الشرق عن الغرب، وتنتهي هذه الحضارة الزائفة الممقوتة، ويعود الناس إلى السلاح الأول، والحياة الأصلية بعيداً عن النفاق والتقليد. عند ذلك يظهر المهدي، ويأتي من المغرب إلى مكة حيث يُبايَع، ويسير برايات النصر ومعه الملائكة، ويملأ كلَّ مكان يأخذه عدلاً.

وستنتهي أمريكا وتتفكّك تماماً وكذلك أوروبا كما انتهت روسيا، وينحصر اليهود في فلسطين ويُذبحون لا ناصر لهم، فهؤلاء اليهود الذين يتجمّعون في فلسطين إنما يتجمّعون لحتفهم وفنائهم.

ولكن كيف؟ الله أعلم، إنما سيحدث انقلاب سريع بيوم وليلة، لا يعرف الإنسان كيف يتغيّر الحال.

ولا تضع أخي المسلم زماناً بعيداً لذلك، فالله إذا أراد أمراً هيّأ أسبابه، ولا شيء غيبي عندي، إنما كله من الإسلام.

ولا تتعجّب من كلامي، فأنت رأيتَ في زماننا أموراً ما كنتَ تتوقع مشاهدتها، وخلال سنين انقلب الناس انقلاباً كاملاً.

---

(١) رواه نعيم بن حماد في الفتن.

۞ خبر نزول عيسىٰ عليه السلام في آخر الزمان وظهور الدجال:



المنارة البيضاء شرقي الجامع الأموي حيث ينزل عيسىٰ عليه السلام

سيبقىٰ سيدنا عيسىٰ في السماء إلىٰ نهاية هذه الأمة، ثم ينزل ويكسر الصليب، ويقتل الخنزير، كما ورد في الأحاديث الصحيحة.

وعندما ينزل يجد الناس قد اصطفوا للصلاة، فيحاول المهدي أن يتأخّر لِيُقَدِّمه، فيرفض عيسىٰ ويصلي خلف المهدي. ثم ينطلقان إلىٰ بلاد فلسطين، ويتعاون مع المهدي ومعهما المسلمون المؤمنون، والأولياء والصالحون، وينطلقون لقتال الدجال في منطقة بفلسطين اسمها باب اللّد، وبقتله ينتهي اليهود.

وإن علامات ظهور سيدنا عيسىٰ قريبة، وهي من علامات الساعة الكبرى.

وذلك لحديث ابن عباس عن النبي ﷺ في قوله: ﴿ وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ ﴾ [الزخرف ٦١] قال: نزول عيسىٰ بن مريم مِن قَبْل يوم القيامة.

قال ابن كثير في تفسيره: إن الضمير عائد إلىٰ عيسىٰ عليه السلام، فإن السياق في ذِكْره، وإنّ المراد نزوله قبل يوم القيامة[1].

وقال مجاهد والضحاك والسُّدّي وقتادة أيضاً في تفسير هذه الآية: إنه خروج عيسىٰ عليه السلام وذلك من أعلام الساعة؛ لأن الله يُنْزله من السماء قبيل قيام الساعة.

ويؤيد هذا المعنىٰ قراءة لابن عباس وأبي هريرة وقتادة ومالك بن دينار والضحاك: (وَإِنهُ لعَلَمٌ للساعةِ) بفتح العين واللام، أي أمارة ودليل علىٰ وقوع الساعة.

وإن سيدنا عيسىٰ لن ينزل بدين جديد، إنما ينزل مسلماً بحكم القرآن والسنة النبوية، فيستلم من المهدي ويسير مع الناس يُجَدِّد لهم الدين.

وكل كافر من النصارى وعُبّاد الصليب وجد نَفَس عيسىٰ عليه السلام مات بدون قتال، وإنَّ نَفَسَه يصل حيث ينتهي طرفه.

وسيحكم سيدنا عيسىٰ أربعين عاماً، يجتمع بعهده الذئب مع الغنم، وتكثر البركات.

وستكون هناك بعهده معركة كبرى في منطقة مرج ابن عامر يصل فيها الدم إلىٰ

---

(١) رواه ابن حبان وابن أبي شيبة والحاكم وصححه، وأحمد والطبراني في حديث طويل فيه عاصم بن بهدلة وثقه أحمد وغيره وهو سيئ الحفظ، وبقية رجالهما رجال الصحيح.

الركب، وهي المعركة النهائية التي سيُذبح فيها اليهود إن شاء الله تعالىٰ.

يروى عن أبي هريرةﷺ أن رسول اللهﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتىٰ يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون، حتىٰ يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر، يقول الحجر أو الشجر: يا مسلم، يا عبد الله، هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله، إلاّ الغرقد فإنه من شجر اليهود»[1].

يقول الشيخ محيي الدين بن العربي:

لنا دولة في آخر العصر تظهر ستظهر مثل الشمس لا تَتَسَتَّرُ

فَمَنْ كان مِنّا أو يقول بقولنا فَبَشِّرْهُ بدنيا وأخرى يُبَشَّرُ

ويؤيد كلامَه الشيخُ عبد الغني النابلسي قائلاً:

صدقتم هي الأكوان تُطْوى وتنشر وفي صدف الأوقات للحق جوهر

كما قال محيي الدين وهو المقرر

لنا دولة في آخر العصر تظهر ستظهر مثل الشمس لا تتستر

فمن كان منا أو يقول بقولنا فبشره بدنيا وأخرى يبشر

وبعد أن يَقتل الدجالَ سيتزوّج سيدنا عيسىٰ، ويحج ويعتمر، ويزور النبيﷺ في المدينة، وهناك يموت ويدفن بقرب قبر رسول اللهﷺ، ومكانه موجود الآن.

وبعدها ستُهدم الكعبة، وتُهجر المدينة، وسيمر علىٰ الناس بعد ذلك بفترات يومٌ لا يَعرفون من الإسلام سوى اسمه، ومن القرآن رسمه. تقول العجوز الكبيرة: رأيتُ جدتي كانت تركع، أو سمعت جدي يقول: لا إله إلاّ الله.

ثم يُرفع القرآن من السطور والصدور، ويَعُمّ الإلحاد علىٰ ظهر البسيطة، وتقوم الساعة علىٰ أشرار الخلق بعد ظهور علاماتها العشر. تقوم يوم الجمعة بعد العصر، ولا يوجد علىٰ الأرض مَنْ يَوُحِّد الله.

---

(١) حديث حسن صحيح أخرجه مسلم في صحيحه، وأحمد في مسنده.

يروى عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: «يُدْرَس الإسلام كما يُدْرس وَشْيُ الثوب حتىٰ لا يُدرى ما صيام ولا صدقة ولا نسك، ويُسْرى علىٰ كتاب الله تعالىٰ في ليلة فلا يُترك في الأرض منه آية، وتبقىٰ طوائف من الناس فيهم الشيخ الكبير والعجوز الكبيرة يقولون: أَدْرَكْنا آباءنا علىٰ هذه الكلمة (لا إله إلاّ الله) فنحن نقولها. قال له صلة بن زفر وهو جالس معه: وما تغني عنهم (لا إله إلاّ الله) وهم لا يدرون ما صيام ولا صدقة ولا نسك؟ فأعرض عنه حذيفة ثلاثاً ثم قال: يا صلة، هي تُنَجِّيهم - مرتين أو ثلاثاً - »[1].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «إن أول ما تفقدون من دينكم الأمانة، وآخر ما يبقىٰ الصلاة، وإن هذا القرآن الذي بين أظهركم يوشَك أن يُرفع. قالوا: وكيف يُرفع وقد أَثْبَتَهُ الله في قلوبنا وأَثْبَتْناه في مصاحفنا؟ قال: يسرى عليه ليلة فيذهب ما في قلوبكم وما في مصاحفكم، ثم قرأ: ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾﴾ [الإسراء]»[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يرسل الله ريحاً من اليمن أَلْيَن من الزبد، وأحلىٰ من العسل، فلا تترك رجلاً في قلبه آية من القرآن إلاّ ذهبتْ بها»[3].

وقد وقعت الإشارة في القرآن إلىٰ نزول عيسىٰ عليه السلام في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ [النساء ١٥٩]، يعني خروج عيسىٰ بن مريم عليه السلام كما قال ابن عباس وأبو هريرة وغيرهما من الصحابة والسلف الصالحين في تفسير هذه الآية.

وقوله عز وجل: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [التوبة ٣٣]. قال جابر بن عبدالله: خروج عيسىٰ بن مريم عليه السلام.

كما تواترت الأخبار والأحاديث الصحيحة التي لا تحتمل التأويل عن النبي ﷺ في نزول

---

(١) خرّجه ابن ماجة في السنن بسند قوي وأحمد والحاكم وصححه، ورواه البيهقي في شعبه، والديلمي مختصراً، وروى البزار طرفاً من أوله.

(٢) رواه الحاكم في المستدرك وصححه، والبيهقي في شعبه، وسعيد بن منصور في سننه وقال: سنده ضعيف.

(٣) ذكره نعيم بن حماد في الفتن.

عيسىٰ بن مريم بذاته الشريفة إلىٰ الأرض عند قرب الساعة، وهذا هو مذهب أهل السنة، فلا يخفىٰ علىٰ كل منصف.

قال النووي: قال القاضي: نزول عيسىٰ عليه السلام وقَتْلُه الدجال حق وصحيح عند أهل السنة للأحاديث الصحيحة في ذلك، وليس في العقل ولا في الشرع ما يبطله، فوجب إثباته.

وقال الشوكاني في رسالته المُسَمّاة بالتوضيح في تواتر ما جاء في الأحاديث في المهدي والدجال والمسيح: وقد ورد في نزول عيسىٰ عليه السلام من الأحاديث تسعة وعشرون حديثاً. ثم سردها وقال بعد ذلك: وجميع ما سقناه بالغ حد التواتر كما لا يخفىٰ علىٰ مَن له فضل اطلاع، فتقرّر بجميع ما سقناه أن الأحاديث الواردة في المهدي المنتظر متواترة، والأحاديث الواردة في الدجال متواترة، والأحاديث الواردة في نزول عيسىٰ عليه السلام متواترة.

وإليك أخي القارئ أسرد بعض الأحاديث الواردة في نزول عيسىٰ عليه السلام وما يكون في زمانه؛ لشدة الاحتياج إليه في عصرنا هذا:

- فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لَيوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حَكَماً مُقْسِطاً، يكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المالُ حتىٰ لا يقبله أحد»[1].

وزاد بعضهم: «وحتىٰ تكون السجدة الواحدة خيراً له من الدنيا وما فيها. ثم يقول أبو هريرة: اقرأوا إن شئتم: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾﴾ [النساء]»[2].

وفي رواية ثالثة: «ولَتُتْرَكنّ القِلاص فلا يُسعىٰ عليها، ولَتَذْهَبَنّ الشحناء والتباغض والتحاسد»[3].

- وعن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «ذكر النبي ﷺ يوماً بين ظَهْرَيِ الناس

---

(١) أخرجه مسلم والبخاري وأحمد وأبو داود وابن ماجة والترمذي والحاكم وابن حبان والبيهقي والطبراني.

(٢) أخرجه مسلم والبخاري وأبو عوانة بهذه الزيادة، وروى ابن مردويه بنحوه.

(٣) رواه مسلم وابن ماجة وابن حبان، وذكره القرطبي في تفسيره.

المسيحَ الدجال فقال: إن الله ليس بأعور، ألا إن المسيح الدجال أعور العين اليمنىٰ كأن عينه عِنَبة طافية. وأَراني الليلةَ عند الكعبة في المنام فإذا رجل آدم كأحسن ما يُرى من أُدْم الرجال، تَضْرِبُ لِمَّتُه بين منكبيه، رَجِل الشعر، يَقْطُرُ رأسُه ماء، واضعاً يديه علىٰ منكبي رجلين وهو يطوف بالبيت، فقلت: مَن هذا؟ فقالوا: هذا المسيح بن مريم. ثم رأيت رجلاً وراءه جَعْداً قَطَطاً، أعور العين اليمنىٰ، كأشبه مَن رأيت بابن قَطَن[١]، واضعاً يديه علىٰ منكبي رجل يطوف بالبيت، فقلت: مَن هذا؟ قالوا: المسيح الدجال»[٢].

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ ليلة أُسْرِيَ به: «لَقِيتُ موسىٰ، قال: فَنَعَتَهُ فإذا رجل حسبته قال: مضطرب، رَجِل الرأس، كأنه من رجال شنوءة. قال: ولقيت عيسىٰ، فنعته النبي ﷺ فقال: رَبْعَة أحمر كأنما خرج من ديماس - يعني الحمام -. ورأيت إبراهيم وأنا أشبه ولده به»[٣].

- ومن حديث مجاهد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيتُ موسىٰ وعيسىٰ وإبراهيم، فأما عيسىٰ فأحمر جعد عريض الصدر، وأما موسىٰ فآدم جسيم سبط كأنه من رجال الزط»[٤].

- وعن النواس بن سمعان قال: «ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداة، فخفّض فيه ورفّع حتىٰ ظنناه في طائفة النخل، فلما رُحْنا إليه عَرَفَ ذلك فينا فقال: ما شأنكم؟ قلنا: يا رسول الله، ذكرتَ الدجال غداةً فَخَفَّضْتَ فيه ورَفَّعْتَ حتىٰ ظنّناه في طائفة النخل؟ فقال: غيرُ الدجال أَخْوَفُني عليكم، إنْ يخرج وأنا فيكم فأنا حَجِيجُه دونكم،

---

(١) هو رجل من خزاعة من بني المصطلق هلك في الجاهلية.

(٢) رواه البخاري ومسلم وأحمد وأبو يعلىٰ والطبراني في الأوسط وأبو عوانة في مسنده وابن عبدالبر ومالك في الموطأ. وللحديث ألفاظ وطرق مختلفة، واللفظ هنا للبخاري.

(٣) رواه البخاري ومسلم والترمذي وأحمد وابن حبان وعبد الرزاق من حديث الزهري عن سعيد بن المسيب، واللفظ للبخاري.

(٤) رواه البخاري والديلمي، وروى بنحوه أحمد والطبراني في الكبير وابن عبد البر عن ابن عباس بزيادة: (قالوا له: فإبراهيم؟ قال: انظروا إلىٰ صاحبكم - يعني نفسه -).

وإنْ يخرج ولست فيكم فامرؤٌ حجيجُ نفسه، واللهُ خليفتي على كل مسلم. إنه شاب قَطَطٌ، عينه طافئة، كأني أُشَبِّهُه بعبد العزى بن قَطَن، فمَنْ أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف. إنه خارجٌ خَلَّةً بين الشام والعراق، فعاث يميناً وعاث شمالاً، يا عباد الله فاثبتوا. قلنا: يا رسول الله، وما لَبْثُه في الأرض؟ قال: أربعون يوماً، يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم. قلنا: يا رسول الله، فذلك اليومُ الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: لا، اقْدُروا له قَدْرَه. قلنا: يا رسول الله، وما إسْراعُه في الأرض؟ قال: كالغيث اسْتَدْبَرَتْه الريح، فيأتي على القوم فيدعوهم، فيؤمنون به ويستجيبون له، فيأمر السماء فتُمطر، والأرضَ فتُنبت، فَتَروح عليهم سارِحَتُهم أطولَ ما كانت ذُراً، وأَسْبَغَه ضُروعاً، وأَمَدَّه خَواصِرَ. ثم يأتي القومَ فيدعوهم، فيَرُدُّون عليه قولَه، فينصرف عنهم فيصبحون مُمْحِلين ليس بأيديهم شيء من أموالهم، ويَمُرُّ بالخَرِبة فيقول لها: أَخْرِجي كنوزك فتَتْبَعُه كنوزها كيعاسيب النحل، ثم يدعو رجلاً ممتلئاً شباباً فيضربه بالسيف فيقطعه جَزْلَتَيْن رَمْيَةَ الغَرَض، ثم يدعوه فيُقْبِل ويَتَهَلَّلُ وجهُه يضحك. فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح بن مريم، فينزل عند المَنارة البيضاء شرقِيَّ دمشق بين مَهْرُودَتَيْن، واضعاً كفيه على أجنحة مَلَكين، إذا طأطأ رأسَه قَطَر، وإذا رفعه تحدّر منه جُمانٌ كاللؤلؤ، فلا يَحِلُّ لكافر يَجِدُ ريح نَفَسِه إلاّ مات، ونَفَسه ينتهي حيث ينتهي طَرْفُه. فيطلبه حتى يُدْرِكه بباب لُدٍّ فيقتله، ثم يأتي عيسى بنَ مريم قومٌ قد عصمهم الله منه، فيمسح عن وجوههم ويُحَدِّثهم بدرجاتهم في الجنة. فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى: إني قد أخرجتُ عباداً لي لا يَدان لأحد بقتالهم، فحَرِّزْ عبادي إلى الطور. ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حَدَب ينسلون، فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها، ويمر آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه مَرّةً ماءٌ، ويُحْصَر نبي الله عيسى وأصحابُه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مائة دينار لأحدكم اليوم، فيَرْغَبُ نبي الله عيسى وأصحابُه، فيرسل الله عليهم النَّغَف في رقابهم، فيصبحون فَرْسى كَمَوْتِ نَفْسٍ واحدة، ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض، فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلاّ ملأه زَهَمُهم ونَتْنُهم،

فيرغب نبي الله عيسىٰ وأصحابه إلىٰ الله، فيرسل الله طيراً كأعناق البُخْت، فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله، ثم يرسل الله مطراً لا يَكُنُّ منه بيتُ مَدَر ولا وَبَر، فيغسل الأرض حتىٰ يتركها كالزَّلَفة، ثم يقال للأرض: أَنْبِتي ثَمَرَتك ورُدِّي بركتك، فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقِحْفِها، ويُبارَك في الرِّسْل حتىٰ أن اللِّقْحة من الإبل لتكفي الفِئام من الناس، واللِّقْحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس، واللِّقْحة من الغنم لتكفي الفَخِذَ من الناس. فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحاً طيبة فتأخذهم تحت آباطهم، فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم، ويبقىٰ شرار الناس يَتَهارَجون فيها تَهارُجَ الحُمُرِ، فعليهم تقوم الساعة»[١].

- وعن ابن أبي ذئب عن الزهري عن نافع مولىٰ أبي قتادة الأنصاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «كيف بكم إذا نزل فيكم عيسىٰ بن مريم وإمامكم منكم - وفي رواية: فَأَمَّكم منكم -. قال ابن أبي ذئب: يعني فَأَمَّكم بكتاب ربكم وسنة نبيكم ﷺ»[٢].

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أنا أَوْلىٰ الناس بابن مريم، الأنبياء أولاد عُلات، وليس بيني وبينه نبي، وإنه - أي عيسىٰ عليه السلام - نازل»[٣].

- وفي حديث طويل في الفتن عن عبدالله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «يخرج الدجال في أمتي فيمكث أربعين - لا أدري أربعين يوماً أو أربعين شهراً أو أربعين عاماً، فيبعث الله تعالىٰ عيسىٰ بن مريم كأنه عروة بن مسعود، فيَطلبه فيُهْلِكُه، ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة، ثم يرسل الله ريحاً باردة مِن قِبَل الشام، فلا يبقىٰ علىٰ وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلاّ قَبَضَتْه، حتىٰ لو أن أحدكم دخل في كبد جبل لَدَخَلَتْ عليه حتىٰ تَقْبِضَه»[٤].

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه يحدث عن النبي ﷺ قال: «والذي نفسي بيده لَيُهِلَّنّ ابن مريم بفج

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، وأحمد والحاكم وابن ماجة وأهل السنن.

(٢) أخرجه الإمام مسلم والبخاري، ورواه أحمد والطبراني في الأوسط والديلمي وأبو عوانة في مسنده.

(٣) أخرجه أبو داود في باب التخيير بين الأنبياء من كتاب السنة، ورواه البخاري ومسلم في صحيحيهما.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، ورواه أحمد والنسائي في تفسيره والحاكم وابن حبان والبيهقي، وكذا الديلمي مختصراً.

الروحاء حاجاً أو معتمراً أو لَيُثْنِيَنَّهُما - يعني يَقْرِنُهما - »[١].

- وعن أبي هريرةرضي الله عنه عن النبيﷺ قال: « الأنبياء أخوة، لَعَلات أمهاتهم شتىٰ ودينهم واحد، وإني أَوْلىٰ الناس بعيسىٰ بن مريم؛ لأنه لم يكن بيني وبينه نبي، وإنه نازل فإذا رأيتموه فاعرفوه رجلاً مربوعاً إلىٰ الحمرة والبياض، عليه ثوبان ممصران[٢]، كأن رأسه يقطر وإنْ لم يصبه بلل، فيدق الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويدعو الناس إلىٰ الإسلام، فيُهلك الله في زمانه المِلل كلها إلاّ الإسلام، ويُهلك الله في زمانه المسيح الدجال، وتقع الأمنة علىٰ الأرض حتىٰ ترتع الأسود مع الإبل، والنمار مع البقر، والذئاب مع الغنم، ويلعب الصبيان بالحيات لا تضرهم. فيمكث أربعين سنة[٣]، ثم يتوفىٰ ويصلي عليه المسلمون »[٤].

- وعن حذيفة بن أسيد الغفاري قال: « اطَّلَعَ النبيﷺ علينا ونحن نتذاكر، فقال: ما تذاكرون؟ قالوا: نذكر الساعة، قال: إنها لن تقوم حتىٰ ترون قبلها عشر آيات. فذكر الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسىٰ بن مريمعليه السلام، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلىٰ محشرهم »[٥].

- وعنه كذلك أن رسول اللهﷺ قال: « لا تقوم الساعة حتىٰ ينزل الروم بالأعماق أو بِدابِقَ، فيخرج إليهم جيش من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذ، فإذا تصافّوا قالت

---

(١) رواه الإمام مسلم وأحمد وابن حبان والبيهقي وابن أبي شيبة وغيرهم.

(٢) قال صاحب النهاية: الممصرة من الثياب التي فيها صفرة خفيفة، أي ينزل عيسىعليه السلام بين ثوبين فيهما صفرة خفيفة.

(٣) لقد تقدّم في حديث عبدالله بن عمرو أنه يمكث سبع سنين، وفي حديث أبي هريرة أنه يمكث أربعين سنة، فيُحتمل والله أعلم أن يكون المراد بلبثه في الأرض أربعين سنة مجموع إقامته فيها قبل رفعه وبعد نزوله، فإنه رُفِعَ وله ثلاث وثلاثون سنة في الصحيح، وقد ورد ذلك في حديث صِفة أهل الجنة أنهم علىٰ صورة آدم وميلاد عيسىٰ ثلاث وثلاثون سنة. قاله ابن كثير في تفسيره.

(٤) رواه أحمد واللفظ له وأبو داود وابن حبان، وروى البخاري والحاكم وابن أبي شيبة طرفاً من أوله.

(٥) حديث حسن صحيح خرّجه مسلم وأحمد وأهل السنن، ورواه الضحاك وابن حبان والطبراني في الكبير وأبو نعيم في الحلية وابن أبي شيبة في مصنفه وإن الروايات قد اختلفت في ترتيب الآيات العشر؛ ولذا اختلف أهل العلم في ترتيبها.

الروم: خَلُّوا بيننا وبين الذين سُبُوا مِنّا نقاتلهم، فيقول المسلمون: لا والله لا نُخَلّي بينكم وبين إخواننا، فيقاتلونهم فينهزم ثُلُثٌ لا يتوب الله عليهم أبداً، ويُقْتَلُ ثُلُثُهم أفضلُ الشهداء عند الله، ويَفْتَتِحُ الثُّلُثُ لا يُفْتَنون أبداً، فَيَفْتَتِحون قسطنطينية. فبينما هم يَقْتَسِمون الغنائم قد علّقوا سيوفهم بالزيتون، إذ صاح فيهم الشيطان: إن المسيح قد خَلَفَكم في أهليكم، فيخرجون وذلك باطل، فإذا جاءوا الشام خَرَجَ. فبينما هم يُعِدّون للقتال يُسَوّون الصفوف، إذ أقيمت الصلاة، فينزل عيسىٰ بن مريم فأَمّهم، فإذا رآه عدو الله ذاب كما يذوب الملح في الماء، فلو تركه لانْذابَ حتىٰ يَهْلِك، ولكنْ يقتله الله بيده، فيُريهم دَمَه في حَرْبَتِه»[1].

- وعن جابر رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون علىٰ الحق، ظاهرين إلىٰ يوم القيامة. قال: فينزل عيسىٰ بن مريم، فيقول أميرهم: تعال صَلِّ لنا، فيقول: لا، إن بعضكم علىٰ بعض أمراءُ، تَكْرِمَة الله هذه الأُمّة»[2].

- وعن عبدالله بن زيد الأنصاري عن مجمع بن جارية قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يقتل ابن مريم الدجال بباب لد أو إلىٰ جانب لد»[3].

- وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «لَقِيتُ ليلة أُسْرِيَ بي إبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ عليهم السلام فتذاكروا أمر الساعة، فردّوا أمرهم إلىٰ إبراهيم فقال: لا عِلْم لي بها، فردوا أمرهم إلىٰ موسىٰ فقال: لا عِلْم لي بها، فردّوا أمرهم إلىٰ عيسىٰ فقال: أمّا وَجْبَتُها فلا يعلم بها أحد إلاّ الله، وفيما عهد إليّ ربي عز وجل أن الدجال خارج ومعي قضيبان، فإذا رآني ذاب كما يذوب الرصاص. قال: فيهلكه الله إذا رآني، حتىٰ إنّ الحجر والشجر يقول: يا مسلم، إن تحتي كافراً فتعال فاقتله. قال: فيهلكهم الله ثم يرجع الناس إلىٰ بلادهم وأوطانهم، فعند ذلك يخرج يأجوج ومأجوج وهم من كل

---

(١) رواه الإمام مسلم في صحيحه.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه من حديث ابن جريج، ورواه أحمد وابن حبان والبيهقي وأبو عوانة.

(٣) أخرجه الترمذي وقال: حديث صحيح، ورواه الإمام أحمد وأبو داود الطيالسي وابن حبان والطبراني في الكبير.

حدب ينسلون، فيطؤون بلادهم فلا يأتون على شيء إلاّ أهلكوه، ولا يمرون على ماء إلاّ شربوه. قال: ثم يرجع الناس يَشْكُونهم، فأدعو الله عليهم فيهلكهم ويميتهم حتى تجوى الأرض من نتن ريحهم[١]، ويُنزل الله المطر فيجترف أجسادهم حتى يقذفهم في البحر. ففيما عهد إليّ ربي ﷻ أن ذلك إذا كان كذلك فإن الساعة كالحامل المُتِمّ لا يدري أهلها متى تفاجئهم بولادتها ليلاً أو نهاراً»[٢].

- وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «دخل عليّ رسول الله ﷺ وأنا أبكي، فقال لي: ما يبكيكِ؟ قلت: يا رسول الله، ذكرت الدجال فبكيت. فقال رسول الله ﷺ: فلا تبكين، إنْ يخرج الدجال وأنا حي كَفَيْتُكُموه، وإنْ يخرج الدجال بعدي فإن ربكم ﷻ ليس بأعور. إنه يخرج في يهودية أصبهان حتى يأتي المدينة، فينزل ناحيتها ولها يومئذ سبعة أبواب، على كل نقب منها مَلَكان. فيخرج إليه شرار أهلها، فينطلق حتى يأتي فلسطين باب لد، فينزل عيسى عليه السلام فيقتله، ثم يمكث عيسى عليه السلام في الأرض أربعين سنة - أو قريباً من أربعين سنة - إماماً عدلاً وحَكَماً مقسطاً»[٣].

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إني لأرجو إنْ طال بي عمر أنْ ألقى عيسى بن مريم عليه السلام، فإن عجل بي موت فَمَنْ لقيه منكم فليُقْرِئه مني السلام»[٤].

- وعن عبد الرحمن المحاربي عن أبي رافع عن أبي زرعة الشيباني عن أبي أمامة الباهلي قال: «خطبنا رسول الله ﷺ فكان أكثر خطبته حديثاً حَدَّثَناه عن الدجال وحَذَّرَناه، فكان مِن قوله أنْ قال: إنه لم تكن فتنة في الأرض منذ ذرأ الله ذرية آدم أعظم من فتنة الدجال، وإن الله لم يبعث نبياً إلاّ حذّر أمته الدجال، وأنا آخر الأنبياء وأنتم آخر

---

(١) أي تُنْتِن.

(٢) رواه الإمام أحمد، وأخرجه ابن ماجة، وذكره ابن كثير في تفسيره.

(٣) رواه الإمام أحمد ورجاله رجال الصحيح غير الحضرمي بن لاحق وهو ثقة، ورواه ابن حبان في صحيحه وابن أبي شيبة في مصنفه.

(٤) أخرجه الإمام أحمد مرفوعاً وموقوفاً ورجالهما رجال الصحيح، ورواه ابن الجعد في مسنده.

الأمم، وهو خارج فيكم لا محالة، وإنْ يخرج وأنا بين ظهرانيكم فأنا حجيج لكل مسلم، وإن يخرج من بعدي فكل امرئ حجيج نفسه، والله خليفتي على كل مسلم. وإنه يخرج من خَلّة بين الشام والعراق فيعيث يميناً ويعيث شمالاً، يا عباد الله فاثبتوا، فإني سأصفه لكم صفة لم يصفها إياه نبي قبلي، إنه يبدأ فيقول: أنا نبي ولا نبي بعدي، ثم يُثَنِّي فيقول: أنا ربكم ولا تَرَوْن ربكم حتى تموتوا. وإنه أعور وإن ربكم ليس بأعور، وإنه مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مؤمن كاتب أو غير كاتب. وإن من فتنته أن معه جنة وناراً، فناره جنة وجنته نار، فمَنْ ابتُلِيَ بناره فليستغث بالله، وليقرأ فواتح الكهف فتكون عليه برداً وسلاماً كما كانت النار على إبراهيم. وإن من فتنته أن يقول لأعرابي: أرأيتَ إنْ بعثتُ لك أباك وأمك أتشهد أني ربك؟ فيقول: نعم، فيتمثل له شيطانان في صورة أبيه وأمه فيقولان: يا بني، اتبعه فإنه ربك. وإن من فتنته أن يُسَلَّط على نفس واحدة فيقتلها وينشرها بالمنشار حتى تُلقى شِقَّتَيْن، ثم يقول: انظروا إلى عبدي هذا فإني أبعثه الآن ثم يزعم أن له رباً غيري، فيبعثه الله ويقول له الخبيث: مَن ربك؟ فيقول: ربي الله وأنت عدو الله، أنت الدجال، واللهِ ما كنتُ بعدُ أشد بصيرة بك مني اليوم.

قال أبو الحسن الطنافسي: فحدثنا المحاربي: حدثنا عبيد الله بن الوليد الوصافي عن عطية عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: ذلك الرجل أرفع أمتي درجة في الجنة. قال: قال أبو سعيد: والله ما كنا نرى ذلك الرجل إلاّ عمر بن الخطاب حتى مضى لسبيله.

قال المحاربي: ثم رجعنا إلى حديث أبي رافع قال: وإن من فتنته أن يأمر السماء أن تمطر فتمطر، ويأمر الأرض أن تنبت فتنبت. وإن من فتنته أن يمر بالحي فيُكَذِّبونه، فلا تبقى لهم سائمة إلاّ هَلَكَتْ. وإن من فتنته أن يمر بالحي فيصدقونه، فيأمر السماء أن تمطر فتمطر، ويأمر الأرض أن تنبت فتنبت، حتى تروح مواشيهم من يومهم ذلك أسمن ما كانت وأعظمه، وأمدّه خواصر، وأدَرّه ضروعاً. وإنه لا يبقى شيء من الأرض إلاّ وَطِئه وظهر عليه، إلاّ مكة والمدينة فإنه لا يأتيهما من نقب من نقابهما إلاّ لَقِيَتْه الملائكة بالسيوف صَلْتة حتى ينزل عند الظريب الأحمر عند منقطع السبخة، فترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات، فلا يبقى منافق ولا منافقة إلاّ خرج إليه، فتنفي الخبثَ منها كما ينفي الكير خبث الحديد، ويُدعى ذلك اليوم يوم الخلاص.

فقالت أم شريك بنت أبي العكر: يا رسول الله، فأين العرب - أو قالت: المسلمون - يومئذ؟ قال: هم يومئذ قليل وجُلُّهم ببيت المقدس، وإمامهم رجل صالح. فبينما إمامهم قد تقدّم يصلي بهم الصبح، إذ نزل عليهم عيسىٰ بن مريم الصبح، فرجع ذلك الإمام ينكص يمشي القهقري ليتقدم عيسىٰ يصلي بالناس، فيضع عيسىٰ يده بين كتفيه ثم يقول له: تَقَدَّمْ فَصَلِّ، فإنها لك أُقيمت. فيصلي بهم إمامهم، إذا انصرف قال عيسىٰ عليه السلام: افتحوا الباب، فيُفتح ووراءه الدجال معه سبعون ألف يهودي كلهم ذو سيف محلىٰ وساج، فإذا نظر إليه الدجال ذاب كما يذوب الملح في الماء وينطلق هارباً، ويقول عيسىٰ عليه السلام: إن لي فيك ضربة لن تسبقني بها، فيدركه عند باب اللد الشرقي فيقتله، فيهزم الله اليهود، فلا يبقىٰ شيء مِمّا خلق الله يتوارى به يهودي إلاّ أنطق الله ذلك الشيء، لا حجر ولا شجر ولا حائط ولا دابة إلاّ الغرقدة فإنها من شجرهم، لا تنطق إلاّ قال: يا عبد الله المسلم، هذا يهودي فتعال اقتله. قال رسول الله ﷺ: وإن أيامه أربعون سنة، السنة كنصف السنة، والسنة كالشهر، والشهر كالجمعة، وآخر أيامه كالشررة، يصبح أحدكم علىٰ باب المدينة فلا يبلغ بابها الآخر حتىٰ يمسي. فقيل له: يا رسول الله، كيف نصلي في تلك الأيام القصار؟ قال: تقدرون فيها الصلاة كما تقدرونها في هذه الأيام الطوال ثم صلوا.

قال رسول الله ﷺ: فيكون عيسىٰ بن مريم عليه السلام في أمتي حكماً عدلاً، وإماماً مقسطاً، يدق الصليب، ويذبح الخنزير، ويضع الجزية، ويترك الصدقة فلا يسعىٰ علىٰ شاة ولا بعير، وتُرفع الشحناء والتباغض، وتُنزع حمة كل ذات حمة حتىٰ يُدْخِلَ الوليد يده في الحية فلا تضره، وتلقىٰ الوليدة الأسد فلا يضرها، ويكون الذئب في الغنم كأنه كلبها، وتُملأ الأرض من السِّلْم كما يُملأ الإناء من الماء، وتكون الكلمة واحدة فلا يُعبد إلاّ الله، وتضع الحرب أوزارها، وتُسْلَبُ قريشٌ مُلْكَها، وتكون الأرض كفاثور الفضة، تُنبت نباتها كعهد آدم حتىٰ يجتمع النفر علىٰ القطف من العنب فيشبعهم، ويجتمع النفر علىٰ الرمانة فتشبعهم، ويكون الثور بكذا وكذا من المال، وتكون الفرس بالدريهمات. قالوا: يا رسول الله، وما يُرَخِّصُ الفرس؟ قال: لا تُركب لحرب أبداً. قيل له: فما يغلي الثور؟ قال: يحرث الأرض كلها. وإنَّ قبل خروج الدجال ثلاث سنوات شداد يصيب الناسَ فيها جوعٌ شديد، يأمر الله السماء في

السنة الأولىٰ أن تحبس ثلث مطرها، ويأمر الأرض فتحبس ثلث نباتها. ثم يأمر السماء في الثانية فتحبس ثلثي مطرها، ويأمر الأرض فتحبس ثلثي نباتها. ثم يأمر الله السماء في السنة الثالثة فتحبس مطرها كله فلا تقطر قطرة، ويأمر الأرض فتحبس نباتها كله فلا تنبت خضراء، فلا تبقىٰ ذات ظلف إلاّ هلكت إلاّ ما شاء الله. قيل: فما يُعَيِّشُ الناس في ذلك الزمان؟ قال: التهليل والتكبير والتسبيح والتحميد، ويجري ذلك عليهم مجرى الطعام»[1].

- وعن علي بن زيد عن أبي نضرة قال: «أتينا عثمان بن أبي العاص يوم جمعة لنعرض علىٰ مصحفه مصحفاً لنا، فلما حضرت الصلاة أمرنا فاغتسلنا، فأتينا المسجد فجلسنا إلىٰ شيخ يُحَدِّث، فلما جاء عثمان تحوّلنا إليه، فقال عثمان: سمعت رسول الله ﷺ يقول: للمسلمين ثلاث أمصار: مصر بملتقىٰ البحرين، ومصر بالحيرة، ومصر بالشام. فيفزع المسلمون ثلاث فزعات، فيخرج الدجال في أعراض جيش، فيُهزم مِن قِبَل المشرق، فأول مصر يرد المصر الذي بملتقىٰ البحرين ومعه سبعون ألفاً عليهم السيجان، وأكثر تَبَعِهِ اليهود والنساء، فيتفرّق أهله ثلاث فرق: فرقة تقيم تقول: نشامه، فينظر ما هذا هو؟ وفرقة تلحق بالأعراب، وفرقة تلحق بالمصر الذي يليهم. ثم يأتي الشام فليلتجئ أهلُه إلىٰ عقبة أفيق، فيَبعثون سرحاً لهم فيُصاب سرحهم، فيشتد ذلك عليهم وتصيبهم مجاعة شديدة وجَهْد، حتىٰ إن أحدهم لَيَحْرِق وَتَرَ قوسه فيأكله. فبينما هم كذلك إذ نادى مناد من السحر: أيها الناس، أتاكم الغوث - ثلاثاً -. فيقولون: هذا صوت رجل شبعان، وينزل عيسىٰ بن مريم عليه السلام عند صلاة الفجر، فيقول له الناس: يا روح الله، تقدّم فَصَلِّ بنا. فيقول: إنكم معاشر أمة محمد أمراء بعضكم علىٰ بعض، فتقدّم أنت فصَلِّ بنا. فيتقدّم الأمير فيصلي بهم، فيأخذ عيسىٰ بن مريم حربته فينطلق نحو الدجال، فإذا رآه ذاب كما يذوب الرصاص، فيضع حربته بين ثندوته فيقتله ويهزم أصحابه، فليس يومئذ شيء يواري منهم أحداً، حتىٰ إن الشجرة

---

(١) رواه ابن ماجة في سننه وذكره ابن كثير في تفسيره، وهو حديث غريب جداً من هذا الوجه ولبعضه شواهد من أحاديث أُخَر. قال ابن ماجة: سمعت أبا الحسن الطنافسي يقول: سمعت عبد الرحمن المحاربي يقول: ينبغي أن يُدْفَعَ هذا الحديث إلىٰ المُؤَدِّب حتىٰ يُعَلِّمه الصبيانَ في الكُتَّاب.

لتقول: يا مؤمن، هذا كافر فاقتله. ويقول الحجر: يا مؤمن، هذا كافر فاقتله»[١].

- وعن أبي هريرةﷺ قال: قال رسول اللهﷺ: «ألا إن عيسىٰ بن مريم ليس بيني وبينه نبي ولا رسول، إلاّ إنه خليفتي في أمتي من بعدي، ألا إنه يقتل الدجال، ويكسر الصليب، ويضع الجزية، وتضع الحرب أوزارها، ألا فمن أدركه منكم فليقرأ عليه السلام»[٢].

- وعن حذيفة قال: «قلت: يا رسول الله، ما بعد نزول عيسىٰ بن مريمعليه السلام؟ قال: لو أنّ رجلاً أنتج فرساً لم يركب مُهْرها حتىٰ تقوم الساعة»[٣].

- وعن أبي هريرةﷺ قال: قال رسول اللهﷺ: «يقتل عيسىٰ بن مريمعليه السلام الدجال دون باب لد بسبعة عشر ذراعاً»[٤].

- وعن أبي هريرةﷺ كذلك قال: قال رسول اللهﷺ: «لَيَهْبِطَنّ عيسىٰ بن مريم حكماً عدلاً وإماماً مقسطاً، ولَيَسْلُكَنّ فجّاً فجّاً حاجاً أو معتمراً أو بِنِيَّتِهما، ولَيَأْتِيَنّ قبري حتىٰ يُسَلِّمَ، ولأَرُدَّنّ عليه»[٥].

- وعن أبي أمامة الباهليﷺ قال: قال رسول اللهﷺ: «يدرك عيسىٰ بن مريم الدجال بعد ما يهرب منه، فإذا بلغه نزوله فيدركه عند باب لد الشرقي فيقتله»[٦].

- وعن عبد الرحمن بن جبير قال: قال رسول اللهﷺ: «لَيُدْرِكَنّ ابنَ مريم رجالٌ من أمتي هم مِثْلكم، أو خيرهم مِثْلكم، أو خير»[٧].

---

(١) رواه الإمام أحمد والطبراني في الكبير، وفيه علي بن زيد وفيه ضعف وقد وُثِّقَ، وبقية رجالهما رجال الصحيح.

(٢) رواه الطبراني في الصغير والأوسط والخطيب في تاريخه، وفيه محمد بن عقبة السدوسي وثّقه ابن حبان وضعّفه أبو حاتم، وفي الصحيح بعضه.

(٣) رواه الطبراني في مسند الشاميين.

(٤) رواه الطيالسي ونعيم بن حماد في الفتن، وروى بنحوه الديلمي في الفردوس عن مجمع بن جارية وقال: اللد بالرملة بأرض الشام.

(٥) رواه الحاكم في المستدرك وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه بهذه السياقة.

(٦) رواه نعيم بن حماد في الفتن.

(٧) رواه نعيم بن حماد في الفتن.

- وروى سفيان الثوري عن حذيفة بن اليمان في حديث طويل عن النبي ﷺ قال: « .....فيبلغكم أن الدجال قد خرج من يهودية أصبهان، إحدى عينيه ممزوجة بالدم، والأخرى كأنها لم تُخْلَق. يتناول الطير من الهواء، له ثلاث صيحات يسمعهن أهل المشرق وأهل المغرب، يركب حماراً أبتر، بين أذنيه أربعون ذراعاً، يستظل تحت أذنيه سبعون ألفاً، يتبعه سبعون ألفاً من اليهود عليهم التيجان. فإذا كان يوم الجمعة من صلاة الغداة وقد أُقيمت الصلاة، فالتفت المهدي فإذا هو بعيسىٰ بن مريم قد نزل من السماء في ثوبين كأنما يقطر من رأسه الماء. فقال أبو هريرة: إذاً أقوم إليه يا رسول الله فأعانقه، فقال: يا أبا هريرة، إنَّ خَرْجَتَه هذه ليست كخرجته الأولىٰ، تُلقىٰ عليه مهابة كمهابة الموت، يُبَشِّر أقواماً بدرجات من الجنة. فيقول له الإمام: تقدّم فصلِّ بالناس، فيقول له عيسىٰ: إنما أُقيمت الصلاة لك، فيصلي عيسىٰ خلفه.

قال حذيفة: وقال رسول الله ﷺ: قد أفلحت أمة أنا أولها وعيسىٰ آخرها.

قال: ويُقْبِلُ الدجال ومعه أنهار وثمار، يأمر السماء أن تمطر فتمطر، ويأمر الأرض أن تنبت فتنبت، معه جبل من ثريد فيه ينابيع السمن. ومِن فتنته أن يمر بأعرابي قد هلك أبوه وأمه فيقول: أرأيتَ إنْ بعثتُ أباك وأمك تَشْهَدُ أني ربك؟ قال: فيقول: بلىٰ. قال: فيقول لشيطانين: فتحوّلان واحد أبوه وآخر أمه، فيقولان: يا بني، اتبعه فإنه ربك. يطأ الأرض جميعاً إلا مكة والمدينة وبيت المقدس، فيقتله عيسىٰ بن مريم بمدينة يقال لها: لد بأرض فلسطين. قال: فعند ذلك خروج يأجوج ومأجوج. قال: فيوحي الله عز وجل إلىٰ عيسىٰ عليه من ربه السلام: أَحْرِزْ عبادي بالطور، طور سينين. قال حذيفة: قلت: يا رسول الله، وما ياجوة وماجوة؟ قال: يأجوج أمة ومأجوج أمة، كل أمة أربعمائة ألف أمة، لا يموت الرجل منهم حتىٰ ينظر إلىٰ ألف عين تطرف بين يديه من صلبه. قال: قلت: يا رسول الله، صِفْ لنا يأجوج ومأجوج. قال: هم ثلاثة أصناف: صنف منهم أمثال الأَرْز الطوال، وصنف آخر منهم عرضه وطوله سواء عشرون ومائة ذراع في مائة وعشرين ذراعاً وهم الذين لا يقوم لهم الحديد، وصنف يفترش إحدى أذنيه ويلتحف بالأخرى.

قال حذيفة: قال رسول الله ﷺ: يكون جَمْعٌ منهم بالشام وساقتهم بخراسان،

يشربون أنهار المشرق حتىٰ تيبس، فيحلّون ببيت المقدس وعيسىٰ والمسلمون بالطور، فيبعث عيسىٰ طليعة يشرفون علىٰ بيت المقدس، فيرجعون إليه فيخبرونه أنه ليس تُرى الأرض من كثرتهم. قال: ثم إن عيسىٰ يرفع يديه إلىٰ السماء، فيرفع المؤمنون معه، فيدعو اللهَ عزوجل ويُؤَمِّن المؤمنون. فيبعث الله تعالىٰ عليهم دوداً يقال له: النغف، فيدخل في مناخرهم حتىٰ يدخل في الدماغ، فيصبحون أمواتاً. قال: فيبعث الله عزوجل عليهم مطراً وابلاً أربعين صباحاً فيغرقهم في البحر، فيرجع عيسىٰ إلىٰ بيت المقدس والمؤمنون معه، فعند ذلك يظهر الدخان. قال: قلت: يا رسول الله، وما آية الدخان؟ قال: يُسمع له ثلاث صيحات، ودخان يملأ ما بين المشرق والمغرب، فأما المؤمن فتصيبه زكمة، وأما الكافر فيصير مثل السكران، يدخل في منخريه وأذنيه وفيه ودبره. وخَسْف بالمشرق، وخَسْف بالمغرب، وخَسْف بجزيرة العرب، وخروج الدابة. قال: قلت: يا رسول الله، وما الدابة؟ قال: ذات وبر وريش، عظمها ستون ميلاً، ليس يُدركها طالب، ولا يفوتها هارب، تُسَمِّي الناس مؤمناً وكافراً، فأما المؤمن فتترك وجهه كالكوكب الدري، وتكتب بين عينيه (مؤمن). وأما الكافر فتنكت بين عينيه نكتة سوداء، وتكتب بين عينيه (كافر). ونار من بحر عدن تسوق الناس إلىٰ المحشر، وطلوع الشمس من مغربها، يكون طول تلك الليلة ثلاث ليال لا يعرفها إلاّ الموحدون أهل القرآن، يقوم أحدهم فيقرأ أجزاءه فيقول: قد عجلت الليلة، فيضع رأسه فيرقد رقدة، ثم يهب من نومه فيسير بعضهم إلىٰ بعض، فيقولون: هل أنكرتم ما أنكرنا؟ فيقول بعضهم لبعض: غداً تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت من مغربها فعند ذلك لا ينفع نَفْساً إيمانُها ما لم تكن آمنت من قبلُ أو كسبت في إيمانها خيراً. قال: فيمكث عيسىٰ بن مريم صلوات الله عليه أربعين سنة. قال: ثم يبعث الله عزوجل ريحاً مِنْ قِبَل مكة ساكنة، تقبض روح ابن مريم وأرواح المؤمنين معه، ويبقىٰ سائر الخلق لا يعرفون رباً ولا يشكرون شكراً، فيمكثون ما شاء الله، فتقوم عليهم الساعة وهم شرار الخلق »[1].

- وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « بينما الشياطين الذين مع

(١) ذكره نعيم بن حماد في الفتن.

الدجال يزاولون بعض بني آدم على متابعة الدجال، فيأتي عليه مَن يأتي ويقول له بعضهم: إنكم شياطين، وإن الله تعالى سيسوق إليه عيسى بن مريم بإيلياء فيقتله، فبينما أنتم على ذلك حتى ينزل عيسى بن مريم بإيلياء وفيها جماعةٌ من المسلمين وخليفتُهم بعد ما يؤذن المؤذن لصلاة الصبح، فيَسمع المؤذنُ للناس عَصْعَصة فإذا هو عيسى بن مريم، فيهبط عيسى فيُرَحِّب به الناس، ويفرحون بنزوله ولتصديق حديث رسول الله ﷺ، ثم يقول للمؤذن: أقم الصلاة، ثم يقول له الناس: صَلِّ لنا، فيقول: انطلقوا إلى إمامكم فيصلي لكم، فإنه نِعْم الإمام. فيصلي بهم إمامهم، ويصلي عيسى معهم، ثم ينصرف الإمام ويعطي عيسى الطاعة، فيسير بالناس حتى إذا رآه الدجال ماعَ كما يميع القير، فيمشي إليه عيسى فيقتله بإذن الله تعالى، ويقتل معه مَن شاء الله، ثم يفترقون ويختبئون تحت كل شجر وحجر، حتى يقول الشجر: يا عبد الله، يا مسلم، تعال هذا يهودي ورائي فاقتله. ويدعو الحجرُ مِثْل ذلك، غير شجرة الغرقدة شجرة اليهود لا تدعو إليهم أحداً يكون عندها.

ثم قال رسول الله ﷺ: إنما أُحَدِّثُكم هذا لتعقلوه وتفهموه وتَعُوه، واعملوا عليه وحَدِّثوا به مَن خلفكم، وليُحَدِّث الآخر الآخر. وإنَّ فتنته أشد الفتن، ثم تعيشوا بعد ذلك ما شاء الله تعالى مع عيسى بن مريم»[1].

- وعن أبي هريرة وعبدالله بن عمرو رضي الله عنهم قالا: «ثم يرسل الله بعد يأجوج ومأجوج ريحاً طيبة، فتقبض روح عيسى وأصحابه وكل مؤمن على وجه الأرض.

وقال عبدالله بن عمرو: يبقى بقايا الكفار، وهم شرار الخلق من الأولين والآخرين مائة سنة.

وقال أبو هريرة: ليس للكفار بقاء بعد المؤمنين حتى تقوم عليهم الساعة؛ وذلك لقول رسول الله ﷺ: [لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على الحق، قائمين بأمر الله لا يضرهم خلاف مَن خالفهم، كلما ذهب حزب نشأ آخرون حتى تقوم الساعة]»[2].

---

(١) ذكره نعيم بن حماد في الفتن.

(٢) رواه نعيم بن حماد في الفتن.

- وعن كعب قال: «إذا نزل عيسىٰ لم يجد ريحه ولا نَفَسه كافر إلاّ مات، ونَفَسُه يبلغ مدَّ بصره، فيدرك نَفَسَه الدجالُ علىٰ قيد شبر من باب لد، وقد نزل إلىٰ العين في أسفل العقبة ليشرب منها، فيذوب ذوبان الشمع فيموت»[1].

فهذه الآيات الكريمة والنصوص الثابتة عن رسول اللهﷺ تدل دلالة واضحة علىٰ نزول عيسىٰ بن مريمعليه السلام من السماء إلىٰ الأرض عند قرب الساعة، وأنه الآن حيّ في السماء لم يمت بيقين. ولا يُنْكِرُ ذلك إلاّ ضال مُضِلّ معاند للشرع، مخالف لكتاب الله وسنة رسوله واتفاق المسلمين.

وهذا لِيَعْلَم المسلمون أن نزول عيسىٰعليه السلام وقَتْله الدجال، وحُكْمه بعد ذلك أربعين عاماً يجتمع الذئب فيها مع الغنم حَقٌّ.

فعليك أن تتق الله، وأن تحافظ علىٰ إيمانك، وأن تبتعد عن الفتن وأهلها حتىٰ يأتي أمر الله. هذا إذا أردتَ الآخرة وطلبت الجنة، فنسأله تعالىٰ أن يجعلنا من أهلها.

وهكذا كانت سيرة سيدنا عيسىٰ مع بني إسرائيل جهاداً ونضالاً مستمرَّيْن مع قوم عرفوا الحق وخالفوه، وعرفوا كتاب الله وحرّفوه، ودرسوا الإنجيل وخالفوه، وعاصروا رسولهم ونازعوه.

وهكذا اليهود منذ بُدِئوا وهم سفّاكون للدماء، يُحِبّون المخالفات والعصيان والنُّؤُوّ. هم أعداء الأنبياء، هم بؤرة الفساد في الأرض كلها، حيث وُجِدوا وُجِدَ الشر معهم، هم ثعبان البشر والإنسانية لا ينتج عنه إلاّ السم، وإذا أرادوا أن يعطوا أعطوا الشر للعالم. ما وُجِدوا علىٰ اليابسة إلاّ ليفسدوا ويؤذوا، يقولون هم أسياد الشعوب وباقي الأمم عبيد عندهم، ويُجيزون لأنفسهم فِعْلَ كل شيء في سبيل أمورهم الخاصة، أفكارهم مليئة بالخطط التي فيها تدمير العالم قديماً وحديثاً، ولا تنتهي الدنيا من الشر ومن سفك الدماء إلا بانتهاء اليهود، تجارتهم الأساسية النساء والخمور والربا، وبهذه الأمور الثلاثة دخلوا

---

(١) رواه نعيم بن حماد في الفتن.

علىٰ أصحاب الشهوات ومَن عقولهم بفروجهم. أيديهم ملطخة بدماء الأنبياء والصالحين، فقد قتلوا بيوم واحد أكثر من ألف نبي.

فالذين ذبحوا الأنبياء والصالحين، وبدّلوا وغيّروا، أيتورعون من إفساد هذا العالم الذي لو خلا من هذه الشرذمة الفاسدة المفسدة لَعاش حياة طيبة؟!

فالمطلوب منك إذا قرأتَ هذه السيرة النورانية، الاتّعاظ والادّكار والاعتبار. لتكون مؤمناً بدون حدود بأن الله إله واحد، فرد صمد يُعْبَد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد.

تم بحمد الله وتوفيقه

الجزء الثاني من هذا الكتاب

ويليه إن شاء الله تعالى الجزء الثالث وأوله

تاج الأنبياء والمرسلين

سيدنا محمد

عليه الصلاة والسلام



الفهارس العامة للكتاب

- فهرس الآيات القرآنية
- فهرس الأحاديث الشريفة والأخبار
- فهرس الخرائط والصور
- فهرس المصادر والمراجع
- فهرس الموضوعات

فهرس الآيات القرآنية

السورة	رقم الآية	الآية	الصفحة
الفاتحة	٧	﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾	١٨١
البقرة	٥١-٦٤	﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ... فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾	٦٥-٦٦
	٥٤	﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ ...﴾	٨٥/٨٦
	٥٥-٥٦	﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ... بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾	٨٨/٨٩
	٥٧	﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ...﴾	١١٣
	٥٨-٥٩	﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ... مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾	١١٩-١٢٠
	٦٠	﴿۞ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ...﴾	١١٤
	٦١	﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ ...﴾	١١٥
	٦٥-٦٦	﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ... فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾	١٦٥
	٦٧-٧٣	﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً... كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾	١٠٧-١٠٩

السورة	رقم الآية	الآية	الصفحة
البقرة	٧٤	﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً...﴾	١٠٩
	٩٣	﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ ...﴾	١٣٦/٨٧
	١١٦	﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾	٣٤٢
	١٤٦	﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾	٧٧
	٢٤٦-٢٤٩	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ... كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾	١٣٩-١٤٠
	٢٤٨	﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ...﴾	١٣٣-١٣٥
	٢٤٩	﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى ...﴾	١٤١-١٤٢
	٢٥٠-٢٥١	﴿وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا... وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾	١٤٢
	٢٥١	﴿وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ﴾	١٤٤
آل عمران	٢٦	﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ ...﴾	١٨٣
	٣٥-٤٤	﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ... وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾	٢٩١

السورة	رقم الآية	الآية	الصفحة
آل عمران	٣٥-٣٧	﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ... فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾	٢٩٣
	٣٧	﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ... ﴾	٢٩٤
	٣٨	﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾	٢٩٥
	٣٩-٤١	﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ... وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ﴾	٢٩٥-٢٩٦
	٣٩	﴿مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾	٢٩٨
	٤١	﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ﴾	٢٩٧
	٤٢-٤٣	﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ... ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾	٣١٥
	٤٤	﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ ... ﴾	٢٩٤
	٤٥-٦٣	﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ... فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ﴾	٣١٠-٣١١
	٤٥-٤٩	﴿يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ... وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾	٣١٥
	٤٩	﴿قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾	٣٤٣
	٤٩	﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾	٣٣٢
	٥٥-٥٧	﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ... فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾	٣٤٥
	١٥٩	﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾	٣٨

السورة	رقم الآية	الآية	الصفحة
النساء	٨٧	﴿اللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۗ﴾	١٨١
	١٥٦-١٥٩	﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا... لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾	٣١١
	١٥٦-١٥٨	﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ ... بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾﴾	٣٤٦
	١٥٩	﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾	٣٨٥-٣٨٦
	١٦٣	﴿وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾	١٥١
	١٧١-١٧٣	﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ... وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾	٣٤٢-٣٤٣
	١٧١	﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾	٣٢٩
المائدة	١٢	﴿۞ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ ...﴾	١١٥
	٢٠-٢١	﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ... وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿٢١﴾﴾	١٠٩
	٢٠	﴿وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾	١١١
	٢١	﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿٢١﴾﴾	١١٢
	٢٢-٢٥	﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا... فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٥﴾﴾	١١٨
	٢٤	﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا﴾	١١٩
	٢٦	﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۖ يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾	١١٨

السورة	رقم الآية	الآية	الصفحة
المائدة	٧٢-٧٥	﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ...	
		ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾﴾	٣٤٣
	٧٨	﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ	
		وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ﴾	٣٤٢/١٦٨
	١١٠-١١٨	﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ... إِن تُعَذِّبْهُمْ	
		فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾	٣١١
	١١٠	﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ	
		إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ ... ﴾	٣٢٩
	١١٢-١١٥	﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن	
		يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ... فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ	
		عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾	٣٣٧-٣٣٨
	١١٤	﴿ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾	٣٤٠
	١١٨	﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾	٣٤٢
الأنعام	٧	﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ	
		إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾	١٠٢
	٩	﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا	
		يَلْبِسُونَ﴾	١٠٢
	٢٨	﴿بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ	
		وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾	١٠٢
	٨٥-٨٦	﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾	
		وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾	٢٦٧
	٨٥	﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾	٢٩٢

السورة	رقم الآية	الآية	الصفحة
الأنعام	١٥١-١٥٢	﴿۞ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا... وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾	٧٦-٧٧
الأعراف	١٨	﴿قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا﴾	١٣
	١١٦	﴿قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾	٤٣
	١٢٣-١٢٦	﴿قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنتُم بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ... رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾	٤٤-٤٥
	١٢٨-١٢٩	﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ... وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾	٤٩
	١٣٣	﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾	٥٣
	١٣٨-١٤٠	﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ... قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾	٦٤
	١٣٨	﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ ...﴾	٨١
	١٤٢	﴿۞ وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ﴾	٦٦/٦٧
الأعراف	١٤٣	﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ ...﴾	٦٨-٦٩
	١٤٤-١٤٧	﴿قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي... هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾	٧٩-٨٠

السورة	رقم الآية	الآية	الصفحة
الأعراف	١٤٤-١٤٥	﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي... وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُواْ بِأَحْسَنِهَا سَأُوْرِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾	٧٣-٧٤
	١٤٤	﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾	٧٧
	١٤٨-١٤٩	﴿وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ... قَالُواْ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾	٨٠
	١٤٩	﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْاْ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّواْ قَالُواْ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾	٨٥
	١٥٠-١٥٣	﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنۢ بَعْدِيٓ... إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾	٨٣
	١٥٠-١٥١	﴿قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِي وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِي... وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾	٨٤
	١٥٥	﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰيَ ...﴾	٨٣/٨٩
	١٦٣-١٦٧	﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي ٱلسَّبْتِ... إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾	١٦٥
	١٦٣	﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ﴾	١٦٧
	١٦٤-١٦٥	﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا... وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍۭ بَئِيسٍ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾	١٦٨

السورة	رقم الآية	الآية	الصفحة
الأعراف	١٧١	﴿۞ وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾	٨٧
	١٧٥-١٧٦	﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا... فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾	١٢٠
	١٩٦	﴿إِنَّ وَلِىِّىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾	١٠٣
التوبة	٣٣	﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾	٣٨٥
يونس	٧٧	﴿أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ ۖ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ﴾	٤١
	٨١	﴿مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾﴾	٤٣
	٨٨-٨٩	﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا... قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾	٥٣/٤٩
	٩٠-٩٢	﴿۞ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ... فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ﴾	٦١
	٩٨	﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾	٢٥٩
هود	٩٦-٩٩	﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ... وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ﴾	٣٠
يوسف	٢١	﴿أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ﴾	٢٦
إبراهيم	٣٤	﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ﴾	١١٠

السورة	رقم الآية	الآية	الصفحة
النحل	٦٨	﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾	٣٥٥
	١٢٤	﴿إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ ...﴾	١٦٧
الإسراء	٥	﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا﴾	٣٧٥
	٧	﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْـَٔاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا﴾	٣٧٥
	٨	﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾	٣٧٥
	٢٣-٣٩	﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ ... وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾	٧٦
	٥٥	﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾	١٥١
	٨٦	﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا﴾	٣٨٥
	١٠١-١٠٢	﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ... مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾	٤٧
الكهف	٦٠-٨٢	﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ ... وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾﴾	٩٧-٩٨
	٨٢	﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾	١٠٣
	١٠٩	﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾	١٠٠

السورة	رقم الآية	الآية	الصفحة
مريم	١-١٥	﴿ كٓهيعٓصٓ ۝١ ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢ ... وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيًّا ﴾	٢٩١-٢٩٢
	٣-٦	﴿ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝٣ ... يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنۡ ءَالِ يَعۡقُوبَۖ وَٱجۡعَلۡهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝٦ ﴾	٢٩٥
	٧-٩	﴿ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسۡمُهُۥ يَحۡيَىٰ... هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞ وَقَدۡ خَلَقۡتُكَ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ تَكُ شَيۡـٔٗا ۝٩ ﴾	٢٩٦
	١٢	﴿ يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا ﴾	٢٩٧
	١٦-٣٦	﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ۝١٦ ... وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴾	٣١١-٣١٢
	١٦-٢١	﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ۝١٦ ... وَكَانَ أَمۡرٗا مَّقۡضِيّٗا ۝٢١ ﴾	٣١٣-٣١٤
	١٨	﴿ قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ۝١٨ ﴾	٣١٤
	١٩	﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا ۝١٩ ﴾	٣١٥
	٢٢	﴿ ۞ فَحَمَلَتۡهُ فَٱنتَبَذَتۡ بِهِۦ مَكَانٗا قَصِيّٗا ۝٢٢ ﴾	٣١٧
	٢٣	﴿ فَأَجَآءَهَا ٱلۡمَخَاضُ إِلَىٰ جِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ قَالَتۡ يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا ۝٢٣ ﴾	٣١٨/٣١٩
	٢٤-٢٦	﴿ فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا ۝٢٤ ... فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ ﴾	٣١٩
	٢٦	﴿ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدٗا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا ۝٢٦ ﴾	٣٢١
	٢٧-٣٣	﴿ فَأَتَتۡ بِهِۦ قَوۡمَهَا تَحۡمِلُهُۥۖ قَالُواْ يَٰمَرۡيَمُ لَقَدۡ جِئۡتِ شَيۡـٔٗا فَرِيّٗا .... وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا ﴾	٣٢١
	٥١-٥٣	﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ۝٥١ ... وَوَهَبۡنَا لَهُۥ مِن رَّحۡمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيّٗا ۝٥٣ ﴾	٣٠

السورة	رقم الآية	الآية	الصفحة
مريم	٥٢	﴿وَنَدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾﴾	٦٧
	٨٨	﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾﴾	١٨٢
طه	١٢-١٣	﴿إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾﴾	٣٥
	١٧-١٨	﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ﴾	٣٥
	١٩-٢١	﴿قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾﴾	٣٦
	٢٢	﴿وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ﴾	٣٦
	٢٥-٣٥	﴿رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى... وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾﴾	٣٧
	٣٦	﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾﴾	٣٧
	٣٧-٤٧	﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ ... قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾﴾	٣٨-٣٧
	٣٧-٤٠	﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ ... فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾﴾	٧
	٤٧-٥٥	﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ... ﴿٤٧﴾ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾﴾	٤٠
	٥٧-٥٩	﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ ... قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾﴾	٤٣
	٦١	﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾﴾	٤٣
	٦٥-٦٦	﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾	٤٣

السورة	رقم الآية	الآية	الصفحة
طه	٦٧-٦٩	﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ... إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾	٤٣
	٧١-٧٦	﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ... وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾﴾	٤٤
	٧٢-٧٣	﴿قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ... وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾﴾	٤٥
	٧٢	﴿فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ﴾	٥٧
	٨٣-٨٥	﴿۞ وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ ... قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٥﴾﴾	٨٠
	٨٦-٩٨	﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا ۚ... إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾﴾	٨٣-٨٤
	٨٨	﴿فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴿٨٨﴾﴾	٨٢
	٩٠-٩١	﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾﴾	٨٢
	٩٢-٩٤	﴿قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ ... إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴿٩٤﴾﴾	٨٤
	٩٥-٩٦	﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِىُّ ﴿٩٥﴾ ... فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى﴾	٨٥
	٩٧	﴿قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ ...﴾	٨٦
	١١٤	﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾	١٠٠
الأنبياء	٢٦	﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ﴾	١٨٢

السورة	رقم الآية	الآية	الصفحة
الأنبياء	٤٨-٤٩	﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾﴾	٣٠
	٧٨-٧٩	﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ... فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾	١٧٩
	٨٠	﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾	١٥٨
	٨١-٨٢	﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ... وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾﴾	١٧٦
	٨٧-٨٨	﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ... وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾	٢٦٢/٢٥٠
	٨٧	﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾	٢٦٠
	٨٩-٩٠	﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا... وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾	٢٩٢
المؤمنون	٤٥-٤٩	﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ ... وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾﴾	٣٠
	٥٠	﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾﴾	٣٢٢
الفرقان	٣٥-٣٦	﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ ... فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾﴾	٣٠
	٤٠	﴿وَلَقَدْ أَتَوْا۟ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ﴾	٢٨٨
الشعراء	١٨-٣١	﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ ... قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾﴾	٤١-٤٠

السورة	رقم الآية	الآية	الصفحة
الشعراء	٣٢-٣٧	﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ ... يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾﴾	٤١-٤٢
	٤١-٤٢	﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾﴾	٤٣
	٤٤	﴿وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ﴿٤٤﴾﴾	٤٣
	٤٦-٥١	﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ ... إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَن كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾	٤٤
	٥٣-٥٦	﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ ﴿٥٦﴾﴾	٥٩
	٦٠-٦٣	﴿فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ ... فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ ۖ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾﴾	٦٠
النمل	٧-٩	﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ... يَا مُوسَىٰ إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٩﴾﴾	٣٣
	١٠	﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَا مُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾﴾	٣٦/٣٧
	١٢	﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾	٣٦
	١٥-٤٤	﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا... قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾	١٧٦-١٧٧
	١٦	﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ ۖ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾﴾	١٨٣
	١٨-١٩	﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ... فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا﴾	١٩٩

السورة	رقم الآية	الآية	الصفحة
النمل	٢٠-٣٥	﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ... وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾﴾	٢٣١-٢٣٣
	٢٣	﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾	٢٢٨
	٣٦-٣٧	﴿قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم... وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾	٢٣٥
	٣٨-٤١	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ ... نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِيٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾	٢٣٥-٢٣٦
	٤٤	﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾	٢٣٦
القصص	١-٢٨	﴿طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ ... أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّ ۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾	٧-٨
	١-٦	﴿طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ ... وَنُرِى فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ﴾	١٢
	٧	﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ﴾	١٧
	٩-١٢	﴿وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ ۖ... فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾﴾	١٩
	١٤-٢٢	﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ... وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾﴾	٢١-٢٢
	٢٢	﴿عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾	٢٣
	٢٣-٢٨	﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ... قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّ ۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾﴾	٢٣-٢٤
	٢٤	﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾	٢٥

السورة	رقم الآية	الآية	الصفحة
	٢٥-٢٦	﴿ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا... قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ ﴾	٢٥-٢٦
	٢٧-٢٨	﴿ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٍ... أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾ ﴾	٢٦
	٢٩-٣٠	﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا... يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾	٣٣
	٢٩	﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ ﴾	٢٩
	٣٠	﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾	٣٤
	٣١	﴿ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ﴾	٣٦
	٣٢-٣٥	﴿ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ... بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾	٣٦-٣٧
	٣٣	﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ ﴾	٣٧
	٤٣-٤٦	﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ... لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾	٦٦
	٤٤	﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾	٧٨
	٧٦-٨٣	﴿ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ... تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْأَخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾	٩٠

السورة	رقم الآية	الآية	الصفحة
القصص	٧٦	﴿۞ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ	
		ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ﴾	٩٣/٩١
	٧٨	﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾	٩٢
	٧٩	﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ	
		قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾﴾	٩٣
	٨٠	﴿وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾	٩٣
	٨٢-٨١	﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ... لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ	
		وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾	٩٧-٩٦
لقمان	٣٤	﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾	٢٣٧
الأحزاب	٦٩	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا	
		قَالُوا۟ ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾﴾	٨٨-٨٧
سبأ	١١-١٠	﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ	
		وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾﴾	١٥٧
	١٠	﴿۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ﴾	١٥٢
	١٤-١٢	﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ... فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ	
		ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾	١٧٧
	١٢	﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ﴾	٢٠٤
	١٣	﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ	
		وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ... ﴾	١٩٢
	١٤	﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ	
		تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ ... ﴾	٢٤٩/٢٤٦
	٥١	﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾﴾	٣٦٥

السورة	رقم الآية	الآية	الصفحة
يس	١٣-٣٠	﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ... يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ ۚ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٠﴾﴾	٣٥٠-٣٥١
	٢٠-٢٢	﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ... وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾﴾	٣٥٨
	٢٠	﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾﴾	٣٥٧
	٢٣	﴿ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾﴾	٣٥٧
	٢٦-٢٧	﴿قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ ۖ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾	٣٥٧
	٣٠	﴿يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ ۚ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٠﴾﴾	٣٥٩
الصافات	١١٤-١٢٢	﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾ ... إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾	٣١
	١٢٣-١٣٢	﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ ... إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾﴾	٢٦٧
	١٢٣-١٢٦	﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ ... أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾	٢٨٦
	١٢٧-١٢٨	﴿فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾	٢٨٨
	١٣٩-١٤٨	﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ ... وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾﴾	٢٥٠
	١٤١	﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾﴾	٢٦١
	١٤٢	﴿فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾﴾	٢٦١

السورة	رقم الآية	الآية	الصفحة
الصافات	١٤٣-١٤٤	﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾﴾	٢٦٢
	١٤٥	﴿فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾﴾	٢٦٣
ص	١٧-٣٠	﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ ... وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾﴾	١٣٨
	١٧-٢٠	﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ ... وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾	١٥١
	١٧	﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾﴾	١٥٦
	١٨	﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾﴾	١٥٢
	٢٠	﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾﴾	١٥٣/١٥٦
	٢١-٢٥	﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ ... فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾﴾	١٥٨/١٦١
	٢٤-٢٥	﴿فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾﴾	١٦٤
	٢٤	﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ﴾	١٦٢
	٢٦	﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ...﴾	١٤٩
	٣٠-٤٠	﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ ... وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾﴾	١٧٧
	٣١-٣٣	﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ ... رُدُّوهَا عَلَىَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾﴾	٢٠٢
	٣٤	﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾	٢٣٨/٢٤٣
	٤٨	﴿وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾﴾	٢٦٧

السورة	رقم الآية	الآية	الصفحة
غافر	٢٦	﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن	
		يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾﴾	٤٥
	٢٨-٣٣	﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ	
		رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ... وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾	٤٥-٤٦
	٢٨	﴿مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾	٤٥
	٣٦-٣٧	﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ	
		﴿٣٦﴾ ... وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿٣٧﴾﴾	٤٦
	٣٨	﴿يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾﴾	٤٦
	٤١-٤٥	﴿وَيَٰقَوْمِ مَا لِيٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ	
		﴿٤١﴾ ... وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾﴾	٤٦
	٥٣-٥٤	﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ	
		﴿٥٣﴾ هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٤﴾﴾	٧٣
	٧٨	﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ	
		وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾	٥
الزخرف	٤٦-٥٦	﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِ...	
		فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾	٣١
	٦١	﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾	٣٨٣
محمد	٧	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾	١٤٤
الطلاق	٢	﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾﴾	٢٢٣
التحريم	١١	﴿رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ	
		وَنَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾﴾	٥٧
	١٢	﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾	٣٢٩

السورة	رقم الآية	الآية	الصفحة
القلم	٤٨-٥٠	﴿فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ إِذۡ نَادَىٰ وَهُوَ مَكۡظُومٞ ﴿٤٨﴾ ... فَٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾﴾	٢٥٠
المدثر	٣٨	﴿كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾﴾	١٨٢
النازعات	١٧	﴿ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾﴾	٣٧
البروج	١٧-٢٠	﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرۡعَوۡنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي تَكۡذِيبٖ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ ﴿٢٠﴾﴾	٩
الأعلىٰ	١٤-١٥	﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾﴾	١٨١
الفجر	١٠-١٤	﴿وَفِرۡعَوۡنَ ذِي ٱلۡأَوۡتَادِ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ طَغَوۡاْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ﴿١١﴾ ... إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ ﴿١٤﴾﴾	٩
الضحىٰ	١١	﴿وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ﴿١١﴾﴾	١١٠

فهرس

الأحاديث الشريفة والأخبار

- أبشركم بالمهدي يُبعث علىٰ اختلاف من الناس وزلازل ٣٦٨
- أجَّرَ موسىٰ نفسه بشبع بطنه وعفة فرجه ٢٩
- أحسنوا جوار نِعَم الله لا تنفروها فقلّما زالت عن قوم فعادت إليهم ١١٠
- إذا أتىٰ عليّ يوم لا أزداد فيه علماً يقربني إلىٰ الله تعالىٰ فلا بورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم ١٠٠
- إذا بلغ السفياني الكوفة وقتل أعوان آل محمد خرج المهدي علىٰ لوائه شعيب بن صالح ٣٧٩
- إذا خرجت خيل السفياني إلىٰ الكوفة بُعِث في طلب أهل خراسان ٣٧٩
- إذا رأيتم الرايات السود خرجت مِن قِبَل خراسان فائتوها ولو حبواً ٣٦٩
- إذا عصاني مَن يعرفني سلطت عليه مَن لا يعرفني ٣٠٢
- إذا نادى مناد من السماء : إن الحق في آل محمد ، فعند ذلك يظهر المهدي علىٰ أفواه الناس ٣٧٨
- إذا نزل عيسىٰ لم يجد ريحه ولا نَفَسه كافر إلا مات ، ونَفَسه يبلغ مد بصره ٤٠٠
- أُرسل مَلَك الموت إلىٰ موسىٰ ، فلما جاءه صكّ ١٢٧
- اطّلع النبي علينا ونحن نتذاكر ، فقال ما تذاكرون ؟ قالوا نذكر الساعة ٣٩٠
- أفرس الناس ثلاثة : صاحب يوسف .. وصاحبة موسىٰ .. وأبو بكر ٢٦
- ألا إن عيسىٰ بن مريم ليس بيني وبينه نبي ولا رسول ٣٩٦
- الأنبياء أخوة لعلات أمهاتهم شتىٰ ودينهم واحد ٣٩٠
- السبق ثلاث : السابق إلىٰ موسىٰ يوشع بن نون ، والسابق إلىٰ عيسىٰ ٣٥٧
- ألسنا من فقراء المهاجرين ؟ فقال له عبدالله : ألك امرأة تأوي إليها ١١١
- الصمت حكمة وقليلٌ فاعله ١٥٨
- المهدي أحق هو ؟ قال نعم ٣٨٠
- المهدي حق وهو من ولد فاطمة ٣٦٦
- المهدي رجل من ولدي لونه لون عربي وجسمه جسم إسرائيلي ٣٧٤
- المهدي من عترتي من ولد فاطمة ٣٦٦

- المهدي منا أهل البيت أشم الأنف أقنىٰ أجلىٰ ٣٧١
- المهدي منا أهل البيت يصلحه الله في ليلة ٣٦٨
- المهدي منا يُختم الدين به كما فُتِحَ بنا ٣٧٣
- المهدي مني أجلىٰ الجبهة أقنىٰ الأنف يملأ الأرض قسطاً وعدلاً ٣٦٦
- أمنا المهدي أم من غيرنا يا رسول الله ٣٧٣
- إن ابني هذا سيد كما سماه النبيﷺ وسيخرج من صلبه رجل يسمىٰ باسم نبيكم ٣٦٧
- إن أحب الصيام إلىٰ الله صيام داود وأحب الصلاة إلىٰ الله صلاة داود ١٥٦
- إن الزناة يوقفون يوم القيامة وريحهم أنتن من الجيف ٣٠١
- إن الله تعالىٰ أعطىٰ داود سلسلة موصولة بالمجرة والفلك ١٥٤
- إن الله تعالىٰ زوّجني في الجنة مريم ابنة عمران وآسية امرأة فرعون ١٣
- إن اللهﷻ أمر يحيىٰ بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل بهن ٢٩٩
- إن أول ما تفقدون من دينكم الأمانة وآخر ما يبقىٰ الصلاة ٣٨٥
- إن جبريل كان يدس في فم فرعون الطين مخافة أن يقول لا إله إلا الله ٦١
- إن رسول اللهﷺ قبيل ليلة أسري به رأى زكريا في المنام فسلّم عليه ٣٠٦
- إن عيسىٰ أرسلته أمه إلىٰ الكُتّاب ليتعلّم فقال له المعلم ٣٢٦
- إن فضل أمة محمد علىٰ سائر الأمم كفضله علىٰ سائر الخَلْق ٧٧
- إن في أمتي المهدي يخرج يعيش خمساً أو سبعاً أو تسعاً ٣٦٧
- إن من أهل بيتي الأقنىٰ الأجلىٰ يأتي الأرض وقد ملئت ظلماً وجوراً فيملؤها قسطاً وعدلاً ٣٧٦
- إن يخرج الدجال وأنا حي كفيتكموه ، وإن يخرج الدجال بعدي فإن ربكم ليس بأعور ٣٩٢
- إنا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة علىٰ الدنيا ٣٦٩/٣٧١
- أنا أوْلىٰ الناس بابن مريم ، الأنبياء أولاد علات ٣٨٩
- أنتم اليوم علىٰ عدة أصحاب طالوت حين عبروا النهر ١٤١
- إنما سمي الخضر لأنه جلس علىٰ فروة بيضاء فإذا هي تهتز تحته خضراء ٩٧
- إنما سمي المهدي لأنه يهدى إلىٰ جبل من جبال الشام يستخرج منه أسفاراً من أسفار التوراة ٣٧٧
- إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير ١٧٢
- إنه لم تكن فتنة في الأرض منذ ذرأ الله ذرية آدم أعظم من فتنة الدجال ٣٩٢
- إني قتلت بيحيىٰ بن زكريا سبعين ألفاً وإني قاتل بابن ابنتك سبعين ألفاً ٣٠٣

- إني لأجد المهدي مكتوباً في أسفار الأنبياء ما في عمله ظلم ولا عنت ٣٧٦
- إني لأرجو ألا تذهب الأيام والليالي حتىٰ يبعث الله منا أهل البيت غلاماً شاباً حدثاً ٣٧٧
- إني لأرجو إن طال بي عمر أنْ ألقىٰ عيسىٰ بن مريم ٣٩٢
- أول الآيات العصا وآخرها الطمس ٤٨
- أي الأجلين قضىٰ موسىٰ ؟ قال : أتمهما وأكملهما ٢٩
- بين الجنة والنار مفازة لا يقطعها إلا دموع البكائين ٢٩٩
- بينا أنا أسير في وادي الأردن إذا أنا برجل في ناحية الوادي قائم يصلي ٢٨٩
- بينما الشياطين الذين مع الدجال يزاولون بعض بني آدم علىٰ متابعة الدجال ٣٩٨
- تخرج راية سوداء لبني العباس ثم تخرج من خراسان أخرى سوداء ، قلانسهم سود وثيابهم بيض ٣٧٩
- ثم يرسل الله بعد يأجوج ومأجوج ريحاً طيبة فتقبض روح عيسىٰ وأصحابه ٣٩٩
- ثوبي حجر ثوبي حجر ٨٨
- حتىٰ يبعث الله راية من المشرق سوداء مَن نصرها نصره الله ومَن خذلها خذله الله ٣٧٨
- خدّت الدموع في وجه داود خديد الماء في الأرض ١٦٥
- ذكر النبي يوماً بين ظهري الناس المسيح الدجال فقال إن الله ليس بأعور ٣٨٦
- ذكر رسول اللهﷺ الدجال ذات غداة فخفّض فيه ورفّع حتىٰ ظننناه في طائفة النخل ٣٨٧
- رأيت رأس يحيىٰ بن زكريا حين أرادوا بناء مسجد دمشق أُخرج من تحت ركن من أركان القبة ٣٠٣
- رأيت موسىٰ وعيسىٰ وإبراهيم ، فأما عيسىٰ فأحمر جعد عريض الصدر ٣٨٧
- رأيت نخلة مصروعة كأنها الحجر ٥٤
- سألني عمر بن عبد العزيز عن الآيات التي أراهن الله فرعون وقومه ٥٤
- ستفتح بعدي جزيرة تسمىٰ الأندلس فتغلب عليهم أهل الكفر ٣٧٨
- سيكون بينكم وبين الروم أربع هدن ، الرابعة علىٰ يد رجل من أهل هرقل ٣٧٣
- صار بعظمة الله ستة أجبل فوقعت ثلاثة بالمدينة ووقعت ثلاثة بمكة ٦٩
- صدقتَ يا محمد علماء أمتك بالعلم والمعرفة كأنبياء بني إسرائيل ٣٥
- علامة خروج المهدي ألوية تُقْبِل من المغرب عليها رجل أعرج من كندة ٣٨٠
- علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل ٣٥
- عمر بن عبدالعزيز مهدي ؟ قال لقد بلغنا عن المهدي شيء لم يبلغه عمر ٣٧٦
- غزونا مع رسول اللهﷺ حتىٰ إذا كنا بفج الناقة عند الحجر إذا نحن بصوت يقول ٢٩٠

- غير الدجال أخوفني عليكم ، إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم ٣٨٧
- فأخرج البيضة مقسومة نصفين كأنها الحجر والجوزة مشقوقة نصفين..... ٥٤
- فقد زكريا ابنه يحيىٰ ثلاثة أيام فخرج يلتمسه في البرية ٢٩٩
- فلو رأيتني وأنا آخذ من حال البحر فأدسه في فيه مخافة أن تدركه الرحمة ٦١
- فلو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتىٰ يأتيهم رجل من أهل بيتي ٣٧٦
- في ذي القعدة تجاذب القبائل وتغادر ، فيُنهب الحاج..... ٣٧٠
- قام موسىٰ النبي خطيباً في بني إسرائيل فسئل أي الناس أعلم..... ٩٩
- قتل علىٰ الصخرة التي ببيت المقدس سبعون نبياً منهم يحيىٰ بن زكريا..... ٣٠٣
- قد أفلحت أمة أنا أولها وعيسىٰ آخرها..... ٣٩٧
- كان أول الآيات العصا واليد البيضاء والطوفان..... ٤٧
- كان داود أشد ملوك الأرض سلطاناً كان يحرس محرابه كل ليلة ثلاثة وثلاثون ألف رجل ١٥٦
- كان داود يفهم تسبيح الحجر والشجر والمدر ١٥٣
- كان طعام يحيىٰ بن زكريا العشب وإن كان ليبكي من خشية الله ٢٩٨
- كان لوحاً من ذهب مكتوباً فيه : بسم الله الرحمن الرحيم عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن..... ١٠٣
- كان موسىٰ رجلاً حيياً فكان لا يُرى متجرداً فقال بنو إسرائيل إنه آدر..... ٨٨
- كانت الضفادع برية فلما أرسلها الله علىٰ فرعون سمعت وأطاعت..... ٥٢
- كانت المائدة إذا وضعت لبني إسرائيل اختلفت عليهم الأيدي من السماء بكل طعام إلا اللحم ٣٣٩
- كانت بنو إسرائيل إذا كان لأحدهم خادم وامرأة ودابة كتب ملكاً..... ١١١
- كانت بنو إسرائيل يغتسلون عراة ينظر بعضهم إلىٰ سوأة بعض وكان موسىٰ يغتسل وحده..... ٨٨
- كنا نتحدث أن أصحاب بدر ثلاثمائة وبضعة عشر بعدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر..... ١٤١
- كنت إذا خلوت أنا وعيسىٰ حدثني وحدثته..... ٣١٧
- كيف أنت يا عوف إذا افترقت هذه الأمة علىٰ ثلاث وسبعين فرقة واحدة في الجنة وسائرهن في النار ٣٧٢
- كيف بكم إذا نزل فيكم عيسىٰ بن مريم وإمامكم منكم..... ٣٨٩
- لا تذهب الدنيا حتىٰ يملك العرب رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي..... ٣٦٧
- لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون علىٰ الحق ظاهرين إلىٰ يوم القيامة ٣٩١
- لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون علىٰ الحق قائمين بأمر الله لا يضرهم خلاف مَن خالفهم ٣٩٩
- لا تقوم الساعة حتىٰ تملأ الأرض ظلماً وجوراً وعدواناً..... ٣٦٩

- لا تقوم الساعة حتىٰ يخرج إليهم رجل من أهل بيتي فيضربهم حتىٰ يرجعوا إلىٰ الحق ٣٧٣
- لا تقوم الساعة حتىٰ يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون..... ٣٨٤
- لا تقوم الساعة حتىٰ يملك رجل من أهل بيتي اسمه اسمي ٣٧٢
- لا تقوم الساعة حتىٰ يملك رجل من أهل بيتي يفتح القسطنطينية وجبل الديلم..... ٣٧٤
- لا تقوم الساعة حتىٰ ينزل الروم بالأعماق أو بدابق..... ٣٩٠
- لا يخرج المهدي حتىٰ تطلع مع الشمس آية..... ٣٨٠
- لا يخرج المهدي حتىٰ يبصق بعضكم في وجه بعض ٣٨٠
- لا يخرج المهدي حتىٰ يخرج الرجل بالجارية الحسناء الجملاء فيقول مَن يشتري هذه بوزنها طعاماً..... ٣٨٠
- لا يخرج المهدي حتىٰ يُقتل ثلث ويموت ثلث ويبقىٰ ثلث..... ٣٧٦
- لا يخرج المهدي حتىٰ يُقتل من كل تسعة سبعة..... ٣٨٠
- لا يخرج المهدي حتىٰ يُكفر بالله جهرة..... ٣٨٠
- لأطوفن الليلة علىٰ سبعين امرأة تحمل كل امرأة فارساً يجاهد في سبيل الله ٢٤٤
- لقد قال موسىٰ ذلك ولو شاء إنسان أن ينظر إلىٰ خضرة أمعائه من شدة الجوع لفعل وما سأل إلاّ أكلة..... ٢٣
- لقد كان بيت المقدس عند الله عظيماً جسيم الخطر عظيم القدر..... ٣٧٥
- لقيت ليلة أسري بي إبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ فتذاكروا أمر الساعة ٣٩١
- لقيت موسىٰ قال فنعته فإذا رجل حسبته قال مضطرب رَجِل الرأس ٣٨٧
- للمسلمين ثلاثة أمصار : مصر بملتقىٰ البحرين ومصر بالحيرة ومصر بالشام ٣٩٥
- لما أعطىٰ الله موسىٰ الألواح نظر فيها وقال : يا رب لقد أكرمتني بكرامة لم تكرم بها أحداً قبلي ٧٧
- لما سأل الحواريون عيسىٰ بن مريم أن ينزل عليهم مائدة لبس صوفاً وبكىٰ ٣٤٠
- لن تهلك أمة أنا في أولها وعيسىٰ بن مريم في آخرها والمهدي في وسطها ٣٧٤
- لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لبعث الله فيكم رجلاً من عترتي يواطئ اسمه اسمي براق الجبين..... ٣٧٤
- لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطوّل الله ذلك اليوم حتىٰ يبعث فيهم رجلاً مني ٣٦٦
- لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطوّله الله حتىٰ يملك رجل من أهل بيتي جبل الديلم..... ٣٦٨
- لولا بنو إسرائيل لم يخبث الطعام ولم يخنز اللحم ١١٣
- ليدركن ابنَ مريم رجال من أمتي هم مثلكم ، أو خيرهم مثلكم أو خير ٣٩٦
- ليس المعايِن كالمُخْبَر..... ٨٤
- ليهبطن عيسىٰ بن مريم حكماً عدلاً وإماماً مقسطاً ، وليسلكن فجاً فجاً ٣٩٦

- ليهلن ابن مريم بفج الروحاء حاجاً أو معتمراً أو لَيَثْنِيَنّهما..... ٣٨٩
- ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً يكسر الصليب..... ٣٨٦
- ما أحوجنا إلىٰ سلسلة بني إسرائيل كانت تأخذ بعنق الظالم فتجره إلىٰ الحق ١٥٥
- ما بعد نزول عيسىٰ بن مريم ؟ قال لو أن رجلاً أنتج فرساً لم يركب مُهرها حتىٰ تقوم الساعة..... ٣٩٦
- ما رأيت للروم مثل مدينة يقال لها أنطاكية .. فيها التوراة وعصا موسىٰ..... ٣٧٢
- ما شرب داود شراباً بعد المغفرة إلا ونصفه ممزوج بدموع عينيه..... ١٦٥
- مَن حدّث بحديث داود علىٰ ما يرويه القصاص معتقداً صحته جلدته حدَّيْن ١٦٢
- منا الذي يصلي عيسىٰ بن مريم خلفه..... ٣٧٤
- نحن ولد عبد المطلب سادة أهل الجنة..... ٣٧٠
- نزلت المائدة خبزاً ولحماً وذلك أنهم سألوا عيسىٰ طعاماً يأكلون منه لا ينفد ٣٣٩
- نزول عيسىٰ بن مريم مِن قَبْل يوم القيامة..... ٣٨٣
- هو رجل من عترتي يقاتل علىٰ سنتي كما قاتلت أنا علىٰ الوحي ٣٧٨
- والذي يُحلف به لو أقرّ فرعون أن يكون له قرة عين كما أقرت به لهداه الله..... ١٩
- وأما الغلام فطُبِع يوم طُبِع كافراً..... ١٠١
- وإن من عبادي المؤمنين مَن لا يصلحه إلا الفقر ولو أغنيته لأفسده ذلك..... ١١٠
- وإني لأجد ما في بطني يسجد لِما في بطنك ٢٩٨
- وايم الله لو لم يستثنوا لَما بُيِّنت لهم آخر الأبد..... ١٠٨
- وجدت في الإنجيل أن مفاتيح خزائن قارون كان وقر ستين بغلاً غراً..... ٩١
- وكان لا يرفع الحجر الذي علىٰ فم البئر إلاّ عشرة وإنما سقىٰ ذنوباً واحداً..... ٢٤
- يا علي لا تتبع النظرة النظرة فإن لك الأولىٰ وليست لك الآخرة..... ١٦٢
- يبايع المهدي بين الركن والمقام لا يوقظ نائماً ولا يهريق دماً..... ٣٧٩
- يبايع المهدي بين مكة والركن ويكون أول أمره علىٰ عدد أهل بدر..... ٣٦٥
- يبلغ من رد المهدي المظالم حتىٰ لو كان تحت ضرس إنسان شيء انتزعه حتىٰ يرده..... ٣٨٠
- يجاء إلىٰ المهدي وهو في بيته والناس في فتنة تهراق فيها الدماء..... ٣٧٦
- يحج الناس معاً ويُعَرِّفون معاً علىٰ غير إمام..... ٣٧٠
- يخرج الدجال في أمتي فيمكث أربعين ، فيبعث الله عيسىٰ بن مريم كأنه عروة بن مسعود..... ٣٨٩
- يخرج المهدي وعلىٰ رأسه مَلَك ينادي : إن هذا المهدي فاتبعوه..... ٣٧٣

- يخرج رجل من أمتي يعمل بسنتي يُنزل الله له البركة من السماء..... ٣٧٤
- يخرج رجل من أمتي يقول بسنتي ، ينزل الله له القطر من السماء..... ٣٦٨
- يخرج رجل من أهل بيتي عند انقطاع من الزمان وظهور من الفتن يكون عطاؤه حثياً..... ٣٧٤
- يخرج رجل من أهل بيتي في تسع رايات..... ٣٧٨
- يخرج رجل من ولد الحسين من قبل المشرق ولو استقبلته الجبال لَهدمها واتخذ فيها طرقاً..... ٣٧٩
- يخرج رجل يقال له السفياني في عمق دمشق وعامة مَن يتبعه من كلب ٣٧١
- يخرج في آخر الزمان من المغرب الأقصىٰ يمشي النصر بين يديه أربعين ميلاً ٣٧٧
- يخرج قوم من قبل المشرق فيوطئون للمهدي سلطانه ٣٧٣
- يُدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب حتىٰ لا يُدرى ما صيام ولا صدقة ولا نسك ٣٨٥
- يدرك عيسىٰ بن مريم الدجال بعد ما يهرب منه ، فإذا بلغه نزوله فيدركه عند باب لد الشرقي فيقتله..... ٣٩٦
- يرحم الله موسىٰ لوددنا لو صبر حتىٰ يقص علينا من أمرهما..... ١٠٠
- يرسل الله ريحاً من اليمن ألين من الزبد وأحلىٰ من العسل ، فلا تترك رجلاً في قلبه آية من القرآن..... ٣٨٥
- يقتتل عند كنزكم ثلاثة كلهم ابن خليفة..... ٣٦٩
- يقتل ابن مريم الدجال بباب لد أو إلىٰ جانب لد..... ٣٩١
- يقتل عيسىٰ بن مريم الدجال دون باب لد بسبعة عشر ذراعاً ٣٩٦
- يكثر المال في زمان المهدي فيأتيه رجل فيسأله فيقول له ادخل فخذ..... ٣٧٦
- يكون اختلاف عند موت خليفة فيخرج رجل من قريش من أهل المدينة إلىٰ مكة ٣٦٧
- يكون في أمتي المهدي إن قصر فسبع وإلا فتسع ٣٦٩
- يلتقي الخضر وإلياس في كل عام في الموسم..... ٢٨٩
- ينزل بأمتي في آخر الزمان بلاء شديد من سلطانهم لم يُسمع بلاء أشد منه ٣٧٠

فهرس الخرائط والصور

أولاً : الخرائط :

- خروج موسىٰ إلىٰ أرض مدين وعودته إلىٰ أرض مصر ٣٢
- خروج موسىٰ وهارون عليهما السلام ببني إسرائيل من أرض مصر ٦٣
- مكان لقاء نبي الله موسىٰ مع الخضر عليهما السلام ٩٨
- بعثة نبي الله داود عليه الصلاة والسلام ١٥٠
- خبر الاعتداء في السبت وأصحاب أيلة..... ١٦٦
- بعثة نبي الله يونس عليه الصلاة والسلام..... ٢٥٥
- بعثة نبي الله إلياس عليه الصلاة والسلام..... ٢٧٦
- بعثة نبي الله عيسىٰ عليه الصلاة والسلام ٣٢٧
- أصحاب القرية أهل أنطاكية..... ٣٥٢

ثانياً : الصور :

۞ سيدنا موسىٰ وهارون عليهما الصلاة والسلام :

- عين موسىٰ في مصر حيث منها حمله بنات فرعون..... ١٨
- مكان المرعىٰ قرب مدين حيث كانت بنتا سيدنا شعيب ترعيان أغنامهما ٢٤
- بئر سيدنا شعيب المعروف في منطقة البدع بالقرب من مدين..... ٢٥
- عصا موسىٰ الموجودة في متحف توب كابي باستنبول كما يقال ٢٨
- الشجرة التي يعتقد اليهود أنها التي خوطب منها سيدنا موسىٰ ٣٤
- جثة فرعون المحفوظة في أحد متاحف مصر..... ٦١-٦٢

- جبل سيناء حيث ناجىٰ موسىٰ ربه ونزلت عليه الألواح ٧١
- جبل الزبير وقد جعله الله تعالىٰ دَكّاً ٧١
- وادي الراحة حيث جلس بنو إسرائيل ينتظرون موسىٰ ٧٢
- الكهف الذي جلس فيه سيدنا موسىٰ في جبل سيناء ٧٣
- الصفحة الأولىٰ من مخطوطة صحف موسىٰ المحفوظة في مصر ٧٤-٧٥
- عين موسىٰ بالأردن والتي نبعت من ضرب الحجر كما يقال ١١٤
- وادي موسىٰ بالأردن حيث وصل موسىٰ مع بني إسرائيل ١٢٥
- قبر نبي الله هارون ١٢٧
- مسجد موسىٰ بفلسطين حيث هو مدفون ١٢٨
- مقام نبي الله يوشع بن نون بالأردن ١٣٠-١٣١

۞ **سيدنا داود عليه الصلاة والسلام :**

- نهر الشريعة الذي شرب منه بنو إسرائيل ١٤٢
- وادي داود حيث حصلت المعركة بينه وبين جالوت ١٤٥
- الوادي الذي أخذ منه سيدنا داود الحجارة لقتل جالوت ١٤٦
- صورة لنسخة نادرة من الزبور محفوظة بالإسكندرية ١٥١
- قبة السلسلة ١٥٥
- قبر سيدنا داود ١٧٤
- قلعة النبي داود شرق القدس ١٧٥

۞ **سيدنا سليمان عليه الصلاة والسلام :**

- آثار المدن القديمة التي يقال إن سيدنا سليمان بناها ٢٠٦-٢٢١
- بقايا قصر بلقيس في مأرب ومملكة سبأ القديمة ٢٢٨-٢٣٠

❁ **سيدنا يونس عليه الصلاة والسلام :**

- مدينة نينوى القديمة ٢٥٦-٢٥٨
- جامع النبي يونس في نينوى ٢٥٨

❁ **سيدنا إلياس واليسع عليهما الصلاة والسلام :**

- بقايا مدينة بعلبك الأثرية ٢٦٩-٢٧٥
- بقايا قصر آجاب الملك ٢٧٣
- مغارة إلياس المعروفة في جبل كارمل ٢٧٨

❁ **سيدنا زكريا ويحيىٰ عليهما الصلاة والسلام :**

- مقام سيدنا يحيىٰ في الجامع الأموي بدمشق ٣٠٤
- قبر سيدنا زكريا المعروف في فلسطين قديماً وحديثاً ٣٠٨-٣٠٩
- مقام سيدنا زكريا المعروف في الجامع الأموي بحلب ٣٠٩

❁ **سيدنا عيسىٰ بن مريم عليه الصلاة والسلام :**

- مكان ولادة سيدنا عيسىٰ في كنيسة المهد ببيت لحم ٣١٩
- المنارة البيضاء شرقي الجامع الأموي حيث ينزل سيدنا عيسىٰ آخر الزمان ... ٣٨٢



فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم وتفسيره :

- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي
- الكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي
- تفسير الإمام فخر الدين الرازي
- البرهان في علوم القرآن لأبي الحسن علي بن إبراهيم الحوفي
- تفسير الطبري
- تفسير ابن كثير
- تفسير ابن عباس
- تفسير البحر

المتون :

- صحيح مسلم
- صحيح البخاري
- صحيح ابن حبان
- سنن الترمذي
- السنن الكبرى للنسائي
- سنن أبي داود
- سنن ابن ماجة
- سنن البيهقي الكبرى
- سنن أبي يعلىٰ
- سنن الدارمي
- سنن الدارقطني
- سنن سعيد بن منصور
- مسند أحمد
- مسند الطيالسي
- مسند البزار
- مسند أبي يعلىٰ
- مسند إسحاق بن راهويه
- مسند أبي عوانة
- مسند عبد بن حميد
- مصنف عبد الرزاق
- صحيح ابن خزيمة
- الأدب المفرد للبخاري
- الجامع الصغير للسيوطي
- الفردوس بمأثور الخطاب للديلمي
- شعب الإيمان للبيهقي
- الاعتقاد للبيهقي
- نوادر الأصول في أحاديث الرسول للترمذي
- الآحاد والمثاني للضحاك
- المعجم الصغير للطبراني
- المعجم الأوسط للطبراني
- المعجم الكبير للطبراني
- مسند الشاميين للطبراني
- الأحاديث المختارة للمقدسي
- مجمع الزوائد للهيثمي
- الزهد لابن المبارك
- جامع العلوم والحكم لأبي الفرج الحنبلي
- البيان والتعريف لإبراهيم الحسيني
- الترغيب والترهيب لأبي محمد المنذري

تابع المتون

- مسند ابن الجعد
- مسند الروياني
- المستدرك على الصحيحين للحاكم
- مصنف ابن أبي شيبة
- الأولياء لابن أبي الدنيا
- موطأ مالك
- السنن الواردة في الفتن للمقرئ
- الفتن لنعيم بن حماد

الشروح :

- فتح الباري لابن حجر
- شرح النووي على صحيح مسلم
- شرح سنن ابن ماجة
- شرح البخاري للقسطلاني
- تحفة الأحوذي
- فيض القدير لعبد الرؤوف المناوي
- التمهيد لابن عبد البر

التراجم :

- التاريخ الكبير للبخاري
- لسان الميزان لابن حجر
- تهذيب التهذيب لابن حجر
- الإصابة لابن حجر
- حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني
- تاريخ بغداد للخطيب
- سير أعلام النبلاء للذهبي
- الطبقات الكبرى لابن سعد
- الاستيعاب لابن عبد البر
- الثقات لابن حبان
- المجروحين لابن حبان
- ضعفاء العقيلي
- الجرح والتعديل لابن أبي حاتم
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال للذهبي
- الكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي
- تهذيب الكمال لأبي الحجاج المزي
- طبقات المحدثين بأصبهان لابن حيان

العلل والحكم في الحديث :

- كشف الخفاء للعجلوني
- العلل المتناهية لابن الجوزي
- علل ابن أبي حاتم
- المنار المنيف لأبي عبدالله الحنبلي

التخريج :

- تلخيص الحبير لابن حجر
- نصب الراية
- الدراية في تخريج أحاديث الهداية
- خلاصة البدر المنير لابن الملقن الأنصاري

مصطلح الحديث :

- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع

السيرة والتاريخ :

- تاريخ الطبري
- الكامل لابن الأثير
- البداية والنهاية لابن كثير
- العرائس في قصص الأنبياء
- ياقوت البيان في قصص القرآن للثعلبي
- نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري
- أخبار مكة لابن إسحاق
- تاريخ العيني
- فضائل بيت المقدس للمقدسي

الأطلس والمعاجم :

- معجم البلدان لياقوت الحموي
- أطلس تاريخ الأنبياء والرسل لابن المغلوث
- معجم الخريطة التاريخية للملوك الإسلامية لأمين واصف
- تفسير البحر المحيط لابن حيان
- مختار الصحاح
- القاموس المحيط
- المعجم الوجيز
- المسالك والممالك

مصادر أخرى :

- التحفة لابن حجر
- جامع العلم لابن عبد البر
- التوضيح في تواتر ما جاء في الأحاديث في المهدي والدجال والمسيح للشوكاني
- الإفراد للدارقطني
- الفتح الرباني للقاضي الشوكاني



فهرس الموضوعات

۞ سيدنا موسىٰ بن عمران عليه الصلاة والسلام: (مولده ونشأته وفراره إلىٰ مدين وخبر فرعون)..... ٧

- نسب موسىٰ عليه السلام..... ٨
- نبذة تاريخية عن فرعون..... ٩
- زواج فرعون من آسية..... ١٣
- الرؤيا التي أزعجت فرعون قبل مولد موسىٰ عليه السلام..... ١٤
- قتل الأطفال والحمل بموسىٰ عليه السلام..... ١٥
- ولادة موسىٰ عليه السلام وما كان من أمره وإلقائه في التابوت..... ١٦
- دخول التابوت في دار فرعون ورجوع موسىٰ إلىٰ أمه..... ١٨
- نشأة موسىٰ عليه السلام وذِكْر شيء من معجزاته وآياته..... ٢٠
- حادثة القبطي وخروج موسىٰ من مصر ٢١
- ورود موسىٰ مدين وما كان بينه وبين شعيب عليهما السلام..... ٢٣

۞ سيدنا موسىٰ وأخوه هارون عليهما الصلاة والسلام: (مبعثهما إلىٰ فرعون وما كان من خبره) ٣٠

- خروج موسىٰ من أرض مدين ومبعثه وأخيه هارون إلىٰ فرعون ٣٣
- مسير موسىٰ إلىٰ مصر واجتماعه بأخيه هارون وأمه ٣٨
- دخول موسىٰ إلىٰ فرعون وما كان مِن أمره معه ٣٩
- خبر العصا حين صارت ثعباناً واليد البيضاء ٤١
- خبر السحرة وما كان من أمرهم ٤٢
- خبر حزقيل الرجل المؤمن من آل فرعون ٤٥
- بناء الصرح ٤٦
- الآيات التسع التي ابتلىٰ الله بها بني إسرائيل ٤٧
- قصة ماشطة بنات فرعون ٥٥
- مقتل آسية بنت مزاحم امرأة فرعون ٥٦
- إمهال الله تعالىٰ لفرعون وقصة انقطاع ماء النيل ٥٨
- المعركة الأخيرة مع فرعون حتىٰ غرقه في البحر ٥٨

۞ سيدنا موسىٰ وأخوه هارون عليهما الصلاة والسلام: (نزول التوراة وما كان من أمرهما مع بني إسرائيل حتىٰ وفاتهما) ٦٥

- انطلاق موسىٰ لمناجاة ربه ٦٦
- خبر الألواح ونزول التوراة ٧٣
- العشر كلمات التي كلّف الله بها بني إسرائيل ٧٥
- ذكر نبينا محمد ﷺ في التوراة وفضل أمته علىٰ العالمين ٧٧
- فتنة السامري وعبادة العجل ٨٠

- رجوع موسىٰ إلىٰ قومه وما كان من أمرهم ٨٣
- امتناع بني إسرائيل من قبول أحكام التوراة ورفع الجبل عليهم..... ٨٦
- قصة الحجر الذي برّأ سيدنا موسىٰ..... ٨٧
- طلب بني إسرائيل رؤية الله تعالىٰ وكيف أُهلكوا بالصاعقة ٨٨
- قصة موسىٰ مع قارون ٩٠
- قصة موسىٰ مع الخضر ٩٧
- قصة بقرة بني إسرائيل ١٠٤
- ذكر نِعَم الله تعالىٰ علىٰ بني إسرائيل..... ١٠٩
- موسىٰ يختار من قومه نقباء عند مسير بني إسرائيل إلىٰ أريحا ١١٥
- مسير موسىٰ مع الخلف الجديد من بني إسرائيل لحرب الجبارين وقصة بلعم بن باعورا..... ١١٩
- وفاة هارون عليه السلام..... ١٢٥
- وفاة موسىٰ عليه السلام ١٢٧
- خبر يوشع بن نون وفتح أريحا..... ١٢٩
- خبر التابوت وتاريخه ١٣١

سيدنا داود عليه الصلاة والسلام : ١٣٨

- نسب داود عليه السلام وذكر بعض صفته ١٣٨
- مسير طالوت بالجنود وخبر النهر الذي ابتُلوا به..... ١٣٩
- خبر داود حين قتل جالوت الملك..... ١٤٢
- المعارك التي حصلت بين داود عليه السلام وطالوت..... ١٤٦
- خلافة داود عليه السلام ونبوته ومبعثه إلىٰ بني إسرائيل ١٤٩

- خصوصيات سيدنا داود عليه السلام : ١٥١
١- إنزال الزبور ١٥١
٢- الصوت الطيب والنغمة اللذيذة والترجيع في الألحان ١٥٢
٣- تسبيح الجبال والطير معه ١٥٢
٤- الحكمة وفصل الخطاب ١٥٣
٥- السلسلة ١٥٤
٦- القوة في العبادة وشدة الاجتهاد ١٥٦
٧- قوة المملكة ١٥٦
٨- شدة البطش ١٥٧
٩- إلانة الحديد ١٥٧
- قصة اختبار سيدنا داود ١٥٨
- خبر الاعتداء في السبت ١٦٥
- اختبار داود لأولاده واستخلافه سليمان عليهما السلام ١٦٩
- وصايا داود لولده سليمان ١٧٢
- وفاة داود عليه السلام ١٧٣

سيدنا سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام : ١٧٦

- مولده ونشأته وبعض صفته ١٧٨
- داود وسليمان يحكمان في الحرث ١٧٩
- إكرام سليمان بالمُلك والنبوة ١٧٩
- حشر الطير لسيدنا سليمان ١٨٠
- قصة العنقاء مع سيدنا سليمان ١٨٤

- تثبيت مُلك سليمان بالخاتم ١٨٩
- جهاد سيدنا سليمان أعداء الله ١٩١
- حشر الجن لسيدنا سليمان ١٩١
- حشر الهوام والحشرات لسيدنا سليمان ١٩٢
- ذكر مطابخ سيدنا سليمان ١٩٢
- سؤال سليمان الله عز وجل أن يجعل أرزاق المخلوقات على يديه ١٩٣
- بناء بيت المقدس وابتداء أمره ١٩٤
- مرور سيدنا سليمان على وادي النمل ١٩٨
- حشر البعوض لسيدنا سليمان ٢٠٠
- حادثة الخيل وما قيل فيها ٢٠٢
- صفة بساط سيدنا سليمان ٢٠٣
- ذكر أخبار صخر وما كان من أمره مع سيدنا سليمان ٢٠٤
- صفة كرسي سيدنا سليمان وما انتهى إليه أمره ٢٢٢
- خبر بلقيس ملكة سبأ ٢٢٤
- صفة القصر الذي بنته بلقيس وصفة عرشها ٢٢٧
- خبر سليمان وبلقيس وسبب زواجه بها ٢٣١
- يموت الإنسان حيث كان مكتوباً له ٢٣٧
- خبر الفتنة وذهاب خاتم سليمان والجسد الذي ألقي على كرسيه ٢٣٨
- وفاة بلقيس زوجة سليمان عليه السلام ٢٤٤
- وفاة سليمان عليه السلام ٢٤٥

۞ سيدنا يونس بن متىٰ ذو النون عليه الصلاة والسلام : ٢٥٠

- مولده ونشأته ٢٥٠
- رحيل يونس إلىٰ الرملة وزواجه ٢٥٢
- مبعثه إلىٰ أهل نينوى وتبليغه الدعوة ٢٥٣
- قصة العذاب الذي نزل علىٰ أهل نينوى ثم إيمانهم برب العالمين ٢٥٩
- ابتلاع الحوت لسيدنا يونس ٢٦٠
- عودة يونس إلىٰ نينوى والأمثال التي ضربها الله له ٢٦٣
- وفاة يونس عليه السلام ٢٦٦

۞ سيدنا إلياس واليسع عليهما الصلاة والسلام : ٢٦٧

- نسب إلياس عليه السلام ومولده ٢٦٧
- خصائص أهل بعلبك وإرسال سيدنا إلياس إليهم ٢٦٧
- خبر جنينة مزدكىٰ العبد الصالح وفرار إلياس عليه السلام ٢٧٧
- ظهور سيدنا إلياس ومكر آجاب ٢٧٩
- دعاء إلياس علىٰ قومه وما حلّ بهم من القحط ٢٨٢
- لقاء إلياس مع اليسع المريض ودعاؤه له بالشفاء ٢٨٣
- رفع البلاء عن قوم إلياس بدعوته واستمرارهم علىٰ الكفر ٢٨٤
- رفع سيدنا إلياس ونبوة اليسع وهلاك آجاب الملك وامرأته ٢٨٤
- رواية الكسائي في خبر النبي إلياس عليه السلام ٢٨٥
- روايات تثبت وجود سيدنا إلياس ٢٨٩

۞ سيدنا زكريا ويحيىٰ عليهما الصلاة والسلام : ٢٩١

- نسب زكرياعليه السلام ٢٩٢
- مبعث زكرياعليه السلام ونبوته..... ٢٩٢
- مولد مريم ابنة عمران وكفالة زكريا لها..... ٢٩٣
- البشارة بميلاد يحيىٰعليه السلام ٢٩٤
- مولد يحيىٰعليه السلام وتسميته..... ٢٩٧
- ذكر بعض صفة يحيىٰعليه السلام ومناقبه..... ٢٩٧
- مبعث يحيىٰعليه السلام والخصال الخمس التي أُمِر أن يبلغها لبني إسرائيل ٢٩٩
- وفاة يحيىٰعليه السلام ٣٠٠
- وفاة زكرياعليه السلام ٣٠٦

۞ سيدنا عيسىٰ بن مريم عليه الصلاة والسلام : ٣١٠

- نسب عيسىٰعليه السلام ٣١٣
- خبر الحمل بعيسىٰعليه السلام ٣١٣
- ميلاد عيسىٰعليه السلام ٣١٧
- رجوع مريم بعيسىٰعليه السلام بعد مولده وكلامه في المهد..... ٣٢٠
- خروج مريم وعيسىٰ إلىٰ مصر وما حصل له من آيات ومعجزات..... ٣٢٢
- رجوع سيدنا عيسىٰ وأمه من مصر..... ٣٢٦
- مبعث عيسىٰعليه السلام ٣٢٧
- اجتماع عيسىٰ مع الحواريين وإيمانهم به..... ٣٢٨
- ذكر بعض معجزات عيسىٰعليه السلام ٣٢٩

١ - تصوير الطير..... ٣٣٠

٢- إبراء الأكمه والأبرص والأعمىٰ ٣٣٠
٣- إحياء الموتىٰ (سام بن نوح - العازر - عزير) ٣٣١
٤- إخبار بني إسرائيل بما يدّخرون وما يأكلون في بيوتهم ٣٣٢
٥- إخباره بالمغيبات (قصة ابن العجوز) ٣٣٢
٦- قصته مع اليهودي صاحب الرغيف ٣٣٤
٧- قصة المائدة ٣٣٧
- المحاولة الإبليسية الأولىٰ حين عارض إبليس سيدنا عيسىٰ ٣٤٢
- المحاولة الإبليسية الثانية حين عارض إبليس سيدنا عيسىٰ ٣٤٤
- خبر رفع عيسىٰ عليه السلام إلىٰ السماء أول مرة ٣٤٥
- هبوط عيسىٰ عليه السلام إلىٰ الأرض ووصيته للحواريين ورفعه ثانياً ٣٤٧
- وفاة مريم ابنة عمران عليها السلام ٣٤٨

۞ أخبار الحواريين وما كان مِن أمرهم مع مَن أُرسلوا إليهم : ٣٥٠

- خبر الحواريين (يوحنا ، وبولس ، وشمعون) في أنطاكية ٣٥٠
- خبر الحواري توما في بلاد الهند ٣٥٩
- خبر الحواري لوقا في بلاد فارس ٣٦١

۞ ظهور المهدي والدجال ونزول عيسىٰ عليه السلام في آخر الزمان : ٣٦٤

- خبر ظهور المهدي في آخر الزمان ٣٦٤
- نزول عيسىٰ عليه السلام في آخر الزمان وظهور الدجال ٣٨٢

الفهارس العامة للكتاب : ٤٠٣

- فهرس الآيات القرآنية..... ٤٠٥
- فهرس الأحاديث الشريفة والأخبار..... ٤٢٦
- فهرس الخرائط والصور..... ٤٣٣
- فهرس المصادر والمراجع..... ٤٣٦
- فهرس الموضوعات..... ٤٣٩